

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وَقِفْ لِلَّهِ تَعَالَى)

يسوع مجاباً

مِوَارِدُ الظَّمَانِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وعظم واحكام وقواعد ومواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

حبيب الله خير المحسنين

المدرس في فقهنا ولساننا الدهرة بالرياض

سابقاً

الجزء الرابع

الطبعة التاسعة عشر

١٤١٠ هـ

مطبعة المطبعات الحديثة



مقدمة من :

عبد العزيز محمد السمان

الملك - العربية السعودية



• ٢٢ •

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وقف لله تعالى)

يوزع مجاناً

مَوَارِدُ الظَّهْمَانِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الرابع

الطبعة التاسعة عشر

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ مِنْ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ فَجَزَاهُ
اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ يُعِيذُ
طِبَاعَتَهُ أَوْ يُعِينُ عَلَيْهَا أَوْ يَتَسَبَّبُ لَهَا أَوْ يُشِيرُ عَلَى مَنْ يُؤْمِلُ فِيهِ
الْخَيْرَ أَنْ يَطْبَعَهُ وَقَفًا لِلَّهِ تَعَالَى يُوزَّعَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤١٠ هـ

(فَضْلٌ) « فِي نَمَازِجٍ مِنَ الْفِرَاسَةِ »

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ فِرَاسَةٌ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى يَوْمًا بِفَتًى أَمْرِدٍ قَدْ
وُجِدَ قَتِيلًا مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ أَمْرِهِ وَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى
خَبَرٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ اللَّهُمَّ أَظْفِرْنِي بِقَاتِلِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ وَجِدَ صَبِيًّا
مَوْلُودًا مُلْقًى بِمَوْضِعِ الْقَتِيلِ فَأَتَى بِهِ عُمَرُ فَقَالَ ظَفَرْتُ بِدَمِ الْقَتِيلِ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى أَمْرَأَةٍ تَرْضِعُهُ وَتَقُومُ بِشَأْنِهِ وَقَالَ خُذِي مِنَّا نَفَقَتَهُ
وَانْظُرِي مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكَ فَإِذَا وَجَدْتِ أَمْرَأَةً تُقْبَلُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا فَأَعْلِمِيَنِي
بِمَكَانِهَا .

فَلَمَّا شَبَّ الصَّبِيُّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ إِنَّ سَيِّدَتِي بَعَثَتْنِي إِلَيْكَ
لِتَبْعَثَنِي بِالصَّبِيِّ لِتَرَاهُ وَتَرُدَّهُ إِلَيْكَ قَالَتْ نَعَمْ إِذْهَبِي بِهِ إِلَيْهَا وَأَنَا مَعَكَ فَذَهَبَتْ
بِالصَّبِيِّ وَالْمَرْأَةُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ
إِلَيْهَا .

فَإِذَا هِيَ ابْنَةُ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَتَتْ عُمَرَ فَخَبَّرَتْهُ فَاشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِ الْمَرْأَةِ فَوَجَدَ أَبَاهَا
مُتَّكِئًا عَلَى الْبَابِ فَقَالَ يَا فَلَانُ مَا فَعَلْتَ ابْنُكَ فَلَانَةُ قَالَ جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَبِيهَا مَعَ حُسْنِ صَلَاتِهَا
وَصِيَامِهَا وَالْقِيَامِ بِدِينِهَا .

فَقَالَ عُمَرُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخَلَ إِلَيْهَا فَأَزِيدَهَا رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَأُحْثِّهَا عَلَيْهِ
فَدَخَلَ أَبُوهَا وَدَخَلَ عُمَرُ مَعَهُ فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهَا فَخَرَجَ وَبَقِيَ هُوَ وَالْمَرْأَةُ فِي الْبَيْتِ
فَكَشَفَ عُمَرُ عَنِ السَّيْفِ وَقَالَ لَتَصْدُقَنِي وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ وَكَانَ لَا يَكْذِبُ .

فَقَالَتْ عَلَى رِسْلِكَ فَوَاللَّهِ لَأُصَدِّقَنَّ إِنْ عَجُوزًا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ
فَاتَّخَذْتُهَا أُمًّا وَكَانَتْ تَقُومُ مِنْ أَمْرِي كَمَا تَقُومُ بِهِ الْوَالِدَةُ وَكُنْتُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْبِنْتِ
فَمَضَى لِذَلِكَ حِينٌ ثُمَّ إِنَّهَا قَالَتْ يَا بِنْتُ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ لِي سَفَرٌ وَلِي ابْنَةٌ فِي
مَوْضِعٍ أَتَخَوَّفُ عَلَيْهَا فِيهِ أَنْ تَضِيعَ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَضُمَّهَا إِلَيْكَ حَتَّى
أَرْجِعَ مِنْ سَفَرِي .

فَعَمَدَتْ إِلَى ابْنِ لَهَا شَابٍ أَمْرِدٍ فَهَيَّئَتْهُ كَهَيْئَةِ الْجَارِيَةِ وَأَتَتْهُ بِهِ وَلَا أَشْكُ
أَنَّهُ جَارِيَةٌ فَكَانَ يَرَى مِنْهَا مَا تَرَى الْجَارِيَةُ مِنَ الْجَارِيَةِ حَتَّى اغْتَفَلَنِي يَوْمًا وَأَنَا
نَائِمَةٌ فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَلَانِي وَخَالَطَنِي فَمَدَدَتْ يَدِي إِلَى شَفْرَةٍ كَانَتْ إِلَى
جَنْبِي فَقَتَلَتْهُ .

ثُمَّ أَمَرْتُ بِهِ فَأَلْقَيْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ فَاشْتَمَلْتُ مِنْهُ عَلَى هَذَا الصَّبِيِّ فَلَمَّا
وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ أَبِيهِ فَهَذَا وَاللَّهِ خَبَرُهُمَا عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ .

فَقَالَتْ صَدَقْتَ ثُمَّ أَوْصَاهَا وَدَعَا لَهَا وَخَرَجَ وَقَالَ لِابْنَتِهَا نَعَمْ الْابْنَةُ ابْنُكَ
ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَقَالَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ رَأَى رَجُلًا فَقَالَ لَسْتُ ذَا دِرَايَةٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي الْكِهَانَةِ ادْعُوهُ لِي فَدَعَوْهُ فَقَالَ هَلْ كُنْتَ
تَنْظُرُ وَتَقُولُ فِي الْكِهَانَةِ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ .

وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَجُلٍ مَا
اسْمُكَ قَالَ جَمْرَةٌ قَالَ ابْنُ مَنْ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ مِمَّنْ قَالَ مِنَ الْحُرَّةِ قَالَ أَيْنَ

مَسْكَنَكَ قَالَ بِحَرَّةِ النَّارِ قَالَ أَيُّهَا قَالَ بِذَاتِ لُظَى فَقَالَ عُمَرُ أَذْرِكَ أَهْلَكَ فَقَدْ
احْتَرَقُوا فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى
فَنَزَلَتْ الْآيَةُ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ
أَمَرْتَ نِسَائِكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاؤُهُ فِي الْغَيْرَةِ فَقَالَ لَهُنَّ عُمَرُ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ .

وَشَاوَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَشَارَ
بِقَتْلِهِمْ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ قَدِمْتُ عَلَى
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّ مِنْ الْيَمَنِ فَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ فَرَأَى فِيهَا
حُلَّةً رَدِيئَةً فَقَالَ كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِذِهِ إِنْ أَحَدًا لَمْ يَقْبَلْهَا فَطَوَاهَا وَجَعَلَهَا تَحْتَ
مَجْلِسِهِ وَأَخْرَجَ طَرَفَهَا وَوَضَعَ الْحُلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ .

فَدَخَلَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْحُلَّةِ ، فَقَالَ
مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ فَقَالَ عُمَرُ دَعَهَا عَنْكَ قَالَ مَا شَأْنُهَا قَالَ دَعَهَا قَالَ فَأَعْطَيْتُهَا قَالَ
إِنَّكَ لَا تَرْضَاهَا ، قَالَ بَلَى قَدْ رَضِيتُهَا فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَرُدَّهَا
رَمَى بِهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذَا هِيَ رَدِيئَةٌ قَالَ لَا أُرِيدُهَا قَالَ عُمَرُ هَيْهَاتَ قَدْ
فَرَعْتُ مِنْهَا فَأَجَازَهَا عَنْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْهُدَايَةِ وَأُبْعِدْنَا عَنْ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
الْوَهَّابُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَاصَمَ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أُمَّهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فَجَحَدَتْهُ فَسَأَلَهُ الْبَيِّنَةُ فَلَمْ تَكُنْ عَنْدهُ وَجَاءَتْ الْمَرْأَةُ بِنَفَرٍ فَشَهِدُوا أَنَّهَا
لَمْ تَتَزَوَّجْ وَأَنَّ الْغُلَامَ كَاذِبٌ عَلَيْهَا وَقَدْ قَذَفَهَا فَأَمَرَ عُمَرُ بِضَرْبِهِ .

فَلَقِيَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِمْ فَأَخْبَرَهُ فَدَعَاهُمْ ثُمَّ قَعَدَ فِي
مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ الْمَرْأَةَ فَجَحَدَتْ فَقَالَ لِلْغُلَامِ
اجْحَدْهَا كَمَا جَحَدْتَكَ فَقَالَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا
أُمِّي قَالَ اجْحَدْهَا وَأَنَا أَبُوكَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَخَوَاكَ .

قَالَ قَدْ جَحَدْتُهَا وَأَنْكَرْتُهَا فَقَالَ عَلِيُّ لِأَوْلِيَاءِ الْمَرْأَةِ أَمْرِي فِي هَذِهِ الْمَرْأَةِ
جَائِزٌ قَالُوا نَعَمْ وَفِينَا أَيْضًا فَقَالَ أَشْهَدُ مَنْ حَضَرَ أَيْنِي قَدْ زَوَّجْتُ هَذَا الْغُلَامَ
مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْغَرِيبَةِ مِنْهُ يَا قَنْبَرُ اثْنِي بِدَرَاهِمَ فَأَتَاهُ فَعَدَّ أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَمَانِينَ
دِرْهَمًا فَقَذَفَهَا مَهْرًا لَهَا .

وَقَالَ لِلْغُلَامِ خُذْ بَيْدَ امْرَأَتِكَ وَلَا تَأْتِنَا إِلَّا وَعَلَيْكَ أَثَرُ الْعُرْسِ فَلَمَّا
وَلَّى قَالَتِ الْمَرْأَةُ يَا أَبَا الْحَسَنِ اللَّهُ اللَّهُ هُوَ النَّارُ هُوَ وَاللَّهُ ابْنِي .

قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَتْ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ هَجِينًا - الْهَجِينُ عَرَبِيٌّ وُلِدَ مِنْ أُمَةٍ أَوْ
مِنْ أَبَوَيْ خَيْرٍ مِنْ أُمِّهِ - وَإِنَّ إِخْوَتِي زَوَّجُونِي مِنْهُ فَحَمَلْتُ بِهِذَا الْغُلَامَ وَخَرَجَ
الرَّجُلُ غَارِيًّا فَقُتِلَ وَبَعَثْتُ بِهِذَا إِلَى حَيِّ بَنِي فَلَانٍ فَنَشَأُ فِيهِمْ وَأَنْفَتُ أَنْ يَكُونَ
ابْنِي فَقَالَ عَلِيُّ أَنَا أَبُو الْحَسَنِ وَالْحَقُّ بِهَا وَثَبَّتَ نَسَبَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ رَجُلًا كَيْفَ أَنْتَ فَقَالَ مِمَّنْ يُحِبُّ

الْفِتْنَةَ وَيَكْرَهُ الْحَقَّ وَيَشْهَدُ عَلَى مَا لَمْ يَرَهُ . فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ فَأَمَرَ عَلِيٌّ بِرَدِّهِ
فَقَالَ صَدَقَ ، فَقَالَ كَيْفَ صَدَّقْتَهُ قَالَ يُحِبُّ الْمَالَ وَالْوَلَدَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ وَهُوَ الْحَقُّ وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَرَهُ فَأَمَرَ عُمَرُ بِإِطْلَاقِهِ وَقَالَ « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

وَشَكََا شَابٌ إِلَى عَلِيٍّ نَفَرًا فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مَعَ أَبِي فِي سَفَرٍ
فَعَادُوا وَلَمْ يَعُدْ أَبِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ
شَيْئًا وَكَانَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَتَرَفَعْنَا إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ .

فَدَعَا عَلِيٌّ بِالشَّرْطِ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا
يُمْكِنُوا بَعْضَهُمْ أَنْ يَذْنُوبَ مِنْ بَعْضٍ وَلَا يُمْكِنُوا أَحَدًا يُكَلِّمُهُمْ وَدَعَا كَاتِبَهُ وَدَعَا
أَحَدَهُمْ فَقَالَ أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي هَذَا الْفَتَى أَيَّ يَوْمٍ خَرَجَ مَعَكُمْ وَفِي أَيِّ مَنْزِلٍ
نَزَلْتُمْ وَكَيْفَ كَانَ سَيْرُكُمْ وَبِأَيِّ عِلَّةٍ مَاتَ وَكَيْفَ أُصِيبَ بِمَالِهِ وَسَأَلَهُ عَمَّنْ غَسَلَهُ
وَدَفَنَهُ وَمَنْ تَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَأَيْنَ دُفِنَ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالْكَاتِبُ يَكْتُبُ فَكَبَّرَ عَلِيٌّ
وَكَبَّرَ الْحَاضِرُونَ وَالْمُتَّهَمُونَ لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ
عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ دَعَا آخَرَ بَعْدَ أَنْ غَيَّبَ الْأَوَّلَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلَ صَاحِبَهُ ثُمَّ
الْآخَرَ كَذَلِكَ حَتَّى عَرَفَ مَا عِنْدَ الْجَمِيعِ فَوَجَدَ كُلَّ وَاحِدٍ يُخْبِرُ بِضِدِّ مَا أُخْبِرَ بِهِ
صَاحِبَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ الْأَوَّلِ فَقَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ غَدْرَتَكَ وَكَذِبَكَ بِمَا
سَمِعْتُ مِنْ أَصْحَابِكَ وَمَا يُنْجِيكَ مِنَ الْعُقُوبَةِ إِلَّا الصَّدْقُ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى
السَّجْنِ وَكَبَّرَ مَعَهُ الْحَاضِرُونَ .

فَلَمَّا أَبْصَرَ الْقَوْمُ الْحَالَ لَمْ يَشْكُوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ فَدَعَا آخَرَ مِنْهُمْ
فَهَدَّاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِمَا صَنَعُوا ثُمَّ دَعَا الْجَمِيعَ

فَاقْرَؤُوا بِالْقِصَّةِ وَاسْتَدْعَى الَّذِي فِي السَّجَنِ وَقَالَ لَهُ قَدْ أَقْرَأْتُ أَصْحَابَكَ وَلَا يُنْجِيكَ
 سِوَى الصَّدَقِ فَاقْرَأْ بِكُلِّ مَا أَقْرَبَ بِهِ الْقَوْمَ فَأَغْرَمَهُمُ الْمَالُ وَأَقَادَ مِنْهُمْ بِالْقَتِيلِ .
 اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ دَفَعَا إِلَى امْرَأَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ وَدِيعَةً وَقَالَا لَا
 تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ فَلَبِثَا حَوْلًا فَجَاءَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ إِنَّ
 صَاحِبِي قَدْ مَاتَ فَادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنَانِيرَ فَأَبَتْ وَقَالَتْ إِنَّكُمَا قُلْتُمَا لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى
 وَاحِدٍ مِنَّا دُونَ صَاحِبِهِ فَلَسْتُ بِدَافِعَتِهَا إِلَيْكَ ، فَثَقُلَ عَلَيْهَا بِأَهْلِهَا وَجِيرَانِهَا
 حَتَّى دَفَعَتْهَا إِلَيْهِ .

ثُمَّ لَبِثَتْ حَوْلًا آخَرَ فَجَاءَ الْآخَرُ فَقَالَ ادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنَانِيرَ فَقَالَتْ إِنَّ
 صَاحِبَكَ جَاءَنِي فزَعَمَ أَنَّكَ قَدْ مِتُّ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ ادْفَعْنَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 فَعَرَفَ عَلِيٌّ أَنَّهُمَا قَدْ مَكَرَا بِهَا .

فَقَالَ أَلَيْسَ قُلْتُمَا لَا تَدْفَعِيهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا دُونَ صَاحِبِهِ قَالَ بَلَى قَالَ
 مَا لَكَ عِنْدَهَا فَاذْهَبْ فَجِئْتُ بِصَاحِبِكَ حَتَّى تَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا .

وَاخْتَصَمَ إِلَى إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَجُلَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّهُ بَاعِنِي جَارِيَةَ
 رَعْنًا فَقَالَ إِيَّاسُ وَمَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرَّعُونَةُ قَالَ شِبْهُ الْجُنُونِ فَقَالَ إِيَّاسُ
 لِلْجَارِيَةِ أَتَذْكُرِينَ مَتَى وَلَدْتِي قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَأَيُّ رَجُلِيكَ أَطْوَلُ قَالَتْ هَذِهِ فَقَالَ
 إِيَّاسُ رُدَّهَا فَاتَّهَا مَجْنُونَةً .

وَتَقَدَّمَ إِلَى إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ فَقَالَ إِيَّاسُ أَمَّا أَحَدَاهُنَّ فَحَامِلٌ
وَالْأُخْرَى مُرْضِعٌ وَالْأُخْرَى ثِيَّبٌ وَالْأُخْرَى بَكْرٌ فَنَظَرُوا فَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا
قَالَ قَالُوا كَيْفَ عَرَفْتَ ، فَقَالَ أَمَّا الْحَامِلُ فَتَرَفَعَتْ ثَوْبُهَا عَنْ بَطْنِهَا وَهِيَ
تُكَلِّمُنِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا حَامِلٌ وَأَمَّا الْمُرْضِعُ فَكَانَتْ تَضْرِبُ ثَدْيَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
مُرْضِعٌ ، وَأَمَّا الثِّيَّبُ فَكَانَتْ تُكَلِّمُنِي وَعَيْنُهَا فِي عَيْنِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا ثِيَّبٌ .

وَأَمَّا الْبَكْرُ فَكَانَتْ تُكَلِّمُنِي وَعَيْنُهَا فِي الْأَرْضِ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا بَكْرٌ ، وَقَالَ
الْمَدَائِنِيُّ عَنْ رَوْحٍ اسْتَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ النَّاسِ مَالًا ثُمَّ رَجَعَ فَطَلَبَهُ
فَجَحَدَ فَأَتَا إِيَّاسًا فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ انْصَرِفْ فَانْتُمْ أَمْرُكُمْ وَلَا تُعْلِمُهُ أَنَّكَ
أَتَيْتَنِي ثُمَّ عُدَّ إِلَيَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ .

فَدَعَا إِيَّاسُ الْمُودَعَ فَقَالَ قَدْ حَضَرَ مَالٌ كَثِيرٌ وَأَرِيدُ أَنْ أَسَلِّمَهُ إِلَيْكَ
أَفَحَصِينُ مَنْزِلِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَعِدَّ لَهُ مَوْضِعًا وَحَمَّالَيْنِ وَعَادَ الرَّجُلُ صَاحِبُ
الْوَدِيعَةِ إِلَى إِيَّاسٍ .

فَقَالَ انْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِكَ فَاطْلُبْ الْمَالَ فَإِنْ أَعْطَاكَ فَذَاكَ وَإِنْ جَحَدَكَ
فَقُلْ لَهُ إِنَّي أَخْبِرُ الْقَاضِيَّ فَأَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَقَالَ مَالِي وَإِلَا أَتَيْتُ الْقَاضِيَّ
وَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِي ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَالَهُ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَّاسٍ فَقَالَ قَدْ
أَعْطَانِي الْمَالَ .

وَجَاءَ الْأَمِينُ إِلَى إِيَّاسٍ لِيُوعِدَهُ فَرْجَرَهُ وَانْتَهَرَهُ وَخَجَّلَهُ وَقَالَ لَا تَقْرَبْنِي يَا
خَائِنُ . وَتَقَلَّدَ الْقَضَاءُ بِوَاسِطَةِ رَجُلٍ ثِقَةٍ فَأَوْدَعَ رَجُلٌ بَعْضَ شُهُودِهِ كَيْسًا مَخْتُومًا
ذَكَرَ أَنَّ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ .

فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَةُ الرَّجُلِ فَتَقَى الشَّاهِدُ الْكَيْسَ مِنْ أَسْفَلِهِ وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ
وَجَعَلَ مَكَانَهَا دَرَاهِمَ وَأَعَادَ الْخِيَاطَةَ كَمَا كَانَتْ .

وَجَاءَ صَاحِبُ الْكِيسِ فَطَلَبَ وَدِيعَتَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِيسَ بِخَتْمِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ
فَلَمَّا فَتَحَهُ وَشَاهَدَ الْحَالَ رَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنِّي أَوْدَعْتُكَ دَنَانِيرَ وَالتِّي دَفَعْتَ إِلَيَّ
دَرَاهِمَ فَقَالَ هُوَ كَيْسُكَ بِخَاتَمِكَ فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الْقَاضِي فَأَمَرَ بِاحْضَارِ الْمُودِعِ
فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْقَاضِي مُنْذُ كَمْ أَوْدَعَكَ هَذَا الْكِيسُ فَقَالَ مُنْذُ خَمْسَةِ
عَشَرَ سَنَةً .

فَأَخَذَ الْقَاضِي تِلْكَ الدَّرَاهِمَ وَقَرَأَ سِكَّتَهَا فَإِذَا فِيهَا مَا قَدْ ضُرِبَ مِنْ سَتَتَيْنِ
وَتِلَاثٍ فَأَمَرَهُ بِدَفْعِ الدَّنَانِيرِ إِلَيْهِ وَأَسْقَطَهُ وَنَادَى عَلَيْهِ ، وَاسْتَوْدَعَ رَجُلٌ لِغَيْرِهِ
مَالًا فَجَحَدَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى إِيَّاسٍ فَسَأَلَهُ فَأَنْكَرَ .

فَقَالَ لِلْمُدَّعِي أَيْنَ دَفَعْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ فِي مَكَانٍ كَذَا فِي الْبَرِّيَّةِ فَقَالَ وَمَا كَانَ
هُنَاكَ قَالَ شَجَرَةٌ قَالَ أَذْهَبُ إِلَيْهَا فَلَعَلَّكَ دَفَنْتَ الْمَالَ عِنْدَهَا وَنَسِيتَ فَتَذَكَّرَ إِذَا
رَأَيْتَ الشَّجَرَةَ فَمَضَى وَقَالَ لِلْخَصْمِ اجْلِسْ حَتَّى يَرْجِعَ صَاحِبُكَ وَإِيَّاسُ يَقْضِي
وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ .

ثُمَّ قَالَ يَا هَذَا أَتَرَى صَاحِبَكَ بَلَغَ مَكَانَ الشَّجَرَةِ قَالَ لَا قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ
إِنَّكَ خَائِنٌ قَالَ أَقْلِنِي قَالَ أَقَالَكَ اللَّهُ فَأَمَرَ مَنْ يَحْتَفِظُ بِهِ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ
لَهُ إِيَّاسُ أَذْهَبَ مَعَهُ فَخُذْ حَقَّكَ .

وَتَقَدَّمَ رَجُلٌ شَيْخٌ أَيْ كَبِيرُ السِّنِّ وَمَعَهُ غُلَامٌ حَدَّثَ أَيَّ صَغِيرٍ إِلَى
الْقَاضِي أَبِي حَازِمٍ فَادَّعَى الشَّيْخُ عَلَى الْغُلَامِ بِأَلْفِ دِينَارٍ دَيْنًا فَقَالَ مَا تَقُولُ
قَالَ نَعَمْ فَقَالَ الْقَاضِي لِلشَّيْخِ مَا تُرِيدُ قَالَ اجْبِسْهُ قَالَ لَا .

فَقَالَ الشَّيْخُ إِنْ رَأَى الْقَاضِي أَنْ يَحْبِسَهُ فَهُوَ أَرْجَى لِحُصُولِ مَالِي
فَتَفَرَّسَ أَبُو حَازِمٍ فِيهِمَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ تَلَاَزَمَا حَتَّى أَنْظَرَ فِي أَمْرِكُمَا فِي مَجْلِسٍ
آخَرَ فَقَالَ لَهُ مُكْرِمُ بْنُ أَحْمَدٍ لِمَاذَا أَخَرْتَ حَبْسَهُ فَقَالَ وَيْحَكَ إِنِّي أَعْرِفُ فِي

أَكْثَرَ الْأَحْوَالِ فِي وُجُوهِ الْخُصُومِ وَجْهَ الْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ وَقَدْ صَارَتْ لِي
بِذَلِكَ دِرَايَةٌ لَا تَكَادُ تُخْطِئُ .

وَقَدْ وَقَعَ لِي أَنْ سَمَّاحَهُ هَذَا بِالْأَقْرَارِ عَيْنُ كَذِبِهِ وَلَعَلَّهُ يَنْكَشِفُ لِي مِنْ
أَمْرِهِمَا مَا أَكُونُ مَعَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَمَا رَأَيْتَ قِلَّةَ تَعَاصِيهِمَا فِي الْمُنَاكَرَةِ وَقِلَّةَ
اخْتِلَافِهِمَا وَسُكُونِ طِبَاعِهِمَا مَعَ عِظَمِ الْمَالِ وَمَا جَرَتْ عَادَاتُ الْأَحْدَاثِ بِفَرْطِ
التَّوَرُّعِ حَتَّى يُقَرَّ بِمِثْلِهِ طَوْعًا عَجَلًا مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ عَلَى هَذَا الْمَالِ .

قَالَ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ نَتَحَدَّثُ إِذْ أَتَى الْأَذِنُ يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْقَاضِي لِبَعْضِ
التُّجَّارِ فَأَذِنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ أَصْلَحَ الْقَاضِي إِنِّي بُلَيْتُ بَوْلِدٍ حَدَثَ صَغِيرٍ
يُتْلَفُ كُلُّ مَا يَظْفَرُ بِهِ مِنْ مَالِي فِي الْقِنَانِ عِنْدَ فُلَانٍ فَإِذَا مَنَعْتُهُ اخْتَالَ بِحِيلٍ
تَضْطَرُّنِي إِلَى التِّزَامِ الْعُزْمِ عَنْهُ .

وَقَدْ نَصَبَ الْيَوْمَ صَاحِبُ الْقِنَانِ يُطَالِبُ بِأَلْفِ دِينَارٍ حَالًا وَبَلَغَنِي أَنَّهُ
تَقَدَّمَ إِلَى الْقَاضِي لِيُقَرَّرَ لَهُ فَيَسْجُنَهُ وَأَقْعُ مَعَ أُمِّهِ فِيمَا يُنَكِّدُ عَيْشَنَا إِلَى أَنْ أَقْضِيَ
عَنْهُ فَلَمَّا سَمِعْتُ بِذَلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْقَاضِي لِأُشْرَحَ لَهُ أَمْرُهُ .

فَتَبَسَّمَ الْقَاضِي وَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتَ فَقُلْتُ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى
الْقَاضِي فَقَالَ عَلِيٌّ بِالْغُلَامِ وَالشَّيْخِ وَوَعَظَ الْغُلَامَ فَأَقَرَّ فَأَخَذَ الرَّجُلُ ابْنَهُ
وَانْصَرَفَا .

قَالَ عَمْرُو بْنُ نُجَيْدٍ كَانَ شَاهُ الْكَرْمَانِي حَادُّ الْفِرَاسَةِ لَا يُحْطِي وَيَقُولُ
مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ وَأُمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَعَمَرَ بَاطِنَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ
وظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَتَعَوَّدَ أَكْلَ الْحَلَالِ لَمْ تُخْطِئْ فِرَاسَتُهُ .
وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ تَيَقَّظُوا فَالْعِبْرُ مِنْكُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، وَطَالَمَا نَادَاكُمْ
لِسَانُ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْإِنْهَاكِ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا فَاسْمَعِ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ مَنْ قَدْ مَحَضُوا لِلدُّنْيَا كُلَّ مَا لَهُمْ مِنْ
أَعْمَالٍ وَأَصْبَحُوا لَا يَقْصِدُونَ بِتَصَرُّفَاتِهِمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا تَخْطُرُ لَهُمْ
عَلَى بَالٍ .

أَخَذْتُ الدُّنْيَا أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ بِمَا فِيهَا مِنَ الزُّخَارِفِ
الْوَهْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرَاقِدُ الْفَنَاءِ وَمَرَابِضُ الزَّوَالِ وَقَوَاتِلُ الْأَوْقَاتِ .
وَهَلْ هِيَ إِلَّا الْأَلْعَابُ وَالْمَلَاهِي الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّهَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ الْآيَةُ
وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ الْآيَةُ ، عِبَادَ اللَّهِ ،
كُلُّ مَا تَرَوْنَ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمَحَنِ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَمَالَهَا مِنْ مَتَاعٍ حَقِيرٍ .
عَجَبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذَا الْاهْتِمَامِ مِنْ أَجْلِ دَارِ الْغُرُورِ وَأَيَّامِهَا
الْمَعْدُودَةِ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ لَذَائِدَ مَعْلُومٍ أَنَّهَا مُنْغَصَّاتٌ ثُمَّ مُنْتَهِيَاتٌ ذَلِكَ فَوْقَ
أَنَّ الْأَرْزَاقَ فِيهَا قَدْ ضَمِنَهَا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا عَلَيْهِ رِزْقُهَا .

وَهَلْ يَشْكُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ فِي مَا ضَمِنَهُ مَوْلَاهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ لَقَدْ كَانَ
الْأَجْدَرُ وَالْأَوْلَى بِهَذَا الْاهْتِمَامِ حَيَاتِنَا الثَّانِيَةِ لِإِنَّهَا دَارُ الْقَرَارِ وَلِأَنَّهَا إِذَا فَاتَتْكَ
فِيهَا دَارُ الْكَرَامَةِ هَوَيْتَ فِي الْهََاوِيَةِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ مِنْ فَرِيقِ الْجَنَّةِ أَمْ
مِنْ فَرِيقِ السَّعِيرِ .

فَتَقِظْ يَا مَنْ ضَاعَ عُمرُهُ فِي الْغَفْلَاتِ ! انْتَبِهْ يَا مَنْ يَقْتُلُ أَوْقَاتَهُ عِنْدَ
الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

يَا أَسْفَى عَلَى أَوْقَاتٍ لَا تُبَاعُ بِمِلءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا تُضَيِّعُ عِنْدَ التَّلْفِزِيُونِ
وَالْفِذْيُو وَالسَّيْنِمَاتِ وَالْبِكَمَاتِ وَلَعِبِ الْأَوْرَاقِ الْمُحَرَّمَاتِ .

آه على أوقاتٍ تُقتلُ عندَ المِذْيَاعِ واستِماعِ أَغَانِيهِ وَمَلاهيهِ
المُهْلِكَاتِ .

آه على سَاعَاتٍ تَمْضِي عِنْدَ الكُرَةِ والمُطْرِبِينَ والمُطْرِبَاتِ .

آه على أوقاتٍ وَتَفَكِيرَاتٍ تَذْهَبُ فِي قِرَاءَةِ الكُتُبِ الخَلِيعَةِ والجَرَائِدِ
والمَجَلَّاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي فِي الإِقَامَةِ بَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

آه على أوقاتٍ تُقتلُ فِي الغِيْبَةِ والبُهْتِ والتَّمَلُّقِ والنِّفَاقِ والمُذَاهَنَاتِ .

آه على أوقاتٍ تُقتلُ فِي الجُلُوسِ فِي الأسْوَاقِ لَا لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَا وَلَا دِينٍ
بَلْ لِأُمُورٍ عِنْدَ أَهْلِ الضِّيَاعِ مَعْلُومَاتِ .

آه على أوقاتٍ تُقْضَى فِي بِلَادِ الحُرِّيَةِ والفِسْقِ والفُجُورِ والأُمُورِ المَهْلِكَاتِ .

آه على أوقاتٍ تُقتلُ بِالحِكَايَاتِ المَضْحَكَاتِ وَالتَّمْثِيلِيَّاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي بِلُغُو الكَلَامِ والمُعَاذَلَاتِ لِأَهْلِ المعَاصِي والمنكَرَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقُضِي فِي الاسْتِماعِ لِلْأَغَانِي الخَلِيعَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَمْضِي فِي التَّسْكِرِ وَشُرْبِ أَبِي الخَبَائِثِ الدُّخَانِ .

آه على أوقاتٍ تُقتلُ فِي ذِكْرِ الحَوَادِثِ والأُمُورِ المَاضِيَّاتِ الَّتِي لَا تَعُودُ
عَلَيْهِمْ بِنَفْعٍ بَلْ رُبَّمَا عَادَتْ بِالضَّرَرِ والنَّكَبَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَذْهَبُ سُدَى فِي النُّومِ وَالْغَفْلَاتِ .

آه على أُمُوالٍ تُنْفَقُ فِيمَا يُغْضِبُ فَاطِرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَعَلَى أُمُوالٍ تُبَدَّلُ
لِلْخَدَّامِينَ وَالْخَدَمَاتِ الكَافِرِينَ وَالكَافِرَاتِ .

آه على أَلْسِنَةٍ لَا تَقْتَرِعَنَّ عَنِ الكَلَامِ فِيمَا يَضُرُّ وَلَمْ تَسْتَبِدِلْهُ بِتَمَجِيدٍ وَتَسْبِيحٍ
وَتَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ بَدِيعِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .

آه على أفكارٍ وأذهانٍ مَصْرُوفَةٍ ومُشْتَغَلَةٍ طَوَّلَ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا فَيَمَّا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ وَعَقَارَاتٍ وَلَمْ تُفَكِّرْ وَتَلْتَفِتْ وَتَسْتَعِدَّ إِلَى مَا فِي أَمَامِهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ وَعَقَبَاتٍ وَمَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْ أَنْهَارٍ وَثِيَارٍ وَحُورٍ حِسَانٍ طَاهِرَاتٍ .

تَاللَّهِ لَقَدْ فَسَدَتْ أَمْزَجَةُ أَكْثَرِ النَّاسِ حَتَّى أَثَرَ فَسَادُهَا عَلَى الْأَفْهَامِ لَذَلِكَ رَجَّحُوا فَانِيًا مُكَدِّرًا مُنْغَصًّا عَلَى بَاقٍ ضَمِنَ صَفْوَهُ مُوَلِّي الْأَنْعَامِ وَهَاهُمْ أَوْلَاءُ كَمَا تَرَى لَا هُمْ لَهُمْ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا لِلدُّنْيَا وَمَا لَهَا مِنْ حُطَامٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ بَلْ تَوَثُّوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ ﷺ ابْشُرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَحِثَامًا :

فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلَا يُضِيعُ مِنْهُ لَحْظَةً فِي غَيْرِ قُرْبَةٍ وَيُقَدِّمَ الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

فَوَائِدُ : كُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ غَرَضُكَ فَإِنْ تَشَاغَلَكَ بِهِ غَبْنٌ فَاحْشَ لِأَنَّ إِحْتِيَاجَكَ إِلَى التَّشَاغُلِ بِهَا لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ آكِدٌ وَالزَّمُّ وَأَنْفَعُ .

أَعْلَمُ أَنَّ مَا احْتَجَجْتَ إِلَى مُفَارَقَتِهِ وَتَرَكَهُ لِلنَّاسِ فَلَيْسَ لَكَ وَالشُّغْلُ بِهَا لَيْسَ لَكَ عَبَثٌ .

وما المرءُ إِلَّا رَاكِبٌ ظَهَرَ عُمُرُهُ عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ فِي الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ يَبِيتُ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى الْقَبْرِ آخِرُ : إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمُرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنْ الْأَنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ

آخر: سَتَبِكِّي رَجَالٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً عَلَى فُوتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِزَّنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيُّسُهُ مِنَّا كَمَا
أَيَّسْتَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

أَتَتْ عُمَرَ امْرَأَةً فَشَكَتْ عِنْدَهُ زَوْجَهَا وَقَالَتْ هُوَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا يَقُومُ
اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَيَصُومُ النَّهَارَ حَتَّى يُمِيسِي ثُمَّ أَدْرَكَهَا الْحَيَاءُ فَقَالَ عُمَرُ
جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتِ الثَّنَاءَ .

فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَبْلَغْتَ إِلَيْكَ فِي
الشُّكْوَى ، فَقَالَ وَمَا اشْتَكَيْتَ قَالَ زَوْجَهَا ، قَالَ عَلَيَّ بِهَا فَقَالَ لِكَعْبِ اقْضِ
بَيْنَهُمَا ، قَالَ أَقْضِ وَأَنْتَ حَاضِرٌ ، قَالَ إِنَّكَ قَدْ فَطَنْتَ لِمَا لَمْ أَفْطَنْ لَهُ .
قَالَ كَعْبُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فَاذْكُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ
وَرُبَاعَ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَافْطِرْ عِنْدَهَا يَوْمًا وَقُمْ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَبِثْ عِنْدَهَا لَيْلَةً فَقَالَ
عُمَرُ هَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الْأَوَّلِ فَبَعَثَهُ قَاضِيًا لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَانَ يَقَعُ لَهُ مِنْ
الْفِرَاسَةِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْ دَقِيقِ الْفِرَاسَةِ أَنَّ الْمَنْصُورَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ
خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ فَكَسِبَ مَالًا فَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ ثُمَّ طَلَبَهُ فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سَرَقَ مِنَ
الْبَيْتِ وَلَمْ يَرَ نَقْبًا وَلَا أَمَارَةً فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ مِنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ مِنْذُ سَنَةٍ ،
قَالَ بِكَرًا أَوْ ثُبًّا قَالَ ثُبًّا قَالَ فَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِكَ قَالَ لَا .

فَدَعَا لَهُ الْمَنْصُورُ بِقَارُورَةٍ طِيبٍ يَتَّخِذُهَا لَهُ حَادُّ الرِّائِحَةِ غَرِيبُ النُّوعِ

فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ تَطِيبُ مِنْ هَذَا الطِّيبِ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ غَمَّكَ فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ الْمَنْصُورُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ لِيَقْعُدَ مِنْكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ فَمَنْ شَمَّ مِنْكُمْ رَائِحَةَ هَذَا الطِّيبِ مِنْ أَحَدٍ فَلْيَأْتِ بِهِ ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالطِّيبِ وَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلَمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ مِنْهُ إِلَى رَجُلٍ كَانَتْ تُحِبُّهُ وَقَدْ كَانَتْ دَفَعَتْ إِلَيْهِ الْمَالَ .

فَتَطِيبَ مِنْهُ وَمَرَّ مُجْتَازاً بِبَعْضِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ فَشَمَّ الْمُوَكَّلُ بِالبَابِ رَائِحَةَ طَيِّبَةً فَأَتَى بِهِ الْمَنْصُورَ فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الطِّيبُ فَلَجَلَجَ فِي كَلَامِهِ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى وَالِيِ الشَّرْطَةِ فَقَالَ إِنَّ أَحْضَرَ لَكَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ فَخَلَّ عَنْهُ وَإِلَّا اضْرِبْهُ أَلْفَ سَوْطٍ .

فَلَمَّا جُرِّدَ لِلضَّرْبِ أَحْضَرَ الْمَالَ عَلَى هَيْئَتِهِ فَدَعَا الْمَنْصُورُ صَاحِبَ الْمَالِ فَقَالَ إِنَّ رَدَدْتُ إِلَيْكَ مَالَكَ تُحَكِّمَنِي فِي امْرَأَتِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هَذَا مَالُكَ وَقَدْ طَلَّقْتُ الْمَرْأَةَ مِنْكَ .

قَالَ وَمِنْ عَجِيبِ الْفِرَاسَةِ مَا ذَكَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِيهِ إِذْ رَأَى سَائِلًا فِي ثَوْبٍ خَلِقٍ فَوَضَعَ لَهُ دَجَاجَةً عَلَى رَغِيفٍ وَحَلَوَى وَأَمَرَ بَعْضَ الْغِلْمَانِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَلَمَّا وَقَعَ فِي يَدِهِ وَأَخَذَهُ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ وَلَمْ يَهْشُ لَهُ وَلَمْ يَغْبَأْ بِهِ .

فَقَالَ لِلْغُلَامِ اثْنَيْنِ بِالسَّائِلِ فَلَمَّا وَقَفَ قُدَّامَهُ اسْتَنْطَقَهُ فَأَحْسَنَ الْجَوَابَ وَلَمْ يَخَفْ وَلَمْ يَضْطَرْبْ مِنْ هَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ هَاتِ الْكُتُبَ الَّتِي مَعَكَ وَاصْدُقْنِي مَنْ بَعَثَكَ فَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّكَ صَاحِبُ خَبَرٍ وَأَحْضَرَ السَّيَاطَ فَاعْتَرَفَ .

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ هَذَا وَاللَّهِ السَّحَرُ قَالَ مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلَكِنْ فِرَاسَةٌ

صَادِقَةً رَأَيْتُ سُوءَ حَالِهِ فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ يَرْغَبُ أَكْلَهُ الشَّبَعَانُ فَمَا هَشَّ لَهُ
وَلَا فَرِحَ وَلَا مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ فَأَحْضَرْتُهُ فَتَلَقَّانِي بِقُوَّةٍ جَاشٍ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَثَائَةً حَالِهِ
وَقُوَّةَ جَاشِيهِ عَلِمْتُ أَنَّهُ صَاحِبُ خَبَرٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَرَأَى يَوْمًا حَمَلًا يَحْمِلُ صَنًّا - أَيُّ صُنْدُوقًا مِنْ خَشَبٍ - وَالْحَمَّالُ
تَضَطَّرِبُ رِجْلَاهُ تَحْتَهُ فَقَالَ لَوْ كَانَ هَذَا الْاضْطِرَابُ مِنَ الثَّقَلِ لَغَاصْتُ عَنْقُ
الْحَمَّالِ وَهَذِهِ عَنْقُهُ أَرَاهَا بَارِزَةً وَمَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مِنْ خَوْفٍ .

فَأَمَرَ بِحِطِّ الصَّنِّ فَإِذَا فِيهِ أَثْنَى مَقْتُولَةٌ وَقَدْ قُطِعَتْ فَقَالَ لِلْحَمَّالِ اصْدُقْنِي
عَنْ حَالِهَا فَقَالَ هُنَاكَ فِي الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ أَعْطَوْنِي هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَأَمْرُونِي
بِحَمْلِ هَذِهِ الْمَقْتُولَةِ فَضْرَبَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ رَأْسًا وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَرْبَعَةِ .

وَكَانَ يَتَنَكَّرُ - أَيُّ يُغَيِّرُ لِبَسَتَهُ وَهَيْئَتَهُ - وَيَدُورُ وَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ آيَمَةِ الْمَسَاجِدِ
فَدَعَا ثِقَةً وَقَالَ خُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ وَأَعْطِهَا إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْفُلَانِيَّ فَإِنَّهُ فَقِيرٌ مَشْغُولُ
الْقَلْبِ فَفَعَلَ وَجَلَسَ مَعَ إِمَامِ الْمَسْجِدِ وَبَاسَطَهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَخَذَهَا
الطَّلُقُ وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ صَدَقَ عَرَفْتُ شُغْلَ قَلْبِهِ بِكَثْرَةِ
غَلَطِهِ فِي الْقِرَاءَةِ .

وَكَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ وَيَطُوفُ لَيْلًا وَنَهَارًا يُفْتَشُ وَيَتَفَقَّدُ الرِّعِيَّةَ الَّتِي أَنْ مَرَّ
يَوْمًا فِي سُوقٍ مَسْدُودٍ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْبَلَدِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ مُنْكَرًا وَوَجَدَهُ لَا
يَنْفُذُ فَرَأَى عَلَى أَحَدِ أَبْوَابِهِ شَوْكٌ سَمَكٍ كَثِيرٍ وَعِظَامُ الصُّلْبِ .
فَقَالَ لِشَخْصٍ كَمْ يَقُومُ تَقْدِيرُ ثَمَنِ هَذَا السَّمَكِ الَّذِي هَذِهِ عِظَامُهُ قَالَ
دِينَارٌ قَالَ أَهْلُ هَذَا الرُّقَاقِ - أَيُّ السُّوقِ لَا تَحْتَمِلُ أَحْوَالَهُمْ مُشْتَرِيٌ مِثْلَ هَذَا
لَأَنَّهُ رُقَاقٌ بَيْنَ الْاِخْتِلَالِ إِلَى جَانِبِ الصَّحْرَاءِ لَا يَنْزِلُهُ مَنْ مَعَهُ شَيْءٌ يَخَافُ عَلَيْهِ
أَوْ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُ مِنْهُ هَذِهِ النِّفَقَةُ وَمَا هِيَ إِلَّا بَلِيَّةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُكْشَفَ عَنْهَا فَاسْتَبَعَدَ
الرَّجُلُ هَذَا وَقَالَ هَذَا فِكْرٌ بَعِيدٌ .

فَقَالَ اطْلُبُوا لِي امْرَأَةً مِنَ الدَّرْبِ أَكْلُمُهَا فِدَقٌ بَاباً غَيْرَ الَّذِي عَلَيْهِ الشُّوكُ
وَطَلَبَ مَاءً فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ ضَعِيفَةٌ فَمَا زَالَ يَطْلُبُ شَرْبَةً بَعْدَ شَرْبَةٍ وَهِيَ تَسْقِيهِ
وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَسْأَلُ عَنِ الدَّرْبِ وَأَهْلِيهِ وَهِيَ تُخْبِرُهُ غَيْرَ عَارِفَةٍ بِعَوَاقِبِ
ذَلِكَ .

إِلَى أَنْ قَالَ لَهَا وَهَذِهِ الدَّارُ مِنْ يَسْكُنُهَا وَأَشَارَ إِلَى الَّتِي عِنْدَ بَابِهَا عِظَامُ
السَّمَكِ فَقَالَتْ فِيهَا خَمْسَةُ شَبَابٍ أَعْفَارُ كَأَنَّهُمْ تُجَّارٌ وَقَدْ نَزَلُوا مِنْذُ شَهْرٍ لَا
نَرَاهُمْ نَهَاراً إِلَّا فِي مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَنَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَخْرُجُ لِلْحَاجَةِ وَيَعُودُ
سَرِيعاً .

وَهُمْ فِي طُولِ النَّهَارِ يَجْتَمِعُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَلْعَبُونَ بِالشُّطْرَنْجِ
وَالنَّرْدِ وَلَهُمْ صَبِيٌّ يَخْدُمُهُمْ فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ انْصَرَفُوا إِلَى دَارِ لَهُمْ بِالْكَرْخِ
وَيَدْعُونَ الصَّبِيَّ فِي الدَّارِ يَحْفَظُهَا فَإِذَا كَانَ سَحَرًا جَاؤُوا وَنَحْنُ نِيَامُ لَا نَشْعُرُ
بِهِمْ .

فَقَالَ لِلرَّجُلِ هَذِهِ صِفَةُ لُصُوصٍ أَمْ لَا قَالَ بَلَى فَأَنْفَذَ فِي الْحَالِ
فَاسْتَدْعَى عَشْرَةَ مِنَ الشُّرَطِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَى سَطْحِ الْجِيرَانِ وَدَقَّ هُوَ الْبَابَ فَجَاءَ
الصَّبِيُّ فَفَتَحَ فَدَخَلَ الشُّرَطُ مَعَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنَ الْقَوْمِ أَحَدٌ فَكَانُوا هُمْ أَصْحَابُ
الْخِيَانَةِ بَعِيْنِهِمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْوَلَاةِ سَمِعَ فِي بَعْضِ لِيَالِي الشِّتَاءِ صَوْتاً بِدَارٍ
يَطْلُبُ مَاءً بَارِداً فَأَمَرَ بِكَبْسِ الدَّارِ فَأَخْرَجُوا رَجُلًا وَامْرَأَةً فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ
قَالَ الْمَاءُ لَا يُبْرَدُ فِي الشِّتَاءِ إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَامَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ .

وَأَحْضَرَ بَعْضُ الْوَلَاةِ شَخْصَيْنِ مُتَّهَمَيْنِ بِسَرِقَةِ فَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِكُوزٍ مِنْ مَاءٍ

فَأَخَذَهُ وَالْقَاهُ فِي الْأَرْضِ عَمْدًا فَانْكَسَرَ فَأَرْتَاعَ أَحَدُهُمَا وَثَبَّتَ الْآخِرُ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ
فَقَالَ لِلَّذِي انْزَعَجَ اذْهَبْ وَقَالَ لِلْآخِرِ أَحْضِرِ الْعُمْلَةَ .

فَقَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّصُّ قَوِيَّ الْقَلْبِ لَا يَنْزَعِجُ وَالْبَرِيءُ
يَرَى أَنَّهُ لَوْ نَزَلَتْ فِي الْبَيْتِ فَاَرَةٌ لَأَزْعَجَتْهُ وَمَنَعَتْهُ مِنَ السَّرِقَةِ .

شِعْرًا :

يَا نَفْسُ قَدْ طَابَ فِي امْهَالِكَ الْعَمَلُ
فَاسْتَدْرِكِي قَبْلَ أَنْ يَذْنُو لَكَ الْأَجَلُ
إِلَى مَتَى أَنْتِ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
يَغُرُّكَ الْخَادِعَانِ الْجِرْصُ وَالْأَمَلُ
وَأَنْتِ فِي سُكْرِ لَهْوٍ لَيْسَ يَدْفَعُهُ
عَنْ قَلْبِكَ النَّاصِحَانِ الْعُتْبُ وَالْعَذَلُ
فَزُوْدِي لِطَرِيقِي أَنْتِ سَالِكَةٌ
فِيهَا فَعْمًا قَلِيلُ يَأْتِيكَ الْمَثَلُ
وَلَا يَغُرُّكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ فَبِي
أَعْقَابِهَا الْمُؤَبِّقَانِ الشَّيْبُ وَالْأَجَلُ
يَا نَفْسُ تُوْبِي مِنَ الْعِصْيَانِ وَاجْتَهِدِي
وَلَا يَغُرُّنَّكَ الْإِبْعَادُ وَالْمَلَلُ
ثُمَّ احْذَرِي مَوْقِفًا صَعْبًا لِشِدَّتِهِ
يَغْشَى الْوَرَى الْمُتْلِفَانِ الْحُزْنُ وَالْوَجَلُ
وَيُخْتَمُ الْفَمُ وَالْأَعْضَاءُ نَاطِقَةً
وَيُظْهَرُ الْمُفْصِحَانِ الْخَطُّ وَالْخَطْلُ

وَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَعْدِلَةً
فَتُذَكَّرُ الْحَالَتَانِ الْبِرُّ وَالزُّلُّ

اللَّهُمَّ قَوِّ، اِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْنا مَنْ لَا يُخْطِي وَلَا يَنْحَرِفُ عَنْ طَرِيقِ
الْحَقِّ بَلْ إِنَّ فِينَا مِنَ الْغَرَائِزِ وَالطَّبَاعِ مَا يَمِيلُ بِنَا إِلَى الرُّشْدِ وَالْغَيِّ وَالْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ خَطَأَهُ أَوْ يَهْتَدِي إِلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ كَانَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ أَنْ يُبَصِّرَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَنْصَحَ لَهُ فِي
أَمْرِهِ وَهَذَا مِنَ التَّوَأصِي بِالْحَقِّ . وَكَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ رَأَى الظُّلْمَ مِنْ حَاكِمٍ
وَمُسْتُولٍ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ ظُلْمَهُ وَبَغْيَهُ وَجَبَ عَلَى مَنْ رَأَى مُؤْمِنًا يَظْلِمُ غَيْرَهُ أَوْ يَظْلِمُ
نَفْسَهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَظْلِمُ إِبْقَاءً عَلَى حَقِّ الْأُخُوَّةِ وَدَفْعاً لِلْأَذَى عَنْ
الْمَظْلُومِ وَعَنْ الْمُجْتَمَعِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ

النَّصِيحَةُ عَلَى مَرَاتِبَ أَوَّلًا أَنْ لَا يُبَادِرَ الْإِنْسَانُ إِلَى تَصْدِيقِ مَا يُقَالُ لَهُ
عَنْ قَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ جَارٍ أَوْ زَمِيلٍ أَوْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ يَتَثَبَّتْ فِي ذَلِكَ حَتَّى
يَسْتَيْقِنَ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي وَقْتِنَا اعْتَادُوا إِشَاعَةَ السُّوءِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ إِلَى الْإِسَاءَةِ
يُسْرِعُونَ، وَيَنْدُرُ مِنْهُمْ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ، فَلَا تُصَدِّقْ فَوْرًا بِكُلِّ مَا سَمِعْتَهُ
حَتَّى تَسْمَعَهُ مِنْ حَضْرَةٍ وَشَاهِدَةٍ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ ثُبُوتِهِ وَبِرَاءَتِهِ وَخُلُوهِ مِنَ الْهَوَى
وَالْأَغْرَاضِ .

وَإِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا أَوْ بَلَاغَكَ عَنْ صَدِيقِكَ كَلَامٌ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فَاحْمِلْهُ
مَحْمَلًا حَسَنًا ، قَالَتْ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ لِزَوْجِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَلَامَ مِنْ إِخْوَانِكَ قَالَ لَهَا
وَلَمْ ذَلِكَ قَالَتْ أَرَاهُمْ إِذَا أَيْسَرْتَ لَزْمُوكَ وَإِذَا أَعْسَرْتَ تَرْكُوكَ فَقَالَ لَهَا هَذَا وَاللَّهِ
مِنْ كَرَمِ أَخْلَاقِهِمْ يَأْتُونَنَا فِي حَالٍ قُدِّرَتْنَا عَلَى إِكْرَامِهِمْ وَيَتْرَكُونَنَا فِي حَالٍ
عَجَزْنَا عَنْ الْقِيَامِ بِحَقِّهِمْ .

فَانْظُرْ كَيْفَ حَمَلَ فِعْلَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَحْمَلِ الْحَسَنِ ، وَثَانِيًا أَنْ يَكُونَ
عَلَى بَالِكَ مُسْتَحْضَرًا أَنَّ النَّاسَ لَيَسُوا مَعْصُومِينَ بَلْ لَهُمْ هَفَوَاتٌ وَأَخْطَاءٌ
وَتَصَوُّرٌ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ لِتَعْذُرَهُمْ وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

مَنْ الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
آخِر : أَرَدْتُ لِكَيْمَا لَا تَرَى لِي عَشْرَةً وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ
آخِر : وَمَنْ الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَائِبُهُ
آخِر : إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ فِي الزَّمَانِ مُهَذَّبًا فَنِي الزَّمَانِ وَأَنْتَ فِي الطَّلَبَاتِ
خُذْ صَفْوَ أَخْلَاقِ الصَّدِيقِ وَأَعْطِهِ صَفْوًا وَدَعْ أَخْلَاقَهُ الْكَدِرَاتِ

ثَالِثًا : أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْأَمْرِ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِكَ وَمِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِ صَاحِبِهِ
أَيْضًا ، فَقَدْ يَكُونُ مُجْتَهِدًا فِيمَا أَعْتَقَدَهُ مِنْ رَأْيٍ مُتَحَرِّيًا لِلْخَيْرِ فِيمَا سَلَكَهُ مِنْ
سَبِيلٍ ، فَلَا تُسَارِعْ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ وَتَخْطِئْهُ مَا دَامَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَجْهٌ مِنَ الْحَقِّ فَإِنْ تَأَكَّدْتَ مِنَ الْخَطَا وَالْإِنْحِرَافِ فَتَقَدَّمْ بِالنَّصِيحَةِ سِرًّا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ ، لَا عِنْدَ مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ إِحْرَى لِقَبُولِ
النَّصِيحَةِ ، رَابِعًا : لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى النَّصِيحَةِ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا .

شعرا : تَعَمَّدَنِي بِنُصْحٍ فِي انْفِرَادٍ وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ ضَرْبٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فَإِنْ خَالَفْتَنِي لِثَرِيدِ نَقْصِي فَلَا تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةٌ

وَعِنْدَمَا يُهْمِلُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ وَيُهْمِلُ الْأَخُ حَقَّ أَخِيهِ عَلَيْهِ فِي النُّصْحِ
وَالْإِشَادِ تَسُوءُ عِلَاقَتُهُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَتَنْقَلِبُ الصَّدَاقَةُ عَدَاوَةً وَيُصْبِحُ أَمْرُ
الْمَجْتَمَعِ فَوْضَى يَمُوجُ بِالشَّرِّ وَالْإِثْمِ .

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَحَقُّوا اللَّعْنََةَ
وَالْحِرْمَانَ وَالتَّشْرِيدَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَنَاصَحُونَ ، قَالَ تَعَالَى « لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » .

وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى رُقِيِّ الْأُمَّةِ وَاسْتِقَامَةِ ضَمَائِرِهَا مِنْ تَمَسُّكِهَا بِخُلُقِ
التَّنَاصُحِ فِيمَا بَيْنَهَا وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي
خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾
رَوَى عَنْ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ غَيْرَ هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَّتِ
النَّاسِ .

وَكَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَقْرَأَ
أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ الْعَصْرِ ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ .

قُلْتُ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ كُلَّهَا تَدُورُ عَلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ
وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ ، فَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ مِثْلُ الْإِيصَاءِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيْمَانِ بِهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وَالْإِيصَاءُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ وَالْجَارِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَالتَّوَاصِي بِالْإِبْتِعَادِ عَنْ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمَعَاصِي كُلِّهَا
الصَّغَائِرِ وَالْكِبَائِرِ .

والتَّوَّاصِي الصَّبْرَ عَلَى الطَّاعَاتِ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَالتَّوَّاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى
الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَّاصِي بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي .

وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ صَارَ التَّوَّاصِي عِنْدَ هَذَا الْجِيلِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا
وَحُطَامِهَا فَتَجِدُ الْوَاحِدَ يُحِثُّ صَدِيقَهُ عَلَى التَّعَلُّقِ بِهَا وَعِمَارَتِهَا وَكُلُّ مَا يَشْغَلُهُ
وَيُلْهِمُهُ عَنِ الْآخِرَةِ مِنْ مَشَارِكَةٍ وَسُلْفَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِذَا انْتَقَصَ شَيْءٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَا أَقَامَ النَّاسَ وَأَقْعَدَهُمْ حَتَّى الْمُتَسَيِّئِينَ
إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ .

فَتَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا خُصِمَ عَلَيْهِ بَعْضُ الدَّرَجَاتِ أَوْ بَعْضُ الْفُلُوسِ
انْفَعَلَ وَتَغَيَّرَ مِزَاجُهُ وَصَارَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ غَيْرِ مُتَرَنِّ .

عَكْسُ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ لَهَا ، فَتَفُوتُهُ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ مَعَ
الْإِمَامِ بِلِ تَفُوتِهِ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَلَا يُبَالِي بِنَقْصِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً .

وَتَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يُوصِي زَمِيلَهُ بِالدِّرَاسَةِ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى شَهَادَةٍ
فِي زَعْمِهِ أَنَّهَا تَأْمِينٌ لِلْحَيَاةِ مِنَ الْفَقْرِ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ .

وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَسَائِرُ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمَعَاصِي الَّتِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَأْمِينُ
الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ فَلَا تَجِدُهُ يُوصِيهِ بِهَا ، وَلَا يَهْتَمُّ
مِنْهَا .

حَتَّى الْآبَاءُ دَخَلَ عَلَيْهِمُ النُّقْصُ فَتَجِدُ الْآبَ وَالْأُمَّ يَحْرِصُونَ عَلَى إِقَاطِ
أَوْلَادِهِمْ لِلَاخْتِبَارِ يَتَرَدُّونَ عَلَيْهِمْ وَلَوْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ
الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَلَا .

نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا وَيَمْلَأَهَا بِالْغَيْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنْ
يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَحْوَالَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَإِذَا خَلَا الْمُجْتَمَعُ مِنَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ وَالتَّنَاصُحِ أَوْ ضَعُفَ
مَظْهَرُ الْعَمَلِ بِهِ فَقَدْ انْتَهَتْ الْأُمَّةُ أَسْوَأَ حَالَاتٍ مِنَ الْفَوْضَى وَفَسَادِ الْإِخْلَاقِ
وَالْتَّقَاطِعِ وَالتَّدَابُرِ وَالْعُدْوَانِ وَفُشُو الشُّرُورِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالنَّهَامِينَ وَالْكَذَّابِينَ
وَأَعْوَانِهِمْ .

وَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ الْحَالُ فِيهَا إِذَا غُذِمَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتَرَكَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَأَهْمِلْتَ النَّصِيحَةَ .

وَكَيْفَ يَجْتَرِءُ الْفُسَّاقُ عَلَى الْمَعَاصِي وَيَصِلُونَ فِيهَا إِلَى مَا تَضِجُ لَهُ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ .

لَا شَيْءَ أَبْلَغَ مِنْ ذَلِكَ يُجَرِّعُهُ أَهْلُ الْخُسَيْسَةِ أَهْلُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ
الْقَائِمِينَ بِمَا جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ وَالْمُبْغِضِينَ لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالرَّيْبِ

وَلَا شَيْءَ فُزِرَ أَيْ جَهَّةٍ مِنْ جِهَاتِ الْعَالَمِ تَرَى مَا يَتَقَطَّعُ لَهُ قَلْبُكَ
خَسَرَاتٍ اَنْظُرْ أَكْثَرُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الصَّلَاةِ كَيْفَ تَرَكَهَا الْكَثِيرُ
مِنَ النَّاسِ .

وَانْظُرْ إِلَى الزَّكَاةِ الَّتِي لَوْ أُخْرِجَتْ لَمْ يَبْقَ فَقِيرٌ وَاَنْظُرْ صِيَامَ رَمَضَانَ كَيْفَ
لَمْ يُبَالِ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

وَانْظُرْ كَيْفَ تَهَاوَنَ النَّاسُ بِالرِّبَا وَالْغِشِّ وَسَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ كُلِّ هَذَا نَتِيجَةُ
إِهْمَالِ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَإِهْمَالِ النَّصِيحَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَقَعْنَا فِي الْخَطَايَا وَالْبَلَايَا فِي زَمَنِ انْتِقَاضِ وَاشْتِبَاهِ
تَفَانِي الْخَيْرِ وَالصُّلَحَاءِ ذُلُّوا وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ
وَبَاءَ الْآمِرُونَ بِكُلِّ عُرْفٍ فَمَا عَنْ مُنْكَرٍ فِي النَّاسِ نَاهٍ

فَصَارَ الْحُرُّ لِلْمَمْلُوكِ عَبْدًا فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرِ وَجَاهٍ
فَهَذَا شُغْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ وَهَذَا غَافِلٌ سَكْرَانٌ لَاهٍ

لِأَنَّ التَّسَاهُلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ يَفْتَحُ لِلنُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ أَبْوَابَ الْمَعَاصِي
فَتَنْفُذُ إِلَى مَا تَشْتَهِي مِنْ خَبَائِثٍ وَتَرَى مَوْقِعَ ذَلِكَ سَهْلًا عَلَى النَّاسِ
فَتَنْدَفِعُ إِلَى كُلِّ مَا يَحُلُو لَهَا مَهْمًا كَانَ عَرِيقًا فِي بَابِ الرَّذِيلَةِ آمِنَةً مِنْ تَغْيِيرِ
وَجْهِهِ أَوْ انْقِبَاضِ قَلْبٍ لِمَا تَفْعَلُ .

وَإِذَا تَتَعَاشَرُ الرَّذِيلَةُ وَتَشْتَدُّ وَتَزْدَادُ وَيَقْوَى أَهْلُهَا وَهُمْ الْفَسَقَةُ لِأَنَّ
أَهْلَ الْجَهْرِ بِالْفَاحِشَةِ يَكُونُونَ قُدُورَةً سَيِّئَةً لغيرِهِمْ . وَالنُّفُوسُ مِنْ طَبِيعَتِهَا
التَّقْلِيدُ وَالْمُحَاكَاةُ لِمَا تَرَى وَتَسْمَعُ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مَا تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ لَذَّةً
وَاطْلَاقًا .

وَإِذَا كَثُرَ جَيْشُ الرَّذِيلَةِ فِي قُوَّةٍ قَلَّ جَيْشُ الْفَضِيلَةِ فِي ضَعْفٍ ، وَلَا
تُسْتَبْعَدُ أَنْ يَتَغَلَّبَ جَيْشُ الرَّذِيلَةِ فَيُبِيدَ جَيْشُ الْفَضِيلَةِ أَوْ يَجْعَلَهُ فِي حُكْمِ
الْمُبَادِ وَإِنْ كَانَ لَا يَزَالُ بَاقٍ مِنْهُ أَفْرَادٌ .

وَإِذَا كَانَ غَضِبَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ فَعَاقَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ
الْآخِرَةِ وَلَا يَنْجُو مِنْ بَطْشِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي جَانِبِ دِينِهِ يَتَأَلَّمُ لَهُ
وَيَغْضِبُ عَلَى مَخَالِفِيهِ أَمْرًا لَهُمْ وَنَاهِيًا مَهْمًا نَالَهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ
إِيْذَاءٍ .

عَلَّمَنَا ذَلِكَ رَبُّنَا بِقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

إِذَا عَاقِبَةُ التَّسَاهُلِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ شَقَاءُ الدُّنْيَا بِمَا يَنْزِلُ مِنَ آلَامٍ لِمَعَاصِيهِمْ الَّتِي يَفْتَرِفُونَهَا آمِينَ مِنْ زَجَرِ عَلَيْهَا وَمَلَامٍ وَشَقَاءِ الْآخِرَةِ بِمَا أَعَدَّ رَبُّنَا لِلْعَصَاةِ مِنْ عَذَابٍ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَضَى الزَّمَانُ وَعَيْشِي عَيْشٌ تَنْكِيدُ
وَالْعُمُرُ وَلَى وَلَمْ أَظْفِرْ بِمَقْصُودِ
وَالِ الْيَقِينِ وَعَادِ الشَّكِّ أَجْمَعَهُ
عَظِمَ إِلَهَكَ لَا تَرْكَنْ لِمَنْقُودِ
فَالْخَطْبُ عَمَّ وَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
مُعْظَمِينَ لِإِدْعَى وَمَرْدُودِ
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ
فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ
فَصَاحِبُ الدِّينِ مَمْقُوتٌ وَمُنْكَتِمٌ
وَصَاحِبُ الْفِسْقِ فِيهِمْ غَيْرُ مَظْهُودِ
كُلُّ يُقْلَدُ فِي الْأَهْوَاءِ صَاحِبُهُ
حَتَّى الْبِلَادُ لَهَا شَأْنٌ بِتَقْلِيدِ
وَالْأَمْرُ بِالْعُرْفِ ثُمَّ النَّهْيُ عَنْ نُكْرٍ
صَارَا لَدَيْنَا بِلَا شَكٍّ كَمَقْهُودِ
إِذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أَنْتَ كَذَا
فِيكَ الْعُيُوبُ لَدَيْنَا غَيْرُ مَحْمُودِ

أَصْحَى تَفَاخُرُهُمْ فِي حُسْنِ بِرِّتِهِمْ
وَمَنْزِلِ حَسَنِ عَالِ بِتَشْيِيدِ
وَجَمْعِ حُلِيِّ وَخُدَّامِ وَأَمْتِعَةٍ
أَيَّامُهُمْ فَنِيَتْ فِي جَمْعِ مَنْقُودِ
تَلَقَّى الْأَمِيرَ مَعَ الْمَأْمُورِ فِي وَهْنِ
عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَةٍ أَوْ نَفْعِ مَنْكُودِ
لِنَيْلِ دُنْيَاهُمْ كَالْأَسَدِ ضَارِيَةٍ
وَكُلُّهُمْ فِي الْهَوَى مُبِدٍ لِمَجْهُودِ
إِذَا رَأَوْا صَالِحًا يَدْعُو لِنَيْلِ هُدَى
تَأْتِبُوهُ بِإِذَاءٍ وَتَبَعِيدِ
حُكْمِ الْقَوَائِنِ قَالُوا فِيهِ مَصْلَحَةٌ
وَفِي الرَّبَا سَاعَدَتْ شَيْبُ لِمَوْلُودِ
أَهْلَ الْحِجْبَى وَالنُّهَى مَالُوا لِمُحَدَّثَةٍ
قَالُوا الشَّرِيعَةَ لَا تَكْفِي لِمَقْصُودِ
أَبْدُوا لَنَا بِدْعًا مَا كُنَّا نَعْرِفُهَا
وَجَانِبُوا نَهْجَ تَوْفِيقِ وَتَسْدِيدِ
تَلَقَّى الْهَوَى وَالرَّبَا وَالْجَوْرَ مُرْتَكِبًا
وَالْعِلْمَ وَالنُّصْحَ فِيهِمْ غَيْرَ مَوْجُودِ
وَالْهَرْجَ وَالْمَرْجَ تَلَقَّاهَا مَرْوَجَةً
وَالدِّينَ وَالسَّمْتَ فِي جِلْبَابِ مَرْدُودِ
وَقُلْدَ الْأَمْرِ لِكَيْيُ أَخُو بِدْعِ
لِجَلِبِ أَمْرٍ وَفِكْرِ غَيْرِ مَحْمُودِ

مُحَالِفُ الشَّرِّ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
لَوْ نَالَ خَيْرًا قُضَارَاهُ لَتَبْدِيدِ
أَلْبُهْتُ وَالذَّمُّ وَالْإِيذَاءُ قَدْ وَجَدَتْ
لِكُلِّ مُنْتَسِبٍ يَوْمًا لِتَوْحِيدِ
فَالدِّينِ فِي غُرْبَةٍ وَالنَّاسِ أَكْثَرُهُمْ
بِخُبْتِ طَبْعِ يُوَالِي كُلِّ مَطْرُودِ
صَارَ الَّذِي كَانَ تَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ
وَتَقْتَفِيهِ بِأَمْرِ غَيْرِ مَعْهُودِ
مَنْ كَانَ يَهْجُرُ ذَا بِدْعٍ وَمَظْلَمَةٍ
أَمْسَى يُبَاشِرُهَا مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدِ
فَالْكُلُّ يَسْرِي لِمَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ
لَمْ يَلْتَفِتْ لِمَرَاضِي خَيْرِ مَعْبُودِ
حَقُّ الْقَرِيبِ وَحَقُّ الْجَارِ أَهْمَلُهُ
مَنْ كَانَ نَعْرِفُهُ بِالدِّينِ وَالْجُودِ
تُجَارُهُمْ لَمْ تُزَكَّ وَيَلُ أُمُّهُمْ
مِنْ شَرِّ عَاقِبَةٍ فِي يَوْمِ مَوْعُودِ
لَا يَرُبُّ سَحَتْ كَمَا قَالَ الْإِلَهُ لَكُمْ
كَسَبُ الْحَرَامِ طَرِيقٌ غَيْرُ مَحْمُودِ
أَيْنَ الْفِرَارُ وَكَمْ مِنْ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ
وَسُنَّةٍ دَرَسَتْ مِنْ غَيْرِ تَعْدِيدِ
كَمْ مِنْ طَرَائِقِ سُوءٍ بَانَ مُنْكَرُهَا
وَمَنْهَلُ الْحَقِّ أَضْحَى غَيْرَ مَوْزُودِ

فَمَا الطَّرِيقَةُ إِلَّا نَهْجُ أَحْمَدَ مَعَ
أَصْحَابِهِ السَّادَةِ الْغُرِّ الصَّنَادِيدِ
فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ وَاتَّبِعْ نَهْجَ سَيِّدِنَا
قَوْلًا وَفِعْلًا تَنْلُ فَوْزًا بِتَسْدِيدِ
تَعَالِبِ السُّوءِ نَادَتْ فِي أَرَانِبِهَا.
هَذَا زَمَانُكَ عِيشِي عَيْشَ مُحَمَّدٍ
مَا فِي الْأَنَامِ حُمَاةٌ غَيْرَ مَنْ رَحَلُوا
وَمَنْ بَقِيَ عِنْدَنَا فِي زِيٍّ مَلْحُودٍ
وَاعْرَبَةِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ فِي زَمَنِ
أَهْلِ الْهُدَى بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَظْهُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ غَيْرُ
لِمَ يُبَكِّ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ
وَفَارِقِ الْكُلِّ لَا تَلَوْ عَلَى أَحَدٍ
أَرْضًا بِأَرْضٍ وَخِلَانًا بِمَوْجُودٍ
مَنْ كَانَ تَأْمَلُهُ فِي كَشْفِ مُغْضِلَةٍ
أَبْدَى بِعُذْرٍ وَلَا أَجْدَى بِمَقْصُودٍ
فَإِي أَرْضٍ بِهَا الْإِسْلَامُ فِي شَرْفٍ
وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى تَزْهُو بِتَجْدِيدِ
أَيْنَ الْفِرَارُ وَأَيُّ الدَّارِ نَلْقَى بِهَا
وُلَاتَهَا كُلَّ مَيِّمُونَ وَمَحْمُودٍ
عُمْرِي غَدًا بَيْنَ وَاشٍ ثُمَّ مُبْتَدِعٍ
يَا رَبِّ يَسِّرْ بِأَنْصَارٍ لِتَوْحِيدِ

يَا صَاحِرَ مَنْ رَامَ فَوْزاً يَمْشِينَ عَلَى
طَرِيقَةِ الْمُصْطَفَى يُحْظَى بِتَسْعِيدِ
وَالِهِ ثُمَّ أَصْحَابَ لَهُ تَبَعٌ
فَازُوا بِسَبْقٍ وَفَاقُونَا بِتَسْدِيدِ
وَقَادَةِ الْخَيْرِ كَالنُّعْمَانِ أُولِهِمْ
وَأَحْمَدَ وَابْنَ إِدْرِيسٍ أَخَا الْجُودِ
وَمَالِكٍ كُلِّهِمْ كَانُوا أَيْمَنَنَا
أَيْمَةُ النَّاسِ قَدْ جَاؤُوا بِمَقْصُودِ
نَوَافِضِ الدِّينِ عَشْرُ تِلْكَ فَافْهَمَهَا
لِكِي تَنَالَ نَعِيمًا غَيْرَ مَحْدُودِ
وَحُبِّ فِي اللَّهِ لَا تَرْكَنْ لِمُبْتَدِعِ
وَاهْجُرْ رِجَالُ الْخَنَا حُبًّا لِمَعْبُودِ
وَلَا زِمِ السُّنَّةَ الْغَرَاءَ تَنْجُ بِهَا
عِنْدَ الْإِلْقَاءِ بِفَوْزٍ غَيْرِ مَحْدُودِ
وَلَا تُوَافِقْ لِأَهْوَاءٍ تُلَفِّقُهَا
أَقْوَامُ سُوءٍ بِلَا شَكٍّ وَتَرْدِيدِ
خَيْرُ الْأُمُورِ أَخِي مَا كَانَ مَرْجِعُهُ
إِلَى الرَّسُولِ بِلَا شَكٍّ وَتَرْدِيدِ
فَامْسِكْ عَلَيْهِ وَجَانِبُ كُلِّ مُنْحَرِفٍ
لِكِي تَفُوزَ بِدَارِ الْخُلْدِ وَالْجُودِ
اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارْزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ
وَحُسْنَ الْإِنَابَةِ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا وَالْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَالْيَكْ نَمَازِجُ مِنْ عَدْلِهِ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ ، قَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ عَقِبَ الْبَيْعَةِ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ
لِي مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُمْ ، وَإِنِّي حَامِلُكُمْ عَلَى مَنْهَجِ نَبِيِّكُمْ وَمُنْفَذُ فَيْكُمْ
مَا أُمِرْتُ بِهِ ، أَلَا إِنَّ كُلَّ قَطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ .

وَكُلُّ مَالٍ أُعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَإِنَّ
الْحَقَّ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ وَلَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَمَلَكَ الْأَمْوَاءَ وَفُرَّقَ فِي
الْبُلْدَانِ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ الْعَدْلَ سَعَةٌ .

وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْحَقُّ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا لَا يَقُولَنَّ
رِجَالٌ مِنْكُمْ غَدًا قَدْ غَمَرَتْهُمْ الدُّنْيَا فَاثْمَلَكُوا الْعَقَارَ وَفَجَرُوا الْأَنْهَارَ وَرَكِبُوا
الْخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الْمُرْقَعَةَ إِذَا مَا مَنَعْتُهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ
وَأَصْرَتْهُمْ إِلَى حُقُوفِهِمُ الَّتِي يَعْلَمُونَ « حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا » .

أَلَا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى سِوَاهُ بِصُحْبَتِهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ
غَدًا عِنْدَ اللَّهِ وَثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، أَلَا وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَجَابَ لِلَّهِ
وَلِرَسُولِهِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا وَدَخَلَ دِينَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ
الْإِسْلَامِ وَحُدُودَهُ .

فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ ، وَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ ، يُقَسَّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا فَضْلَ
فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ وَلِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْجَزَائِرِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْجَلِيدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ قَالَ جَاءَ ابْنُ النَّبَّاجِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ امْتَلَأْ بَيْتَ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ صَفَرَاءَ وَبَيْضَاءَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى ابْنِ النَّبَّاجِ
حَتَّى قَامَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ
وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

يَا ابْنَ النَّبَّاجِ عَلَيَّ بِأَشْيَاعِ الْكُوفَةِ قَالَ فَنُودِيَ فِي النَّاسِ فَأُعْطِيَ
جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا صَفَرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غُرِّي
غُرِّي هَا وَهَاتِي مَا بَقِيَ مِنْهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ثُمَّ أَمَرَ بِنَضْجِهِ وَصَلَّى فِيهِ
رَكَعَتَيْنِ وَعَنْ مَجْمَعِ التَّيْمِيِّ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْنِسُ بَيْتَ
الْمَالِ وَيُصَلِّي فِيهِ وَيَتَّخِذُهُ مَسْجِدًا رَجَاءً أَنْ يَشْهَدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ الْعَلَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا أَصَبْتُ مِنْ فَيْئِكُمْ غَيْرَ هَذِهِ الْقَارُورَةِ أَهْدَاهَا
إِلَيَّ الدَّهْقَانُ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَفَرَّقَ كُلَّ مَا فِيهِ ، وَلَمَّا قَرَّرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَجْرَةَ مِنْ بَيْتِهِ الَّذِي أَحَاطَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ
لِيَقْتُلُوهُ إِثْرَ مَكْرِهِمْ بِهِ فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَضَعَ مَكَانَهُ فِي فِرَاشِهِ ابْنُ عَمِّهِ أَبَا
الْحَسَنِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَثَرُ عَلِيٍّ أَنْ يَكُونَ الْفِدَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ

يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلسُّيُوفِ سَيُوفِ الْمُشْرِكِينَ تَقَطُّعُ لَحْمَهُ وَتُزْهِقُ رُوحَهُ وَبِذَلِكَ
فَدَى بِنَفْسِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ يَقُولُ النَّاطِمُ
لِلْعَقِيدَةِ :

وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
فَقَدْ كَانَ حَبِيراً لِلْعُلُومِ وَسَيِّداً
وَفَادَى رَسُولَ اللَّهِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ
عَشِيَّةَ لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّداً
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَى
عَلَيْهِ لَهُ بِالْحَقِّ مَوْلَى وَمُنْجِداً

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِطَاعَتِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا الْإِنَابَةَ إِلَيْكَ
وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَرَوَى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالُوا لَهُ لَوْ أُعْطِيتَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ، وَصَلْتَ بِهَا هَؤُلَاءِ
الْأَشْرَافَ ، وَمَنْ تَخَافُ فِرَاقَهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَبَّ لَكَ مَا تُرِيدُ عُدْتَ إِلَى مَا
عَوَّدَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْقِسْمَةِ بِالسَّوِيَّةِ .

فَقَالَ أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فَيَمُنَّ وَلَيْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ

الاسلامِ وَاللّٰهُ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوْ كَانَ هَذَا الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فِيهِ كَيْفَ
وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ .

وَرُوِيَ أَنَّ أَخَاهُ عَقِيلًا سَأَلَهُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ
الْجُمُعَةِ فَأَتِنِي ، فَأَتَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ النَّاسُ
فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ فِيمَنْ خَانَ هَؤُلَاءِ ، فَقَالَ أَقُولُ إِنَّهُ رَجُلٌ
سَوْءٌ ، فَقَالَ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَخُونَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ .

وَرُوِيَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى مُصَلًى لَيْسَ فِي دَارِهِ
سِوَاهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ مَلِكُ الْإِسْلَامِ ، وَلَا أَرَى فِي بَيْتِكَ أَثَانًا
وَلَا مَتَاعًا ، سِوَى مُصَلًى أَنْتَ جَالِسٌ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ غَفَلَةَ إِنَّ اللَّيْبَ لَا
يَتَأَثُّ فِي دَارِ النُّقْلَةِ ، وَأَمَامَنَا دَارٌ هِيَ دَارُ الْمَقَامِ ، وَقَدْ نَقَلْنَا إِلَيْهَا خَيْرَ
مَتَاعٍ وَنَحْنُ إِلَيْهَا مُنْتَقِلُونَ .

وَعَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ رَأَيْتُ عَلِيًّا يَطُوفُ وَبِيَدِهِ الدُّرَّةُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ فِيهِ أَرْبَعُ
عَشْرَةَ رُقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدٍ

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلَا وَإِنْ إِمَامُكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنَ الدُّنْيَا
بِطَمْرِيهِ وَمِنْ طَعَامِهِ بِقُرْصِيهِ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْوُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ
أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا ، وَلَا أُحَرِّزُ
مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا .

إِلَى أَنْ قَالَ وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفًى هَذَا الْعَسَلِ ،
وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ،

وَيَقُودُنِي جَشْعِي إِلَى تَخِيرِ الْأَطْعَمَةِ .

وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ مَنْ لَا يُدْرِكُ الْقُرْصَ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ ،
أَوْ أَبِيتُ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتْهُ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَكْبَدُ حَرَاءً ، فَأَكُونُ كَمَا
قَالَ الْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ غَارًا أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ
وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَجِرُنُ إِلَى الْقَدِّ

وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِ الْعَهْدِ لِلْأَشْتَرَجِينَ وَلَاَهُ
مِصْرَ وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأَمْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ
بِنَفْسِكَ عَنْ مَا لَا يَجِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ بِالْإِنْصَافِ مِنْهَا فِيمَا
أُحِبَّتْ وَكَرِهَتْ ١٥٠ .

وقال غيره الهوى والنفسُ يُنتِجَانِ مِنَ الْأَخْلَاقِ قَبَائِحَهَا وَيُظْهِرَانِ مِنَ الْأَفْعَالِ
فَضَائِحَهَا .

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَقْتَادَهُ الْهَوَى فَقَدْ تَكَلَّفَتْهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهُ
وَمَا يَرْدَعُ النَّفْسُ الْحُرُونَ عَنِ الْهَوَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَازِمُ الرَّأْيِ كَامِلُهُ
وَقَدْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءُ جَهْلًا بِنَفْسِهِ وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالًا عَوَازِلُهُ

إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ فَالْخَيْرُ فِي الَّذِي
تَرَاهُ إِذَا كَلَّفَتْهُ النَّفْسُ يَثْقُلُ
فَجَانِبُ هَوَاهَا وَاطْرَحَ مَا تَرِيدُهُ

مِنَ الْلَهْوِ وَاللذَاتِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الْمَحَبَّةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالرَّحْمَةَ بِهِمْ وَالرَّفْقَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ
عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا يَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّمَا هُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي

الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرُ لَكَ فِي الْخُلُقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ
وَيَأْتِي عَلَى أَيْدِيهِمُ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ .

فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ ، وَصَفْحِكَ ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ
مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ
وَلَاكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ .

وَفِيهِ لَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَتَبَجَّحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ
وَجَدْتَ عَنْهَا مَنُودُوحَةً .

وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمُنْهَكَةٌ
لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ .

فَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةٌ أَوْ مَخِيلَةٌ فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ
مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ .

وَفِيهِ إِيَّاكَ وَمُسَامَاتِ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهُ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ
اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ ؛ أَنْصِفِ اللَّهَ ، وَأَنْصِفِ النَّاسَ
مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ
إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ تَظْلِمَ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ ، دُونَ
عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَضَ حُجَّتَهُ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ عَنْكَ وَأَشْنَوْهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ
فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَنْ مَا غَابَ عَنْكَ
مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ .

وَفِيهِ وَلَا تَعْجَلَنَّ بِتَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ
بِالنَّاصِحِينَ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ
الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ وَلَا
يَكُونُ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ سَوَاءً بِمَنْزِلَةٍ وَاجِدَةٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا
لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَذَرِيئًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ وَالزَّمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا
الزَّم نَفْسَهُ .

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْبُؤْسَاءِ وَالزَّمْنَى فَاحْفَظْ اللَّهُ فِيهِمَا كَمَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ
حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَسَهْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي
بَلَدِكَ .

وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْتَقِرُهُ
الرِّجَالُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَحَقُّ بِالْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَتَعَهَّدْ أَهْلَ
الْيَتِيمِ وَأُولِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْمَسْأَلَةِ
وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ .

وَفِيهِ وَلَا يَطُولَنَّ احْتِجَابُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنْ
الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَقِلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ
عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ عِنْدَهُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبَحُ
الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ .

وَفِي كِتَابِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَالْدَّمَاءَ وَسَفْكُهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ
شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ تَبِعَةٍ وَلَا أُحْرَى لِرِزْوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ
سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، فَلَا تُفَوِّتَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ

ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ وَيُوهِنُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَأَخَّرَ السَّطَوَةَ حَتَّى يَسْكُنَ
غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْخِيَارَ ، وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ حَتَّى تَكْثُرَ هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ
إِلَى رَبِّكَ وَالسَّلَامُ .

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : وَجَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ
نَضْرَانِيٍّ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ قَالَ فَجَاءَ عَلِيٌّ حَتَّى جَلَسَ إِلَى
جَنْبِ شُرَيْحٍ قَالَ يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا مَا جَلَسْتُ إِلَّا مَعَهُ وَلَكِنَّهُ
نَضْرَانِيٌّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي
طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى مَضَائِقِهِ وَصَغَّرُوا بِهِمْ كَمَا صَغَّرَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تَطْغَوْا ثُمَّ قَالَ : هَذَا الدَّرْعُ دِرْعِي وَلَمْ أَبْعَ وَلَمْ أَهْب .

فَقَالَ شُرَيْحُ لِلنَّضْرَانِيِّ مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ
النَّضْرَانِيُّ مَا الدَّرْعُ إِلَّا دِرْعِي ، وَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِي بِكَاذِبٍ فَالْتَفَتَ
شُرَيْحُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ بَيْنِهِ
فَضَحِكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ أَصَابَ شُرَيْحُ مَالِي فَقَضَى شُرَيْحُ بِهَا
لِلنَّضْرَانِيِّ .

قَالَ فَأَخَذَهُ النَّضْرَانِيُّ وَمَشَى خُطًا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ
أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيَنِي إِلَى قَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيَّهِ .

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الدَّرْعُ
وَاللَّهُ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعْتُ الْجَيْشَ وَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِّينَ
فَخَرَجْتُ مِنْ بَعِيرِكَ الْأَوْرَقِ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ فِيهِ لَكَ وَحْمَلُهُ عَلَى
فَرَسٍ .

شِعْراً :

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي الْمَغَانِي وَلَا الْغِنَى
إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى الثَّرَى وَثَوَى بِهِ
فَجُدْ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِياً
بِمَا تَقْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ
وَعَاصِرِ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ
أَخُو ظِلَّةٍ إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ
وَحَافِظُ عَلَى تَقْوَى آلِهِ وَخَوْفِهِ
لِتَنْجُوَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ
وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابِلُهُ
بِذَمِّ يَضَاهِي الْمُزْنَ حَالِ مُصَابِهِ
وَمَثَلِ لِعَيْنَيْكَ الْجِمَامِ وَوَقْعُهُ
وَرَوْعَةِ مُلْقَاهُ وَمَطْعَمِ صَابِهِ
وَإِنْ قُضِيَ مَنْزِلُ الْحَيِّ حُفْرَةً
سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزِلاً عَنْ قِيَابِهِ
فَوَاهِياً لِعَبْدٍ سَاءَهُ سُوءُ فِعْلِهِ
وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعِمَارٍ عَلَامَ تَتَأَوُّهُ ؟ إِنْ كَانَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ
خَسِرْتَ صَفْقَتَكَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْآخِرَةِ فَقَدْ رَبِحْتَ تِجَارَتَكَ ، يَا عِمَارُ
إِنِّي وَجَدْتُ لَذَاتِ الدُّنْيَا فِي أَحْقَرِ الْأَشْيَاءِ الطَّعَامِ وَأَفْضَلُهُ الْعَسَلُ وَهُوَ مِنْ
حَشَرَةٍ ، الْمَشْرُوبَاتِ ، وَأَفْضَلُهَا سَائِرَةٌ فِي الْهَوَاءِ .

الْمَلْبُوسَاتُ وَأَفْضَلُهَا الْحَرِيرُ وَهُوَ مِنْ دُودِ الْقَزِّ ، الْمَشْمُومَاتُ
وَأَفْضَلُهَا الْمِسْكُ وَهُوَ مِنْ فَاَرَةٍ ، الْمَسْمُوعَاتُ وَهِيَ أَعْرَاضُ سَائِرَةٍ فِي
الْهَوَاءِ .

النِّكَاحُ وَهُوَ مَبَالٌ فِي مَبَالٍ وَحَسْبُكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَتَزَيَّأُ بِأَقْبَحِ شَيْءٍ
فِيهَا : هَذِهِ الْعِظَةُ تَكْشِفُ لَنَا عَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ حَيْثُ جَعَلَ لَذَائِهَا
فِي أَحْقَرِ الْأَشْيَاءِ .

ومن الحكم المروية عنه ما يلي :

وقال رضي الله عنه « البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن
عن حاجته والمقل غريب في بلده والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة
والورع جنة » .

وقال « نعم القرين الرضى والعلم وراثه كريمة والآداب حلل مجددة
والفكر مرآة صافية » .

وقال « صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبل المودة والاحتمال قبر
العيوب » وقال « إذا أقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره وإذا ادبرت
عنه سلبته محاسن نفسه » .

وقال « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه »
وقال « إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر » .

وقال « من جري في عنان امله عثر بأجله » وقال « من أبطأ به عمله
لم يسرع به نسبه » ويروى هذا عن رسول الله ﷺ « من كفارات الذنوب
العظام اغائة الملهوف والتنفيس عن المكروب » .

وقال « يا بن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه
فاحذره » وقال « الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر » .

وقال « فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه » وقال « كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً » .

وقال « من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون » .

وقال طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عنه الله » .

وقال احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع » وقال « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » وقال « القناعة مال لا ينفذ » .

وقال « اللسان سبع ان خلى عنه عقر » وقال « فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها » وقال « لا تستح من اعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه » .

وقال « إذا تم العقل نقص الكلام » وقال « من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومأدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم » وقال « قيمة كل امرئ ما يحسنه » .

وقال « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكانت لذلك أهلاً لا يرجون أحد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه .

وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد بغير رأس ولا في إيمان لا صبر معه » .

وقال « من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ » .

وقال « اعقلوا الخبر عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل » وقال « لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو أضر منه » وقال « اضاعة الفرصة غصة » .
وقال « عجبت للبخیل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغني الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء .

وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غداً جيفة .

وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله .

وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى .

وعجبت لمن انكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى .

وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء » .

فيا عَجَبًا مِمَّنْ يُضَيِّعُ حَيَاتَهُ على حِفْظِ مالٍ وهو لِلْغَيْرِ يَذْخَرُ
وَمَنْ تُتَوَفَّى نَفْسُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ وترجعُ فيه كَيْفَ لِلْبُعْثِ يُنْكَرُ
بَلَى قَادِرٌ أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى رَدِّ رُوحٍ مِنْهُ فِي الْجِسْمِ أَقْدَرُ
وقال « لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته » وقال « تنزل المعونة على قدر المؤنة » .

وقال « المرء مخبوء تحت لسانه » وقال « لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان » .

وقال « الراضي بفعل قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل في باطل اثنان اثم العمل به واثم الرضى به » .

وقال « من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها »
وقال « من كتم سره كانت الخيرة بيده » وقال « الاعجاب يمنع من الازدياد » .

وقال « الناس اعداء ما جهلوا » وقال « زاجر المسيء بثواب المحسن »
وقال « الطمع رق مؤبد » وقال « لم يذهب من مالك ما وعظك » .

وقال « لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك فقد يشكرك عليه من
لا يستمتع به وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما أضاع الكافر والله يحب
المحسنين » .

وقال « بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » وقال « من كساه
الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه » .

وقال « الكرم أعطف من الرحم » وقال « من ظن بك خيراً فصدق
ظنه » وقال « الحدة ضرب من الجنون فان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه
مستحكم » . إنتهى .

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّظَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبَدْعِ
وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ
تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

مواعظ ونصائح

وعن رجل من بني شيبان أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب
فقال : « الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُزَيِّحَ به

عَلَّتْكُمْ ، وَلِيُوقِظَ بِهِ غَفَلَتَكُمْ ، واعلموا أنكم مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ
وَمَوْقُفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَمَجْزِيُّونَ بِهَا .

فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَانْهَارُ بِالْبَلَاءِ مُحْفُوفَةٌ ، وبالفناء معروفة ،
وبالغدر مَوْصُوفَةٌ ، كُلُّ مَا فِيهَا زَوَالٌ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دَوْلٌ وَسِجَالٌ ، لَا تَدُومُ
أَهْوَالُهَا .

وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا نُزَّالُهَا ، بَيْنَا أَهْلِهَا مِنْهَا فِي رَخَاءٍ وَسُرُورٍ ، إِذَا هُمْ
مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ ، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ .

الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالرِّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ
مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتَقْصِمُهُمْ بِحِمَامِهَا ، حَتْفُهُ فِيهَا مَقْدُورٌ وَحِظُهُ
فِيهَا مَوْفُورٌ .

واعلموا عِبَادَ اللَّهِ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ زَهْرَةٍ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى
مَنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ
آثَارًا .

فَأَصْبَحَتْ أَمْوَالُهُمْ هَامِدَةً مِنْ بَعْدِ نُقْلَتِهِمْ ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ
خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً .

فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ وَالنَّارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ فِي
الْقُبُورِ الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا ، وَشِيدَ بِالتَّرَابِ بِنَاؤُهَا .

فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ عِمَارَةٍ مُوَحِّشِينَ ،
وَأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمَرَانِ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ
الْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ .

وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصُلٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ الْبَلَى وَأَظْلَمَتْهُمْ الْجَنَادِلُ
وَالثَّرَى ، فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا ، وَبَعْدَ غَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا .

فُجِعَ بِهِمِ الْأَحْبَابُ ، وَسَكَنُوا التُّرَابَ ، وَظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ ،
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، « كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ » .

وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَى ، وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَثْوَى ،
وَارْتِهْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ .
فَكَيْفَ بَكُمْ لَوْ قَدْ تَنَاهَتْ الْأُمُورُ ، وَبُعِثَتِ الْقُبُورُ ، وَحُصِّلَ مَا فِي
الصُّدُورِ ، وَوَقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ ، بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ .
فَطَارَتِ الْقُلُوبُ ، لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ ، وَهَتَكَتْ عَنْكُمْ
الْحُجُبَ وَالْأَسْتَارَ ، وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ « تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :
﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴾ .
وَقَالَ : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ :
يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَامِلِينَ بَكْتَابِهِ ، مُتَّبِعِينَ لِأَوْلِيَائِهِ ، حَتَّى يُحْلِلَنَا
وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : طُوبَى لِكُلِّ عَبْدٍ نُومَةٍ
عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ ، عَرَفَهُ اللَّهُ بِرِضْوَانٍ .

أَوَّلُكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَكْشِفُ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ ،
سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ، لَيْسُوا بِالْمَذَائِيْعِ الْبُذُرِ وَلَا الْجُفَاةِ الْمُرَائِينَ .

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَلَا إِنَّ الْفَقِيهَ الَّذِي
لَا يُقْنِطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي
اللَّهِ .

ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها .

عن الشعبي ، أن علياً عليه السلام قال : « يا أيها الناس ، خذوا عني هؤلاء الكلمات ، فلوركبتم المطي حتى تنضوها ما أصبتم مثلها . لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيي - إذا لم يعلم - أن يتعلم ، ولا يستحيي - إذا سئل عما لا يعلم - أن يقول : لا أعلم .

واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس له .

وعن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء أنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أحب فيتحولون عن ذلك إلى ما أكره ، إلا تحولت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون .

وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون من ذلك إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون .

وعن عبد الله بن عباس أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول

الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتبت إليّ علي بن أبي طالب ، فانه كتب إليّ : « أما بعد فان المرء يسوءه فؤت ما لم يكن ليذركه ، ويسره ذك ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً ، وليكن همك فيما بعد الموت .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، أن علياً رضي الله عنه شيع جنازة ، فلما وضعت في لحدها عجز أهلها وبكوها فقال : « ما تبكون ؟

أما والله لو عَاينُوا مَا عَاينَ مَيِّتُهُمْ لَأَذْهَلَتْهُمْ مُعَايِنَتُهُمْ عَنْ مَيِّتِهِمْ ، وَإِنْ لَهُ فِيهِمْ لَعَوْدَةٌ ، ثُمَّ عَوْدَةٌ ، حَتَّى لَا يُبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا » . ثُمَّ قَامَ فَقَالَ :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقَّتَ لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عَنَاهَا ، وأبصارًا لتجلو عن غشاها ، وأفئدة تفهم ما دهاها .

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَضْرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا بَلْ أَكْرَمَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ ، وَأَرْصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَجُدُّوا فِي الطَّلَبِ ، وَبَادِرُوا بِالْعَمَلِ قَبْلَ هَادِمِ اللَّذَاتِ .

فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَائِعُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، اتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ ، وَانْتَفَعُوا بِالْمَوَاعِظِ .

فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَةِ ، وَضُمِّنْتُمْ بَيْتَ التُّرَابِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ بِنَفْخَةِ الصُّورِ ، وَبَعَثَرَةِ الْقُبُورِ ، وَسِيَاقِ الْمَحْشَرِ ، وَمَوْقِفِ الْحِسَابِ ، بِأَحَاطَةِ قُدْرَةِ الْجَبَّارِ .

كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُهَا لِمَحْشَرِهَا ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا :

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

ارْتَجَّتْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْبِلَادُ ، وَنَادَى الْمُنَادِي وَحُشِرَتِ الْوُحُوشُ ، وَبَدَّتِ الْأَسْرَارُ ، وَارْتَجَّتْ الْأَفئِدَةُ ، وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ قَدْ تَأَجَّجَ جَحِيمُهَا وَغَلَا حِمِيمُهَا .

عباد الله ، اتقوا الله تَقِيَّةً مَنْ وَجَلَ وَحَذَرَ وَأَبْصَرَ وَازْدَجَرَ فَاحْتِثْ طَلَبًا وَنَجَا هَرَبًا ، وَقَدِّمَ لِلْمَعَادِ وَاسْتَظْهَرَ بِالزَّادِ .

وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ خَصْمًا وَحَجِيجًا ، وَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا ، وَكَفَى بِالنَّارِ وَبِالْأَعْقَابِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وعن كُمَيْل بن زياد قال : أخذ عليّ بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجَبَّان ، فلما أَصَحَرْنَا جلس ، ثم تنفس ، ثم قال : « يا كُمَيْل بن زياد ، القلوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا لِلْعِلْمِ ، أَحْفَظُ مَا أَقُولُ لَكَ .
الناس ثلاثة : عَالِمٌ ربّاني ، وَمُتَعَلِّمٌ على سبيل نَجاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَا عِتَابَ كُلِّ نَاعِقٍ ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه وصنيعة المال تزول بزواله .

ومحبة العالم دين يدان بها العلم يُكْسِبُهُ الطاعة في حياته وَجَمِيلُ الأُحدوثِ بعد مماته ، مات خُزَّانُ المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

إن ههنا وأوماً بيده إلى صدره علماً لو أصبت له حَمَلَةٌ بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على كتابه .

أومعاندًا لِأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، ينقدح الشك في قلبه ، عارض من شبهة . لا ذا ولا ذاك . أو منهوماً بالذات سلس القياد للشهوات ، أو مُغَرِّىً بجمع الأموال والادّخار ، ليسا من دعاة الدين في شيء ، أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة .

كذلك يموت العلم بموت حامله ، اللهم بلى ، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكي لا تبطل حُجَجُ الله وبيّناته أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً .

بهم يحفظ الله حججه حتى يُؤدِّوْهَا إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب

أشباههم ، هَجَمَ بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلأنوا ما استوعر
المُتَرْفُونَ ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون .
صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة في المحل الأعلى آه آه شوقاً إلى
رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم .

وعن أبي أراكة ، قال : صليت مع علي بن أبي طالب عليه السلام
صلاة الفجر ، فلما سلم انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة ، حتى
إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح ، قال وقلب يده :
« لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فيما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد
كانوا يصبحون شُغْثاً صُفْراً غُبراً بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى ، قد باتوا لله
سُجْداً وقياماً ، يتلون كتاب الله يراوحن بين جباههم وأقدامهم .
فاذا أصبحوا فذكروا الله ما دوا كما تميد الشجرة في يوم الريح ، وهملت
أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين . »

ثم نهض فما رئي مفترأ يضحك حتى ضربه ابن مُلْجَمٍ ، والسلام .
ولا غُرُو بالأشرافِ إن ظفرت بهم كِلَابُ الأعداءِ مِن فصيحٍ وأعجمٍ
فَحَرَبُهُ وَحِشِي سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ
اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

ضَرَبَ بَنُ رَجَبِ رَحْمَةِ اللَّهِ مَثَلًا جَامِعًا لِأَحْوَالِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَانْقِسَامِهِمْ فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ إِلَى سَابِقٍ ، وَمُقْتَصِدٍ ، وَظَالِمٍ لِنَفْسِهِ ، وَبِهِ يَظْهَرُ فَضْلُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .
فَنَقُولُ : مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَسُولٍ قَدِيمٍ مِنْ بَلَدِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ فَأَدَّى رِسَالَةَ الْمَلِكِ إِلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ ، وَظَهَرَ لَهُمْ صِدْقُهُ فِي رِسَالَتِهِ .
فَكَانَ مَضْمُونُ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَدَّاهَا مِنَ الْمَلِكِ إِلَى رَعِيَّتِهِ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَا إِحْسَانَ أَتَمَّ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَلَا عَدْلَ أَكْمَلَ مِنْ عَدْلِهِ ، وَلَا بَطْشَ أَشَدَّ مِنْ بَطْشِهِ .

وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَدْعِيَ الرِّعِيَّةَ كُلَّهُمْ إِلَيْهِ لِيُقِيمُوا عِنْدَهُ . فَمَنْ قَدِمَ بِإِحْسَانٍ جَزَاءَهُ بِإِحْسَانِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءَ ، وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِإِسَاءَةٍ جَزَاءَهُ بِإِسَاءَتِهِ أَشَدَّ الْجَزَاءِ .

وَأَنَّهُ يُحِبُّ كَذًا وَكَذَا ، وَيَكْرَهُ كَذًا وَكَذَا لَمْ يَدْعُ شَيْئًا مِمَّا تَعْمَلُهُ الرِّعِيَّةُ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهَا يَحِبُّهُ الْمَلِكُ مِنْهُ وَمَا يَكْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّجَهُّزِ وَالسَّيْرِ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، الَّتِي فِيهَا الْإِقَامَةُ .

وَأَخْبَرَهُمْ بِخَرَابِ جَمِيعِ الْبِلَادِ سِوَى ذَلِكَ الْبَلَدِ .
وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَجَهَّزْ لِلسَّيْرِ بَعَثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مَنْ يُزْعِجُهُ عَنْ وَطْنِهِ وَيَنْقُلُهُ مِنْهُ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ .

وَجَعَلَ يَصِفُ صِفَاتِ هَذَا الْمَلِكِ الْحَسَنِيِّ مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ .

فانقسم الناس في إجابة هذا الرسول الداعي إلى الملك أقساماً عديدةً
فمنهم من صدّقه ولم يكن له همٌّ إلا السؤال عما يجب هذا الملك من الرعية
استصحبته إلى داره عند السير إليه .

فاشتغل بتخليصه لنفسه وبدعاء من يمكنه دعاؤه من الخلق إلى
ذلك ، وعما يكرهه هذا الملك فاجتنبه .

وأمر الناس باجتنابه وجعل همه الأعظم السؤال عن صفات الملك
وعظمته وإفضاله ، فزاد بذلك محبة لهذا الملك وإجلاله والشوق إلى لقائه .
فارتحل إلى الملك مستصحباً لأنفس ما قدر عليه مما يحببه الملك
ويرتضيه ، واستصحب معه ركباً عظيماً على مثل حاله سار بهم إلى دار
الملك .

وقد عرف من جهة ذلك الدليل الذي هو الرسول الصادق أقرب
الطرق التي يتوصل بالسير فيها إلى الملك ، وما ينفع من التزوّد للمسير فيها .
وعمل بمقتضى ذلك في السير هو ومن اتبعه .

فهذه صفة العلماء الربانيين الذين اهتدوا وهدوا الخلق معهم إلى
طريق الله .

وهؤلاء يقدّمون على الملك قدوم الغائب على أهله المنتظرين لقدومه
المشتاقين إليه أشدّ الشوق .

وقسم آخرون اشتغلوا بالتأهب بمسيرهم بأنفسهم إلى الملك ولم
يتفرّغوا لاستصحاب غيرهم معهم .

وهذه صفة العباد الذين تعلّموا ما ينفعهم في خاصة أنفسهم واشتغلوا
بالعمل بمقتضاه .

وقسم آخرون تشبهوا بأحد القسمين وأظهروا للناس أنهم منهم وأن

قَصَدَهُمُ التَّزَوُّدَ لِلرَّحِيلِ ، وَإِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُمُ اسْتِيطَانِ دَارِهِمُ الَّتِي هُمُ بِهَا مُسْتَوِطِنُونَ .

وَحَالُ هَؤُلَاءِ عِنْدَ الْمَلِكِ إِذَا قَدَمُوا عَلَيْهِ شَرٌّ حَالٍ . وَيُقَالُ لَهُمْ اظْلُبُوا جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ مِمَّنْ عَمِلْتُمْ لَهُمْ ، فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَنَا مِنْ خَلَاقٍ . وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَقِسْمٌ آخَرُونَ فَهَمُّوا مَا أَرَادَهُ الرَّسُولُ مِنْ رِسَالَةِ الْمَلِكِ لَكِنَّهُمْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْكَسَلُ وَالتَّقَاعُذُ عَنِ التَّزَوُّدِ لِلسَّفَرِ وَاسْتَصْحَابِ مَا يُحِبُّ الْمَلِكُ وَاجْتِنَابِ مَا يَكْرَهُ .

وَهَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِمْ ، وَهُمْ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ ، وَرَبَّمَا انْتَفَعَ غَيْرُهُمْ بِمَعْرِفَتِهِمْ وَوَصَفِهِمْ لِطَرِيقِ السَّيْرِ ، فَسَارَ الْمُتَعَلِّمُونَ فَنَجَوْا وَانْقَطَعَ مَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُمْ فَهَلَكُوا .

وَقِسْمٌ آخَرُونَ صَدَّقُوا الرَّسُولَ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ دَعْوَةِ الْمَلِكِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا مِنْهُ طَرِيقَ السَّيْرِ ، وَلَا مَعْرِفَةَ تَفَاصِيلِ مَا يُحِبُّهُ الْمَلِكُ وَمَا يَكْرَهُهُ ، فَسَارُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَرَمَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي طَرِيقِ شَاقَّةٍ ، وَخَافَ ، وَفَقَارَ وَغَرَّةٍ فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ ، وَانْقَطَعُوا فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى دَارِ الْمَلِكِ . وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

وَقِسْمٌ لَمْ يَهْتَمُّوا بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَلَا رَفَعُوا بِهَا رَأْسًا ، وَاشْتَغَلُوا بِمَصَالِحِ إِقَامَتِهِمْ فِي أَوْطَانِهِمُ الَّتِي أَخْبَرَ الرَّسُولُ بِخَرَابِهَا .

وَهَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَ الرَّسُولَ بِالْكَلِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَهُ بِالْقَوْلِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْتَغِلْ بِمَعْرِفَةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَلَا بِالْعَمَلِ بِهِ . وَهَؤُلَاءِ عُمُومُ الْخَلْقِ الْمَعْرِضُونَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .

وَمِنْهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ وَمِنْهُمْ الْعُصَاةُ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا يَشْعُرُونَ

إلا وقد طرقتهم داعي الملك فأجلاهم عن أوطانهم واستدعاهم إلى الملك
فقدموا عليه قُدُومَ الأبق على سيده الغضبان عليه .
فإذا تأملت أقسام الناس المذكورة لم تجد أشرف ولا أقرب عند الملك
من العلماء الربانيين . فهم أفضل الخلق بعد المرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين أه .

خُزَّانُ وَحْيِ اللَّهِ لَمْ يُرَى غَيْرُهُمْ	أَهْلًا لِحِفْظِ كَلَامِهِ الْمُخْتَارِ
لَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِالَّذِي	فِيهِ مِنَ الْمَشْرُوعِ لِلْأَبْرَارِ
صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَحُسْنِ عِبَادَةٍ	وَقِيَامِ لَيْلٍ مَعَ صِيَامِ نَهَارِ
وَتَوَرُّعٍ وَتَزَهُيدٍ وَتَعَفُّفٍ	وَتَشَبُّهِ بِخَلَائِقِ الْأَخْيَارِ
وَدَيَانَةٍ وَصِيَانَةٍ وَأَمَانَةٍ	وَتَجَنُّبِ لِحَلَائِقِ الْأَشْرَارِ
وَأَدَاءِ فَرَضٍ وَاجْتِنَابِ مُحَارِمِ	وَإِدَامَةِ لِلْحَمْدِ وَالْأَذْكَارِ
يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ إِنَّ تَكَّ هَكَذَا	فَلَكَ الْهَنَاءُ بِفَوْزِ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَتَى أَضَعْتَ حُدُودَهُ لَمْ تَنْتَفِعْ	بِحُرُوفِهِ وَسَكَنْتَ دَارَ بَوَارِ

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَالِنَا
وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال ابن القيم رحمه الله في الكلام على مراحِلِ العالمين وكيفية قَطْعِهِمْ
إِيَّاهَا فَلَنَرْجِعْ إِلَيْهِ فَنَقُولُ أَمَّا الْأَشْقِيَاءُ فَقَطَّعُوا تِلْكَ الْمَرَاحِلَ سَائِرِينَ إِلَى دَارِ
الشَّقَاءِ مُتَزَوِّدِينَ غَضَبِ الرَّبِّ سُبْحَانِهِ .

وَمُعَادَاةَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَمَا بُعِثُوا بِهِ وَمُعَادَاةَ أَوْلِيَائِهِ وَالصَّدَّ عَنْ سَبِيلِهِ

ومحاربة مَنْ يدعو إلى دينه ومقاتلة الذين يأمرون بالقسط من الناس وإقامة دعوة غير دعوة الله التي بَعَثَ بها رُسُلَهُ لِتَكُونَ الدعوةُ لَهُ وَحْدَهُ .

فقطَعَ هؤلاءِ الأَشقياءُ مَراحِلَ أعمارِهِم في ضِدِّ ما يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضاهُ :
وأما السائرونَ إليه فظالمُهم قَطَعَ مَراحِلَ عُمرِهِ في غفلاتِهِ وإيثارِ شهواتِهِ وَلذَّاتِهِ
على مَراضٍ الربِّ سبحانه وأوامِرِهِ مع إيمانه بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .
لكن نفسه مغلوبة معه مأسورة مع حظه وهواه يعلم سوء حاله ويعترف
بتفريطه ويعزم على الرجوع إلى الله فهذا حال المسلم .

وأما من زين له سوء عمله فرآه حسناً وهو غير معترف ولا مقر ولا عازم
على الرجوع إلى الله والإنابة إليه أصلاً .

فهذا لا يكاد اسلامه أن يكون صحيحاً أبداً ولا يكون هذا الا منسلخ
القلب من الايمان ونعوذ بالله من الخذلان .

وأما الأبرار المقتصدون فَقَطَعُوا مَراحِلَ سَفَرِهِم بالاهتمام باقامة أمر الله
وعقد القلب على تركِ مُخَالَفَتِهِ وَمَعَاصِيهِ فَهَمُّهُمْ مَصْرُوفَةٌ إلى القيام بالأعمالِ
الصالحةِ واجتنابِ الأعمالِ القبيحةِ .

فأولُ ما يَسْتَيَقِظُ أَحَدُهُم من مَنامِهِ يَسْبِقُ إلى لُبِّهِ القيامُ إلى الوُضوءِ
والصلاة كما أمرهُ اللَّهُ فإذا أَدَّى فَرَضَ وَقْتِهِ اشْتَغَلَ بِالتَّلاوةِ وَالآذكارِ إلى حينِ
تَطَلُّعِ الشَّمْسِ فَيَرَكُّعُ الضُّحَى .

ثم يَذْهَبُ إلى ما أقامَهُ اللَّهُ فيه من الأسبابِ فإذا حَضَرَ فَرَضُ الظُّهرِ
بادَرَ إلى التَّطَهُّرِ والسَّعيِ إلى الصَّفِّ الأولِ مِنَ المَسْجِدِ فَادَّى فَرِيضَتَهُ كما أمرَ
مُكَمِّلاً لها بِشَرَائِطِهَا وَأركانِهَا وَسُنَنِهَا وَحَقَائِقِهَا الباطنيةِ مِنَ الخُشوعِ والمُراقبةِ
والحُضورِ بين يَدَيِ الربِّ .

فَيَنْصَرِفُ مِنَ الصَّلَاةِ وَقَدْ أَثَرَتْ في قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ وسائرِ أحوالِهِ آثاراً تَبْدُو

على صَفَحَاتِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ وَيَجْدُ ثَمَرَتَهَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ
والتجافي عن دار الغرور وقلة التكالب والحرص على الدنيا وعاجلها .
قَدْ نَهَتْهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَحَبَّبَتْ إِلَيْهِ لِقَاءَ اللَّهِ وَنَفَّرَتْهُ عَنِ
كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُهُ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ مَغْمُومٌ مَهْمُومٌ كَأَنَّهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى تَحْضُرَ
الصَّلَاةُ .

فَإِذَا حَضَرَتْ قَامَ إِلَى نَعِيمِهِ وَسُرُورِهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ وَحَيَاةِ قَلْبِهِ فَهُوَ لَا تَطِيبُ
لَهُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ هَذَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُرَاعُونَ لِحِفْظِ السُّنَنِ لَا يُخْلُونَ مِنْهَا
بِشَيْءٍ مَا أُمَكَّنَهُمْ .

فَيَقْصِدُونَ مِنَ الْوُضُوءِ أَكْمَلَهُ وَمِنَ الْوَقْتِ أَوَّلَهُ وَمِنَ الصَّفُوفِ أَوَّلَهَا عَنْ
يَمِينِ الْإِمَامِ أَوْ خَلْفَ ظَهْرِهِ .

وَيَأْتُونَ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ بِالْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ كَالِاسْتِغْفَارِ ثَلَاثًا وَقَوْلِ اللَّهِ
أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .
وَقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ
مَنْكَ الْجَدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشَّانُ
الْحَسَنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

ثُمَّ يُسَبِّحُونَ وَيُحَمِّدُونَ وَيُكَبِّرُونَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ وَيَخْتِمُونَ الْمِائَةَ بِلا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ عَقَبَ كُلَّ صَلَاةٍ فَإِنْ فِيهَا
أَحَادِيثُ رَوَاهَا النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ .

ثُمَّ يَرْكَعُونَ السَّنَةَ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ هَذَا دَائِبُهُمْ فِي كُلِّ فَرِيضَةٍ .
فَإِذَا كَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ تَوَفَّرُوا عَلَى أَذْكَارِ الْمَسَاءِ الْوَارِدَةِ فِي السَّنَةِ
نَظِيرُ أَذْكَارِ الصُّبْحِ الْوَارِدَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَلَا يُخْلُونَ بِهَا أَبَدًا .

فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ كَانُوا فِيهِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ مَوَاقِبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ .

فَإِذَا أَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ أَتَوْا بِأَذْكَارِ النَّوْمِ الْوَارِدَةِ فِي السُّنَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ تَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ .

فَيَأْتُونَ مِنْهَا مَا عَلِمُوهُ وَمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِحْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَمْسَحُونَ بِهَا رُؤُوسَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ ثَلَاثًا وَيَقْرَأُونَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَيُسَبِّحُونَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيَحْمَدُونَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُكَبِّرُونَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ .

ثُمَّ يَقُولُ أَحَدُهُم االلَّهُمَّ إِنِّي أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ .

آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ .
وَإِنْ شَاءَ قَالَ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِنَايَةِ تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

وَإِنْ شَاءَ قَالَ : االلَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبِّي وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .

أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ إِقْضِ عَنِّي الدِّينَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَزَالُ يَذْكُرُ اللَّهُ عَلَى فِرَاشِهِ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ فَهَذَا نَوْمُهُ عِبَادَةُ وَزِيَادَةٌ لَهُ مِنْ قُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ .

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ عَادَ إِلَى عَادَتِهِ الْأُولَى وَمَعَ هَذَا فَهُوَ قَائِمٌ بِحَقُوقِ الْعِبَادَةِ مِنْ

عِيَادَةِ الْمَرْضَى وَتَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ لَهُمْ بِالْجَاهِ وَالْبَدَنِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَزِيَارَتِهِمْ وَتَفْقُدِهِمْ . وَقَائِمٌ بِحُقُوقِ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ .
فَهُوَ مُتَنَقِّلٌ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ كَيْفَ نَقْلُهُ فِيهَا الْأَمْرُ فَإِذَا وَقَعَ مِنْهُ تَفْرِيطٌ فِي حَقِّ مَنْ حُقُوقِ اللَّهِ بَادَرَ إِلَى الْإِعْتِذَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمُحَوِّهِ وَمُدَاوَاتِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ يُزِيلُ أَثَرَهُ فَهَذَا وَظِيفَتُهُ دَائِمًا . أَه .

وَقَالَ إِنْ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَالْخُرُوجُ عَنْهُ .

وَهَذَا بُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِالْإِجْتِهَادِ فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عِلْمًا وَالْقِيَامَ بِهِ عَمَلًا .
وَكَمَا هَذِهِ السَّعَادَةُ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا دَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، وَالثَّانِي صَبْرُهُ وَاجْتِهَادُهُ عَلَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ .

فَانْحَصَرَ الْكَمَالُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ .

أَحَدُهَا الْعِلْمُ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ .

وَالثَّانِيَةُ الْعَمَلُ بِهِ .

وَالثَّلَاثَةُ نَشْرُهُ فِي النَّاسِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

وَالرَّابِعَةُ صَبْرُهُ وَجَهَادُهُ فِي أَدَائِهِ وَتَنْفِيزِهِ .

وَمَنْ طَلَعَتْ هِمَّتُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرَادَ اتِّبَاعَهُمْ فَهَذِهِ طَرِيقَتُهُمْ حَقًّا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنَا غَيْرَ مَفْتُونِينَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْهَجْرَةُ هِجْرَتَانِ : هِجْرَةُ بِالْجِسْمِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَهَذِهِ أَحْكَامُهَا مَعْلُومَةٌ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْكَلَامُ فِيهَا .

والهجرةُ الثانيةُ الهجرةُ بالقلبِ إلى اللهِ ورسوله وهذه هي المقصودُ هنا
وهذه الهجرةُ هي الهجرةُ الحقيقيةُ وهي الأصلُ .

وهجرةُ الجسدِ تابعةٌ لها لله وهي هجرةٌ تتضمنُ (من) و (إلى) فيها
جسرٌ بقلبه من محبةٍ غيرِ الله إلى محبته ومن عبوديةٍ غيره إلى عبوديته ومن
خوفٍ غيره ورجائه والتوكلِ عليه إلى خوفِ الله ورجائه والتوكلِ عليه ومن
دعاءٍ غيره وسؤاله ، والخضوعِ له والذلِّ له والإستكانةَ له إلى دعاءِ الله
وسؤالِ الله والخضوعِ له والذلِّ له والاستكانةَ له .

وهذا بعينه معنى الفرارِ إليه قال تعالى ؛ ﴿ فَرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ والتوحيدُ
المطلوبُ من العبدِ هو الفرارُ من الله إليه .

وتحت (من) و (إلى) في هذا سرٌّ عظيمٌ من أسرارِ التوحيدِ فإنَّ
الفرارَ إليه سبحانه يتضمَّنُ إفراده بالطلبِ والعبوديةِ فهو متضمَّنٌ لتوحيدِ
الإلهية التي اتفقت عليها دعوةُ الرسلِ صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين .
وأما الفرارُ منه إليه فهو متضمَّنٌ لتوحيدِ الربوبيةِ وإثباتِ القدرِ وأنَّ كُلَّ
ما في الكونِ من المكروهِ والمَحْذُورِ الذي يفرُّ منه العبدُ فإنما أوجبته مشيئةُ الله
وحده .

فإن ما شاء كان ووجبَّ وجوده بمشيئته وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده
لعدمِ مشيئته .

فإذا فرَّ العبدُ إلى الله فإنما يفرُّ من شيءٍ إلى شيءٍ وجدَّ بمشيئةِ الله
وقدره فهو في الحقيقةِ فارٌّ من الله إليه .

ومن تصوَّرَ هذا حقَّ تصوُّره فهمَ معنى قوله ﷺ : « وأعوذُ بك منك »
وقوله : « لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك » فإنه ليسَ في الوجودِ شيءٌ يفرُّ
منه ويستعاضُ منه ويُلْتَجأُ منه إلا هو من الله خلقاً وإبداعاً .

فالفارُّ والمُسْتَعِيدُ فَاَرَمَّا أُوجِدَ قَدْرُ اللَّهِ وَمَشِيئَتُهُ وَخَلْقُهُ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ رَحْمَتُهُ وَبِرُّهُ وَلُطْفُهُ وَاحْسَانُهُ ، ففِي الْحَقِيقَةِ هُوَ هَارِبٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ مُسْتَعِيدٌ بِاللَّهِ مِنْهُ .

وَتَصَوُّرُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ انْقِطَاعَ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ ، خَوْفًا وَرَجَاءً ، وَمَحَبَّةً .

فإِذَا عَلِمَ أَنَّ الَّذِي يَفِرُّ مِنْهُ وَيَسْتَعِيدُ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ خَوْفٌ مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ وَمُوجِدِهِ .

فَتَضَمَّنَ ذَلِكَ إِفْرَادَ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالْخَوْفِ وَالْحُبِّ وَالرَّجَاءِ . وَلَوْ كَانَ فِرَارُهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا قُدْرَتِهِ لَكُنَ ذَلِكَ مُوجِبًا لْخَوْفِهِ مِنْهُ مِثْلَ مَا يَفِرُّ مِنْ مَخْلُوقٍ إِلَى مَخْلُوقٍ آخَرَ أَقْدَرُ مِنْهُ .

فإِذَا كَانَ فِي حَالِ فِرَارِهِ مِنَ الْأَوَّلِ خَائِفًا مِنْهُ حَذِرًا أَنْ لَا يَكُونَ الثَّانِي يُفِيدُهُ مِنْهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَفِرُّ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي قَضَى وَقَدَّرَ وَشَاءَ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ التَّفَاتُ إِلَى غَيْرِهِ .

فَتَفَظَّنْ إِلَى هَذَا السِّرِّ الْعَجِيبِ فِي قَوْلِهِ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » وَ « لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ » فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَكَرُوا فِي هَذَا أَقْوَالَ ، وَقُلَّ مَنْ تَعَرَّضَ مِنْهُمْ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ الَّتِي هِيَ لُبُّ الْكَلَامِ وَمَقْصُودُهُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ .

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ عَادَ الْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَى الْفِرَارِ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْنَى الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » .

وَلِهَذَا يَقْرُنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيْمَانُ وَالْهَجْرَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ لِتِلَازُمِهِمَا وَاقْتِضَاءِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ .

والمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكرهه واتباع ما يحبه ويرضاه وأصلها الحب والبغض .

فإن المهاجر من شيء إلى شيء لا بد أن يكون ما يهاجر إليه أحب مما هاجر منه فيؤثر أحب الأمرين إليه على الآخر .

وإذا كان نفس العبد وهواه ، وشيطانه إنما يدعونه إلى خلاف ما يحبه ويرضاه ، وقد بلي بهؤلاء الثلاث .

فلا يزالون يدعونه إلى غير مرضاة ربه ، وداعي الإيمان يدعوه إلى مرضاة ربه ، فعليه في كل وقت أن يهاجر إلى الله ولا ينفك في هجرته إلى الممات .

وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل وإذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علماً ، ولا يتحرك لها إرادة .

والذي يقضي منه العجب أن المرء يوسع الكلام ويفرغ المسائل في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وفي الهجرة التي انقطعت بالفتح ، وهذه هجرة عارضة . ربما لا تتعلق به في العمر أصلاً .

وأما هذه الهجرة التي هي واجبة على مدى الأنفاس لا يحصل فيها علماً ولا إرادة وما ذاك إلا للأغراض عما خلق له ، والاشتغال بما لا ينجي وحده عما لا ينجي غيره .

وهذا حال من عشت بصيرته وضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال والله المستعان . وبالله التوفيق لا إله غيره ولا رب سواه .

وأما الهجرة إلى الرسول ﷺ فعلم لم يبق منه سوى اسمه ومنهج لم تترك بنيات الطريق سوى رسمه ، ومحجة سفت عليها السواني فطمست رسومها وغارت عليها الأعادي فغورت مناها وعيونها .

فَسَالِكُهَا غَرِيبٌ بَيْنَ الْعِبَادِ فَرِيدٌ بَيْنَ كُلِّ حَيٍّ وَنَادٍ . بعيد على قرب
المكان وحيد على كثرة الجيران .

مستوحش مما به يستأنسون ، مستأنس مما به يستوحشون مقيم إذا
ظعنوا ، ظاعن إذا قطنوا ، منفرد في طريق طلبه لا يقر قراره ، حتى يظفر
بإربه . فهو الكائن معهم بجسده البائن منهم بمقصده ، نامت في طلب
الهدى أعينهم ، وما ليل مطيته بنائم ، وقعدوا عن الهجرة النبوية ، وهو في
طلبها مشمر قائم .

يعيبونه بمخالفة آرائهم ويزرون عليه إزاراً على جهالاتهم واهوائهم ،
قد رجموا فيه الظنون وأحدقوا فيه العيون ، وتربصوا به ريب المنون
﴿ فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

وقال رحمه الله الطلبُ لِقَاحُ الْإِيْمَانِ ، فإذا اجتمعَ الْإِيْمَانُ وَالطَّلْبُ أَثْمَرُ
الْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وحسنُ الظنِّ باللهِ لِقَاحُ الْاِفْتِقَارِ وَالْاِضْطِرَارِ إِلَيْهِ فإذا اجتمعَا أَثْمَرَا
إِجَابَةِ الدُّعَاءِ .

والخَشْيَةُ لِقَاحُ الْمَحَبَةِ فإذا اجتمعَا أَثْمَرَا امْتِثَالِ الْأَوَامِرِ ، واجْتِنَابِ
النَّوَاهِي .

والصَّبْرُ لِقَاحُ الْيَقِينِ ، فإذا اجتمعَا أُورَثَا الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ قَالَ تَعَالَى
﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

وصحَّةُ الْاِقْتِدَاءِ بِالرَّسُولِ لِقَاحُ الْإِخْلَاصِ فإذا اجتمعَا أَثْمَرَا قَبُولِ
الْعَمَلِ وَالْاِعْتِدَادِ بِهِ .

والْعَمَلُ لِقَاحُ الْعِلْمِ فإذا اجتمعَا كَانَ الْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ ، وإن انفردَ
أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ لَمْ يُفِدْ شَيْئاً .

والحلمُ لِقَاحُ الْعِلْمِ ، وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ فَاتَ النِّفْعُ
وَالِانْتِفَاعُ .

وَالْعَزِيمَةُ لِقَاحُ الْبَصِيرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا نَالَ صَاحِبُهُمَا خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَحَصَلَ الْإِنْتِفَاعُ بِعِلْمِ الْعَالِمِ ، وَبَلَغَتْ بِهِ هِمَّتُهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ
مَكَانٍ وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ فَاتَ النِّفْعُ وَالِانْتِفَاعُ .

فَتَخَلَّفُ الْكَمَالَاتُ إِمَّا مِنْ عَدَمِ الْبَصِيرَةِ ، وَإِمَّا مِنْ عَدَمِ الْعَزِيمَةِ ،
وَحُسْنُ الْقَصْدِ لِقَاحُ لِيَصِحَّ الذُّهْنُ ، فَاِذَا فَقِدَا فَقِدَا الْخَيْرَ كُلَّهُ ، وَإِذَا اجْتَمَعَا
أَثْمَرَا أَنْوَاعَ الْخَيْرَاتِ .

وَصِحَّةُ الرَّأْيِ لِقَاحُ الشَّجَاعَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا ، كَانَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ ،
وَإِنْ فَقِدَا فَالْخُذْلَانُ وَالْخِيبةُ . وَإِنْ وُجِدَ الرَّأْيُ بِلَا شَجَاعَةٍ ، فَالْجُبْنُ
وَالْعَجْزُ ، وَإِنْ حَصَلَتْ الشَّجَاعَةُ بِلَا رَأْيٍ ، فَالْتَّهَوُّ وَالْعَطَبُ .

وَالصَّبْرُ لِقَاحُ الْبَصِيرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَالْخَيْرُ فِي اجْتِمَاعِهِمَا . قَالَ
الْحَسَنُ : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى بَصِيرًا لَا صَبْرَ لَهُ رَأَيْتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى صَابِرًا
لَا بَصِيرَةَ لَهُ رَأَيْتَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ صَابِرًا بَصِيرًا فَذَاكَ .

وَالنَّصِيحَةُ لِقَاحُ الْعَقْلِ ، فَكَلِمَا قَوِيَّتِ النَّصِيحَةُ قَوِيَ الْعَقْلُ وَاسْتَنَارَ .
وَالتَّذَكُّرُ وَالتَّفَكُّرُ كُلُّ مَنِهَا لِقَاحُ الْآخِرِ ، إِذَا اجْتَمَعَا أُنتَجَا الزُّهْدُ فِي
الدُّنْيَا . وَالرَّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ .

وَالتَّقْوَى لِقَاحُ التَّوَكُّلِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ .
وَلِقَاحُ اخْتِذَاكَ أَهْبَةَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ قِصَرِ الْأَمَلِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَالْخَيْرُ
كُلُّهُ فِي اجْتِمَاعِهِمَا ، وَالشَّرُّ فِي فِرْقَتِهِمَا .

وَلِقَاحُ الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ ، النِّيَّةُ الصَّحِيحَةُ فَإِذَا اجْتَمَعَا بَلَغَ الْعَبْدُ غَايَةَ
الْمَرَادِ .

وَقَالَ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ مُنْقَطِعًا عَنِ اللَّهِ حَتَّى تَتَّصِلَ ارَادَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ بِوَجْهِهِ

الأعلى ، والمراد بهذا الاتصال ، أن تُفَضِّي المحبة إليه ، وتتعلق به وحده ، فلا يحجبها شيء دونه .

وأن تتصل المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا يطمس نورها ظلمة التعطيل ، كما لا يطمس نور المحبة ظلمة الشرك .

وأن يتصل ذكره به سبحانه فيزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفلة والتفاته في حال الذكر إلى غير مذكوره .

فحينئذ يتصل الذكر به ، ويتصل العمل بأوامره ونواهيه ، فيفعل الطاعة لأنه أمر بها وأحبها ، ويترك المناهي لكونه نهي عنها ، وأبغضها .

فهذا معنى اتصال العمل بأمره ونهيه . وحقيقة زوال العلة الباعثة على الفعل والترك من الأغراض والحظوظ العاجلة .

ويتصل التوكل والحب به بحيث يصير وثيقاً به سبحانه ، مطمئناً إليه ، راضياً بحسن تدبيره له غير متهم له في حال من الأحوال .

ويتصل فقره وفاقته به سبحانه دون من سواه .

ويتصل خوفه ورجاؤه ، وفرحه وسروره ، وابتهاجه به وحده ، فلا يخاف غيره ، ولا يرجوه ، ولا يفرح به كل الفرح ولا يسر به غاية السرور .

وإن ناله بالمخلوق بعض الفرح والسرور ، فليس الفرح التام والسرور الكامل ، والابتهاج والنعيم وقرة العين ، وسكون القلب إلا به سبحانه .

وما سواه إن أعان على هذا المطلوب فرح به وسر به . وإن حجب عنه فهو بالحزن به والوخشة منه واضطراب القلب بحصوله له أحق منه بأن يفرح به ، فلا فرحة ولا سرور إلا به ، أو بما أوصل إليه وأعان على مرضاته . وقد أخبر سبحانه أنه لا يحب الفرحين بالدنيا وزينتها .

وأما الفرحُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيْمَانُ وَالْقِرْآنُ كَمَا فَسَّرَهُ
الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ اتَّصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ
فَقَدْ وَصَلَ ، وَإِلَّا فَهُوَ مَقْطُوعٌ عَنْ رَبِّهِ مُتَّصِلٌ بِحَظِّهِ وَنَفْسِهِ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي
مَعْرِفَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسُلُوكِهِ .

(مَوْعِظَةٌ)

الْإِخْلَاصُ مِسْكٌ مَصُونٌ فِي الْقَلْبِ يُنْبِئُهُ رِيحُهُ عَلَى حَامِلِهِ ، الْعَمَلُ
صُورَةٌ وَالْإِخْلَاصُ رُوحٌ ، إِذَا لَمْ تُخْلِصْ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَلَا تَتَّعَبُ ، لَوْ
قَطَعْتَ الْمَنَازِلَ لَمْ تَكُنْ حَاجًّا إِلَّا بِشُهُودِ الْوُقُوفِ بِالْمَوْقِفِ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِصُورَةِ
الطَّاعَاتِ .

كَانَ أَيُّوبُ السِّخْتْيَانِي إِذَا تَحَدَّثَ فَرَّقَ قَلْبُهُ وَجَاءَ الدَّمْعُ قَالَ مَا أَشَدَّ
الزُّكَامَ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمٍ إِذَا مَرِضَ يَجْعَلُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يَأْكُلُ الْأَصْحَاءُ
كَيْلًا يَتَشَبَّهُ بِالشَّاكِينِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى يَصْلِي فَإِذَا أَحْسَسَ بِدَاخِلِ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ .
وَكَانَ النَّخْعِي يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَطَاهُ .
وَكَانَ الْوَاحِدُ مِنَ السَّلَفِ تَأْتِيهِ الْعَبْرَةُ وَالْخُشُوعُ فَيَقُومُ خَشِيَةً أَنْ يُفْطَنَ لَهُ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُصَلِّي وَيَبْكِي وَإِذَا جَاءَهُ زَائِرٌ غَسَلَ وَجْهَهُ عَنِ الدَّمْعِ
لِثَلَا يَتَنَبَّهُ لَهُ .

كُلْ هَذَا مِنَ الْإِخْلَاصِ بَلِّغْ يَا أَخِي مَعْشَرَ الْمُرَائِنِ الَّذِينَ إِذَا سَاهَمُوا فِي
مَشْرُوعٍ دِينِي نَشَرُوا أَسْمَاءَهُمْ فِي الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْإِذَاعَاتِ وَالَّذِينَ
يُعَدِّدُونَ كَمَّ حَجُّوا مِنْ سَنَةٍ وَهُمْ مَا سُئِلُوا وَيَقُولُونَ نَحْنُ نَعْتَمِرُ كُلَّ سَنَةٍ وَأَهْلُنَا
وَأَوْلَادُنَا وَيَجْلِسُ بِالْحَرَمِ .

وَيُهْمِلُ عَائِلَتَهُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُونَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَرُبَّمَا حَصَلَ لَهُ بِسَبَبِهِمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ لِأَن سَيِّئَةَ الْحَرَمِ عَظِيمَةٌ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا .
وربما كان مع ذلك المأكل والملبس والمركب حرام نسأل الله العفو
والعافية في الدنيا والآخرة .

وهذه المسائل قلَّ مَنْ يَتَّبِعُهَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ .
فالرياءُ مِنْ أَصْعَبِ الْأَشْيَاءِ وَأَخْفَاهَا وَضَرَرُهُ عَظِيمٌ وَقَدْ يُحْبِطُ الْأَعْمَالُ .
فَيَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَجْعَلَهُ دَائِمًا نَصَبَ عَيْنَيْهِ فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ
وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ .

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بِالْيَقِينِ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الْوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ	لِكَوْنِ أَيْدِي جُودِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا	كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ
فَفِي كُلِّ شُكْرِ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ	بَغَيْرِ تَنَاءٍ دُونَهَا الشُّكْرُ يَصْغُرُ
فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا	تَحْمَلُ ضِمْنِ الشُّكْرِ مَا هُوَ أَكْبَرُ
تُسَبِّحُهُ الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ وَفِي الْفَلَاحِ	وَحُوشٌ وَطَيْرٌ فِي الْهَوَايِ مُسَخَّرُ
وَفِي الْفُلْكِ وَالْأَمْلاكِ كُلِّ مُسَبِّحٍ	نَهَارًا وَلَيْلًا دَائِمًا لَيْسَ يَفُتُّ
تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ	سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالْجِبَالُ وَالْبُحُرُ
جَمِيعًا وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْكَجَلُ خَاشِعٌ	لِهَيْبَتِهِ الْعُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
لَهُ كُلُّ ذَرَاتِ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ	عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمَصُورُ
دَحَا الْأَرْضِ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا	وَاتَّقَنَهَا لِلْعَالَمِينَ لِيَنْظُرُوا

وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصُّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا
وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَّاتِ فَلَمْ تَمُدْ
وَأَخْرَجَ مَرْعَاهَا وَبَثَّ دَوَابَهَا
مِنَ الْحَبِّ ثُمَّ الْأَبِّ وَالْقَضْبِ وَالْكَلَا
فَأَصْحَتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهُو رِيَاضُهَا
وَزَانَ سَمَاءً بِالْمَصَابِيحِ أَصْبَحَتْ
تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّدَتْ
فِيَا نَاطِرًا زَهْرَ الْبَسَاتِينِ دُونَهَا
وَيَا مَنْ لَهَا إِنَّ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
وَلَا سَمِعَتْ أُذُنٌ وَلَا الْعَيْنُ أَبْصَرَتْ
تَزِيدُ بِهَاءٍ كُلَّ حِينٍ وَعَيْشُهَا
مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ تُبْنَى قُصُورُهَا
وَمَا يُشْتَهَى مِنْ لَحْمٍ طَيْرٍ طَعَامُهَا
وَمَشْرُوبُهَا كَافُورُهَا وَرَحِيقُهَا
وَمِنْ عَسَلٍ وَالْخَمْرِ نَهْرَانِ جَوْفُهَا
وَعَالِي حَرِيرٍ فُرْشُهَا وَلِبَاسُهَا
وَمِنْ زَعْفَرَانٍ نَبْتُهَا وَحَشِيشُهَا
فَوَاكِهُ تَكْفِي حَبَّةً لِقَبِيلَةٍ
وَأَكْوَابُهَا مِنْ فِضَّةٍ لَا كَبِيرَةٍ
وَمِنْ ذَهَبٍ زَاهِي الْجَمَالِ صِحَافُهَا
وَأَزْوَاجُهَا حُورٌ حَسَنٌ كَوَاعِبُ
هَرَائِلُ خُودَاتٍ وَغَيْدٌ وَخُرْدٌ
نَشَتْ عُرْبًا أَتْرَابُ سِنٍ قَوَاصِرُ

وَفِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا
وَشَقَّقَ أَنْهَارًا بِهَا تَتَفَجَّرُ
وَلِلْكَلِّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ
وَنَخْلٌ وَأَعْنَابٌ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ
وَفِي حُلٍّ نَسِجُ الرَّبِيعِ تَبَخَّرُ
وَأُمِسَتْ بِبَاهِي الْحُسْنِ تَزْهُو وَتَزْهُرُ
قَلَائِدُ دُرِّي لِدُرِّ تُحْقَرُ
أَظُنُّكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ
بِدَارِ بِهَا مَا لَا عَلَى الْقَلْبِ يَحْطُرُ
وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ فِي الْحَالِ يَحْضُرُ
يَزِيدُ صَفَاءً قَطُّ لَا يَتَكَدَّرُ
وَمِنْ ذَهَبٍ مَعَ فِضَّةٍ لَا تَغَيَّرُ
وَفَاكِهَةٍ مِمَّا لَهُ يُتَخَيَّرُ
وَتَسْنِيمُهَا وَالسَّلْسَبِيلُ وَكَوْثَرُ
وَنَهْرَانِ الْبَانِ وَمَاءٌ يُفَجَّرُ
وَحَصْبَاؤُهَا وَالْثَرْبُ مِسْكٌ وَجَوْهَرُ
وَمِنْ جَوْهَرٍ أَشْجَارُهَا تِلْكَ تُثْمِرُ
أَدِيمَتْ أُبْيَحَتْ لَا تُبَاعُ وَتُحْجَرُ
عَلَى شَارِبٍ مِنْهَا وَلَا هِيَ تَصْغُرُ
يَلِدُ بِهَا عَيْشٌ بِهِ الْعَيْنُ تَقْرُرُ
رَعَائِبُ أَبْكَارٍ بِهَا النُّورُ يَزْهُرُ
مَدَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَغَيَّرُ
لِطَرْفٍ كَحَيْلٍ لِلْمَلَاخَةِ يَفْتُرُ

عَوَالِي الْحَلَى وَالْحَلَى عَيْنٌ فَوَاحِرُ
 ثَوَتْ فِي خِيَامِ الدُّرِّ فِي رَوْضَةِ الْبَهَا
 مِلَاحُ زَهَتْ فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ وَالْبَهَا
 وَمَا الْمَدْحُ فِيمَنْ نَشَرَهَا وَابْتَسَامُهَا
 وَمَنْ يَعَذُّبُ الْبَحْرُ الْأَجَاغُ بِرِيقِهَا
 وَمَنْ لَوْ بَدَتْ مِنْ مَشْرِقِ ضَاءِ مَغْرِبُ
 وَمَنْ نُحِّهَا مِنْ تَحْتِ سَبْعِينَ حُلَّةً
 فَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً خَمَارُهَا
 وَأَحْقَرُ بَرِّيَّاتِ الْمَحَاسِنِ وَالَّتِي
 فَمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ شَيَّبَتْ بِعَسْجِدِ
 بَهَاءٍ وَحُسْنًا مَا الْيَوَاقِيتُ فِي الصِّفَا
 وَمَا شَبَّهَ الرَّحْمَنُ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهَا
 عَلَى جَهَةِ التَّقْرِيبِ لِلذُّهْنِ إِذْ لَنَا
 تَبَارَكَ مُنْشِي الْخَلْقِ عَنْ سِرِّ حِكْمَةٍ
 إِذَا مَا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
 وَقَدْ زُيِّنَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَزُخْرِفَتْ
 جَمَالاً وَوَصِفَاً جَلَّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
 نَعِيمٌ وَلَذَاتٌ وَعِزٌّ وَرَفْعَةٌ
 بِمَقْعَدِ صِدْقٍ فِي جَوَارِ مَلِيكِهِمْ
 أَيَا سَاعَةً فِيهَا السَّعَادَاتُ يُجْتَلَى
 وَيَا سَاعَةً فِيهَا الْمَفَاخِرُ تُرْتَقَى
 إِلَّا مُشْتَرِجَنَاتٍ خُلِدَ وَخَيْرُهَا

زَكَتْ طَهَّرَتْ مِنْ كُلِّ مَا يُتَقَدَّرُ
 عَلَى سُرْرِ الْيَاقُوتِ تَعْدُرُ وَتَحْضُرُ
 وَكُلُّ جَمَالٍ دُونَهُ الْمَدْحُ يَقْصُرُ
 يُضِيءُ الدِّيَاجِي وَالْوُجُودُ يُعْطِرُ
 وَمَنْ حُسْنُهَا لِلْعَالَمِينَ يُخَيَّرُ
 وَحَارَ الْوَرَى مِنْ حُسْنِهَا حِينَ تَظْهَرُ
 يُرَى كَيْفَ مُوفِّي الْمَدْحِ عَنْهَا يَعْبُرُ
 فَأَحْسَنُ بَمَنْ تَحْتَ الْحِمَارِ مُحَمَّرُ
 بِتَشْبِيهِ أَوْصَافِ الْجَنَانِ تُصَدَّرُ
 وَمَا الْبَيْضُ مَكْنُونُ النَّعَامِ الْمُسْتَرُ
 وَفِي رَوْنَقِ مَا اللَّوْلُؤُ الرُّطْبُ يُنْثَرُ
 بَيْضُ وَيَاقُوتٍ فَذَلِكَ يُذَكَّرُ
 عُقُولٌ عَلَيْهَا فَهَمُّ مَا يَتَعَسَّرُ
 هُوَ اللَّهُ مَوْلَانَا الْحَكِيمُ الْمُدَبِّرُ
 تَعَالَى لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ لِيَنْظُرُوا
 نَسُوا كُلَّ مَا فِيهَا لِمَا مِنْهُ أَبْصَرُوا
 وَفَضْلاً وَإِنْعَاماً يَجَلُّ وَيَكْبَرُ
 وَقُرْبُ وَرِضْوَانُ وَمُلْكٌ وَمَتَجَرُّ
 هَنِيئاً لِمَسْعُودٍ بِذَلِكَ يَظْفَرُ
 عَلَى وَجْهَهَا دُرُّ الْعِنَايَاتِ يُنْثَرُ
 عُلاَهَا وَخَلَعَاتُ الْكِرَامِ تُنْشَرُ
 وَحُوراً حِسَاناً فِي الْمَلَاخَةِ تَفْخَرُ

أَلَا بَائِعُ الْفَانِي الْحَقِيرِ بَبَاقِي
أَلَا مُفْتَدٍ مِنْ نَارِ حَرِّ عَظِيمَةٍ
لَهَا شَرَرٌ كَالْقَصْرِ فِيهَا سَلَاسِلُ
عُصَاةٍ وَفُجَّارٌ وَسَبْعُ طَبَاقِهَا
وَحَيَاتُهَا كَالْبُخْتِ فِيهَا عَقَابِرُ
غَلِيظٌ شَدِيدٌ فِي يَدَيْهِ مَقَامِعُ
وَمَطْعُومُهُمْ زُقُومُهَا وَشَرَابُهُمْ
وَيُسْقَوْنَ أَيْضًا مِنْ صَدِيدٍ وَجِيفَةٍ
وَقَدْ شَابَ مِنْ يَوْمِ عَبُوسٍ شَبَابُهُمْ
فَيَا عَجَبًا نَذَرِي نَارٍ وَجَنَّةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلَا حَيَا
وَلَيْسَ لِحَرِّ صَابِرِينَ وَلَا بَلَا
وَفَوْتُ جَنَانِ الْخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةٍ
فَأَفْ لَنَا أَفْ كِلَابُ مَزَابِلِ
نَبِيعُ خَطِيرًا بِالْحَقِيرِ عِمَايَةٍ
فَطُوبَى لِمَنْ يُؤْتَى الْقَنَاعَةَ وَالتَّقَى
فَيَا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ مِنْ كُلِّ سَامِعٍ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ
وَطَاعَتُهُ لِلْمُتَّقَى خَيْرٌ حِرْفَةٍ
إِذَا أَصْبَحَ الْبَطَالُ فِي الْحَشْرِ نَادِمًا
فَطُوبَى لِمَنْ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ عَامِلًا
بِهَا يَعْمُرُ الْأَوْقَاتِ أَيَّامَ عُمُرِهِ

خَطِيرٌ وَمُلْكٌ لَيْسَ يَبْلَى وَيَدْمُرُ
أَلَوْفٌ سِنِينَ تِلْكَ تُحْمَى وَتُسْعَرُ
عِظَامٌ وَأَغْلَالٌ فَعُلُّوا وَجُرْجُرُوا
وَسَبْعِينَ عَامًا عُمُقُهَا قَدْ تَهَوُّرُوا
بَغَالٍ وَضَرْبُ الزَّيَانِي يَنْهَرُ
إِذَا ضَرَبَ الصَّمَّ الْجَبَالَ تَكْسَرُ
حَمِيمٌ بِهَا أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهُ تَنْدُرُ
تَفْجَرُ مِنْ فَرْجِ الَّذِي كَانَ يَفْجَرُ
لِهَوْلٍ عَظِيمٍ لِلْخَلَائِقِ يُسْكِرُ
وَلَيْسَ لِذِي نَشْتَاقٍ أَوْ تِلْكَ نَحْذَرُ
فَمَاذَا بَقِيَ فِينَا مِنَ الْخَيْرِ يُذَكِّرُ
فَكَيْفَ عَلَى النَّيرَانِ يَا قَوْمُ نَصْبِرُ
عَلَى تِلْكَ فَلَيْسَتْ حَسِرَ الْمُتَحَسِّرُ
إِلَى نَتْنِهَا نَعْدُوا وَلَا نَتَدَبَّرُ
وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَلُبٌّ مُنَوَّرُ
وَأَوْقَاتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمُرُ
لَهُ فَهْمٌ قَلْبٌ حَاضِرٌ يَتَذَكَّرُ
لِصَاحِبِهَا رِنَحٌ بِهَا لَيْسَ يُخْسَرُ
بِهَا يَكْسِبُ الْخَيْرَاتِ وَالسَّعْيُ يُشْكُرُ
يَعُضُّ عَلَى كَفِّ أَسَى يَتَحَسَّرُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ طَاعَةُ اللَّهِ يُؤَثِّرُ
يُصَلِّي وَيَتْلُو لِلْكِتَابِ وَيَذْكُرُ

وَيَأْنَسُ بِالْمَوْلَى وَيَسْتَوْحِشُ الْوَرَى
وَيَسْلُو عَنْ اللَّذَاتِ بِالْدُّونِ قَانِعُ
حَزِينٌ نَحِيلُ جِسْمُهُ ضَامِرُ الْحَشَا
إِذَا ذُكِرَتْ جَنَاتُ عَدْنٍ وَأَهْلُهَا
وَيَعْلُو جَوَادَ الْعَزْمِ أَذْهَمَ سَابِقًا
فَأَذْهَمُ يَسْقِي مَاءَ عَيْنٍ وَأَبْيَضُ
وَيَرْكُضُ فِي مَيْدَانِ سَبَقٍ إِلَى الْعُلَا
فَمَجْدُ الْعُلَا مَا نَالَهُ غَيْرُ مَا جِدِ
سَأَلْتُ الَّذِي عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ
يَمُنُّ عَلَيْنَا فِي قُبُولِ دُعَائِنَا
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامِهِ

وَيَشْكُرُ فِي السَّرِّ وَفِي الضَّرِّ يَصْبِرُ
عَفِيفٌ لَهُ قَلْبٌ نَقِيٌّ مُنَوَّرُ
يَصُومُ عَنِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَوْتِ يُفْطِرُ
يَذُوبُ اشْتِيَاقًا نَحْوَاهَا وَيُشَمِّرُ
وَأَبْيَضُ مَجْنُونًا عَنِ النُّورِ يُسْفِرُ
لِصَبْرِ عَلَى صَوْمِ الْهَجْرِ يُضَمِّرُ
وَيَسْرِي إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَيَسْهَرُ
يُخَاطِرُ بِالرُّوحِ الْخَطِيرِ فَيُظْفِرُ
وَمَنْ مِنْهُ فَيْضُ الْفَضْلِ لِلْخَلْقِ يَغْمُرُ
وَيُلْحِقُنَا بِالصَّالِحِينَ وَيَغْفِرُ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ نِيرُ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَعَدْلِهِ

انْصَافُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَقَارِبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَعِنْدَمَا تَوَلَّى أَخَذَ جَوْهَرَ زَوْجَتِهِ
وَحُلِيِّهَا فِيمَا أَخَذَ فَأَوْدَعَهُ بَيْتَ الْمَالِ حَتَّى إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ أَنْفَقَهُ
عَلَيْهِمْ .

وَعِنْدَمَا أَحَسَّ أَنَّهَا لَمْ تَرْضَ أَوَّلَ الْأَمْرِ كُلِّ الرِّضَا بِمَا فَعَلَ خَيْرَهَا بَيْنَ أَنْ
تُقِيمَ عِنْدَهُ وَبَيْنَ أَنْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا فَرَضِيَتْ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ وَأَنْ تَدْفَعَ بِحُلِيِّهَا
وَجَوَاهِرِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ثُمَّ لَا تَرُدَّهُ إِلَيْهَا أَبَدًا .

وَمَا زَالَ عُمَرُ فِي زَوْجَتِهِ حَتَّى أَثَّرَ عَلَيْهَا وَاقْتَدَتْ بِهِ فِي الْوَرَعِ
وَالزُّهْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَكَمَا فَعَلَ عُمَرُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ فَعَلَ بِأَوْلَادِهِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ .

أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ بِلَوْلُؤَةٍ وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَبْعَثَ لِي بِاخْتِيهَا
حَتَّى أَجْعَلَهَا فِي أُذُنِي فَأَرْسَلَ لَهَا بِجَمْرَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لَهَا إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَجْعَلِي هَاتَيْنِ الْجَمْرَتَيْنِ فِي أُذُنِيكَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِاخْتِيهَا .

وَبَلَغَ عُمَرُ أَنَّ ابْنَهُ اشْتَرَى فَصَّ خَاتِمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ عَزِيمَةً
مِنْهُ عَلَيْكَ إِلَّا بَعْتَ هَذَا الْخَاتِمَ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَتَصَدَّقْتَ بِشَمَنِهِ
اشْتَرَيْتَ آخَرَ بِدِرْهَمٍ نَقَشْتُ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ
وَالسَّلَامُ .

وَجَمَعَ يَوْمًا رُؤَسَاءَ النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : إِنْ فَدَكَ كَانَتْ بِيَدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللَّهُ ثُمَّ وَلِيَهَا أَبُو بَكْرٍ
وَعُمَرُ كَذَلِكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَمَا أَذْرِي مَا قَالَ فِي عُثْمَانَ ثُمَّ قَالَ أَنَّ مَرْوَانَ
أَقْطَعَهَا فَحَصَلَ لِي مِنْهَا نَصِيبٌ وَوَهَبَنِي الْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ نَصِيبَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ
مِنْ مَالِي شَيْءٌ أَرَدُهُ أَغْلَى مِنْهَا وَقَدْ رَدَدْتُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ عَلَى مَا كَانَتْ
عَلَيْهِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ فَيُثَسِّسُ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَظَالِمِ ثُمَّ أَمَرَ بِأَمْوَالِ جَمَاعَةٍ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةٍ فَرَدُّوَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَسَمَّاهَا أَمْوَالُ الْمَظَالِمِ فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهِ
النَّاسُ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِعَمَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِ شَيْءٌ .

وَقَالَ لَهُمْ لَتَدْعُنِي وَإِلَّا ذَهَبْتُ إِلَى مَكَّةَ فَتَزَلْتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَحَقِّ
النَّاسِ بِهِ .

وَقَدْ أَجْتَهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُدَّةٍ وَلَايَتِهِ مَعَ قِصْرِهَا حَتَّى رَدَّ الْمَظَالِمَ
وَصَرَفَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

وَكَانَ مُنَادِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي أَيْنَ الْغَارِمُونَ أَيْنَ النَّاكِحُونَ أَيْنَ
الْمَسَاكِينُ أَيْنَ الْيَتَامَى حَتَّى أَغْنَى كُلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ
الرُّوحِ الْمَطْبُوعِ عَلَى الْعَدْلِ وَالصَّدَقِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ .

وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي مُصَلَّاهُ وَاضِعًا
خَدَّهُ عَلَى يَدِهِ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ فَقُلْتُ مَا لَكَ فَقَالَ وَيْحَكَ يَا فَاطِمَةُ
قَدْ وُلِّيتُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا وُلِّيتُ فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ وَالْمَظْلُومِ
الْمَقْهُورِ وَالْغَرِيبِ وَالْأَسِيرِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَذِي الْعِيَالِ الْكَثِيرِ وَالْمَرِيضِ
الضَّائِعِ وَالْعَارِي الْمَجْهُودِ وَالْيَتِيمِ الْمَكْسُورِ وَالْأَرْمَلَةَ الْوَحِيدَةَ وَالْمَالَ قَلِيلٌ
وَأَشْبَاهُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ .

فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ خَصْمِي
دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَشِيتُ أَنْ لَا يَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ
خُصُومَتِهِ فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ ، قَالُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى ثَوْبٍ وَاحِدٍ
فَكَانَ إِذَا غَسَلُوهُ جَلَسَ فِي الْمَنْزِلِ حَتَّى يَبْسَ . قَالُوا وَدَخَلَ مَرَّةً عَلَى امْرَأَتِهِ
فَسَأَلَهَا أَنْ تُقْرِضَهُ دِرْهَمًا أَوْ فُلُوسًا يَشْتَرِي لَهُ بِهَا عِنَبًا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا شَيْئًا
فَقَالَتْ لَهُ أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ فِي خِزَانَتِكَ مَا تَشْتَرِي بِهِ عِنَبًا .

فَقَالَ هَذَا أَيْسَرُ مِنْ مُعَالَجَةِ الْأَغْلَالِ وَالْأَنْكَالِ غَدًا فِي جَهَنَّمَ . قَالَ
وَكَانَ سِرَاجُهُ عَلَى ثَلَاثِ قَصَبَاتٍ فِي رَأْسِهِنَّ طِينٌ وَبَعَثَ يَوْمًا غُلَامَهُ
لِيَشْوِي لَهُ لَحْمًا فَجَاءَ بِهَا سَرِيعًا مَشْوِيَةً فَقَالَ أَيْنَ شَوِيَّتَهَا قَالَ فِي الْمَطْبَخِ
فَقَالَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ كُلُّهَا فَاِنِّي لَمْ أُرْزَقْهَا هِيَ رِزْقُكَ
وَسَخَّنُوا لَهُ الْمَاءَ فِي الْمَطْبَخِ الْعَامِّ فَرَدَّ بَدَلَ ذَلِكَ بِدِرْهَمٍ حَطْبًا .

وَكَانَ لَهُ سِرَاجٌ يَكْتُبُ عَلَيْهِ حَوَائِجُهُ وَسِرَاجٌ لِيَبْتَ الْمَالَ يَكْتُبُ عَلَيْهِ

مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَكْتُبُ عَلَى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفًا وَبَلَغَ عُمَرُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ تُوُفِّيَ فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ يُعَزِّيهِمْ فَصَرَخُوا فِي وَجْهِهِ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ فَقَالَ مَهْ إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يَكُنْ يَرْزُقُكُمْ إِنَّ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا لَمْ يَسُدَّ شَيْئًا مِنْ حُفْرِكُمْ وَإِنَّمَا سَدَّ حُفْرَةَ نَفْسِهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ حُفْرَةً لَا بُدَّ وَاللَّهِ أَنْ يَسُدَّهَا .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الدُّنْيَا حَكَمَ عَلَيْهَا بِالْخَرَابِ وَعَلَى أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ وَمَا امْتَلَأَتْ دَارُ حُبْرَةٍ إِلَّا امْتَلَأَتْ عِبْرَةٌ وَلَا اجْتَمَعُوا إِلَّا تَفَرَّقُوا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ بَاكِيًا فَلْيَبْكْ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُكُمْ كُلُّ النَّاسِ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ غَدًا .
شِعْرًا :

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ
فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ صَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ
وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
مَالَتْ بِهِمْ عَنْكَ دُنْيَا أَقْبَلَتْ لَهُمُوا
وَأَذْبَرَتْ عَنْكَ وَالْأَيَّامُ أَحْوَالُ

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْعَدْلَ فَمَا تَرْحُزُ قَيْدَ شِبْرِ عَنْ طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ تَأَخَّرَ عُمَرُ وَتَأَخَّرَ مَعَهُ أَنَاسٌ وَجَلَسُوا نَاجِيَةً .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ تَأَخَّرْتَ وَتَرَكْتَ الْجَنَازَةَ
وَأَنْتَ وَلِيِّهَا فَقَالَ نَعَمْ نَادَانِي الْقَبْرُ مِنْ خَلْفِي يَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَلَا
تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَحِبَّةِ قُلْتُ بَلَى .

قَالَ أَحَرَقْتُ الْأَكْفَانَ وَمَزَّقْتُ الْأَبْدَانَ وَمَصَصْتُ الدَّمَ وَأَكَلْتُ اللَّحْمَ
قَالَ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالْأَوْصَالِ قُلْتُ بَلَى قَالَ نَزَعْتُ الْكَفَّينِ مِنَ
الذِّرَاعَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ مِنَ الْعِصْدَيْنِ وَالْوَرَكَيْنِ مِنَ الْفَخِذَيْنِ وَالْفَخِذَيْنِ مِنَ
الرُّكْبَتَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ مِنَ السَّاقَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ مِنَ الْقَدَمَيْنِ .

ثُمَّ بَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ وَغَنِيُّهَا
فَقِيرٌ وَشَابُهَا يَهْرَمٌ وَحَيُّهَا يَمُوتُ فَلَا يَغُرَّنْكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ سُرْعَةِ ادْبَارِهَا
فَالْمَغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِمَا لَا يَدُومُ وَالْمَفْتُونُ مَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ مَا لَيْسَ
بِمَقْسُومٍ .

ثُمَّ قَالَ آيْنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ تَبَوَّأُوا مَدَائِنَهَا وَشَقُّوا أَنْهَارَهَا وَغَرَسُوا
أَشْجَارَهَا لَقَدْ أَقَامُوا أَيَّامًا يَسِيرَةً فَتَنَّتْهُمْ الْعَافِيَةُ وَغَرَّهُمْ النَّشَاطُ وَالْهَتَمُ
الزَّخَارِفُ فَرَكِبُوا الْمَعَاصِي حَتَّى أَنَاخَتْ بِهِمْ مَطَايَاهَا عَلَى حَافَاتِ
الْحُفْرِ .

وَالْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ
فَوَاحِشَةُ آمَالِهِمْ وَبَا حَسْرَةِ قُلُوبِهِمْ لَقَدْ كَانُوا مَغْبُوطِينَ بِمَا صَنَعُوا
وَمَحْسُودِينَ عَلَى مَا جَمَعُوا وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ وَالْدِيدَانُ
بِلُحُومِهِمْ .

وَأَطَالَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَهُوَ يَبْكِي إِلَى أَنْ قَالَ يَا سَاكِنَ

الْقَبْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ مَا غَرَّكَ مِنَ الدُّنْيَا هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تَبْقَى لَهَا أَمَا رَأَيْتَ
مِنْ آبَائِكَ مَنْ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ وَجَاءَ الْأَجَلُ فَأَصْبَحَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ مَا
نَزَلَ بِهِ وَهُوَ يَرْشَحُ عَرَقًا وَيَتَلَطَّى عَطْشًا وَيَتَقَلَّبُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَسَكَرَاتِهِ .

ثُمَّ قَرَأَ « حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا أَنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ » وَبَكَى طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يُلْقَانِي بِهِ مَلَكُ
الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَا يَأْتِينِي بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي

رَأَى بَعْضُهُمْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ :

كَاذَتْ تَمُوتُ وَأُخْرَى مِنْكَ تُنْتَظَرُ	كَمْ مِنْ شَرِيعَةٍ حَقٍّ قَدْ بَعَثَتْ لَهَا
عَلَى الْحَبِيبِ الَّذِي يُسْقَى بِهِ الْمَطَرُ	يَالْهَفَ نَفْسِي وَلَهْفَ الْوَاجِدِينَ مَعِي
تَظُمُ أَعْظَمُهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَقَرُ	ثَلَاثَةَ مَرَّاتٍ عَيْنِي لَهَا شَبَهَا
لِلْحَقِّ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ تَبْتَدِرُ	وَأَنْتَ رَابِعُهُمْ إِذْ كُنْتَ مُجْتَهِدًا
تَأْتِي رَوَاحًا وَتَبَيَّانًا وَتَبْتَكِرُ	لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ
بِدَيْرٍ سَمْعَانَ لَكِنْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ	صَرَفْتُ عَنْ عُمَرَ الْمَرْضِيِّ مَصْرَعَهُ
فَيَمُنُّ بِمَوْتِ وَفِي أَنْبَاءِهِ عِبْرُ	وَفِي مُصَابِ رَسُولِ اللَّهِ تَسْلِيَةٌ
عَلَى الْبَرِيَّةِ وَازْدَادَتْ بِهِ السَّيْرُ	هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي مَنْ الْإِلَهِ بِهِ
وَخَيْرٌ مَنْ شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ مُضَرُ	وَخَيْرٌ مَنْ وَلَدَتْ عَدْنَانُ قَاطِبَةٌ
شَمْسَ وَمَا خَلَفَتْهَا الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ	صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلُ)

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ الْمُروزي قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ
الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا دُفِنَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ
سُمِعَ لِلأَرْضِ هَدَّةٌ أَوْ رَجَّةٌ فَقَالَ مَا هَذِهِ فَقِيلَ هَذِهِ مَرَائِبُ الْخِلَافَةِ قُرِبَتْ
إِلَيْكَ لِتَرْكِبَهَا فَقَالَ مَا لِي وَلَهَا أَبْعِدُوهَا عَنِّي وَقَرَّبُوا لِي دَابَّتِي فَقُرِبَتْ إِلَيْهِ
فَرَكِبَهَا فَجَاءَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرْبَةِ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ
الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ .

فَقَالَ تَنَحَّ عَنِّي مَا لِي وَلَكَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ سَارَ
مُخْتَلِطًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ
فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّمَا بُلِيتُ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ رَأْيٍ مِنِّي وَلَا طَلِبَةٍ وَلَا مَشُورَةٍ وَإِنِّي قَدْ
خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْعَةٍ فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ غَيْرِي فَصَاحَ الْمُسْلِمُونَ
صَوْتًا وَاحِدًا قَدْ اخْتَرْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَضِينَاكَ فَلَئِنْ أَمَرْنَا بِالْيَمَنِ
وَالْبَرْكََةِ .

فَلَمَّا سَكَتُوا حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ
أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَلْفٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ
خَلْفٌ وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ يُصْلِحِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكُمْ وَأَكْثَرُوا ذِكْرَهَا ذِمَّ اللِّذَاتِ
الْمَوْتَ وَأَحْسِنُوا لَهُ الْاسْتِعْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ .

وَإِنَّ مَنْ لَا يَذْكُرُ مِنْ آبَائِهِ الَّذِينَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آدَمَ أَبًا حَيًّا لَمُعْرُقٌ فِي
الْمَوْتِ وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَبِّهَا وَلَا فِي نَبِيِّهَا وَلَا فِي كِتَابِهَا إِنَّمَا اخْتَلَفُوا

فِي الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِي أَحَدًا بَاطِلًا وَلَا أُمْنَعُ أَحَدًا حَقًّا .

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى وَجَبَتْ طَاعَتُهُ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لَهُ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فَإِذَا عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ثُمَّ نَزَلَ وَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ وَأَمَرَ بِالسُّتُورِ فَهَتِكَتْ وَبِالْبُسْطِ فَرَفَعَتْ وَأَمَرَ بِبَيْعِ ذَلِكَ وَادْخَالَ اثْنَانِهَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ ذَهَبَ يَتَبَوَّءُ مَقِيلًا فَأَتَاهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ يَا أَبَتِي قَالَ أَيُّ بَنِيٍّ أَقِيلُ فَقَالَ تَقِيلُ وَلَا تَرُدُّ الْمَظَالِمَ قَالَ أَيُّ بَنِيٍّ قَدْ سَهَرْتُ الْبَارِحَةَ فِي أَمْرِ عَمِّكَ سُلَيْمَانَ فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ رَدَدْتُ الْمَظَالِمَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَينَ لَكَ أَنْ تَعِيشَ إِلَى الظُّهْرِ فَقَالَ ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِي مَنْ يُعِينُنِي عَلَى دِينِي فَخَرَجَ وَلَمْ يَقُلْ وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَرْفَعْهَا إِلَيَّ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ذِمِّي مِنْ أَهْلِ حِمَصٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إِنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ اغْتَصَبَنِي أَرْضِي وَالْعَبَّاسُ حَاضِرٌ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ يَا عَبَّاسُ قَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدَ أَقْطَعَنِي إِيَّاهَا وَهَذَا كِتَابُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ يَا ذِمِّي قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ مِنْ كِتَابِ الْوَلِيدِ فَارْدُدْ عَلَيْهِ أَرْضَهُ يَا عَبَّاسُ فَارْدَّهَا عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ لَا يُدْعَى عَلَى شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْمَظَالِمِ إِلَّا رَدَّهَ مَظْلَمَةً مَظْلَمَةً وَلَمَّا بَلَغَ الْخَوَارِجَ سِيرَةَ عُمَرَ وَمَا رَدَّ مِنَ الْمَظَالِمِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُقَاتِلَ هَذَا الرَّجُلَ وَقَالَ فِيهِ كَثِيرُ عِزَّةٍ :

وَلَيْتَ وَلَمْ تَسُبَّ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفْ
بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ مَقَالَهَ مُجْرِمٍ
وَصَدَّقْتَ بِالْقَوْلِ الْفِعَالِ مَعَ الَّذِي
أَتَيْتَ فَاسْمَى رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا
مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي
بِأَخْذِكَ دِينَارِي وَلَا أَخْذِ دِرْهَمٍ
فَأَرْبَحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايَعٍ
وَأُكْرِمْ بِهَا مِنْ بَيْعَةٍ ثُمَّ أَكْرِمِ

وَلَمَّا بَلَغَ الْجَبَّارَ الْعَيْنِدَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ
اللَّهُ رَدَّ الضَّيْعَةَ عَلَى الذِّمِّيِّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعْتَرِضُ عَلَى
عَدْلِهِ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَوْرٌ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ إِنَّكَ قَدْ أَزْدَرَيْتَ عَلِيَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ
مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَعَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَسَرْتَ بَغِيرَ سِرَّتِهِمْ بَغْضًا لَهُمْ وَشِينًا لِمَنْ
بَعْدَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ . قَطَعْتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ إِذْ عَمَدْتَ إِلَى
أَمْوَالِ قُرَيْشٍ وَمَوَارِيثِهِمْ فَأَدْخَلْتَهَا بَيْتَ الْمَالِ جَوْرًا وَعُدْوَانًا ، وَلَنْ تُتْرَكَ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كِتَابَهُ كَتَبَ إِلَيْهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ السَّلَامُ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ، أَمَّا
أَوَّلُ شَأْنِكَ يَا ابْنَ الْوَلِيدِ فَأُمُّكَ بَنَانَةُ السُّكُونِ كَانَتْ تَطُوفُ فِي سُوقِ حِمَاصٍ
وَتَدْخُلُ فِي حَوَائِثِهَا ثُمَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا .

ثُمَّ اشْتَرَاهَا ذُبْيَانُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَهْدَاهَا لِأَبِيكَ فَحَمَلَتْ بِكَ
فَيْسَسَ الْمَوْلُودُ ، ثُمَّ نَشَأَتْ وَكُنْتَ جَبَّارًا عَنِيدًا تَزْعُمُ أَنِّي مِنَ الظَّالِمِينَ إِذْ
حَرَمْتُكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ مَالَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ فِي حَقِّ الْقَرَابَاتِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْأَرَامِلِ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَكَ صَبِيًّا سَفِيهًا عَلَى جُنْدِ
الْمُسْلِمِينَ تَحْكُمُ فِيهِمْ بِرَأْيِكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ نِيَّةٌ إِلَّا حُبُّ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ
فَوَيْلٌ لِأَبِيكَ مَا أَكْثَرَ خُصَمَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَيْفَ يَنْجُو أَبُوكَ مِنْ خُصَمَائِهِ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَ الْحِجَّاجَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ
وَيَأْخُذُ الْمَالَ الْحَرَامَ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا عَلَى
مِصْرٍ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ وَاللَّهْوِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ .

وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مَنْ جَعَلَ لِعَالِيَةِ الْبَرِيقَةِ فِي خُمْسِ
الْعَرَبِ نَصِيبًا فَرُويْدًا يَا ابْنَ بَنَانَةَ لَوْ التَّقَاتَا حِلَقُ الْبَطَانِ وَرُدَّ الْفِيءُ إِلَى أَهْلِهِ
لَتَفَرَّغْتَ لَكَ وَلَأَهْلِ بَيْتِكَ فَوَضَعْتُهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ فَطَالَمَا تَرَكْتُمْ
الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءِ فَطَالَمَا تَرَكْتُمْ الْحَقَّ وَأَخَذْتُمُ الْبَاطِلَ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا أَرْجُو
أَنْ أَكُونَ رَأَيْتُهُ مِنْ بَيْعِ رَقَبَتِكَ وَقَسَمِ ثَمَنِكَ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْيَتَامَى فَإِنَّ
لِكُلِّ فَيْكٍ حَقًّا وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ عُمَّالِهِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنْ قَبِلِي
أَنَاسًا مِنَ الْعُمَّالِ قَدْ اقْتَطَعُوا مَالًا عَظِيمًا لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ
أَيْدِيهِمْ إِلَّا أَنْ أَمْسَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَذَابِ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ
لِي فِي ذَلِكَ أَفْعَلُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَمَّا بَعْدُ فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ اسْتِثْنَانِكَ إِيَّايَ
فِي عَذَابِ بَشَرٍ كَأَنِّي لَكَ وَقَايَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَكَأَنَّ رِضَائِي عَنْكَ يُنَجِّيكَ مِنْ
سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَانْظُرْ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ عُدُولٌ فَخَذَهُ بِمَا قَامَتْ بِهِ
الْبَيِّنَةُ .

وَمَنْ أَقَرَّ لَكَ بِشَيْءٍ فَخَذَهُ بِمَا أَقَرَّ بِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلِفَهُ بِاللَّهِ
الْعَظِيمِ وَخَلَّ سَبِيلَهُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَأَنْ يَلْقُوا اللَّهَ بِخِيَانَتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَلْقَى اللَّهَ بِدِمَائِهِمْ وَالسَّلَامُ .

وَكَانَ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ رَوْحٌ وَكَانَ نَشْأً بِالْبَادِيَةِ فَكَأَنَّهُ
أَعْرَابِيٌّ فَأَتَى نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عُمَرَ يُخَاصِمُونَ رَوْحاً فِي حَوَانِيتٍ
بِحِمَصٍ وَكَانَتْ لَهُمْ أَقْطَعُهَا إِيَّاهُمْ أَبُوهُ بِسِجْلِ الْوَلِيدِ .

قَالَ مَا يُغْنِي عَنْكَ سِجْلُ الْوَلِيدِ ، الْحَوَانِيتُ حَوَانِيتُهُمْ قَدْ قَامَتْ لَهُمْ
الْبَيِّنَةُ عَلَيْهَا خَلَّ لَهُمْ حَوَانِيتُهُمْ فَقَامَ رَوْحٌ وَخَصَّمَهُ الْحِمَصِيُّ مُنْصَرِفِينَ
فَتَوَعَّدَ رَوْحُ الْحِمَصِيَّ فَرَجَعَ الْحِمَصِيُّ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ هُوَ وَاللَّهِ يَتَوَعَّدُنِي يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَعْبِ بْنِ حَامِدٍ وَهُوَ مِنْ حَرَسِ عُمَرَ إِذْهَبْ إِلَى رَوْحٍ يَا
كَعْبُ فَإِنْ سَلَّمَ الْحَوَانِيتَ إِلَى الْحِمَصِيِّ فَذَاكَ وَإِلَّا أَتَيْتِي بِرَأْسِهِ فَسَمِعَ
بَعْضُ الْمُوَالِينَ لِرَوْحٍ كَلَامَ عُمَرَ فَأَسْرَعَ فِي إِخْبَارِهِ بِمَا قَالَ عُمَرُ فَخَلَعَ قَلْبُهُ
وَخَرَجَ إِلَيْهِ كَعْبٌ وَقَدْ سَلَّ بَعْضَ السَّيْفِ فَقَالَ لَهُ قُمْ فَخَلَّ لَهُ حَوَانِيتُهُ قَالَ
نَعَمْ وَخَلَّى لَهُ الْحَوَانِيتَ وَتَابَعَ النَّاسُ فِي رَفْعِ الْمَظَالِمِ فَمَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ
مَظْلَمَةٌ إِلَّا رَدَّهَا .

اللَّهُمَّ الْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا الْيَوْمَ أَنْاسٌ يَرَى أَحَدَهُمْ قَدَرَ نَفْسِهِ فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرُهُ الْأَفْهَامُ وَيَجْزِمُ كُلَّ الْجَزْمِ أَنَّهُ رَفِيعُ الْمَقَامِ ، رِفْعَةً كُلُّ رَفِيعٍ مَعَهَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أَمَامَهُ فَاضِلًا إِلَّا ضَجِكَ وَهَزَّ رَأْسَهُ مُتَهَكِّمًا سَاخِرًا بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَتَجِدُ هَذَا الْمُتَكَبِّرَ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ شَرِسًا أَحْمَقًا ذَا إِبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ حَتَّى عَلَى خَالِقَةِ الْقَدِيرِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي وَتَرَاهُ نَارِي الْمِزَاجِ يَلْتِهَبُ التَّهَابًا وَيَنْفَجِرُ لِأَذْنَى كَلِمَةٍ لَا تُرْضِيهِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ قَائِلُهَا إِلَّا الْحُسْنَى .

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَنْ يُصْغَوْا إِلَى كَلَامِهِ وَيُؤْلَمَهُ كَلَامُ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ حَقًّا وَتَجِدُ ثِيَابَهُ مُسْبَلَةً وَفِي مَشْيِهِ يَتَبَخَّرُ مُصْبَعًا خَدَّهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِقَالٌ تَجِدُهُ مُمِيلًا لَهُ وَتَجِدُ بَعْضَهُمْ قَدْ وَفَّرَ شَارِبَهُ وَفَتَلَهُ وَسَوَّى شَبَابَتَهُ كَالْقُرُونِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الْكَمَالَ الَّذِي سَادَ الرِّجَالَ بِهِ

هُوَ الْوَقَارُ وَقَرْنُ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ

فَقُلْ لِمَنْ يَزِدُّهُ عُجْبًا بِمَنْطِقِهِ

وَقَلْبُهُ فِي قِيُودِ الْحِرْصِ وَالْأَمَلِ

مَهَلًا فَمَا اللَّهُ سَاهٍ عَنْ تَلَاُعِكُمْ لَكِنَّ مَوْعِدُكُمْ فِي مُنْتَهَى الْأَجَلِ
وَقُلْ لِمَنْ فَخْرُهُ فِي قَتْلِ شَارِبِهِ أَضَعْتَ عُمرَكَ بَيْنَ الْكِبَرِ وَالْكَسَلِ
حَتَّامَ تُبْرِمُ يَا وَافِي الْقَفَا شَنْبًا مَا فِي طَوَايَاهُ إِلَّا خَيْبَةُ الْأَمَلِ
أَصْبَحْتَ بُعْبَعٌ مَنْ فِي الْبَيْتِ تُزْعِجُهُمْ هَلَّا أَخَفَّتِ الْعِدَا يَا مَعْرُضَ الْخَجَلِ
آخر :

قل للئيم الذي أخفى للحيته وَتَاهُ فِي شَنْبَاتٍ حَشَوَهَا قَدْرُ
أَرْفُقُ فَلَيْسَ كَمَالًا مَا تَتِيهُ بِهِ لَكِنَّهُ نَتْنُ يَشُوْبُهُ مَذْرُ

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَ الْكِبَرِ لَا يَرْغَبُ قُرْبَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُ وَلَا
يَأْلَفُ إِلَّا الْأَغْنِيَاءَ فَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ
عَلَى ذَلِكَ بِسَبَبِ كِبَرِهِ وَعُجْبِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلَاقِ
الْأَصْفِيَاءِ .

وَلَا يَقْدِرُ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقِّ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصِّدْقِ
وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْغَضَبِ وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ اخْتِقَارِهِ
لِلنَّاسِ وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالْبُهْتِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَبَرِيَاءِ مَا
يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ وَقَبِيحٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ
عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَفِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَقُولُ « وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » .

وَمِنْ تَعَالِيمِ رَبَّنَا لِهَذِهِ الْأَمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ اللَّهُ

تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴾ .

وَبِالْحَقِيقَةِ إِنَّ الْمَتَكَبِّرَ مُسْكِينٌ ثُمَّ مُسْكِينٌ إِلَى حَدٍّ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الرَّثَاءُ
فَإِنَّكَ بَيْنَمَا تَرَاهُ بِهَذِهِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ تَرَاهُ غَارِقًا فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي وَذُلِّهَا
يُلْقِي نَفْسَهُ فِي جَهَنَّمَ .

أَيُّظُنُّ هَذَا الْمُسْكِينُ أَنَّهُ عَزِيزٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبَانُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَفِيعٌ
وَهُوَ فِي قَاذُورَاتِ الْمَعَاصِي إِنَّ الْعِزَّةَ وَالرَّفْعَةَ لَا يَحْصُلَانِ بِالدَّعْوَى وَلَيْسَ
حُصُولُهُمَا بِيَدِ مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُمَا بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يَمْنَحُهُمَا إِلَى مَنْ يُسَارِعُونَ
إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ انْصَحُوا مَنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةِ الْكِبَرِ وَقُولُوا لَهُ تَذَبَّرْ كَلَامَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ
آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ الْمَتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ
الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُؤْلُسٌ تَعْلُوهُمْ نَارُ
الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

شِعْراً :

اعْلَمْ هُدَيْتَ وَخَيْرُ الْعِلْمِ أَنْفَعُهُ
أَنْ اتَّبَعَ الْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الْخَبْلِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى
إِنْعَامِهِ وَتَعَالَى اللَّهُ خَيْرُ وَلِيٍّ
فَكُمْ وَكُمْ ظَلَّ بِالْأَهْوَاءِ وَطَاعَتِهَا
مِنْ عَاقِلٍ جَامِعٍ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
هُوَ الْهَوَانُ كَمَا قَالُوا وَقَدْ سُرِقَتْ
النُّونُ مِنْهُ فَجَانِبُهُ وَخُذْ وَمِلْ
وَأَقْبِلْ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَالزَّمَمَهَا
فِي كُلِّ حِينٍ وَلَا تَخْلُدْ إِلَى الْكَسَلِ
وَلَا تُخَالِفْ لَهُ أَمْرًا تَبَارَكَ مِنْ
رَبِّ عَظِيمٍ وَسِرْ فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ
وَحُذْ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مُجْتَهِداً
مُشْمِراً وَاحْتَرِزْ مِنْ سَوْفَ وَالْأَمَلِ
وَلَا تُعْرِجْ عَلَى دَارِ الْغُرُورِ وَدَا
الْخُلْفِ وَالزُّورِ وَالنُّسْيَانِ لِلْأَجَلِ
وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ الْمَرْءِ الْمُضِيعِ فَقَدْ
صَارُوا إِلَى الشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ وَالزَّلَلِ
وَأُضْبَحُوا فِي زَمَانٍ كُلُّهُ فِتْنٌ
وَبَاطِلٌ وَفَسَادٌ بَيْنَ وَجَلِيٍّ

هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُحَذِّرُهُ
أَثِمَّةُ الْحَقِّ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ بَدَلِي
هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا
عُرْفَ نَرَاهُ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجُمْلِ
هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي عَمَّ الْحَرَامُ بِهِ
وَالظُّلْمُ مِنْ غَيْرِ مَا شَكَّ وَلَا جَدَلَ
أَيْنَ الْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ حُجَّتُهُ
وَأَيْنَ سُنَّةُ طَه خَاتَمِ الرُّسُلِ
وَأَيْنَ هَذِي رِجَالِ اللَّهِ مِنْ سَلَفِ
كَانَ الْهُدَى شَأْنُهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
أَكُلُ أَهْلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ قَدْ ذَهَبُوا
بِالْمَوْتِ أَمْ سُتُّوا يَا صَاحِبِي فَقُلِ
وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُو مِنْ قَوْمٍ يَقُومُ بِهِمْ
أَمْرُ الْإِلَهِ كَمَا قَدْ جَاءَ فَاحْتَفِلِ
فَارْجُ الْإِلَهَ وَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ بَعُدَتْ
مَطَالِبُ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَلِي
وَفِي الْإِلَهِ مَلِيكَ الْعَالَمِينَ غَنَى
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا زِمَ بَابُهُ وَسَلِي
هُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الْمُسْتَعَاثُ بِهِ
قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَعْبُودِي وَمُتَكَلِّي
وَأَسْأَلُهُ مَغْفِرَةً وَأَسْأَلُهُ خَاتِمَةً
حُسْنَى وَعَافِيَةً وَالْجَبْرَ لِلْخَلَلِ

وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلصَّالِحَاتِ وَمَا
يُرْضِيهِ عَنَّا وَيَحْفَظَنَا مِنَ الْخَطَلِ
وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ مَا بَكَتْ سَحَابٌ بِمَنْهَمِلٍ
وَالْأَلَّ وَالصَّحْبُ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ
عَلَى الْغُصُونِ فَأَشْجَتْ وَاجِدًا وَخَلِي
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ فِي الْبَاقِيَّاتِ
الصَّالِحَاتِ وَجَنِّبْنَا جَمِيعَ الطُّرُقِ الْمُرْدِيَّاتِ وَزَحْزَحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا فِسِيحَ
الْجَنَّاتِ يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لَا يُقَيِّدَ مَسْجُونٌ فَإِنَّهُ
يَمْنَعُهُ مِنَ الصَّلَاةِ وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ إِذَا دَعَيْتُكُمْ قُدِّرْتُكُمْ عَلَى النَّاسِ إِلَى ظُلْمِهِمْ
فَاذْكُرُوا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَنَفَادَ مَا تَأْتُونَ إِلَيْهِمْ وَيَقَاءَ مَا يَأْتِي إِلَيْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ
بَسْبَبِهِمْ وَكَانَتْ حُجْرَةُ إِزَارِهِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ غَائِبَةً فِي عُكْنِهِ مِنَ الْحَالِ فَلَمَّا تَوَلَّى
الْخِلَافَةَ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْحَالُ فَلَوْ شِئْتَ أَنْ تُعَدَّ أَضْلَاعُهُ مِنْ غَيْرِ مَسٍّ لَعَدَدَتْهَا .

وَكَانَتْ لَهُ غَلَّةٌ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ صَارَ يُنْفِقُهَا كُلَّ
حِينَ حَتَّى مَا بَقِيَ لَهُ غَيْرُ قَمِيصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْلَعُهُ حَتَّى يَتَسَخَّ فَإِذَا اتَّسَخَ غَسَلَهُ
وَمَكَثَ بِالْبَيْتِ حَتَّى يَجِفَّ ثُمَّ يَلْبَسُهُ .

وَلَمَّا وَلِيَ خَيْرَ جَوَارِيهِ وَقَالَ قَدْ نَزَلَ بِي أَمْرٌ قَدْ شَغَلَنِي عَنْكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ مِنَ الْحِسَابِ فَمَنْ أَحَبَّتْ مِنْكُمْ عِتْقَهَا
أَعْتَقْتُهَا وَمَنْ أَحَبَّتْ أَنْ أُمْسِكَهَا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ مِنِّي إِلَيْهَا شَيْءٌ فَبَكَيْنَ
وَارْتَفَعَ بُكَاءُهُنَّ إِيَّاساً مِنْهُ .

وَكَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِقَمِيصٍ مَرْقُوعٍ الْجَبِيبِ مِنْ قَدَامٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ .

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ فَلَوْ لَبِستَ
فَنَكَسَ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَفْضَلُ الْقَصْدِ عَنِ الْجِدَّةِ وَأَفْضَلُ الْعَفْوِ عَنِ
الْمَقْدِرَةِ .

وَذَكَرَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّ عُمَرَ مَا اغْتَسَلَ عَنْ حُلْمٍ
وَلَا جَنَابَةٍ مُنْذُ وَلِيَ الْخِلَافَةَ نَهَارُهُ فِي أَشْغَالِ النَّاسِ وَرَدَّ الْمَظَالِمِ إِلَى
أَهْلِهَا وَلَيْلُهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ .

وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعُوذُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيصٌ
وَسِخٌ فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ اغْسِلِي قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ
تَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ مَسْلَمَةُ ثُمَّ عُدْتُهِ فَإِذَا الْقَمِيصُ عَلَى حَالِهِ فَقُلْتُ يَا
فَاطِمَةُ أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَغْسِلِي قَمِيصَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ النَّاسَ يَعُودُونَهُ
فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا لَهُ قَمِيصٌ غَيْرُهُ وَكَأَنَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيراً مَا يَتَمَثَّلُ بِهِذِهِ
الْأُبْيَاتُ :

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ
وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدى لَكَ لَازِمٌ

يُسْرُكَ مَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى
كَمَا غُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
وَشُغْلِكَ فِيمَا سَوَفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ
كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
وَفِعْلَكَ فِعْلُ الْجَاهِلِينَ بِرَبِّهِمْ
وَعُمُرُكَ فِي النُّقْصَانِ بَلْ أَنْتَ ظَالِمُ
فَلَا أَنْتَ فِي الْيَقْظَانِ يَقْظَانُ حَازِمُ
وَلَا أَنْتَ فِي النَّوَامِ نَاجٍ وَسَالِمُ
فَلَا تُحْمَدِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ فَذُمَّهَا
وَلَا تَكْثِرِ الْعِصْيَانَ إِنَّكَ ظَالِمُ

وَكَانَ يَقُولُ أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ ، وَالْأُمَرَاءَ وَالسَّلَاطِينَ يَأْتُونَهُمْ فَيَقْفُونَ
عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ كَالْعَبِيدِ حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ رَأَيْنَا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ
وَالْعُبَادَ هُمْ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأُمَرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُمْ ارْزَدَوْهُمْ
وَاحْتَقَرَوْهُمْ .

وَقَالُوا لَوْلَا أَنَّ الَّذِي بِأَيْدِينَا خَيْرٌ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَعَنَا وَنُقِلَ
عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتْ الْأُمَرَاءُ تَحْتَاجُ
إِلَى الْعُلَمَاءِ وَكَانَتْ الْعُلَمَاءُ تَفِرُّ بِدِينِهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ
رُذَالَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا ذَلِكَ الْعِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الْأُمَرَاءَ فَاسْتَغْنَتْ بِهِ عَنِ الْعُلَمَاءِ
وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَسَقَطُوا وَانْتَكَسُوا ، وَلَوْ كَانَ عُلَمَاؤُنَا يَصُونُونَ
عِلْمَهُمْ لَمْ تَزَلِ الْأُمَرَاءُ تَهَابُهُمْ قُلْتُ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا
فَإِنْ قُلْتَ زُنْدَ الْعِلْمِ كِتَابٌ فَإِنَّمَا
كَتَبَى حَيْثُ لَمْ تُحْمَى جِمَاهُ وَأُظْلِمَا
آخر :

فَهَبُوا أَهْيَلِ الْعِلْمِ مِنْ رَقْدَةِ الْهَوَى
وَمِيلُوا إِلَى نَهْجِ الرَّشَادِ وَخَالِفُوا
هَوَى النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا
وَلِلْعَبْدِ فِيهَا إِنْ أَطَاعَ الْمَتَالِفُ
وَحُثُوا مَطَايَا الْعَزْمِ فِي طَلَبِ الْعُلَا
فَقَدْ مَاتَ أَهْلُوهُ الْكِرَامُ السُّوَالِفُ
وَنَحْنُ إِذَا مَاتُوا نَمُوتُ بِمَوْتِهِمْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَّا عَلَى النَّهْجِ عَارِفُ
فَأُحْيُوا مَوَاتَ الْعِلْمِ مِنْكُمْ بِعُظْفَةٍ
إِلَى الْعِلْمِ كَيْ تَحْيَا بِتِلْكَ الْوَضَائِفُ
فَلَا خَيْرَ يُرْجَى فِي الْحَيَاةِ عَلَى الْهَوَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَى الْعِلْمِ صَارِفُ
بِضَاعَتِنَا الْمُزْجَاءُ فِيهِ قَلِيلَةٌ
وَقَدْ كَانَ فِيْنَا جِسْمُهُ وَهُوَ نَاجِفُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يُطَوَّى سِجْلُهُ
وَتَذْهَبُ أَرْبَابُ لَهُ وَطَوَائِفُ

وَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ مَسْلَمَةً فِي مَرَضِهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ أَفْقَرْتَ أَفْوَاهَ وَلَدِكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَتَرَكْتَهُمْ عِيْلَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ فَلَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَى وَالٍ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَقَالَ عُمَرُ أَسْنِدُونِي .

ثُمَّ قَالَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي أَفْقَرْتُ أَفْوَاهَ وَلَدِي مِنْ هَذَا الْمَالِ فَوَاللَّهِ مَا مَنَعْتُهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ وَلَمْ أُعْطِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَأَمَّا قَوْلُكَ لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ فَإِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَلِيَّ فِيهِمْ ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ يَتَّقِي اللَّهَ فَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَإِمَّا رَجُلٌ مُكِبٌّ عَلَى الْمَعَاصِي فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَقْوِيهِ عَلَى الْمَعَاصِي .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ بِضِعَّةٍ عَشْرَ ذَكَرًا فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ بِنَفْسِي الْفَتِيَّةُ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ عِيْلَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ تَرَكْتُهُمْ بِخَيْرِ أَيْ بَنِي إِنْ أَبَاكُمْ قَدْ مَيَّزَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ أَنْ تَسْتَغْنُوا وَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَفْتَقِرُوا وَيَدْخُلَ أَبُوكُمْ الْجَنَّةَ فَكَانَ أَنْ تَفْتَقِرُوا وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ تَسْتَغْنُوا وَيَدْخُلَ النَّارَ قَوْمُوا عَصَمَكُمُ اللَّهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ أَجْلِسُونِي فَأَجْلَسُوهُ فَقَالَ أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَحَدَ النَّظَرَ فَقَالُوا إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظْرًا شَدِيدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنِّي لَأَرَى حَضْرَةَ مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ قُبِضَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَتَدْعُو لَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ	آخِرُ : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرْتِي فَقِيْدًا مِنَ الْوَرَى
يُبَادِرُ بِالتَّفْهِيمِ لِلْمُتَعَلِّمِ	فَلَا تَبْكِيْنَ إِلَّا عَلَى فَقْدِ عَالِمٍ
بِأَنْوَارِ حُكْمِ الشَّرْعِ لَا بِالتَّحْكُمِ	وَفَقْدِ إِمَامٍ عَالِمٍ قَامَ مُلْكُهُ

وَفَقْدِ شُجَاعٍ صَادِقٍ فِي جِهَادِهِ وَقَدْ كُسِرَتْ رَأْيَتُهُ فِي التَّقَدُّمِ
وَفَقْدِ كَرِيمٍ لَا يَمَلُّ مِنَ الْعَطَا لِيُطْفِئَ بُوْسَ الْفَقْرِ عَنْ كُلِّ مُعْدِمٍ
وَفَقْدِ تَقِيٍّ زَاهِدٍ مُتَوَرِّعٍ مُطِيعٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُعْظَمٍ
فَهُمْ خَمْسَةٌ يُبْكِي عَلَيْهِمْ وَغَيْرُهُمْ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعُمِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَضْلٌ)

وَرَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ قَالَ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِابْنِهِ عَبْدِ
الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ فِي الْمَوْتِ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي
أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ فَقَالَ لَهُ وَاللَّهِ يَا أَبْتَ لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ .

قِيلَ فَلَمَّا مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ عُمَرُ يَا بُنَيَّ لَقَدْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا
كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وَلَقَدْ كُنْتَ
أَفْضَلَ زِينَتِهَا وَإِنِّي لأرجو أَنْ تَكُونَ الْيَوْمَ مِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي
هِيَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَاللَّهِ مَا سَرَّيْنِي أَنْ دَعَوْتُكَ مِنْ جَانِبٍ فَاجَبْتَنِي .

وَلَمَّا دَفَنَهُ قَامَ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ مَا زِلْتُ مَسْرُورًا بِكَ مُنْذُ بُشِّرْتُ بِكَ
وَمَا كُنْتُ قَطُّ أَسْرَّ إِلَيَّ مِنْكَ الْيَوْمَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ
وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ .

وَلَمَّا قَامَ النَّاسُ لَهُ قَالَ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ إِنْ تَقُومُوا نَقَمَ وَإِنْ تَقْعُدُوا
نَقَعْدُ فَإِنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ وَسَنَ سُنَنًا مَنْ
أَخَذَ بِهَا لَحَقَ وَمَنْ تَرَكَهَا مُحِقَ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِخَمْسٍ يُوصِلُ إِلَيْنَا حَاجَةً مَنْ لَا تَصِلُ إِلَيْنَا حَاجَتُهُ وَيَدُلُّنَا مِنَ الْعَدْلِ إِلَى مَا لَا نَهْتَدِي إِلَيْهِ وَيَكُونُ عَوْنًا لَنَا عَلَى الْحَقِّ وَيُؤَدِّي الْأَمَانَةَ إِلَيْنَا وَإِلَى النَّاسِ وَلَا يَغْتَبِ عِنْدَنَا أَحَدًا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ فِي حَرْجٍ مِنْ صُحْبَتِنَا وَالْدُّخُولِ عَلَيْنَا .

وَسُئِلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَوْجَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عِبَادَةِ عُمَرَ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا أَكْثَرَ صِيَامًا وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحُوفَ لِلَّهِ مِنْهُ لَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي فِرَاشِهِ فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَ الْعُصْفُورِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ حَتَّى نَقُولَ لِيُصْبِحَنَّ النَّاسُ وَلَا خَلِيفَةَ لَهُمْ .
قَالَ وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ يَوْمٍ بِفَاطِمَةَ زَوْجَتِهِ فَضَرَبَ عَلَى كَتِفِهَا وَقَالَ يَا فَاطِمَةُ لَنَحْنُ لِيَالِي دَائِبٍ أَنْعَمُ مِنَّا الْيَوْمَ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ عَلَى ذَلِكَ أَقْدَرَ مِنْكَ الْيَوْمَ فَأَذْبَرَ عَنْهَا وَلَهُ حَيْنٌ وَهُوَ يَقُولُ يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَخَافُ النَّارَ يَا فَاطِمَةُ ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قَالَ وَكَانَ عُمَرُ يُصَلِّي الْعَتَمَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَى بَنَاتِهِ فَيَسَلُّمُ عَلَيْهِنَّ فَدَخَلَ عَلَيْهِنَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَمَّا أَحْسَسْنَهُ وَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ ثُمَّ تَبَادَرْنَ الْبَابَ فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ مَا شَأْنُهُنَّ قَالَتْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَبَصَلٌ فَكَرِهْنَ أَنْ تَشُمَّ ذَلِكَ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ يَا بَنَاتِي مَا يَنْفَعُكُنَّ أَنْ تَعَشِينَ الْأَلْوَانَ وَيُؤْمَرُ بِأُبْيُكُنَّ إِلَى النَّارِ قَالَ فَبَكَيْنَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ثُمَّ أَنْصَرَفَ .

وَجَاءَتْ عَمَّةٌ لَهُ إِلَى فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ فَقَالَتْ إِنِّي أُرِيدُ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ لَهَا اجْلِسِي حَتَّى يَفْرُغَ فَجَلَسَتْ فَذَا بِغُلَامٍ قَدْ أَتَى فَأَخَذَ

سِرَاجاً . فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ إِنَّ كُنْتُ تُرِيدِينَهُ فَلَا أَنْ فَانَّهُ إِذَا كَانَ فِي حَوَائِجِ
الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ وَإِذَا صَارَ إِلَى حَاجَةٍ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

فَقَامَتْ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْرَاصُ وَشَيْءٌ مِنْ مِلْحٍ وَزَيْتٍ
وَهُوَ يَتَعَشَّى فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَيْتَ لِحَاجَةٍ لِي ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أَبْدَأَ بِكَ
قَبْلَ حَاجَتِي قَالَ ، وَمَا ذَاكَ يَا عَمَّةُ قَالَتْ لَوْ أَتَّخَذْتَ لَكَ طَعَاماً أَلَيْنَ مِنْ
هَذَا قَالَ لَيْسَ عِنْدِي يَا عَمَّةُ وَلَوْ كَانَ عِنْدِي لَفَعَلْتُ .

قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ عَمَّكَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْرِي عَلَيَّ كَذَا
وَكَذَا ثُمَّ كَانَ أَخُوكَ الْوَلِيدُ فَرَادَنِي ثُمَّ كَانَ أَخُوكَ سُلَيْمَانُ فَرَادَنِي ثُمَّ وَلَيْتَ
أَنْتَ فَقَطَعْتَهُ عَنِّي قَالَ يَا عَمَّةُ إِنَّ عَمِّي عَبْدَ الْمَلِكِ وَأَخِي الْوَلِيدُ وَأَخِي
سُلَيْمَانُ كَانُوا يُعْطُونَكَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ أَمَرَ لِعَنْبَسَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْعَاصِ
مِنَ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ بِعِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ فَدَارَتْ الْمُعَامَلَةُ فِي الدَّوَاوِينِ حَتَّى
انْتَهَتْ إِلَى دِيْوَانِ الْخَتْمِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَبْضُهَا فَتُوفِيَ سُلَيْمَانُ قَبْلَ أَنْ
يَقْبِضَهَا .

وَكَانَ عَنْبَسَةُ صَدِيقاً لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَغَدَا يَطْلُبُ مِنْ عُمَرَ مَا أَمَرَ
لَهُ بِهِ سُلَيْمَانُ فَوَجَدَ بِنِي أُمِّيَّةَ حُضُوراً بِبَابِ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُرِيدُونَ
الْإِذْنَ عَلَيْهِ لِيُكَلِّمُوهُ فِي أُمُورِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا صَدِيقَ عُمَرَ عَنْبَسَةَ قَالُوا نَنْتَظِرُ
مَاذَا يَعْمَلُ مَعَهُ قَبْلَ أَنْ نُكَلِّمَهُ .

فَدَخَلَ عَنْبَسَةُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
سُلَيْمَانُ كَانَ قَدْ أَمَرَ لِي بِعِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى دِيْوَانِ الْخَتْمِ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أَقْبِضَهَا فَتُوفِيَ قَبْلَ أَنْ أَقْبِضَهَا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى

بِاسْتِثْمَامِ الصَّنِيعَةِ عِنْدِي وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ كَمْ ذَلِكَ قَالَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ عُمَرُ عَشْرُونَ أَلْفَ
دِينَارٍ تُغْنِي أَرْبَعَةَ آلَافٍ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَدْفَعُهَا إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ وَاللَّهِ
مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ .

قَالَ عُنْبَسَةُ فَرَمِيتُ بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ الصَّكُّ فَقَالَ عُمَرُ لَا عَلَيْكَ أَنْ
يَكُونَ مَعَكَ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَجْرًا عَلَى هَذَا الْمَالِ مِنِّي فَيَأْمُرُ لَكَ بِهِ
فَأَخَذَتْهُ وَخَرَجَتْ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَأَعْلَمَتْهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا لَيْسَ بَعْدَ
هَذَا شَيْءٍ أَرْجِعْ إِلَيْهِ فَاسْأَلْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَنَا فِي الْبُلْدَانِ .

فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قَوْمَكَ بِالْبَابِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ
تُجْرِيَ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكَ . فَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا هَذَا
الْمَالُ لِي وَمَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ .

قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَسْأَلُونَكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ يَضْرِبُوا فِي الْبُلْدَانِ
قَالَ مَا شَأْنُ ذَلِكَ لَهُمْ وَقَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ قُلْتُ وَأَنَا أَيْضًا قَالَ وَأَنْتَ أَيْضًا قَدْ
أَذِنْتَ لَكَ وَلَكِنِّي أَرَى لَكَ أَنْ تُقِيمَ فَإِنَّكَ رَجُلٌ كَثِيرُ النَّقْدِ وَأَنَا أبيعُ تَرْكَةَ
سُلَيْمَانَ فَلَعَلَّكَ تَشْتَرِي مِنْهَا مَا يَكُونُ لَكَ فِي رِبْحِهِ عَوَضٌ مِمَّا فَاتَكَ .

قَالَ فَأَقَمْتُ فَاشْتَرَيْتُ مِنْ تَرْكَةِ سُلَيْمَانَ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى
الْعِرَاقِ فَبِعْتُهَا بِمِائَتِي أَلْفٍ دِينَارٍ وَحَبَسْتُ الصَّكَّ فَلَمَّا تُوُفِيَ عُمَرُ وَوَلِيَ يَزِيدُ
بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَتَيْتُهُ بِكِتَابِ سُلَيْمَانَ فَأَنْفَذَ لِي مَا كَانَ فِيهِ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَنْظُرُ لَيْلًا فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ فِي ضَوْءِ
السَّرَاجِ فَجَاءَ غُلَامٌ لَهُ فَحَدَّثَهُ فِي شَأْنٍ خَاصٍّ بِعُمَرَ فَقَالَ عُمَرُ لِلْغُلَامِ

أُطْفِئْ سِرَاجَ بَيْتِ الْمَالِ ثُمَّ حَدِّثْنِي لِأَنَّ الدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَعَنْ الْفِهْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقْسِمُ تَفَّاحَ الْفَيْءِ
فَتَنَاوَلَ ابْنُهُ تَفَّاحَةً فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ عُمَرُ وَأَوْجَعَ فَمَهُ فَسَعَى إِلَى أُمِّهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى
السُّوقِ وَاشْتَرَتْ لَهُ تَفَّاحًا .

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ وَجَدَ رِيحَ التَّفَّاحِ فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ فَاطِمَةُ هَلْ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ
مِنْ هَذَا الْفَيْءِ قَالَتْ لَا وَقَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ انْتَزَعْتُهَا مِنْ ابْنِي
وَكَأَنَّمَا انْتَزَعْتُهَا مِنْ قَلْبِي وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُضِيعَ نَفْسِي بِتَفَّاحَةٍ مِنْ فَيْءِ
الْمُسْلِمِينَ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَحْطٌ عَظِيمٌ فَوَفَدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ
مِنَ الْعَرَبِ فَاخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا لِحِطَابِهِ .

فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَتَيْنَاكَ مِنْ ضَرُورَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَدْ
يَبَسَتْ جُلُودُنَا عَلَى أَجْسَادِنَا لِفَقْدِ الطَّعَامِ وَرَاحَتُنَا فِي بَيْتِ الْمَالِ .
وَهَذَا الْمَالُ لَا يَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ . إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ . أَوْ لِعِبَادِ اللَّهِ .
أَوْ لَكَ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ لِعِبَادِ اللَّهِ فَأَتِيهِمْ إِيَّاهُ .
وَإِنْ كَانَ لَكَ فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَيْنَا : إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

فَتَغَرَّغَرْتُ عَيْنَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْدُمُوعِ وَقَالَ هُوَ كَمَا ذَكَرْتَ وَأَمَرَ
بَحَوَائِجِهِمْ فَقُضِيَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

فَهُمُ الْأَعْرَابِيُّ بِالْخُرُوجِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْحُرُّ كَمَا
أَوْصَلْتَ إِلَيَّ حَوَائِجَ عِبَادِ اللَّهِ وَأَسْمَعْتَنِي كَلَامَهُمْ فَأَوْصِلْ كَلَامِي وَارْفَعْ حَاجَتِي
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

فَحَوَّلَ الْأَعْرَابِيُّ وَجْهَهُ قِبَلَ السَّمَاءِ . وَقَالَ إِلَهِي اصْنَعْ مَعَ عُمَرَ بْنِ

عبد العزيز كَصْنِيعِهِ فِي عِبَادِكَ فَمَا أَسْتَتِمُّ الْأَعْرَابِي كَلَامَهُ حَتَّى ارْتَفَعَ غَيْمٌ فَأَمْطَرَ
مَطَرًا غَزِيرًا .

وكان لعمر بن عبد العزيز غلامٌ وكان خازناً لبيت المال وكان لعمر
بناتٌ فَجِئَتْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ وَقُلْنَ لَهُ غداً العِيدُ ونساءُ الرِّعِيَةِ وبناتُهُمْ يَلْمُنُنَا وَيَقُلْنَ
أَنْتُنَّ بناتُ أميرِ المؤمنين .

ونراكنَّ عَرِيَّاتٍ لَا أَقْلَ مِنْ ثِيَابٍ تَلْبَسُهَا وَبَكِينَ عِنْدَهُ فَضَاقَ صَدْرُ
عُمَرَ فَدَعَا غُلامَهُ الْخَازِنَ وَقَالَ لَهُ أَعْطِنِي مُشَاهِرَتِي لِشَهْرٍ وَاحِدٍ .
وقال الخازنُ يا أميرَ المؤمنين تَأْخُذُ الْمُشَاهِرَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ سَلَفًا أَتَظُنُّ
أَنْ لَكَ عُمَرَ شَهْرٍ فَتَأْخُذُ مُشَاهِرَةَ شَهْرٍ فَتَحِيرَ عُمَرُ .

وقال نِعَمَ مَا قُلْتَ أَيُّهَا الْغَلَامُ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى بَنَاتِهِ وَقَالَ
أَكْظَمْنَ شَهَوَاتِكُنَّ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ .

سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا كَانَ سَبَبَ تَوْبَتِكَ قَالَ كُنْتُ أَضْرِبُ يَوْمًا
غُلامًا فَقَالَ لِي اذْكُرْ اللَّيْلَةَ الَّتِي تَكُونُ صَبِيحَتُهَا الْقِيَامَةُ فَعَمِلَ ذَلِكَ الْكَلَامُ فِي
قَلْبِي .

رَأَى بَعْضُ الْأَكْبَرِ هَارُونَ الرَّشِيدَ فِي عُرْفَاتٍ وَهُوَ حَافٍ حَاسِرٌ قَائِمٌ عَلَى
الرَّمْضَاءِ الْحَارَةِ .

وَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ إِلَهِي أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا الَّذِي دَأْبِي كُلَّ يَوْمٍ أَعُودُ
إِلَى عِصْيَانِكَ وَدَأْبُكَ أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ بِرَحْمَتِكَ .

فَقَالَ بَعْضُ الْكُبراءِ : انْظُرُوا إِلَى تَضَرُّعِ جَبَّارِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ
جَبَّارِ السَّمَاءِ .

سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا أَبَا حَازِمٍ الْمَوْعِظَةَ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ إِذَا
نَمْتَ فَضَعْ الْمَوْتَ تَحْتَ رَأْسِكَ .

وَكُلُّ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ مُصِرٌّ فَالْزِمَهُ وَكُلُّ مَا لَا تُرِيدُ

أَنْ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ فَاجْتَنِبْهُ قُرْبًا كَانَ الْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبًا .
فَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْوَلَايَةِ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ نَصَبَ عَيْنَيْهِ وَأَنْ يَقْبَلَ
الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعِظَ بِهَا غَيْرُهُ .

فَكُلَّمَا رَأَى عَالِمًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ لَيْسَ مِنْ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا زَاهِدًا فِيهَا عَلَى
طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ .

وَيَنْبَغِي لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَعِظُوا الْمُلُوكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ ، وَلَا يَغْرَوْهُمْ وَلَا
يَدْخَرُوا عَنْهُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَكُلُّ مَنْ غَرَّهُمْ فَهُوَ مُشَارِكٌ لَهُمْ .

وعن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد قال أرسل إليَّ الرشيد
ذات ليلة فحضرتُ إليه فلما دخلتُ عليه وجَدْتُ بين يديه ضبارة سيوف
وأنوع من آلات العذاب .

فقال يا فضل فَقُلْتُ لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فقال عَلَيَّ بِهَذَا الْحِجَازِيِّ يَعْنِي
الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُغْضَبٌ السَّاعَةَ السَّاعَةَ .

فخرجتُ وبِي مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ مَا لَا يُوصَفُ لِحَبَّتِي لِلشَّافِعِي لِفَصَاحَتِهِ
وَبِرَاعَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ وَعَقْلِهِ فَجِئْتُ إِلَى بَابِهِ .

فَأَمَرْتُ مَنْ دَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ فَتَنَحَّحَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُصَلِّي فَوَقَفْتُ حَتَّى
فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَفَتَحَ الْبَابَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ .

وَقُلْتُ لَهُ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً وَجَدَّدَ الْوُضُوءَ وَارْتَدَى
وَرُكْعَ رُكْعَتَيْنِ وَخَرَجَ يَمْشِي فَمِنْ شَفَقَتِي عَلَيْهِ قُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قِفْ لِي تَسْتَرِيحَ
بَيْنَنَا أَسْتَأْذِنُ .

فَدَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ فِي غَضَبِهِ فَلَمَّا رَأَى قَالَ أَيْنَ
الْحِجَازِيِّ .

قُلْتُ عِنْدَ السِّتْرِ فَقَالَ مَرَّةً بِالدُّخُولِ فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَأَمَرْتُهُ بِالدُّخُولِ .

فَدَخَلَ يَمْشِي مُطْمَئِنًّا غَيْرَ فَزَعٍ وَلَا خَائِفٍ وَلَا قَلِقٍ وَلَا مُنْزَعِجٍ ثُمَّ بَدَأَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ وَوَجْهَهُ مُسْتَنِيرٌ .

فَلَمَّا دَخَلَ وَبَصُرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَامَ إِلَيْهِ قَائِمًا وَاسْتَقْبَلَهُ وَاعْتَنَقَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَهَشَّ بِهِ وَبَشَّ .

وَقَالَ مَرْحَبًا بِابِي عَبْدِ اللَّهِ لِمَ لَا تَزُورُنَا وَتَكُونُ عِنْدَنَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مُشْتَاقٌ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ وَقَعَدَ إِلَى جَانِبِهِ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً .

ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِبَذَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لَا أَرَبَ لِي فِيهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يُقَبِّلَهُ فَقَبَّلَهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ « يَعْنِي مَا هَمُّهُ » .

ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُرْدَهُ إِلَى دَارِهِ وَأَنْ تُحْمَلَ الْبَذَرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا خَرَجْنَا جَعَلَ يُعْطِي كُلَّ مَنْ رَأَاهُ وَكُلَّ مَنْ سَأَلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَا مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ .

فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَاطْمَأَنَّ بِهِ الْجُلُوسُ قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَحَبَّتِي لَكَ وَشَقِيقَتِي عَلَيْكَ وَإِنِّي شَاهَدْتُ غَضَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ابْتِدَاءِ طَلَبِهِ إِيَّاكَ .

ثُمَّ لَمَّا دَخَلْتَ عَلَيْهِ رَأَيْتُ مِنْهُ مِنَ التَّوَضُّعِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ لَكَ مَا سَرَّنِي وَكُنْتُ رَأَيْتُكَ حَرَكْتَ شَفَتَيْكَ عِنْدَ دُخُولِكَ عَلَيْهِ .

فَبِالَّذِي سَكَّنَ غَضَبَهُ عَلَيْكَ وَسَخَّرَهُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنِي مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي دُخُولِكَ مَعِيَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَهُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَنَصَرَهُمْ عَلَى عَدُوهِمْ .

وَهُوَ هَذَا « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » ثُمَّ قَالَ وَأَنَا

أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ بِهِ اللَّهُ وَأُسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ وَدِيْعَةٌ لِي
عِنْدَ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ وَعَظِيمِ بَرَكَتِكَ وَعَظَمَةِ طَهَارَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ
جَلَالَتِكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَاقَةٍ .

وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا
رَحْمَنُ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي فَبِكَ اسْتَعِيْثْ وَأَنْتَ مَلَاذِي فَبِكَ أَلُوذْ وَأَنْتَ عِيَاذِي
فَبِكَ أَعُوذُ يَا مَنْ ذَلَّلْتَ لَهُ رِقَابَ الْجَبَابِرَةِ وَخَضَعْتَ لَهُ أَعْنَاقَ الْفَرَاغَةِ .

أَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِكَ وَمِنْ كَشْفِ سِتْرِكَ وَمِنْ نِسْيَانِ ذِكْرِكَ وَالْإِنْصِرَافِ
عَنْ شُكْرِكَ .

أَنَا فِي حِرْزِكَ وَتَحْتَ كَنْفِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي وَنَوْمِي وَقَرَارِي وَظُعْنِي
وَأَسْفَارِي وَحَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي وَجَمِيعِ سَاعَاتِي وَأَوْقَاتِي .

ذِكْرُكَ شِعَارِي وَثَنَاؤُكَ دِثَارِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ وَلَا
مَعْبُودَ سِوَاكَ .

سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ تَشْرِيفًا لِعَظَمَتِكَ وَتَكْرِيمًا لِسُبْحَاتِ وَجْهِكَ وَإِقْرَارًا
بِصَمْدَانِيَّتِكَ .

وَاغْتِرَافًا بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَتَنْزِيْهًا لَكَ عَمَّا يَقُولُ الْكَافِرُونَ وَالظَّالِمُونَ
وَالجَّاحِدُونَ تَعَالَيْتَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

اللَّهُمَّ أَجْرَنِي مِنْ خِزْيِكَ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِكَ وَاضْرِبْ عَلَيَّ سَرَادِقَاتِ
حِفْظِكَ وَأَدْخِلْنِي فِي حِفْظِكَ وَعِنَايَتِكَ وَجُدْ عَلَيَّ مِنْكَ بِخَيْرٍ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

إِلَهِي كَيْفَ أَخَافُ وَأَنْتَ أَمَلِي أَمْ كَيْفَ أَضَامُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلِي أَمْ كَيْفَ أَقْهَرُ
وَأَنْتَ عِمَادِي أَمْ كَيْفَ أَغْلِبُ وَعَلَيْكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ اعْتِمَادِي ضَرَبْتُ وَجْهَ كُلِّ

حَاسِدٍ حَسَدٍ وَرَاصِدٍ رَصَدٍ وَظَالِمٍ كَنَدٍ ، ب ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود مرفوعا : ما أصاب عبد هم ولا غم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فيَّ قِضَاؤُكَ .
أسألك بكل اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك .
أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي .
إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً .

وَمِنْ أَدْعِيَةِ الْمُضْطَرِّينَ يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيُّ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ لَمَّا تُرِيدُ أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مُغِيثُ اغْنِنِي . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكا ليوليهم القضاء .
فقال أبو حنيفة أنا أتحامق فأقال وأتخلص .
وأما مسعر فيتجان (أي يظهر كأنه مجنون) ويتخلص .
وأما سفيان فيهرب .
وأما شريك فيقع فلما دخلوا على المنصور قال أبو حنيفة أنا رجل مؤلى ولست من العرب .

ولا تكادُ العربُ تَرْضَى بأن يكونَ عليهم مَوْلَى وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِ لَا أَصْلَحُ
لهذا الأمرُ فَإِن كُنْتُ صَادِقًا فِي قَوْلِي فَلَا أَصْلَحُ لِلْقَضَاءِ .
وَإِن كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَوَلِّيَ كَاذِبًا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ
وَفُرُوضَهُمْ .

وَأَمَّا سُفْيَانُ فَأَدْرَكَهُ الْمُشِخْصُ فِي طَرِيقٍ فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَأَنْصَرَفَ
الْمُشِخْصُ يَتَنَظَّرُ فَرَاعَهُ .
فَرَأَى سُفْيَانُ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ قَائِدِ السَفِينَةِ إِن مَكَّنْتَنِي مِنْ سَفِينَتِكَ
وَلَا ذُبَحْتُ بَغِيرَ سِكِّينٍ .
تَأَوَّلَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بَغِيرَ سِكِّينٍ فَأَخْفَاهُ الْمَلَّاحُ
تَحْتَ السَّارِيَةِ .

وَأَمَّا مِسْعَرُ بْنُ كُذَّامٍ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ هَاتِ يَدَكَ كَيْفَ أَنْتَ
وَالذُّوَابُ وَالْأَوْلَادُ فَقَالَ أَخْرِجُوهُ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ .

وَأَمَّا شَرِيكَ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ تَقَلَّدَ فَقَالَ لَهُ أَنَا رَجُلٌ خَفِيفُ الدِّمَاغِ فَقَالَ
تَقَلَّدَ وَعَلَيْكَ بِالنَّبِيذِ الشَّدِيدِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكَ عَقْلُكَ فَتَقَلَّدَ .
فَهَجَرَهُ الثَّوْرِيُّ وَقَالَ لَهُ أَمَكَّنَكَ الْهَرَبُ فَلَمْ تَهَرُبْ .

وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ فِي قَضَاءِ مِصْرَ فَتَجَنَّنَ نَفْسَهُ وَلِزِمَ
بَيْتَهُ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فِي صَحْنٍ دَارِهِ .

فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَلَا تَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ فَتَقْضِي بَيْنَهُمْ بَكْتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ
ﷺ فَقَدْ جَنَنْتَ نَفْسَكَ وَلَزِمْتَ بَيْتِكَ .

فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ إِلَى هَاهُنَا عَقْلُكَ « إِنَّ الْعُلَمَاءَ يُحْشَرُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ
وَإِن الْقَضَاءَ يُحْشَرُونَ مَعَ السُّلَاطِينِ أَهـ .

بَلِّغْ يَا أَخِي الَّذِينَ يُرْشَحُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْقَضَاءِ وَيُعْمَلُونَ الْوَسَائِطَ
لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ وَهُمْ غَيْرُ أَهْلِ لَهُ لَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِمُ الشُّرُوطُ وَلَا يُحْسِنُونَ .

ودعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازي وأبا الصلت
عبد السلام فقال لمحمد بن مقاتل ما تقول في القرآن .

قال أقول التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان ، فإن هذه
الأربعة وأشار إلى أصابعه الأربعة مخلوقة .

فظنوا أنه يريد الكتب المنزلة وهو يريد أصابع يده الأربعة فنجا .

فقال للآخر وهو أبو الصلت ما تقول فقال تعزيا أمير المؤمنين .

قال عن من ويترك قال عن القرآن فإنه مات . قال فكيف قال إن كان
مخلوقا فإنه يموت .

وأدخل عبادة على الواثق والناس يضربون ويقتلون في الامتحان
بالقرآن قال عبادة فقلت في نفسي والله لئن امتحنني قتلتني فبدأت به فقلت
عظم الله أجرك أيها الخليفة قال فيمن فقلت في القرآن قال ويحك والقرآن
يموت قلت كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن في شعبان فبأي شيء يصلى
الناس في رمضان فقال الواثق أخرجوه فإنه مجنون .

فائدة نفيسة قال أحد العلماء رحمه الله تعالى أعلم أن الدنيا رأس كل
خطيئة كما قال ﷺ وقد صارت عدوة لله وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه ، أما
عداوتها لله تعالى فلأنها قطعت الطريق بينه وبين أوليائه .

ولهذا فإنه لم ينظر إليها منذ خلقها ، وأما عداوتها لأوليائه فلأنها تزيت
لهم بزيتها وغمرتهم بزهرتها وتزهت لهم بنضارتها حتى تجرعو مرارات الصبر
في مقاطعتها وتحملوا المشاق في البعد منها .

وأما عداوتها لأعدائه فلأنها استدرجتهم بمكرها ومكايدها
واقتنصتهم بحبائليها وأقصدتهم بسهامها حتى وثقوا بها وعولوا عليها .

فَخَذَلْتَهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا وَغَدَرَتْ بِهِمْ أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَاجْتَنَوْا
مِنْهَا حَسْرَةً تَنْقَطِعُ دُونَهَا الْأَكْبَادُ . وَحَرَمَتْهُمْ السَّعَادَةَ الْآخِرِيَّةَ عَلَى طُولِ
الْأَمَادِ فَانْتَبِهْ يَا مَنْ اغْتَرَبَهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكَ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْمَغْتَرِبِينَ بِهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ إِذَا كَانَ أَبُونَا آدَمَ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ أَسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ نَرْجُوا
دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَتَابِعَةِ وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ .

كَانَ أَبُو الْفَتْحِ الْمُنْهَى قَدْ بَرَعَ فِي الْفَقْهِ وَتَقَدَّمَ عِنْدَ الْعَوَامِ وَحَصَلَ لَهُ مَالٌ
كَثِيرٌ وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَفُوضَ إِلَيْهِ التَّدْرِيسَ بِالنِّظَامِيَّةِ وَأَذْرَكَهُ الْمَوْتُ بِهِمَدَانِ .

فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتُهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَخْرُجُوا فَلَمَّا خَرَجُوا عَنْهُ جَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ
وَيَقُولُ « يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ » وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ مُوبِّخًا لَهَا يَا أَبَا
الْفَتْحِ ضَيَّعْتَ الْعُمُرَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَتَحْصِيلِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالتَّردُّدِ إِلَى السُّلَاطِينِ
وَيُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ تَغَافَلُوا يَجْرُونَ ثَوْبَ الْحَرِصِ حَوْلَ الْمَالِكِ
يَدُورُونَ حَوْلَ الظَّالِمِينَ كَأَنَّهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَقْتَ الْمُنَاسِكِ

أَرْسَلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ عَبْدٍ لَهُ كَيْسًا مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى
أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لِعَبْدِهِ إِنَّ قَبْلَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ فَأَنْتَ حُرٌّ أَيْ عَتِيقٌ فَأَتَى
بِالْكَيْسِ إِلَى أَبِي ذَرٍّ وَأَلْحَ عَلَيْهِ فِي قَبُولِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ فَقَالَ الْغُلَامُ لِأَبِي ذَرٍّ إِنَّهُ عَلَّقَ
عَتِيقِي عَلَى قَبُولِكَ هَذَا الْكَيْسَ فَقَالُوا أَبُو ذَرٍّ لَكِنَّ فِي قَبُولِهِ رِقِّي .

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الشِّيبَانِيَّةُ عَدَلْنَا فِيهَا بَعْضَ أَبْيَاتِ وَكَانَ بَعْضُهَا فِي شَيْءٍ

لَا يَصْلَحُ .

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُّدًا وَانْظِمُ عِقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَاءِ وَتَفَرَّدَا

هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدَى بِغَيْرِ بَدَايَةٍ
 سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ
 مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لِقَوَّتِهَا
 إِلَهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى
 إِذِ الْكَوْنُ مُخْلَقٌ وَرَبِّي خَالِقُ
 وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
 وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعَيْنِهِ
 وَخَالَفَ كُتِبَ اللَّهُ وَالرُّسُلَ كُلَّهُمْ
 وَذَلِكَ يَمُنُّ قَالَ فِيهِ إِنْهَا
 وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ
 وَنَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلَ رَبِّنَا
 وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا إِلَيْهِ وَأَنَّهُ
 كَلَامٌ كَرِيمٌ مُنْزَلٌ مِنْ إِنْهَا
 كَلَامُ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ
 وَمِنْهُ بَدَا قَوْلًا وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
 فَمَنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ
 وَمَنْ قَالَ مُخْلَقٌ كَلَامُ إِنْهَا
 وَنُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ
 وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ
 فَلَا مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ نَرْضَاهُ مَذْهَبًا
 وَلَكِنْ بِالْقُرْآنِ نَهْدَى وَنَهْتَدِي
 وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ
 فَمَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ كَانَ كَمَا يَشَاءُ

(ولا بعده شيءٌ علا وتوحدًا)
 قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
 قَدِيرٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
 وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
 لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدًا
 شَبِيهَ تَعَالَى رَبَّنَا وَتَوَحَّدَا
 فَذَلِكَ زَنْدِيقُ طَغَى وَتَمَرَّدَا
 وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا
 يُرَى وَجْهُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْوَدًا
 كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدًا
 بِهِ جَاءَ جَبْرِيلُ النَّبِيِّ (مُحَمَّدًا)
 هَدَى اللَّهُ يَا طُوبَى بِهِ لِمَنْ اهْتَدَى
 بِأَمْرِ وَنَهْيٍ وَالدَّلِيلُ تَأَكُّدًا
 فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
 يَعُودُ إِلَى الرَّحْمَنِ حَقًّا كَمَا بَدَا
 وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدَا
 فَقَدْ خَالَفَ الْأَجْمَاعَ جَهْلًا وَالْحَدَا
 وَبِالرُّسُلِ حَقًّا لَا نُفَرِّقُ كَالْعِدَا
 وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى
 وَلَا مَقْصِدَ التَّعْطِيلِ نَرْضَاهُ مَقْصِدًا
 وَقَدْ فَازَ بِالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدْ اهْتَدَى
 مِنَ اللَّهِ تَقْدِيرًا عَلَى الْعَبْدِ عُذْدَا
 وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا كَانَ فِي الْخَلْقِ مُوْجَدَا

وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ
وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَأَنَّ
وَمُنْكَرَهُ ثُمَّ النِّكِيرُ بِصُحْبَةٍ
وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةٌ
وَأَنَّ حِسَابَ الْخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ
وَحَوْضُ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا أَعَدَّهُ
وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَكُلُّ مَنْ
أَبَارِيقُهُ عَدُّ النُّجُومِ وَعَرْضُهُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى
وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ رَحْمَةً
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى الْعَرْشِ رَفْعَةً
وَخَصَّصَ مُوسَى رَبَّنَا بِكَلَامِهِ
وَكَلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ
وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ مَا
فَمَنْ شَكَّ فِيهَا لَمْ يَنْلَهَا وَمَنْ يَكُنْ
وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفَى كُلُّ مُرْسَلٍ
وَكَلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ
وَيَغْفِرُ دُونَ الشَّرِكِ رَبِّي لِمَنْ يَشَاءُ
وَلَمْ يَبْقَ فِي نَارِ الْجَحِيمِ مُوَحِّدٌ
وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَهُ
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ
وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ)
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ قَوْلِهِ

سَنُبْعَثُ حَقًّا بَعْدَ مَوْتِنَا غَدًا
عَلَى الْجَسْمِ وَالرُّوحِ الَّذِي فِيهِ الْحَيَاةُ
هُمَا يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي الْقَبْرِ مُقْعَدًا
وَجَنَّتَهُ وَالنَّارَ لَمْ يُخْلَقَا سُدَى
كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا
لَهُ اللَّهُ دُونَ الرُّسُلِ مَاءً مُبَرَّدًا
سُقِيَ مِنْهُ كَأْسًا لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدًا
كَبُصْرَى وَصَنَعًا فِي الْمَسَافَةِ حُدَّدَا
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ أَوْ غَدَا
إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُرْشِدَا
وَأَذْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُصْعِدَا
عَلَى الطُّورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ الْبِدَا
وَخَصَّصَ بِالْقُرْآنِ رَبِّي مُحَمَّدًا
رُوي فِي الصَّحِيحَيْنِ الْحَدِيثُ وَأُسْنَدًا
شَفِيعًا لَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا وَأُسْعِدَا
لِمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ مُوَحِّدَا
وَكَلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا
وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا لَهُ كَافِرٌ فِدَا
وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الْحَرَامَ تَعَمُّدًا
بِأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ فَضْلًا وَأَيْدَا
بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنْ اقْتَدَى
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الْفَضْلِ وَالنَّدَى
وَأَمِنْ قَبْلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحَّدَا

وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ
وَمِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ
لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عُنُوةً
وَأَظْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِماً
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسَرِ يَوْماً بِمَالِهِ
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ
وَلَا تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَأَبْنَ عَمِّهِ
وَفَادَى رَسُولَ اللَّهِ طَوْعاً بِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَا
وَطَلَحَتْهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ
وَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بَاذِلَ الْمَالِ مُنْفِقاً
وَلَا تَنْسَ بَاقِيَ صَحْبِهِ وَاهْلَ بَيْتِهِ
فَكُلُّهُمْ أَتْنَى إِلَهِ عَلَيْهِمْ
فَلَا تَكُ عَبْدًا رَافِضِيًّا فَتَعْتَدِي
وَنَسُكْتَ عَنْ حَرْبِ الصَّحَابَةِ فَالَّذِي
وَقَدْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ
فَهَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ إِمَامِنَا
فَمَنْ يَعْتَقِدُهُ كُلُّهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَوَاسَاهُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرِّدَا
لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا مُشِيدَا
كَثِيرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْدَا
وَأَطْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخْمَدَا
وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْرًا تَهْجُدَا
وَوَسَّعَ لِلْمُخْتَارِ وَالصَّحْبِ مَسْجِدَا
مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقًّا وَأَشْهَدَا
فَقَدْ كَانَ حَبْرًا لِلْعُلُومِ وَسَيِّدَا
عَشِيَّةً لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا
عَلَى لَهُ بِالْحَقِّ مَوْلَى وَمُنْجِدَا
كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أُسْعِدَا
وَكَانَ ابْنُ جِرَّاحٍ أَمِينًا مُؤَيَّدَا
وَأَنْصَارُهُ وَالتَّابِعِينَ عَلَى الْهُدَى
وَأَتْنَى رَسُولُ اللَّهِ أَيْضًا وَاكَّدَا
فَوَيْلٌ وَوَيْلٌ فِي الْوَرَى لِمَنْ اعْتَدَى
جَرَى بَيْنَهُمْ كَانَ اجْتِهَادًا مُجَرَّدَا
وَقَاتِلَهُمْ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ خُلَّدَا
وَمَالِكُ وَالنُّعْمَانُ أَيْضًا وَأَخْمَدَا
وَمَنْ زَاغَ عَنْهُ قَدْ طَغَى وَمَرَّدَا
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة

تَوَجَّهَ عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْدِي الْقَاضِي إِلَى الْمَهْدِيِّ يَوْمًا فِي وَقْتِ الظُّهْرِ
لِمُقَابَلَتِهِ عَلَى عَجَل .

فلما أذن له إذا به يحمل أوراقه بين يديه ويسأل المهدي أن يُعفيه من
القضاء ويستأذنه في تسليم الأوراق التي في حوزته إلى من يأمر الخليفة
بتسليمها له .

وظنَّ الخليفة أن القاضي عافية قد أقدم على طلب الاستعفاء من
القضاء لأن أحد رجال حاشيته ومن هم محسوبون على الخليفة قد تطاول عليه
أو نال منه أو أساء معاملته أو أبدى عدم إحترام له أو تدخل في شأن من
شؤون قضائه فأضعف سلطانَه في تنفيذ أحكامه ولشدَّ ما كانت دهشة الخليفة
حينما عرِف أنه لم يقع شيء من ذلك .

فأحبَّ الخليفة أن يتعرَّف من ذلك السبب الحقيقي الذي دفع القاضي
إلى الاستعفاء على عجلٍ في ذلك الوقت الذي يلجأ الناس فيه إلى الراحة
وهو وقت الظهيرة .

ولما أصرَّ الخليفة على طلب معرفة السبب لم يجد القاضي بداً من أن
يروي له ما جرى له مما كان سبباً في طلب الإغفاء حرصاً على دينه وطهارة
لنفسه .

فقال القاضي عافية منذ شهرين وأنا أتابع البحث في إحدى القضايا
المُعضلة محاولاً أن أصل فيها إلى وجه الحق فقد تقدَّم إليَّ خصمان مؤسيران
وجيَّهان في قضية مُعضلة مُشكلة .

وكلُّ منهما يدَّعي بينة وشهوداً ويُدلي بحججٍ تحتاج إلى تأملٍ وتثبت .
ولما لم يتبين لي وجه الحق رددت الخصوم رجاء أن يصلحوا أو يتبين لي
وجه فصل بينهما .

وأثناء ذلك وقف أحد الخصمين من خبري على أني أحبُّ الرطب
السكري .

فعمد في وقتنا هذا وهو أول وقت الرطب وجمع رطباً سكرياً لا يتهيأ في

هذا الوقت لأحد جمع مثله إلا لأمر المؤمنين وحقاً ما رأيت أحسن منه .
ثم عمد إلى بوابي فرشاه جملة دراهم ليُدخل الطبق إليّ على أنه لا يُبالي
بعد ذلك أن أقبل الطبق أو أُرده .
فلما أدخل الطبق إليّ أنكرت أمره وطردت بوابي وأمرت برد الطبق فردّه
لساعته .

فلما كان اليوم تقدّم إليّ هذا الرجل مع خصمه فهالني أنهما لم يتساويا
في قلبي ولا في عيني .

وهذا يا أمير المؤمنين وأنا لم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن
أن يقع على حيلة في ديني فأهلك وقد فسد الناس فأقلني أقالك الله وأعفني .
ولم يسع الخليفة وهو يستمع إلى ذلك الكلام المنبي عن شدة الورع
والحرص الخالص على نزاهة الحكم وبعد القاضي عن المؤثرات أيّاً كان نوعها
إلا أن يستجيب لطلب القاضي النقي النبيل فأعفاه من القضاء .
فتأمل هذه القصة بدقة . وقارن بينه وبين كثير من قضاة هذا الزمن
يتبين لك الفرق العظيم والبون الشاسع نسأل الله العافية .

اللهم أحي قلوبنا ونورها بنور الإيمان وزينها بمحبتك وجعل ألسنتنا
بذكرك وشكرك وحسن أعمالنا ووفقنا لحفظ أوقاتنا وأحيينا حياة طيبة وتوفنا
مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فُضِّل)

ومن إعلان عمر بن عبدالعزيز الجوائز لمن يدلّه على الخير أنه كتب إلى أهل
الموسم أما بعد فأيتها رجل قدم علينا في ردّ مظلمة أو أمر يصلح الله به خاصاً

أَوْ عَامًّا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَلَهُ مَا بَيْنَ مِائَةِ دِينَارٍ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةِ دِينَارٍ بِقَدْرِ مَا يَرَى مِنْ
الْحُسْبَةِ وَيُعَدُّ السَّفَرَ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْيِي بِهِ حَقًّا أَوْ يُمِيتُ بِهِ بَاطِلًا أَوْ يَفْتَحَ بِهِ مِنْ وِرَائِهِ
خَيْرًا وَلَوْلَا أَنِّي أُطِيلُ عَلَيْكُمْ وَأُطِيبُ فَيَشْغَلُكُمْ ذَلِكَ عَنْ مَنَاسِكِكُمْ لَسَمِيتُ أُمُورًا
مِنَ الْحَقِّ أَظْهَرَهَا اللَّهُ وَأُمُورًا مِنَ الْبَاطِلِ أَمَاتَهَا اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ هُوَ الْمُتَوَحِّدُ لَكُمْ فِي
ذَلِكَ لَا تَجِدُونَ غَيْرَهُ فَإِنَّهُ لَوْ وَكَلَنِي إِلَى نَفْسِي لَكُنْتُ كَغَيْرِي وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ مَرَّةً إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمُطَرِّفِ بْنِ الشَّخِيرِ : مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّخِيرِ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا فَإِنِّي
أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ يَقُولُهَا كَثِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهَا قَلِيلٌ فَإِذَا
أَتَاكُمَا كِتَابِي فَعِظَانِي وَلَا تُزَكِّيَانِ وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَخُوفَةٍ أَهْبَطَ إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُقُوبَةً تَهِينُ
مَنْ أَكْرَمَهَا وَتُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَ لَهَا هَا فِي كُلِّ يَوْمٍ قَتِيلٌ فَكُنْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ كَالْمَدَاوِي لَجَرَحِهِ وَاصْبِرْ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ لِمَا تَخَافُ مِنْ طُولِ الْبَلَاءِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَرِّفٌ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَإِنِّي
أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَلْيَكُنْ اسْتِئْثَاسُكَ بِاللَّهِ وَانْقِطَاعُكَ
إِلَيْهِ فَإِنَّ قَوْمًا أَنْسُوا بِاللَّهِ وَانْقَطَعُوا إِلَيْهِ فِي وَحْدَتِهِمْ أَشَدُّ اسْتِئْثَاسًا مِنْهُمْ بِالنَّاسِ
فِي كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ، أَمَاتُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا خَافُوا أَنْ يُمِيتَ قُلُوبَهُمْ وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا
عَلِمُوا أَنْ سَيُتْرَكُهُمْ فَأَصْبَحُوا لِمَا سَآلَمَ النَّاسُ مِنْهَا أَعْدَاءً جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ
مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا بِهَا قَلِيلًا وَالسَّلَامُ .

وَقَدِمَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . فَلَمَّا صَارَتْ
إِلَى بَابِهِ قَالَتْ هَلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاجِبٌ فَقَالُوا لَا فَادْخُلِي إِنْ شِئْتَ ،

فَدَخَلَتْ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجَةِ عُمَرَ فَاطِمَةَ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي بَيْتِهَا وَفِي يَدِهَا قُطْنٌ
تُعَالِجُهُ فَسَلَّمَتْ الْمَرْأَةُ فَرَدَّتْ عَلَيْهَا فَاطِمَةُ السَّلَامَ وَقَالَتْ لَهَا ادْخُلِي .

فَلَمَّا جَلَسَتْ الْمَرْأَةُ رَفَعَتْ بَصَرَهَا فَلَمْ تَرَ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا لَهُ بَالٌ وَذُو
أَهْمِيَّةٍ ، فَقَالَتْ إِنَّمَا جِئْتُ لِأَعْمُرَ بَيْتِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْخَرَابِ قَالَتْ فَاطِمَةُ :
إِنَّمَا خَرَّبَ هَذَا الْبَيْتَ عِمَارَةُ بَيُوتِ أَمْثَالِكَ فَأَقْبَلْ عُمَرُ حَتَّى دَخَلَ الدَّارَ فَسَلَّمَ
وَدَخَلَ بَيْتَهُ فَمَالَ إِلَى مُصَلًّى كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ يُصَلِّي فِيهِ .

فَسَأَلَ فَاطِمَةَ عَنِ الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ هِيَ هَذِهِ فَأَخَذَ مِكَتَلًا لَهُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ
عِنَبٍ فَجَعَلَ يَتَخَيَّرُ لَهَا أَحْسَنَهُ يُنَاوِلُهَا إِيَّاهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ مَا حَاجَتُكَ .

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِي خَمْسُ بَنَاتٍ كُسِلَ كُسْدٌ فَجِئْتُكَ
ابْتَغِي حُسْنَ نَظْرِكَ لَهُنَّ ، فَجَعَلَ يَقُولُ كُسِلَ ، كُسِدَ وَيَبْكِي فَأَخَذَ الدَّوَاءَ
وَالْقِرْطَاسَ وَكَتَبَ إِلَى وَايِ الْعِرَاقِ فَقَالَ سَمِّي أَكْبَرَهُنَّ فَسَمَّيْتُهَا فَفَرَضَ لَهَا
فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ الْحَمْدُ لِلَّهِ .

ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ اسْمِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَالْمَرْأَةُ تَحْمَدُ اللَّهَ فَفَرَضَ لَهَا
فَلَمَّا فَرَضَ لِلْأَرْبَعِ اسْتَفْزَرَهَا الْفَرْحُ فَدَعَتْ لَهُ فَجَزَّتْهُ فَرَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ قَدْ كُنَّا
نَفْرَضُ لَهُنَّ حِينَ كُنْتَ تُؤَلِّينَ الْحَمْدَ أَهْلَهُ فَمُرِّي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَ يُفَضِّنَ عَلَى هَذِهِ
الْخَامِسَةِ .

فَخَرَجَتْ بِالْكِتَابِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ الْعِرَاقَ فَدَفَعَتْهُ إِلَى وَايِ الْعِرَاقِ فَلَمَّا
دَفَعَتْ إِلَيْهِ الْكِتَابَ بَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ وَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ
فَقَالَتْ أَمَاتَ قَالَ نَعَمْ فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ فَقَالَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مَا كُنْتُ لِأَرُدَّ
كِتَابَهُ فِي شَيْءٍ فَقَضَى حَاجَتَهَا وَفَرَضَ لِبَنَاتِهَا .

وَأَرْسَلَ عَطَاءٌ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْبَرَنِي عَنْ عُمَرَ قَالَتْ
أَفْعَلُ . إِنَّ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ فَرَّغَ لِلْمُسْلِمِينَ نَفْسَهُ وَلَأُمُورِهِمْ فَكَانَ

إِذَا أَمْسَى وَلَمْ يَفْرُغْ فِيهِ مِنْ حَوَائِجِ يَوْمِهِ وَصَلَ يَوْمَهُ بَلِيلَتِهِ إِلَى أَنْ أَمْسَى مَسَاءً وَقَدْ فَرَغَ حَوَائِجِ يَوْمِهِ فَدَعَا بِسِرَاجِهِ الَّذِي كَانَ مِنْ مَالِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْعَى وَاضِعاً رَأْسَهُ عَلَى يَدَيْهِ تَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ يَشْهَقُ الشَّهْقَةَ يَكَادُ يَنْصَدِعُ قَلْبُهُ لَهَا وَتَخْرُجُ لَهَا نَفْسُهُ حَتَّى إِذَا بَرَقَ الصُّبْحُ أَصْبَحَ صَائِئاً فَذَنُوتُ مِنْهُ .

فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ مِنْكَ مَا كَانَ قَالَ أَجَلَ فَعَلَيْكَ بِشَأْنِكَ وَخَلِّينِي وَشَأْنِي قَالَتْ فَقُلْتُ إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَتَعْظَ قَالَ إِذَنْ أَخْبِرْكَ إِنِّي نَظَرْتُ فَوَجَدْتَنِي قَدْ وُلِّيتُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَسْوَدَهَا وَأَحْمَرَهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ وَالْغَرِيبَ الضَّائِعَ وَالْأَسِيرَ الْمَقْهُورَ وَذَا الْمَالِ الْقَلِيلَ وَالْعِيَالَ الْكَثِيرَ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ الْأَرْضِ فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ سَائِلِي عَنْهُمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجِي فِيهِمْ فَخِفْتُ أَنْ لَا يَقْبَلَ اللَّهُ مِنِّي مَعْدِرَتِي فِيهِمْ وَلَا تَقُومَ لِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُجَّةٌ فَرَحِمْتُ وَاللَّهِ يَا فَاطِمَةُ نَفْسِي رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِي وَوَجَعَ لَهَا قَلْبِي فَأَنَا كُلَّمَا ارْذَدْتُ لَهَا ذِكْراً ارْذَدْتُ مِنْهَا خَوْفاً فَاتَّعِظِي إِنْ شِئْتَ أَوْ ذَرِي .

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِهِ كَلَامُهُمْ وَتَحْتُهُمْ فِي الْأَعْتِنَاءِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَسِيرَةِ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَهَكَذَا النَّاسُ فِي كُلِّ عَصْرِ تَبَعَ مُلُوكِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ غَالِباً .

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُبُّ الْعَدَالَةِ وَالْأَنْصَافِ رَكِيزَةً فِي نَفْسِهِ وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ أَنْ وَهَبَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَكَانَ أَعْجُوبَةُ التَّارِيخِ ، كَانَ نَاشِئاً لَمْ يُجَاوِزْ عِشْرِينَ عَاماً ، وَلَكِنَّهُ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ أَنَّهُ مِنْذُ صِغَرِهِ قَوِيَ الْإِيمَانُ وَرَعَا زَاهِداً ، يَقْتَحِمُ عَلَى أَبِيهِ فِي مَجْلِسِهِ وَنَادِيهِ وَنَحْدَعِ نَوْمِهِ وَقِيلُولَتِهِ يَحْتَهُ وَيَعِظُهُ وَيَذْكُرُهُ بِاللَّهِ وَيُوقِظُهُ وَيَنْهِيهِ إِلَّا يُوْخِرُ مَظْلَمَةً لِلنَّاسِ خِشْيَةً أَنْ يَحْمَ الْأَجَلَ فَتُسَوِّءُ الْمَغَبَّةُ وَتَلْتَهَبُ عَلَى أَبِيهِ النَّارُ .

وَكَانَ كُلَّمَا دَخَلَ عُمَرُ فِي الْأُمُورِ عَلَى بَيِّنَةٍ اقْتَحَمَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ قَوِيًّا
مُسْتَعَجِلًا وَقَدْ أَثَّرَ عَلَى أَبِيهِ وَزَادَ فِي وَرَعِهِ وَتَنَجَّيْزِهِ لِلْأُمُورِ وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا
عَلَى أَبِيهِ وَكَانَ عِنْدَهُ عَمُّهُ مَسْلَمَةٌ فَطَلَبَ إِلَى أَبِيهِ أَنْ يُخْلِيَهُ بِهِ فَقَالَ أَسِرُّ دُونَ
عَمِّكَ قَالَ نَعَمْ فَقَامَ مَسْلَمَةٌ وَجَلَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ غَدًا إِذَا سَأَلَكَ فَقَالَ رَأَيْتَ بَدْعَةً لَمْ تُمِثَّهَا أَوْ سُنَّةٌ لَمْ
تُحْيَها فَقَالَ عُمَرُ يَا بُنَيَّ أَشَيْءٌ حَمَلَكَ أَمْ رَأَيْتَ رَأَيْتَهُ قَالَ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ رَأَيْتُ رَأَيْتَهُ
مِنْ نَفْسِي عَرَفْتُ أَنَّكَ مُسْئِلٌ فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ .

قَالَ أَبُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَيَجْزِيكَ مِنْ وَلَدٍ خَيْرًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْأَعْوَانِ عَلَى الْخَيْرِ يَا بُنَيَّ إِنَّ قَوْمَكَ شَدُّوا هَذَا الْأَمْرَ عُقْدَةً وَعُرْوَةً وَمَتَى
مَا أُرِيدَ مُكَابَرَتُهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لَمْ آمِنْ أَنْ يَفْتَقُوا عَلَيَّ فَتَقَا تَكْثُرَ فِيهِ
الدِّمَاءُ وَاللَّهُ لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَهْرَاقَ فِي سَبَبِي مُحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ
مَا تَرْضَى إِلَّا يَأْتِي عَلَى أَيْدِيكَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ يُمِيتُ فِيهِ بَدْعَةً وَيُحْيِي
فِيهِ سُنَّةً حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِأَبِيهِ حَتَّى صَارَ لَا يُبْرِمُ أَمْرًا فِي الْمَظَالِمِ دُونَ رَأْيِهِ قَالَ
مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِلَى مَكْحُولٍ وَإِلَى أَبِي قِلَابَةَ
فَقَالَ مَا تَرَوْنَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَخَذْتُ مِنَ النَّاسِ ظُلْمًا فَقَالَ مَكْحُولُ
يَوْمِيذٍ قَوْلًا ضَعِيفًا كَرِهَهُ عُمَرُ قَالَ أَرَى أَنْ تُسْتَأْنَفَ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى كَأَلِ الْمُسْتَغِيثِ
بِي فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِبْعَثْ إِلَى ابْنِكَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَحْضِرْهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ
مَنْ رَأَيْتَ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَفَقَّهَ وَدَرَسَ حَتَّى صَارَ فِي الصِّفِّ الْأَوَّلِ مِنْ
فُقَهَاءِ الشَّامِ ثُمَّ زَهَدَ قَالَ مَيْمُونُ فَقَالَ عُمَرُ يَا حَارِثُ أَدْعُ لِي عَبْدَ الْمَلِكِ فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ مَا تَرَى فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَخَذْتُ مِنَ
النَّاسِ ظُلْمًا وَقَدْ حَضَرُوا يَطْلُبُونَهَا وَقَدْ عَرَفْنَا مَوَاضِعَهَا قَالَ أَرَى أَنْ تُرَدَّهَا فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ كُنْتُ شَرِيكًا لِمَنْ أَخَذَهَا . - ١١١ -

تَسْمَعُ حِكَايَاتٍ يَطِيبُ سَمَاعُهَا وَيَحُلُّو كَطَعَمِ الشَّهْدِ فِي ثَغْرِ ذَائِقِ
فَكَمْ مِنْ شَوَاجٍ لِلْقُلُوبِ رَقَائِقِ وَكَمْ مِنْ مَعَانٍ لِلْعُلُومِ حَقَائِقِ
وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِهِ الَّذِي مَاتَ
فِيهِ قَالَ أَجْلِسُونِي فَأَجْلَسُوهُ فَقَالَ أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ
وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَحَدَ النَّظَرَ فَقَالُوا إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظْرًا شَدِيدًا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنِّي لَأَرَى حَضْرَةً مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ قُبِضَ .
وَقَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كُنَّا عِنْدَهُ فِي
قُبَّةٍ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا أَنْ أُخْرَجُوا فَخَرَجْنَا حَوْلَ الْقُبَّةِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَصِيفٌ فَسَمِعْنَاهُ يَقْرَأُ
هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ مَا أَنْتُمْ بِإِنْسٍ وَلَا جِنٍّ ثُمَّ خَرَجَ الْوَصِيفُ فَأَوْمَأَ
إِلَيْنَا أَنْ ادْخُلُوا فَإِذَا هُوَ قَدْ قُبِضَ .

شَمِرَّ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ وَانْظُرْ بِفُكْرِكَ مَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
طَوَّلْتَ آمَالًا تَكْنَفُهَا الْهَوَى وَنَسِيتَ أَنَّ الْعُمَرَ مِنْكَ قَصِيرُ
قَدْ أَفْصَحْتَ دُنْيَاكَ عَنْ غَدَرَاتِهَا وَآتَى مَشِيئَكَ وَالْمَشِيبُ نَذِيرُ
دَارُ لَهَوَاتٍ بَزْهَوَاهَا مُتَمَتِّعًا تَرْجُو الْمَقَامَ بِهَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ رَاحِلٌ عَنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ فِيهَا مَا أَقَامَ ثَبِيرُ
لَيْسَ الْغِنَى فِي الْعَيْشِ إِلَّا بُلْغَةً وَيَسِيرُ مَا يَكْفِيكَ مِنْهُ كَثِيرُ
لَا يَشْغَلَنَّكَ عَاجِلٌ عَنْ آجِلٍ أَبَدًا فَمُلْتَمِسُ الْحَقِيرِ حَقِيرُ
وَلَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الْأَرْضِ مَأْمُورٌ بِهَا وَأَمِيرُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ ، إقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَرَّبَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ ، وَأَزَفَتِ الْأَزْفَةُ
وَلَيْسَ هُنَاكَ حَمِيمٌ وَلَا نَصِيرٌ وَكُتِبَتِ الصَّحِيفَةُ فَلَا نِسْيَانَ لِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ﴿ وَمَا
مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

تَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتِ الْأَمَانِي أَكْثَرَ خَلْقِ اللَّهِ فَتَرَكُوا سَبِيلَ الْهُدَى وَأَعْرَضُوا
عَنْ دَارِ التَّهَانِي وَالْقَرَارِ فَوَقَعُوا فِي شَرِّكَ الرَّدَى وَتَمَادَوْا عَلَى التَّوَانِي وَظَنُّوا أَنَّ
يُتْرَكُوا سُدًى وَنَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى
﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ أَيَحْسَبُونَ
أَنَّا نُؤْتِيهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَيَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالُكُمْ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَى حُفَاءَ عُرَاءٍ غُرْلًا ،
وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ وَلَزِمَتِ
الصُّحُفُ الْأَعْنَاقَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّارِ ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لَجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾
وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيمِ مَنْ
كَانَ لَهُ عَلَى الْمَعَاصِي جَرَاءَةٌ وَإِقْدَامٌ .

وَيَمْرَحُ بِالنَّعِيمِ مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَاتِ لِدَارِ السَّلَامِ وَعَمَلَ بِالْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ وَيَحْظَى بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ

وَأَسْلُكُوا طَرِيقَ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا أَعْوِجَاجَ فِيهِ وَقُومُوا بِأَوَامِرِ الْمَنَانِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا الزَّائِلَةِ وَزِينَتِهَا الْعَاطِلَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي آجَالَهُمْ وَهُمْ لَا هُونَ وَتَجْرِي بِهِمُ الْأَعْوَامُ إِلَى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ وَتَتَخَطَّفُهُمُ الْمَنَايَا وَهُمْ لَا عِبُونَ وَتَنَادِيهِمُ الْعِبَرُ وَالْمَوَاعِظُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ وَيَرَوْنَ مَا وَقَعَ بِالْأَمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بِآبَائِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا لَهُمْ وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُونَ ، إِذَا هُمْ وَصَلُوا إِلَى الْغَايَةِ الْمَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ .

شِعْرًا :

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبَهْ جَدَّ الرَّحِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأُولَى قَنِعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا فَتَبِعَتْهُمْ وَرَضِيتَ بِالْحَرَمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتِي عَجَزَ وَجْهَ لَ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُو دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا امْكَانِ
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيَسِّرْنا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَاعْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

وَوَقَفَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا عَلَى مَنْبَرِهِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ الْعَطَايَا الْمَالِيَةَ عَنْ أَفْرَادِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي فَقَالَ لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ يَا مُعَاوِيَةُ قَالَ مُعَاوِيَةُ وَلَمْ يَأْبَأ مُسْلِمٌ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ كَيْفَ تَمْنَعُ الْعَطَا وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَذِّكَ وَلَا كَذِّ أَبِيكَ وَلَا مِنْ كَذِّ أُمِّكَ .

فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَنَزَلَ عَنِ الْمَنْبَرِ وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ مَكَانَكُمْ وَغَابَ سَاعَةً عَنْ أَعْيُنِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقَالَ إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ أَغْضَبَنِي وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ » وَإِنِّي دَخَلْتُ فَاغْتَسَلْتُ وَصَدَّقَ أَبُو مُسْلِمٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَذِّي وَلَا مِنْ كَذِّ أَبِي فَهَلُمُوا إِلَى عَطَائِكُمْ .

وبالتالي فإليك صفة الإمام العادل : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِيُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ إِعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِمَامَ الْعَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ وَقَصْدَ كُلِّ جَائِرٍ وَصَلَاحَ كُلِّ فَاسِدٍ وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ وَنَصْفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَفْرَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبِلِهِ الرَّفِيقِ بِهَا الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ الْمَرْعَى وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاعٍ الْهَلَكَةِ وَيَحْمِيهَا عَنِ السَّبَاعِ وَيَكْنُهَا عَنْ أَذَى الْحَرِّ وَالْقَرِّ .

وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ كَالْأَبِ الْحَانِي عَلَى وَلَدِهِ يَسْعَى لَهُمْ صِغَارًا وَيُعَلِّمُهُمْ كِبَارًا يَكْتَسِبُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ وَيَدْخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ .
وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةِ الْبَرَّةِ الرَّقِيقَةِ بَوْلَدِهَا حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ

كُرْهًا وَرَبَّهُ طِفْلاً تَسْهَرُ بِسَهَرِهِ وَتَسْكُنُ بِسُكُونِهِ تُرْضِعُهُ تَارَةً وَتَقْطِمُهُ أُخْرَى
وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِهِ وَتَغْتَمُ بِشِكَايَتِهِ .

وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَصِيُّ الْيَتَامَى وَخَازِنُ الْمَسَاكِينِ يَرْبِي صَغِيرَهُمْ وَيُمُونُ
كَبِيرَهُمْ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ كَالْقَلْبِ بَيْنَ الْجَوَارِحِ تَصْلُحُ الْجَوَارِحُ بِصَلَاحِهِ وَتَفْسُدُ
بِفَسَادِهِ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ هُوَ الْقَائِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ
وَيُسْمِعُهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيُرِيهِمْ وَيَنْقَادُ إِلَى اللَّهِ وَيَقُودُهُمْ فَلَا تَكُنْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا مَلَكَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَعَبْدٍ إِثْتَمَنَهُ سَيِّدُهُ وَاسْتَحَفَّظَهُ مَالُهُ وَعِيَالُهُ
فَبَدَّدَ الْمَالَ وَشَرَّدَ الْعِيَالَ فَافْقَرَ أَهْلُهُ وَفَرَّقَ مَالُهُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحُدُودَ لِيُزْجَرَ بِهَا عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ فَكَيْفَ
إِذَا أَتَاهَا مَنْ يَلِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ فَكَيْفَ إِذَا قَتَلَهُمْ مَنْ
يَقْتَضِي لَهُمْ وَادَّكَرَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ وَقِلَّةَ أَشْيَاعِكَ عِنْدَهُ وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ فَتَزَوَّدْ لَهُ
وَلَمَّا بَعْدَهُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لَكَ مَنْزَلاً غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ
وَيُفَارِقُكَ أَحِبَّاءُكَ يُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ وَحِيداً فَرِيداً فَتَزَوَّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ وَادَّكُرْ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا
الْصُّدُورُ فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ وَالْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

فَالآنَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ لَا تَحْكُمُ فِي
عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ وَلَا تَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ وَلَا تُسَلِّطُ الْمُسْتَكْبِرِينَ
عَلَى الْمُسْتَضْعِفِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً فَتَبَوَّءَ بِأَوْزَارِكَ وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِكَ .

وَلَا يَغُرَّتْكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ فِي بَوْسِكَ وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ
بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ الْيَوْمَ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ

غَدَاً وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَقَدْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ .

شِعْرًا : زِدْنَا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ .

سَلِ الْمَنَآيَا عَلَى عِلْمٍ وَتَجَرُّبَةٍ
تَنَافَسَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمُوا
تَبَادُرُوهَا وَقَدْ آذَتْهُمْ فَشَلًّا
قُلْ لِلْمُحَدِّثِ عَنْ لُقْمَانَ أَوْ لِبَدٍ
« وَلَمْ يُغَادِرْ عِمَارَاتٍ وَلَا فُلًّا
« وَلَا بَسَاتِينَ فِي الْأَشْجَارِ زَاهِيَةً
« وَلَا جَبَانًا يَخَافُ الْمَوْتَ ذَا قَلْقٍ
« وَلَا كَرِيمًا تُبِيدُ الْمَالَ رَاحَتُهُ

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤْخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا
مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

كتب سفيان الثوري إلى أخ له في الله يقول له : « أما بعد : عافانا
الله وإياك من النار برحمته ، أوصيك وإيائي بتقوى الله .

وأحذرك أن تجهل بعد إذ علمت ، فتهلك بعد إذ أبصرت ، وتدع
الطريق بعد إذ وضح لك ، وتغتر بأهل الدنيا بطلبهم لها ، وحرصهم عليها
وإكثارهم منها .

فإنَّ الهولَ شديداً ، والطريقَ بعيداً ، والمناقشَ عتيداً ، والخطرَ عظيماً ،
والوقتَ قريباً ، وكأنَّ قدَّ كانَ .

فتفرَّغْ وفَرِّغْ قلبَكَ ، ثمَّ الجِدَّ الجِدَّ ، والوَحاءَ الوَحاءَ ، والهَرَبَ
الهَرَبَ ، وارْتَحِلْ إلى الآخرةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْتَحَلَ بِكَ ، .
واستَقْبِلْ رُسُلَ رَبِّكَ ، واشْدُدْ مِئْزَرَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى قَضَاؤُكَ ،
وَمُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُ ، فَقَدْ وَعَظْتُكَ بِمَا وَعَظْتُ بِهِ نَفْسِي ، والتوفيقُ مِنْ
الله .

ومِفْتَاحُ التوفيقِ التَّضَرُّعُ والاستكانَةُ والندامةُ على ما فَرَّطْتَ ، ولا
تُضَيِّعْ حَظَّكَ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ والليالي التي هي مَتَجَرُّ الزُّهَّادِ ، وَمَكْسَبُ
العِبَادِ .

ثمَّ إِيَّاكَ وما يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَمَلَكَ وهو الرِّياءُ ، فإنَّ لم يَكُنْ رِياءُ
فإِعْجَابُكَ بِنَفْسِكَ .

وإِيَّاكَ أَنْ تُحِبَّ مَحَامِدَ النَّاسِ أَوْ تُحِبَّ أَنْ يُكْرِمُوكَ بِعَمَلِكَ .
وَيَرُونَ لَكَ فَضِيلَةً وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِي صُدُورِهِمْ ، أَوْ حَاجَةً تَطْلُبُهَا إِلَيْهِمْ
فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ .

فإنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُرِيدُ بِعَمَلِكَ وَجْهَ اللهِ والدارِ الْآخِرَةِ ولا تُرِيدُ به
غَيْرَهُ .

وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، فَكَفَى بِطُولِ الْأَمَلِ قِلَّةُ الْخَوْفِ ، وَجُرْأَةُ
عَلَى الْمَعَاصِي ، وَكَفَى بِالْحُسْرَةِ وَالْندامةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ لمْ تَعْلَمْ ولمْ تَعْمَلْ
بِعِلْمِكَ .

واطلبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ ، ولا تَطْلُبْهُ لِتُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِتُمَارِيَ بِهِ
السُّفَهَاءَ ، أَوْ تَأْكُلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ .

أَوْ تَسْتَخْدِمَ بِهِ الْفُقَرَاءَ ، أَوْ تَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكَ ، فَإِنَّ لَكَ مِنْ عِلْمِكَ مَا عَمِلْتَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْهُ .

فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ الْخَيْرَ صَارَ غَرِيباً فِي زَمَانِهِ ، فَلَا تَسْتَوْحِشْ وَاسْتَقِمَّ عَلَى سَبِيلِ رَبِّكَ .

وَاشْتَغِلْ بِذِكْرِ غُيُوبِ نَفْسِكَ عَنْ ذِكْرِ غُيُوبِ غَيْرِكَ ، وَاحْزَنْ عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمرِكَ فِي غَيْرِ طَلَبِ آخِرَتِكَ .

وَأَكْثِرِ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى مَا أَوقَرْتَ ظَهْرَكَ ، لَعَلَّكَ تَخْلُصُ مِنْهَا وَلَا تُمَسِكَ عَنْ الْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَلَا تَتَّبَاعِدُ عَنْهُمْ .

وَتَّبَاعِدُ مِنَ الْجُهَالِ وَبَاطِلِهِمْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ جَاوِرِهِمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِنْ أُرِدْتَ اللَّحَاقَ بِالصَّالِحِينَ فَاعْمَلْ عَمَلَهُمْ ، وَاحْذُ سِيرَتَهُمْ ، وَاكْتَفِ بِمَا رُزِقْتَ مِنَ الدُّنْيَا .

وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ ، وَلَا تَغْفُلْ عَمَّنْ وَكَّلَ بِكَ ، يُحْصِي أَثْرَكَ ، وَيَكْتُبُ عَمَلَكَ .

وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، فَهُوَ رَقِيبٌ عَلَيْكَ ، وَاسْتَحْيَ مِنْهُ هُوَ مَعَكَ ، وَأَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

وَاعْتَرَفَ بِفَاقَةِ نَفْسِكَ وَارْحَمَهَا وَأَكْثَرَ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَيْهَا . وَلَا تَغْبِطُ أَهْلَ الشَّهَوَاتِ بِشَهَوَاتِهِمْ وَلَا أَهْلَ النِّعَمِ بِنِعَمِهِمْ .

فَإِنَّ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تُزْلَزَلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، وَتُرْعَدُ فِيهِ الْأَجْسَامُ ، وَتَتَضَاعَفُ فِيهِ الْآلَامُ ، وَتَتَزَايِدُ فِيهِ الْأَسْقَامُ .

وَيَطُولُ فِيهِ الْقِيَامُ ، وَيَشْتَدُّ فِيهِ الْحِسَابُ ، وَيُشْفَقُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ،

وَتَطِيرُ فِيهِ الْقُلُوبُ حَتَّى تَبْلُغَ الْحَنَاجِرَ ، فَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ عَلَى مَا أَصَابُوا مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ .

وَأَجْعَلْ كَسْبَكَ فِيهَا يَكُونُ لَكَ وَلَا تَجْعَلْهُ فِيهَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَاجْتَنِبِ الْحَرَامَ وَلَا تَجْلِسْ مَعَ مَنْ يَكْسِبُهُ .

وَأَيَّاكَ وَالظُّلْمَ ، أَوْ تَكُونَ عَوْنًا لِلظَّالِمِ أَوْ تَصْحَبُهُ أَوْ تُؤَاكِلُهُ ، أَوْ تَبَسِّمَ فِي وَجْهِهِ ، أَوْ تَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا فَتَكُونَ عَوْنًا لَهُ ، وَالْعَوْنُ شَرِيكَ ، وَلَا تُخَالِفْ أَهْلَ التَّقْوَى ، وَلَا تُطْعِ أَهْلَ الْخَطَايَا .

وَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْمَعَاصِي ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ . وَعَلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، وَجَدِّدْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ، بَلْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ، فَإِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً ، وَتَرَكُ الذَّنْبِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ .

وَلَا تَتَهَاوَنَ بِالذَّنْبِ الصَّغِيرِ ، وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ ، عَصَيْتَ رَبًّا عَظِيمًا ، يُعَاقِبُ عَلَى الصَّغِيرِ ، وَيَعْفُو عَنِ الْكَبِيرِ إِنْ شَاءَ .

فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَذَّرَ نَفْسَهُ مَعَ قُرْبِهِ وَخُلَّتِيهِ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

وَقَالَ يُوسُفُ الصَّدِيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ عِصْمَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّنَا ﴾ .

فَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الْمُقَرَّبُونَ الْمُجْتَبَوْنَ الْمُخْصُوصُونَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى مَالِكِهِمْ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله واعلم يا أخي أن الله لا يقبلُ نافلةً حتى تُؤدِّيَ
الفريضةُ ، وأنَّ لله حقاً بالليل لا يقبلُهُ بالنهار .
وحقاً بالنهار لا يقبلُهُ بالليل ، وأنه يُحاسبُ العبدَ يومَ القيامةِ
بالفرائضِ ، فإن جاءَ بها تامةً قُبِلَتْ فرائضُهُ ونوافلُهُ .
وإن لم يُؤدِّها تامةً وأضاعها ألحقتِ النوافلُ بالفرائضِ ؛ فإن شاء غفرَ
لَهُ وإن شاء عذَّبَهُ .

وعَلَيْكَ بتقوى الله عزَّ وجلَّ ، وَلِسَانٍ صَادِقٍ وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ ، وأعمالٍ
صَالِحَةٍ ، ليس فيها غشٌّ ولا خُدعةٌ .
فإنَّ الله يَرَاكَ وإن لم تكن تراه ، فلا تُخادعِ الله يُخدَعُكَ ، وأصلحِ
سِرِّرتَكَ وَعَلَانِيَتَكَ ، وأَحْسِنْ فيما بَيْنَكَ وبينَ الله يُحْسِنْ ما بَيْنَكَ وبينَ
الناسِ .

واعملْ لِآخِرَتِكَ يَكْفِيكَ أَمْرُ دُنْيَاكَ ، وَبِعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْتَحُمُهَا
جَمِيعاً ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتَخْسِرُهَا جَمِيعاً .
وإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْجَفَاءِ ، وَلَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِناً ، وَلَا يَأْكُلْ
طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ ، وَلَا تُصَاحِبْ الْفَاجِرَ وَلَا تُجَالِسُهُ .
وإِيَّاكَ وَأَبْوَابَ الْمُلُوكِ وَأَبْوَابَ مَنْ يَأْتِي أَبْوَابَهُمْ وَأَبْوَابَ مَنْ يَهْوَى
هَوَاهُمْ ، فَإِنَّ مَعَهُمْ مِثْلَ فِتَنِ الدَّجَالِ .

وَكُنْ مَبْذُولاً بِهَالِكَ وَنَفْسِكَ لِإِخْوَانِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْكَسْبِ الطَّيِّبِ ، وما
تَكْسِبُ بِيَدَيْكَ ، وإِيَّاكَ وَأَوْسَاخَ النَّاسِ أَنْ تَأْكُلَهُ أَوْ تَلْبِسَهُ .
فإنَّ الذي يَأْكُلُ أَوْسَاخَ النَّاسِ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِذَلَّةٍ وَتَوَاضِعٍ

وهوى ، ويتواضع لهم مخافة أن يمنعوه .

ويا أخي ! متى تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك ، وأكرمت بعض الناس وأهنت بعضهم مع ما ينزل بك يوم القيامة ، فإن الذي يعطيك من ماله فإنما هو وسخه .

وتفسير وسخه : تطهير عمله من الذنوب ، فإن أنت تناولت من الناس شيئاً فلا تأمن إن دعوك إلى منكر أجبتهم .

وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم ، يا أخي جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة .

فقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن أحدكم أخذ حبلاً ثم احتطب حتى يدبر ظهره ، كان خيراً له من أن يقوم على ظهر أخيه فيسأله أو يرجوه » .

وبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من عمل منكم حمداً ، ومن لم يعمل اتهمناه .

وقال : يا معشر القراء ! أرفعوا رؤوسكم ، لا تزيدوا الخشوع على ما في القلب ، استبقوا في الخيرات ، ولا تكونوا عيالاً على الناس فقد وضح الطريق .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره .

فاتق الله يا أخي ، فإنه مانال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس ، والمؤمنون شهود الله في الأرض .

وإياك أن تكسب خبيثاً فتتفقه في طاعة الله ، فإن تركه والله فريضة واجبة ، وإن الله عز وجل لا يقبل إلا الطيب .

أَرَأَيْتَ رَجُلًا أَصَابَ ثَوْبَهُ بَوْلٌ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَطَهِّرَهُ فَغَسَلَهُ بِبَوْلٍ آخَرَ ،
أَتَرَى كَانَ ذَلِكَ يُطَهِّرُهُ ؟

إِنَّ الْبَوْلَ لَا يُطَهِّرُ إِلَّا بِطَاهِرٍ طَيِّبٍ ، فَكَذَلِكَ لَا تُتَحَّى سَيِّئَةٌ بِسَيِّئَةٍ ،
وَلَا تُتَحَّى إِلَّا بِحَسَنَةٍ .

وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ ، وَإِيَّاكَ
وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّهُ الشَّرْكُ بِعَيْنِهِ .
وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُرْفَعُ فِيهِ عُجْبٌ ، وَلَا تَأْخُذْ إِلَّا بِمَنْ هُوَ
مُسْتَفِيقٌ عَلَى دِينِهِ .

فَإِنْ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُسْتَفِيقٍ عَلَى دِينِهِ كَمَثَلِ طَبِيبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُعَالَجَ دَاءَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتَجَنَّبُ مَا يَضُرُّ مَرَضَهُ وَيَحْمِيهَا
مِنْهُ .

فَكَيْفَ يَصْلَحُ أَنْ يُعَالَجَ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ ؟ ! فَهَذَا الَّذِي لَا
يُسْتَفِيقُ عَلَى دِينِهِ ، كَيْفَ يُسْتَفِيقُ عَلَى دِينِكَ ؟ !

وَيَا أَخِي ! إِنَّمَا دِينُكَ لِحُمِّكَ وَدَمُكَ ، فَابِكِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْحَمَهَا ، فَإِنْ
أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْهَا لَمْ تُرْحَمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلْيَكُنْ جَلِيسُكَ مَنْ يُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا وَيُرْغِبُكَ فِي
الْآخِرَةِ ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَخْوِضُونَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُمْ
يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَقَلْبَكَ . وَأَكْثَرُ ذِكْرِ الْمَوْتِ .

وَأَكْثَرُ الْاسْتِغْفَارِ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ ، وَسَلِّ اللَّهُ السَّلَامَةَ
وَالْعَصْمَةَ لِمَا قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمرِكَ . ثُمَّ أَخِي عَلَيْكَ بِأَدَبٍ حَسَنِ ، وَخُلُقٍ
حَسَنِ .

ولا تُخَالِفَنَّ الجماعة إذا كانوا على السُّنَّةِ ، فإنَّ الخَيْرَ فيها . وانصَحْ لِكُلِّ
مُؤْمِنٍ إذا سَأَلَكَ في أمرٍ دينِهِ .

ولا تَكُتُمَنَّ أَحَدًا مِنَ النصيحةِ شيئاً إذا شَاوَرَكَ فيما كان لله رِضاً ،
وإِيَّاكَ أن تُخُونَ مُؤْمِنًا ؛ فَمَنْ خَانَ مُؤْمِنًا فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ .
وإذا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ في الله فابْذِلْ لَهُ نَفْسَكَ وَمَالَكَ . وإِيَّاكَ
والخصوماتِ والجدالِ والمِرَاءَ ، فإنَّكَ تصيرُ ظَليماً خَوَّاناً أَثِماً .
وعليك بالصبرِ في المواطنِ كُلِّها ، فإنَّ الصبرَ يَجْرِي إلى البرِّ ، والبرُّ يَجْرِي
إلى الجنةِ .

وإِيَّاكَ والحِدَّةَ والغضبَ ؛ فانهما يَجْرِيانِ إلى الفُجُورِ ، والفُجُورُ يَجْرِي إلى
النَّارِ .

ولا تُمارِئَنَّ عَالِماً فَيَمُوتَكَ ، وإن اِخْتَلَفَ إلى العُلَمَاءِ رَحْمَةً ،
والانقطاعَ عنهم سَخَطُ الرَّحْمَنِ .

فإنهم خُزَّانُ الأنبياءِ وَأَصْحَابُ مَوَارِيثِهِمْ ، وَأَمْنَاءُ اللهِ وَهُدَاةُ الدِّينِ
« يُريدُ العُلَمَاءُ المتبعونَ للكتابِ والسنةِ والمطبقونَ لهما في الأقوالِ والأفعالِ » .
لا مَنْ يُسَمُّونَ عُلَمَاءَ وَلَيْسَ بعُلَمَاءَ لا يُرى عليهم آثارُ العِلْمِ فهو لاءِ يجب
الابتعادُ عنهم والتحذيرُ منهم نسألُ اللهَ السلامةَ والعِصْمَةَ .
وعليك بالزهدِ يُبَصِّرُكَ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا ، وَعَلَيْكَ بالورعِ يُخَفِّفُ اللهَ
حِسَابَكَ .

ودَعْ كَثِيراً مِمَّا يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ تَكُنْ سَالِماً ، وادْفَعْ الشَّكَّ باليقينِ
يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ .

وأمرٌ بالمعروفِ ، وانه عن المنكرِ تَكُنْ حَبِيبَ اللهِ ، وأَقِلَّ الفَرَحَ
والضحكَ تَزِدْ قُوَّةَ عِنْدَ اللهِ ، واعْمَلْ لآخرَتِكَ يَكْفِكَ اللهَ أمرَ دُنْيَاكَ .

وإذا أردت أمراً من أمور الدنيا فعليك بالتواضع ؛ ، فإن رأيتَه مُوافقاً
لآخرتك فخذهُ ، وإلا فقف عنه ، وسل الله العافية وحسن العاقبة .
وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها مسرعاً من قبل أن يحول
بينك وبينها الشيطان .

ولا تكوننَّ أَكُولاً ، ولا تأكلنَّ بغير شهوة ، ولا بغير نية ، ولا على
شبع ؛ فيقسو قلبك . وإياك والطمع فيما في أيدي الناس ، فإن الطمع
هلاك الدين .

وإياك والحِرصَ على الدنيا ، فإن الحِرصَ يفضح يوم القيامة . وكن
طاهراً القلب نقيّ الجسد من الذُّوب والخطايا .
نقيّ اليدين من المظالم ، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة ،
خالي البطن من الحرام ، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحت .
وكفّ بصرَكَ عن عوراتِ الناس ، ولا تمشينَ إلى غير حاجة ، ولا
تكلمنَ بغير حكمة .

وإياك ثم إياك أن تلي نفسك من الأمانة شيئاً ، وقد سمّاك الله ظلوماً
جهولاً ، وأقل العثرة ، وأقل الاعتذار ، واغفر ذنب من يرجى خيره ويؤمن
شره .

ولا تبغض أحداً يطيع الله ورسوله ، ولا تقطع رحمك ، وصل من
قطعتك ، وصل رحمك وإن قطعتك .
وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء ، وأقل دخول
السوق ، فإن أهله ذئاب عليهم ثياب ، وفي السوق مردة الشياطين من الجن
والإنس .

وإذا دخلتها فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له
الملك وله الحمد يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل

شيءٍ قدير ، اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ وأصحابه أجمعين .
 فقد بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال : يُكْتَبُ لِقَائِهَا بَعْدَ مَنْ فِي السُّوقِ
 مِنْ أَعْجَمِيٍّ أَوْ فَصِيحٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ الدَّسَمَ ؛ فَإِنَّهُ أَتَمُّ
 لِعَقْلِكَ ، وَلَا تَمْنَعَنَّ نَفْسَكَ مِنَ الْحَلَاوَةِ إِنْ قَدِرْتَ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْحِلْمِ ،
 وَعَلَيْكَ بِاللَّحْمِ إِنْ وَجَدْتَهُ ، وَلَا تَدُمَّ عَلَيْهِ وَلَا تَدَعُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَيَسُوءَ
 خُلُقُكَ ، وَلَا تَرُدَّ الطَّيِّبَ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ الدِّمَاغَ قُوَّةً .
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان ، وعليك
 بالصَّوْمِ يَسُدُّ بَابَ الْفُجُورِ ، وَيُفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الْعِبَادَةِ ، وعليك بقلّة الكلام
 يَلِنُ قَلْبُكَ . قُلْتُ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَلاهُ .
 وعليك بطول الصمت تملك الورع ، « أَيُّ إِلَّا مَا فِيهِ نَفْعٌ أُخْرَوِي أَوْ
 مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ » وَلَا تَكُنْ طَعْنَانًا وَلَا مُغْتَابًا تَسْلَمُ مِنَ أَلْسُنِ النَّاسِ .
 وَكُنْ رَحِيمًا تَكُنْ مُحِبًّا إِلَى النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا ،
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَكُنْ قَوِيًّا ، وَكُنْ مُتَوَاضِعًا تَسْتَكْمِلُ أَعْمَالَ الْبِرِّ .
 وَكُنْ عَفْوًا تَظْفَرُ بِحَاجَتِكَ ، وَكُنْ رَحِيمًا يَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ
 بِالسَّخَاءِ فَإِنَّهُ يَسْتُرُ الْعَوَارِثَ .
 وعليك بكثرة المعروف يُؤْنِسُكَ اللَّهُ فِي قَبْرِكَ وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ كُلَّهَا تَجِدُ
 حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ .
 وَأَحِبَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَابْغِضْ أَهْلَ الْمَعَاصِي يُحِبُّكَ
 اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ .
 وَاحْرَصْ يَا أَخِي ! أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِكَ وَآخِرُهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ .

واخش الله خشية مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ وَمَحْشُورٌ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ
الْجَبَّارِ .

ثم المصيرُ إلى أَحَدِ الدارينِ ؛ إمَّا إلى جَنَّةٍ نَاعِمَةٍ خَالِدَةٍ ، أو إلى نارٍ
حَامِيَةٍ مُؤَبَّدَةٍ دَائِمَةٍ .

وجالس الفقراء ، واصحاب المساكين ، وأرض بعيتهم ، وتأس
بفقرهم ، واضبر على مضطربهم .

وكن راضياً عن الله بما قسم ، وداخلاً تحت ما حكم ، ساهراً في جنحِ
الظلم . . إنتهى .

قال يحيى بن أكثم كنت أرى شيخاً يدخل على المأمون وكان يخلو به
خلوةً طويلةً ثم ينصرف فلا نسمع له خبراً فلما توفي .

قال لنا المأمونُ وأَسَفَا على فقد صديقٍ مَسْكُونٍ إليه مَوْثُوقٌ به وتُقْتَبَسُ
منه الفوائد والغُرر قلنا .

ومن ذاك يا أمير المؤمنين قال أما كُنتَ ترى شيخاً يأتينا ونخلوا به من
دون الناس قُلْتُ بلى قال قد تأخر عن إبانِهِ وأظن أنه قد مات .

قُلْتُ وما في ذلك قال كان صديقي بخرسان وكُنتُ أَسْتَرِيحُ إليه
أَسْتَرَاخَةَ المَكْرُوبِ وأجد به ما يوجد بالولد السار المحبوب ولقد استمد منه رأياً
أقوم به أودَ المملكة وأصل به إلى رضا الله في سِيَّاسَةِ الرعية .

وآخر ما قال لي عِنْدَ وداعِهِ إذا اسْتَشَنَّ ما بينك وبينَ الله فأبْلُلْهُ قُلْتُ
بماذا يا صَاحِبَ الخَيْرِ قال بالاعتداء به في الاحسان إلى عباده فإنه يحب
الاحسان من عباده إلى عباده كما تحب الاحسان إلى ولدك من حَاشِيَتِكَ .

والله ما أعطاك القُدْرَةَ عليهم إلا لتصير على إحسانك إليهم بالشكر
على حَسَنَاتِهِم والتَّغْمُدَ لسيئاتهم وأي شيء أوجه لك عند ربك من أن يكون

أمامك عدل وإنصاف وإحسان واسعاف ورأفة ورحمة من لي بمثل هذا القائل
وأنى لي بمن يذكرني ما أنا إليه صائر .

ألا إنما الدنيا متاع غرور
ودار ملهمات ودار فجائع
ودار خيال من شكوك وخيرة
وإن إمرأ لم ينج فيها بنفسه
ولا بد من يومين يوم بليّة
كأنّي بيوم ما أخذت تأهباً
كفى حسرة أن الحوادث لم تزل
ألا ربّ أبناء اتساع وفرحة
وأبناء لذات وظل مصانع
نظرت إليهم في بيوت من الثرى
وكم صور تحت التراب مقيمة
ثوت في سرايل عليها من الحصى
إذا ما مررنا بالقبور لحاجة
ألا رب جبار بها متكبر
خليلي كم من ميت قد حضرته
وكم من خطوب قد طوتني كثيرة
وكم من ليال قد أرثني عجائباً
ومن لم تزدّه السن ما عاش عبدة
متى دام في الدنيا سرور لأهلها
ودار بلاء مؤذن بشور
ودار فناً في ظلمة ويحور
ودار صعود في الهوى وحذور
على ما يرى فيها لغير صبور
إرادة جبار ويوم نشور
لربي رواجي مرة وبكوري
تصير أهل الملك أهل قبور
وزهرة عيش مونق وحبور
وظل مقاصير وظل قصور
مسترة من رضر بستور
على غير أبشار وغير شعور
ومن لحف من جندل وصخور
مررنا بدور هن أجمل دور
ويا رب مختال بها وفخور
ولكنني لم انتفع بحضوري
وكم من أمور قد جرت وأمر
هن وأيام خلت وشهور
فذاك الذي لا يستضيء بنور
فأصبح فيها واثقاً بسرور؟

اللهم يا حي يا قيوم يا بدیع السموات والأرض نسألك أن توفّقنا لما

فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنُ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرَمُ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ) فِي مَالِ الْإِنْسَانِ وَمَصِيرِهِ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي صِحَّتِهِ مُتَمَتِّعًا فَرِحًا بِقُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ
لَا يَخْطُرُ لَهُ الضَّعْفُ عَلَى قَلْبٍ وَلَا الْمَوْتُ عَلَى بَالٍ إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ وَجَاءَ
الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَحَلَّ الهمُّ مِنْ نَفْسِهِ مَحَلَّ الْفَرَحِ وَالْكَدْرُ مَكَانَ الصِّفَاءِ وَلَمْ
يَعُدَّ يُؤْنِسُهُ جَلِيسٌ وَلَا يُرِيحُهُ حَدِيثٌ وَلَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
قَدْ سِئِمَ وَمَلَّ مِمَّا كَانَ يَرْغَبُهُ فِي أَيَّامِ صِحَّتِهِ وَصَارَ لَا يَشْتَهِي الْغِذَاءَ وَيَكْرَهُ تَنَاوُلَ
الدَّوَاءِ عَلَى بَقَاءٍ فِي لَبِّهِ وَصِحَّتِهِ فِي عَقْلِهِ يُفَكِّرُ فِي عُمُرِ أَفْنَاهِ وَشَبَابِ أَضَاعَهُ فِي
الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَعِنْدَ الْمَلَأَهِى وَالْمُنْكَرَاتِ .

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا وَدُورًا بَنَاهَا وَقُصُورًا شَيَّدَهَا وَضِيَاعًا جَدَّ وَكَدَّ فِي
حِيَارَتِهَا وَيَتَأَلَّمُ لِدُنْيَا فَارَقَهَا وَيَتْرُكُ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا يَخَافُ عَلَيْهِمُ الضِّيَاعَ مِنْ بَعْدِهِ
مَعَ اشْتِغَالِ نَفْسِهِ بِمَرَضِهِ وَآلَامِهِ وَتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِمَا يُعَجِّلُ شِفَاءَهُ وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ
إِذَا اسْتَفْحَلَ الدَّاءُ وَلَمْ يُفِدِ الدَّوَاءَ وَحَارَ الطَّبِيبُ وَيئَسَ الْحَبِيبُ ﴿ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

عِنْدَ هَذَا يَسْتَشْعِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا مَضَى وَيُحْسُّ بِعَوَاقِبِ التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ
وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَمَالَ عُنُقُهُ . وَأَنْفَهُ وَذَهَبَ حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ وَخَرَسَ
لِسَانُهُ وَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ يَنْظُرُ وَلَا يَفْعَلُ وَيَسْمَعُ وَلَا يَنْطِقُ يَقْلُبُ بَصَرَهُ

فِيَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَحْبَابِهِ وَجِيرَانِهِ يَنْظُرُونَ مَا يُقَاسِيهِ
 مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَلَكِنَّهُمْ عَنْ انْقَادِهِ أَوْ تَخْفِيفِ كَرْبِهِ عَاجِزُونَ .
 شِعْرًا :

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهَمُّومُهُ
 فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ
 وَقَدْ جَشَّاتْ خَوْفَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ
 فَكَمْ مُوجِعٌ يَبْكِي عَلَيْهِ مُفْجِعٌ
 وَمُسْتَرْجِعٌ دَاعٍ لَهُ اللَّهُ مُخْلِصاً
 وَكَمْ شَامِتٌ مُسْتَبْشِرٌ بِوَفَاتِهِ
 وَحَلُّ أَحَبِّ الْقَوْمِ كَانَ بِقُرْبِهِ
 وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِعُغْلِهِ
 وَكَفَّنَ فِي ثَوْبَيْنِ وَاجْتَمَعُوا لَهُ
 فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَوْلَادَهُ الَّذِي
 لَعَايَنْتَ مِنْ قُبْحِ الْمَنِيَّةِ مَنْظَرًا
 أَكَابِرُ أَوْلَادٍ يَهْيِجُ اكْتِنَابَهُمْ
 وَرَبَّةُ نِسْوَانٍ عَلَيْهِ جَوَازِعُ
 ثَوَى مُفْرَدًا فِي لَحْدِهِ وَتَوَزَّعَتْ
 وَأَحْنُوا إِلَى أَمْوَالِهِ يَقْسِمُونَهَا
 فَيَا عَامِرَ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيَا لَهَا
 سَتَلْقَى الَّذِي لَاقَى عَلَى الرَّغْمِ آتِفًا
 وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَقَادِرُ
 وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَادِرُ نَاصِرُ
 تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُا وَالْحَنَاجِرُ
 وَمُسْتَجِدُّ صَبْرًا وَمَا هُوَ صَابِرُ
 يَعِدُّ مِنْهُ كُلُّ مَا هُوَ ذَاكِرُ
 وَعَمَّا قَلِيلٍ لِلَّذِي صَارَ صَائِرُ
 يُحِثُّ عَلَى تَجْهِيزِهِ وَيُبَادِرُ
 وَوَجَّهَ لَمَّا فَاضَ لِلْقَبْرِ حَافِرُ
 مُشِيعُهُ إِخْوَانُهُ وَالْعَشَائِرُ
 عَلَى فَقْدِهِ مِنْهُمْ قُلُوبٌ تَفْطُرُ
 يَهَالُ لِمَرَاةٍ وَيَرْتَاعُ نَاطِرُ
 إِذَا مَا تَنَاسَوهُ الْبُنُونَ الْأَصَاغِرُ
 مَدَامِعُهُمْ فَوْقَ الْخُدُودِ غَوَازِرُ
 مَوَارِيثُهُ أَوْلَادُهُ وَالْأَصَاهِرُ
 فَلَا حَامِدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهَا وَشَاكِرُ
 وَيَا آمِنًا مِمَّا تَدُورُ الدَّوَائِرُ
 فَخُذْ أَهْبَةً وَأَحْرِصْ فَمَا لَكَ عَادِرُ

وَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يُحِبُّونَ حَيَاتَهُ وَبَقَاءَهُ صَارُوا يَتَمَنُّونَ مَوْتَهُ وَرَاحَتَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ
 أَنَّهُ عَمَّا قَلِيلٍ مَأْخُودٌ مِنْ بَيْنِهِمْ حَيْثُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنَعِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ

رُوحِهِ إِلَى بَدَنِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

ثُمَّ لَا يَزَالُ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدَهُ وَيَشْتَدُّ بِهِ النَّزْعُ وَجَعَلَ يُتَابِعُ
نَفْسَهُ وَاخْتَلَّ نَبْضُهُ وَتَعَطَّلَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ كَمَا تَعَطَّلَ قَبْلَ ذَلِكَ لِسَانُهُ حَتَّى إِذَا
جَاءَ الْأَجَلَ وَنَفَذَ الْقَضَاءُ وَفَاضَتْ رُوحُهُ إِلَى السَّمَاءِ صَارَ جُثَّةً هَامِدَةً وَجِيْفَةً
بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ قَدْ اسْتَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَتَبَاعَدُوا وَمَاتَ اسْمُهُ الَّذِي كَانُوا
يَعْرِفُونَهُ كَمَا مَاتَ شَخْصُهُ الَّذِي كَانُوا يَأْنَسُونَ بِهِ وَأَصْبَحُوا يَقُولُونَ الْمَيِّتَ بَعْدَ
أَنْ كَانُوا يُنَادُونَهُ بِاسْمِهِ حَيًّا .

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ثُمَّ أَخَذَ الْغَاسِلُ فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ وَصَارَ يُقَلِّبُهُ
عُرْيَانًا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى سَوَاتِيهِ وَعَوْرَتِهِ وَقَدْ كَانَ يَسْتَحِي وَيُخْجَلُ مِنْهُ حَالِ
حَيَاتِهِ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ كَمَا يُدْرِجُ الْمَتَاعُ فِي لِفَافَتِهِ وَبَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ
يُحْمَلُونَهُ إِلَى حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ ضَيِّقَةٍ مُوحِشَةٍ وَيَتْرَكُونَهُ وَحِيدًا لَا أُنَيْسَ وَلَا رَفِيقَ إِلَّا
عَمَلُهُ إِنْتَهَى وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِهِ :

شِعْرًا :

فَأَمْسَوْا رَمِيمًا فِي التُّرَابِ وَعُطِّلَتْ	مَجَالِسُهُمْ مِنْهُمْ وَأَخْلَى الْمَقَاصِرُ
وَحَلُّوا بَدَارٍ لَا تَزَاوِدُ بَيْنَهُمْ	وَأَنِّي لِسُكَّانِ الْقُبُورِ التَّزَاوُدُ
فَمَا أَنْ تَرَى إِلَّا قُبُورًا ثَوَّاهَا	مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ	مُبَادَرَةً تَهْوِي إِلَيْهَا الذَّخَائِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي بَنَى	وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهُ وَالْدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةُ حِيلَةً	وَلَا طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهَا الْعَسَاكِرُ
أَتَاهُ مِنَ الْجَبَّارِ مَالًا يَرُدُّهُ	وَأَمْرُ قَضَاءِ اللَّهِ لَا بُدَّ صَائِرُ
مَلِيكَ عَزِيزٍ لَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ	حَكِيمٍ عَلَيْهِمْ نَافِذُ الْأَمْرِ قَاهِرُ

عَنِ كُلِّ ذِي عِزٍّ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ لِلْمُهَيْمِينَ صَاغِرُ
لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسَلَّمَتْ وَتَضَاعَلَتْ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْشِ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرُ
وَقَفَ بَعْضُ السَّلَفِ عَلَى إِنْسَانٍ شَدِيدِ الْحُزَنِ فَقَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ
مَحْزُونٌ قَالَ لَأَنِّي أَصِبتُ فِي نَفْسِي وَذَلِكَ أَنِّي قَتَلْتُهَا بِالذُّنُوبِ فَأَنَا حَزِينٌ عَلَيْهَا
ثُمَّ أَسْبَلَ دَمْعُهُ فَقَالَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ الْآنَ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا مَضَى مِنْ أَجَلِي لَمْ
يَحْسُنْ فِيهِ عَمَلِي فَبُكَائِي لِقِلَّةِ الزَّادِ وَبَعْدِ الْمَفَازَةِ وَعَقَبَةُ لَا بُدَّ لِي مِنْ صُعودِهَا
ثُمَّ لَا أَدِي أَيْنَ يَهْبِطُ بِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

يَا رَاكِبًا يَطْوِي مَسَافَةَ عُمْرِهِ بِاللَّهِ هَلْ تَذَرِي مَكَانَ نُزُولِكََا
شَمْرُوقُمْ مِنْ قَبْلِ حَظِّكَ فِي الثَّرَى فِي حُفْرَةٍ تَبْلَى بِطُولِ حُلُولِكََا

- وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ -

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرِ وَنَأَى الْمَزَارُ وَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا
تَرَكَوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقِفْرَةٍ لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةٍ مَا نَفَّسُوا
وَقَضَى الْقَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ عَنْكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا
آخِرُ : إِنَّ الْمَسَاءَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدُ أُخْتَانِ رَهْنٍ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ غَدِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ فَتَزَوَّدِ
آخِرُ : قِفْ بِالْقُبُورِ وَقُلْ عَلَى سَاحَتِهَا مَنْ مِنْكُمْ الْمَغْمُورُ فِي ظُلُمَاتِهَا
وَمَنْ الْمَكْرَمُ مِنْكُمْ فِي قَعْرِهَا قَدْ ذَاقَ بَرْدَ الْأَمْنِ مِنْ رَوْعَاتِهَا
لَوْ جَاوَبُوكَ لِأَخْبَرُوكَ بِالسُّنَنِ تَصِفُ الْحَقَائِقَ بَعْدُ مِنْ حَالَاتِهَا
أَمَّا الْمَطِيعُ فَنَازِلُ فِي رَوْضَةِ يُفْضِي إِلَى مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَاتِهَا
وَالْمُجْرِمُ الطَّاغِي بِهَا مُتَقَلِّبُ فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَاتِهَا
وَعَقَارِبُ تَسْعَى إِلَيْهِ فَرُوحُهُ فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ مِنْ لَدَغَاتِهَا
آخِرُ : إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابُ وَلَا حَرَسُ

يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
وَأَنْتَ دَهْرَكَ فِي اللَّذَاتِ مُنْغَمِسُ
وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ

إِذْ صَارَ أَغْمَضُهُ يَوْمًا وَسَجَّاهُ
فَيُمْكِنُ الْأَرْضَ مِنْهُ ثُمَّ يَنْسَاهُ
وَكُلُّ ذِي عَمَلٍ يَوْمًا سَيَلْقَاهُ

عَنِ الْجَوَابِ لِسَانًا مَا بِهِ خَرَسُ
فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ كُتِبَتْ عَلَى قُبُورٍ لِلْإِعْتِبَارِ فَالْبَصِيرُ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى قَبْرِ
غَيْرِهِ فَيَرَى مَكَانَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَسْتَعِدُّ لِلْحُوقِ بِهِمْ وَيَعْلَمُ أَنََّّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ مِنْ
مَكَانِهِمْ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِمْ وَلِيَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِمْ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عُمْرِهِ
الَّذِي هُوَ مُضَيِّعٌ لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَا فَيَرْهَا لِأَنَّهُمْ
عَرَفُوا قَدْرَ الْأَعْمَارِ وَالْأَعْمَالِ وَانْكَشَفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَإِنَّمَا حَسَرَتُهُمْ عَلَى
يَوْمٍ مِنَ الْعُمُرِ لِيَتَدَارَكَ الْمُقْصَرُّ بِهِ تَقْصِيرُهُ فَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعِقَابِ وَلِيُسْتَزِيدَ
الْمَوْفِقُ بِهِ رُتْبَةً فَيَضَاعَفُ لَهُ الثَّوَابُ .

فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كِبَائِرُ

وَلَعَلَّنِي عَنْ بَابِهِ لَا أُطْرَدُ
دَيْنًا عَلَيَّ بِهِ جَلَالُكَ يَشْهَدُ
بَسَاسِلِ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
تَحْتَ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ فَوْقِي تَرُصُّدُ

فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا
أَصْبَحْتَ يَا غَافِلًا فِي النَّقْصِ مُنْغَمِسًا
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَهْلٍ لِعِزَّتِهِ
آخِر :

بَيْنَا الشَّفِيقُ عَلَى إِلْفٍ يُسَرُّ بِهِ
يَبْكِي عَلَيْهِ قَلِيلًا ثُمَّ يُخْرِجُهُ
وَكُلُّ ذِي أَجَلٍ يَوْمًا سَيَبْلُغُهُ

آخِر : كَمْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ فِي قَبْرِ وَقَفَّتْ بِهِ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفُ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ كُتِبَتْ عَلَى قُبُورٍ لِلْإِعْتِبَارِ فَالْبَصِيرُ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى قَبْرِ
غَيْرِهِ فَيَرَى مَكَانَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَسْتَعِدُّ لِلْحُوقِ بِهِمْ وَيَعْلَمُ أَنََّّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ مِنْ
مَكَانِهِمْ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِمْ وَلِيَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِمْ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عُمْرِهِ
الَّذِي هُوَ مُضَيِّعٌ لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَا فَيَرْهَا لِأَنَّهُمْ
عَرَفُوا قَدْرَ الْأَعْمَارِ وَالْأَعْمَالِ وَانْكَشَفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَإِنَّمَا حَسَرَتُهُمْ عَلَى
يَوْمٍ مِنَ الْعُمُرِ لِيَتَدَارَكَ الْمُقْصَرُّ بِهِ تَقْصِيرُهُ فَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْعِقَابِ وَلِيُسْتَزِيدَ
الْمَوْفِقُ بِهِ رُتْبَةً فَيَضَاعَفُ لَهُ الثَّوَابُ .

لَا يَحْقِرُ الرَّجُلُ اللَّبِيبُ دَقِيقَةَ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ

آخِر : يَا رَبِّ مَا لِي غَيْرَ لَطْفِكَ مُلْجَأَ
يَا رَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا
أَنْتَ الْخَيْرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ
أَسْفَا عَلَى عُمْرِي الَّذِي ضَيَّعْتُهُ

يا رَبِّ قَدْ ثَقُلْتُ عَلَى كِبَائِرُ بِإِزَاءِ عَيْنِي لَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ
يا رَبِّ إِنْ أَبْغَدْتُ عَنْكَ فَإِنَّ لِي طَمَعًا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي لَا تُبْعَدُ
أَنْتَ الْمُجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِي أَنْتَ الْمُجِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَجِدُ
مِنْ أَيْ بَحْرِ غَيْرِ بَحْرِكَ نَسْتَقِي وَلَايِي بَابِ غَيْرِ بَابِكَ نَقْصِدُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَفِي الْحَدِيثِ مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ : إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا
يَكُونَ إِزْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزْعَ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا عَرَفُوا قَدْرَ
الْعُمْرِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ فَحَسَرَتُهُمْ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْحَيُّ قَادِرٌ
عَلَى تِلْكَ السَّاعَةِ وَرُبَّمَا أَقْدَرَكَ اللَّهُ عَلَى امْتَالِهَا .

ثُمَّ أَنْتَ مُضِيعٌ لِلْوَقْتِ وَقَاتِلٌ لَهُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ أَوْ فِيمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ
عَلَيْكَ فَوَيْطِنُ نَفْسِكَ عَلَى النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ وَالتَّلَهُّفِ عَلَى تَضْيِيعِ الْوَقْتِ عِنْدَ
خُرُوجِ الْأَمْرِ مِنْ اخْتِيَارِكَ وَعَدَمِ تَمَكُّنِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَاذْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ
فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ الْآيَاتِ وَقَوْلَهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ
﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا
أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأُصَدِّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى
﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْفَلَتْ ﴾ الْآيَةَ وَقَوْلَهُ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وَنَحْوَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْحَقِيقَةِ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا أَبْلَغُ مِنَ السِّيَاطِ ،

فِي الْحَثِّ عَلَى التَّزَوُّدِ لِلْمَعَادِ وَصِيَانَةِ الْوَقْتِ وَصَرْفِهِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ
جَلَّ وَعَلَا .

وقال الشيخ سعدُ بنُ عتيق رحمه الله تعالى ناظماً المفاتيح التي
ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه حادي الأرواح .

حَمِدْتُ الَّذِي يُولِي الْجَمِيلَ وَيُنْعِمُ
لَهُ الْفَضْلُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ وَيُكْرِمُ
وَأَرْكَى صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى خَيْرِ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ يُسَلِّمُ
مُحَمَّدٍ الْهَادِي وَأَصْحَابِهِ الْأُولَى
بِحُسْنِ اجْتِهَادٍ عُلِّمُوا وَتَعَلَّمُوا
وَبَعْدُ فَقَدْ عَنِ الْوَفَاءِ لِسَائِلِ
بِوَعْدِي إِيَّاهُ بِأَيِّ أَنْظِمُ
مَفَاتِيحَ كَانَتْ لِلشُّرُورِ وَضِيَّهَا
فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَعْلَمُ
وَأُضْحَى بِمَا يَذَرِي مِنَ الْحَقِّ عَامِلًا
فَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَقَدْ جَعَلَ الْمَسُولَى لَهُنَّ مَفَاتِيحًا
تُنَالُ بِهَا وَاللَّهُ بِالْحَقِّ أَعْلَمُ
فَمِفْتَاحُ شَرْعِي الصَّلَاةِ طُهُورُنَا
وَيَفْتَحُ حَجًّا مُحَرَّمًا حِينَ يُحْرَمُ
وَبِالصَّدَقِ فَتْحُ الْبِرِّ وَالْعِلْمُ فَتْحُهُ
بِحُسْنِ سُؤَالٍ عَنْ فَتَى يَتَعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسِنِ الْأَصْغَاءِ وَالنُّصْرُ فَتُّحُهُ
مَعَ الظَّفَرِ الْمَحْمُودِ بِالصَّبْرِ فاعْلَمُوا
وَتَوْحِيدُنَا لِلَّهِ مِفْتَاحُ جَنَّةِ النَّارِ
نَعِيمٍ فَبِالتَّوْحِيدِ دِينُوا تَنَعَّمُوا
وَبِالشُّكْرِ لِلنَّعْمَاءِ فَتَحْ زِيَادَةٍ
وَيَخْصُلُ حُبُّ وَالْوَلَايَةِ تُغْنِمُ
بِمِفْتَاحِهِ الذِّكْرُ الشَّرِيفُ وَذُو التَّقَى
يَنَالُ بِتَقْوَاهُ الْفَلَاحَ وَيُكْرَمُ
وَمِفْتَاحُ تَوْفِيقِ الْفَتَى صِدْقُ رَغْبَةٍ
وَرَهْبَتِهِ ثُمَّ الدُّعَاءُ الْمُكْرَمُ
لَدَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْإِجَابَةِ وَاعْلَمَنَّ
بِأَنَّ جَمِيلَ الزُّهْدِ لِلْعَبْدِ مَغْنَمُ
وَيُفْتَحُ لِلْعَبْدِ التَّجَلِّي بِرَغْبَةٍ
بِدَارِ الْبَقَاءِ فَارْهَدْ لَعَلَّكَ تُغْنِمُ
وَمِفْتَاحُ إِيمَانِ الْعِبَادِ تَفَكُّرُ
بِمَا كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاهُمْ
إِلَى نَظَرٍ فِيهِ وَأَنْ يَتَفَكَّرُوا
بِهِ وَدُخُولُ الْعَبْدِ ذَاكَ الْمَفْخَمُ
عَلَى رَبِّهِ مِفْتَاحُ ذَاكَ سَلَامَةٍ
وَأَسْلَامُ قَلْبٍ لِإِلَهِهِ فَأَسْلِمُوا
وَمَعَ ذَاكَ إِخْلَاصُ بِحُبِّ وَيُغْنِيهِ
وَفِعْلُ وَتَرْكُ كُلِّ ذَلِكَ يَلْزَمُ

وَيُحْيِي قُلُوبَ الْعَارِفِينَ تَضَرُّعُ
بِأَوْقَاتِ أَسْحَارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُمْ
كَذَا الْوَحْيِ إِذْ يُتْلَى بِحُسْنِ تَدْبِيرٍ
وَتَرَكُ الذُّنُوبَ فَهِيَ لِلْقَلْبِ تَوَلُّمُ
وَإِحْسَانُ عَبْدٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
وَنَفْعُ الْعِبَادِ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِمْ
لِإِصْلَاحِهِمْ مِفْتَاحُ تَحْصِيلِ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِلَيْهِ فَلَا زِمَ ذَا لَعَلَّكَ تُرْحَمُ
وَمِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَبْدِ سَعْيٌ مَعَ التَّقَى
وَكَثْرَةُ الْاسْتِغْفَارِ إِذْ هُوَ مُجْرِمٌ
وَمِفْتَاحُ عِزِّ الْعَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ
وَطَاعَةُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَعَظُمُوا
وَمِفْتَاحُ الْاسْتِعْدَادِ مِنْكَ لِمَا لَهُ
تَصِيرُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ
هُوَ الْقَصْرُ لِلْأَمَالِ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ
فَمِفْتَاحُهُ رَغْبٌ مِنَ الْعَبْدِ يُعْلَمُ
بِمَوْلَاهُ وَالِدَارِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ
وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
إِطَاعَتَكَ الْأَمَالَ فَاخْذَرْ غُرُورَهَا
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا الَّتِي تَتَصَرَّمُ
وَمِفْتَاحُ نَارِ الْخُلْدِ شِرْكُ بَرِيئِنَا
وَكِبَرُ الْفَتَى فَالْكِبَرُ حُوبٌ مُعْظَمُ

وَإِعْرَاضُهُ عَمَّا عَنِ اللَّهِ قَدْ أَتَى
 بِهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيَّ الْمُكَرَّمُ
 وَغَفَلَتُهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَقِيَامِهِ
 بِحَقِّ لِذِي الْعَرْشِ الْمَلِكِ يُحْتَمُّ
 وَمِفْتَاحُ إِثْمٍ يُؤَبِّقُ الْعَبْدَ مُسْكِرُ
 مِنَ الْخَمْرِ فَاحْذَرُهَا لَعَلَّكَ تَسْلَمُ
 وَمِفْتَاحُ ذِي الْمَقْتِ الزَّانَا سَيِّءُ الْغِنَا
 وَذَلِكَ قُرْآنُ اللَّعِينِ وَمَأْتَمُّ
 وَإِطْلَاقُ طَرْفِ الشَّخْصِ مِفْتَاحُ عَشْقِهِ
 لِمُسْتَحْسِنِ الْأَشْبَاحِ فَهُوَ مُحَرَّمُ
 وَبِالْكَسَلِ الْمَذْمُومِ مَعَ رَاحَةِ الْفَتَى
 يَخِيبُ وَكُلُّ الْخَيْرِ لَا شَكَّ يُحَرَّمُ
 وَمِفْتَاحُ كُفْرَانِ الْفَتَى وَبَرِيدُهُ
 مَعَاصِيهِ وَالْعَاصِي قَرِيباً سَيَنْدَمُ
 وَبَابُ نِفَاقِ الْعَبْدِ يَفْتَحُهُ إِذَا
 يَكُونُ كَذُوباً وَالْكَذُوبُ مُذَمَّمُ
 وَشَحُّ الْفَتَى وَالْجِرْصُ مِفْتَاحُ بُخْلِهِ
 وَمِفْتَاحُ أَخْذِ الْمَالِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ
 بَأَنَّ لَيْسَ جِلاً مَعَ قَطِيعَةِ رَحِمِهِ
 وَكُلُّ ابْتِدَاعٍ فِي الْخَلِيقَةِ يُعْلَمُ
 فَمِفْتَاحُهُ الْإِعْرَاضُ عَمَّا أَتَى بِهِ
 نَبِيُّ الْهُدَى مِنْ سُنَّةٍ نَتَعَلَّمُ

وَاخْتِمُ قَوْلِي فِي الْقَرِيضِ بِأَنِّي
أُصَلِّي عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَأُسَلِّمُ
وَالِ مَعَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الَّذِينَ هُمْ
لِمُقْتَبِسِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ أَنْجُمُ
وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَاحْمَدُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي
جِرَاسَةِ النِّعَمِ عَنِ الزَّوَالِ فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ قَدْ عَمَّتِ الْبَوَادِي وَالْأَمْصَارَ وَإِنَّ
نِعَمَ اللهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَلَا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .

قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴾ فَكَمْ أَسَدَى مَعْرُوفاً وَكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوفاً فَاشْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَادْكُرُوهُ
كَثِيراً قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

وهُبُوا مِنْ هَذِهِ الرِّقْدَةِ وَالْمَقَامِ واحذَرُوا الْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَهَالِكَ
وَالْمَذَامَ ، وَالزُّمُورَ طَاعَةَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وَاغْتَنِمُوا بَقِيَّةَ الْعُمْرِ وَالْأَيَّامِ ،
وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ تَشَقُّقُ فِيهِ
السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا وَالذَّوَاهِي وَالْأَهْوَالُ الطَّوَامِ ، وَتُنْكَسُ فِيهِ
الظُّلُمَةُ رُؤُوسَهَا وَيَعْلُوهَا الذُّلُّ مِنَ الرُّؤُوسِ إِلَى الْأَقْدَمِ وَتَتَجَلَّى لِفَضْلِ
الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ الْحُكَّامِ .

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّتْ كُلُّ نَفْسٍ

مَا عَمِلْتَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿ وَنُودِيَ آيْنَ الظُّلْمَةُ وَأَعْوَانُ الظُّلْمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَثُوبٌ وَإِقْدَامٌ فَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلُهُ وَمِنْ بَلَاءٍ مَا أَهْوَلُهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَثْقَلُهُ وَمِنْ عَذَابٍ مَا أَعْصَلُهُ وَمِنْ جَزَاءٍ مَا أَجْزَلُهُ وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلُهُ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيدُ وَحَقُّ الْوَعِيدُ وَعَظُمَ الْهَوَلُ الشَّدِيدُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وَخَضَعَتِ الرَّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الْأَشْقِيَاءُ بِالْخُسْرَانِ وَالتَّبَابِ فَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَعْمَلَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْوُرُودِ .

فَانْتَبَهَ أَيُّهَا الْعَبْدُ لِأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَاحْفَظْ أَيَّامَ عُمْرِكَ قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ وَاعْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فَإِنَّ الْعُمْرَ بِالسِّنِينَ يُنْهَبُ وَالْأَجَلَ بِمُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ يَذْهَبُ .

شِعْرًا :

لِمَنْ ، وَرُقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرِيعِ	تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيخُ الضُّلُوعِ
عَلَى فَيْنَانَةٍ خَضِرَاءَ يَصْنُفُو	عَلَى أَعْطَافِهَا وَشْيُ الرَّيِّعِ
تُرِدُّ صَوْتٌ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا	رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ
فَشَتَّتْ شَمْلَهَا وَأُدَالَ مِنْهُ	غَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبٍ صَرِيعِ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمٌ وَهِيَ خَرَسَا	وَتَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةُ الدُّمُوعِ
فَهِمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهِمْتُ أَنِّي	مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ
أُتْبِكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أُنَيْسَا	وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالْكَأْسِ الْفَظِيعِ
وَهَا أَنَا لَسْتُ أُبْكِي فَقَدْ نَفْسِي	وَتَضْيِيعِي الْحَيَاةَ مَعَ الْمُضْيِيعِ
وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي	لَأَرْسَلْتُ الْمَدَامِيعَ بِالنُّجِيعِ

أَلَا يَا صَاحِبَ الشَّكْوَى ضُرُوبٌ وَذِكْرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهُجُوعِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعَيِّرَ أَخَاكَ دَمْعاً فَمَا فِي مُقْلَتَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ
آخِرُ :

مَا زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَزُبُرُجُ أَهْلِهَا إِلَّا غُرُورٌ . كُلُّهُ وَحُطَامٌ
وَلَرَبُّ أَقْوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَلَتَمْضِينَ كَمَا مَضَى الْأَقْوَامُ
وَلَرَبُّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ رُكَامُ
وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ تَلْهُوُ وَتَلْعَبُ بِالْمُنَى وَتَنَامُ
كُلُّ يَدُورٍ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤَمِّلاً وَعَلَى الْفَنَاءِ تُدِيرُهُ الْأَيَّامُ
وَالدَّائِمُ الْمُلْكُوتِ رَبُّ لَمْ يَزَلْ مَلِكاً تَقَطَّعَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَنَوِّرْهَا بِنُورِ
الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَكُونَ اخُواناً
مُتَرَاحِمِينَ مُتَعَاوِنِينَ مُتَحَابِّينَ مُتَعَاطِفِينَ يُحِبُّ كُلُّ مِّنَا لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ أَخْرَجَ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

في الحديث الأول ما يُفِيدُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَأْنِهِمُ التَّنَاصُرُ وَالتَّنَاصُحُ وَالتَّكَاتُفُ والتعاون على مَصَالِحِهِمُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَنْ يَكُونُوا مُتَرَاحِمِينَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسَاعِدُ أَخَاهُ وَيُعَاوِنُهُ عَلَى مَا يُصْلِحُ حَالَهُ وَيُصْلِحُ حَالَ الْجَمِيعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالشَّهْرِ .

وَكَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ وفي الحديث الآخر « الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكْفُ عَلَيْهِ ضِيعَتُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ » .

وَمِنْ مُقْتَضَى الْأُخُوَّةِ فِي الدِّينِ أَوْ النَّسَبِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَخَاهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَيَسْعَى لِتَفْرِيجِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ كُرْبٍ وَمَا حَلَّ بِهِ مِنْ ضَيْمٍ وَمَا انْتَابَهُ مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ وَعُسْرٍ وَضِيقٍ وَلَا يَسْعَى لِهَتْكِ عَرَضِهِ وَنَشْرِ سِرِّهِ وَالتَّشْهِيرِ بِهِ .

وَمَحَلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِالْفُجُورِ وَالْفِسْقِ وَالْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي وَهَذَا فِي سِتْرِ مَعْصِيَةِ وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ .

أَمَّا إِذَا عَلِمَ مَعْصِيَتَهُ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا فَتَجِبُ الْمُبَادَرَةُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ
وَمَنْعُهُ مِنْهَا وَالْحِيلُولَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِحَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ فَإِنْ عَجَزَ لَزِمَهُ رَفْعُهَا
إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى ذَلِكَ مَفَاسِدُ أَعْظَمُ مِنْهَا لِأَنَّ السِّرَّ عَلَيْهِ
يُطْمِعُهُ فِي الْفَسَادِ وَيُجَرِّئُهُ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَاسْتِرْسَالِهِ فِي طُرُقِ الْغِيْرِ
وَالْفَسَادِ وَالضَّلَالَاتِ .

وَهَذَا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ بَيَّنَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَصَفَ الْمُسْلِمَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ
بَأَنَّهُ لَا يَظْلِمُهُ فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي عَرْضِهِ وَلَا فِي مَالِهِ وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ بِسَائِرِ
أَنْوَاعِهِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَوْسِ بْنِ شُرْحَبِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ
فَهَذَا وَعَيْدٌ شَدِيدٌ لِأَعْوَانِ الظُّلْمَةِ وَمُسَهِّلِي مَصَالِحِهِمْ وَمُوطِدِي طُرُقِهِمْ
الدَّالِّينَ لَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

فَمَا الظُّنُّ بِحَالِ الظُّلْمَةِ إِذَا جَاءَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ لِلْفَضْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَشُؤْفَةِ الظَّالِمِ بِمَا جَنَى وَأَيَقَنَ بِالْعَذَابِ وَتَمَنَّى أَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ مَظَالِمِهِ فِي
الدُّنْيَا .

وَلِهَذَا أَمَرَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ وَالْأَخْذِ عَلَى يَدِ
الظَّالِمِ وَكَفِّهِ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَنْعِهِ مِنْ جَوْرِهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ يَقُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا
نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ » .

وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ مَنْعِهِ مِنَ الظُّلْمِ بِالْفِعْلِ كَالِاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِ بِرَفْعِهِ لَوْلَاةٍ

الْأُمُورِ وَرَفَعِهِ لِلْحُكَّامِ حَيْثُ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ النَّصْحُ بِاللِّسَانِ وَضُرُوبِ
الْكَلَامِ .

وَمِنَ النُّصْرَةِ لِلْمَظْلُومِ إِعَانَتُهُ وَالسَّعْيُ لِرَفْعِ ظِلَامَتِهِ وَالضَّرْبُ عَلَى
يَدِ الظَّالِمِ وَكَفِّهِ عَنْ ظُلْمِهِ فَهَذَا نُصْرَةٌ لَهُ عَلَى شَيْطَانِهِ الَّذِي يُغْوِيهِ وَيُورِدُهُ
الْمَهَالِكَ وَيُوقِعُهُ فِي الْمَآزِقِ وَالْوَرَطَاتِ الَّتِي يَصْعُبُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا وَنُصْرَةٌ
لَهُ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرِيرَةِ الَّتِي تَأْمُرُهُ بِالْفَحْشَاءِ .

وَالْعَاقِلُ اللَّيِّبُ مَنْ يَتَحَلَّلُ مِنْ أَهْلِ الْمَظَالِمِ فِي دُنْيَاهُ قَبْلَ الْآخِرَةِ
وَلَا يَدْعُ حَقًّا لِأَحَدٍ عَلَيْهِ بَلْ يُسَارِعُ لِإِدَاءِ مَا فِي ذِمَّتِهِ وَيَطْلُبُ الْمُسَامَحَةَ
مِمَّنْ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُنَافَسَةٌ أَوْ مُنَازَعَةٌ أَوْ مُعَامَلَةٌ مِنْ جَارٍ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ
قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ .

قَبْلَ أَنْ يَقِفَ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الرَّهِيبَ فِي يَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا
السَّمَاءَ مُنْفِطِرًا بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ وَقَدْ عَقَدْنَا فَضْلًا كَامِلًا
لِبَيَانِ الظُّلْمِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَدِلَّةِ تَحْرِيمِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ
الْكِتَابِ ص ١٠٥ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْجَسْرِ يَعْنِي
الصِّرَاطَ يَا مَعْشَرَ الْجَبَابِرَةِ الطُّغَاةِ وَيَا مَعْشَرَ الْمُتْرَفِينَ الْأَشْقِيَاءِ إِنَّ اللَّهَ
يَخْلِفُ بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ لَا يُجَاوِزَ هَذَا الْجَسْرَ ظَالِمٌ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا تُخْبِرُونِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ
الْحَبَشَةِ فَقَالَ فُتَيْةٌ كَانُوا مِنْهُمْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّتْ
بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ
فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ الْمَرْأَةُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا
وَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا .

فَلَمَّا قَامَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَتْ سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَادِرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ
الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ، سَوْفَ تَعْلَمُ مَنْ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا .

قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ
قَوْمًا لَا يُؤْخَذُ مِنْ شِدِيدِهِمْ لِضَعِيفِهِمْ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « خَمْسَةٌ غَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ أَمْضَى غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَإِلَّا أَمَرَ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى
النَّارِ .

أَمِيرُ قَوْمٍ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْ رَعِيَّتِهِ وَلَا يُنْصِفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَدْفَعُ
الظُّلْمَ عَنْهُمْ .

وَزَعِيمٌ قَوْمٍ يُطِيعُونَهُ وَلَا يُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَيَتَكَلَّمُ
بِالْهَوَى وَرَجُلٌ لَا يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَلَا يُعَلِّمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ .

وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُؤَفِّهِ .

وَرَجُلٌ ظَلَمَ امْرَأَتَهُ صَدَاقَهَا وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ إِنْ اللَّهُ

تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ رَفَعُوا رُؤُسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالُوا يَا رَبُّ مَعَ مَنْ أَنْتَ قَالَ مَعَ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُوْدَى إِلَيْهِ حَقُّهُ .

وَقِيلَ لَمَّا حُبِسَ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ وَوَلَدُهُ قَالَ يَا أَبَتِي بَعْدَ الْعِزِّ صِرْنَا فِي الْقَيْدِ وَالْحَبْسِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بَلِيلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَغْفُلِ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ حَكِيمٍ يَقُولُ مَا هَبْتُ أَحَدًا قَطُّ هَبْتِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ يَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَهُ مَا ظَلَمَهُ بِهِ فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالذِّينِ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا لَهُمْ حَسَنَاتٍ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوهُمْ حَتَّى يُرَدُّوا إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُحْشَرُ الْعِبَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرْلًا بَيْنَهُمَا فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ الدِّيَانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ إِلَى أَنْ أَقْصَهُ حَتَّى اللَّطْمَةِ فَمَا فَوْقَهَا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا .

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي حُفَاةَ عُرَاءٍ فَقَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ جَزَاءٍ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظَلَمًا اقْتَصَصَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلِطَ عَلَيْهِ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا

تَمَلُّوا أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ إِلَّا بِالْإِنْكَارِ مِنْ قُلُوبِكُمْ لئَلَّا تَحْبُطَ
أَعْمَالُكُمْ .

وقال مَكْحُولُ الدِّمَشْقِيُّ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانُ
الظُّلْمَةِ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ مَدَّ لَهُمْ جَبْرًا أَوْ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاءً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا
فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ .

وَجَاءَ رَجُلٌ خَيَّاطٌ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فَقَالَ إِنِّي رَجُلٌ اخِيضُ ثِيَابَ
السُّلْطَانِ هَلْ أَنَا مِنْ أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ فَقَالَ سُفْيَانُ أَنْتَ مِنَ الظُّلْمَةِ أَنْفُسِهِمْ
وَلَكِنْ أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ مَنْ يَبِيعُ مِنْكَ الْإِبْرَةَ وَالْخِيُوطَ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَضْلٌ)

في التَّوَاضُّعِ

التَّوَاضُّعُ يُقَابِلُ الْكِبَرَ وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفَضُ جَنَاحِ الدَّلِّ
وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ وَقِيلَ هُوَ رِضَا الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ دُونِ مَا يَسْتَحِقُّهُ فَضْلُهُ
وَمَنْزِلَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ لَا تَكَادُ تَظْهَرُ فِي أَكْثَرِ النَّاسِ وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي أَجْلَاءِ
النَّاسِ وَعُلَمَائِهِمُ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ وَهَذَا كَانَ فِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ كَثِيرٌ أَمَّا
الْيَوْمَ فَهُوَ نَادِرٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّفَضُّلِ لِأَنَّ الْمُتَوَاضِعَ يَتْرُكُ بَعْضَ حَقِّهِ
وَالتَّوَاضُّعُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْكِبَرِ وَالضُّعَةِ وَالْكَبَرُ تَقَدَّمَ تَعْرِيفُهُ فِي أَوَّلِ
الْكِتَابِ .

وَالضُّعَةُ وَضَعُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي مَنْزِلَةٍ تُزِرِي بِهِ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالْخِسَّةِ
وَابْتِذَالِ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهَا الْفَاسِدَةِ فَتَجِدُ الْوَضِيعَ يَقِفُ فِي

المواقف التي تُزري به من أجل الحصول على وظيفة أو مال أو جاه أو امرأة أو نحو ذلك فلا يُبالي أن يدل لمن دونه أو يتملق لمن يهينه أو يقف على باب من يستثقله ويظهر الشمئزاز منه وهو لا يُبالي بالألحاح عليه والوقوف بين يديه ذليلاً خاضعاً ولا شك أن هذا صفة ذميمة .

ومنشأ التواضع من معرفة الإنسان قدر عظمة ربه ومعرفة قدر نفسه لأن من يدرك أنه شخص ضعيف فإن وأن كل صفة من صفاته الموجبة للرفعة والكبر في هذه الحياة لا ثبات لها بل هي أعراض زائلة ويدرك أن ربه هو الخالق العظيم المتفرد بالبقاء والكبرياء ، فهذا لا يتمرد على خالقه باقتراف الجرائم والآثام وعند ذلك يعامل الناس معاملة حسنة بلطف ورحمة ويرفق ولين جانب ولا يتكبر على أحد ولا يزهو على مخلوق ولا يُبالي بمظاهر العظمة الكاذبة ولا يترفع عن مجالسة الفقراء والمشاي معهم واجابة دعوتهم ومخاطبتهم بالكلام اللين ولا يأنف من استماع نصيحة من هو دونه .

وقال الفضيل بن عياض التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وللتواضع فوائد ومنافع تعود على الأفراد والجماعات بالخير الكثير فإن المتواضع قريب إلى الناس محبب إلى نفوسهم ضد المتكبر فإنه بغض إليهم ثقيل عندهم وكلما دنا المتواضع من الناس ارتفعت منزلته عندهم وعظم في عيونهم وثقل ميزانه عندهم واستفاد منهم وأفادهم .

وكُلَّمَا كَانَ الْمُتَوَاضِعُ عَظِيماً ذَا مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ كَانَ التَّوَاضِعُ مِنْهُ أَكْبَرَ أَثَرًا وَأَكْثَرَ فَايْدَةً لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَعْظُمُ بِنِسْبَةِ مَنْ تَسْتَنْدُ إِلَيْهِ كَمَا قِيلَ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّاتُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ

وَإِذَا كَانَ الْمُتَوَاضِعُ عَالِمًا فَإِنَّهُ بِالتَّوَاضُعِ يَزْدَادُ عِلْمًا لِإِنَّهُ لَا يَسْتَنكِفُ عَنْ
أَخْذِ الْفَائِذَةِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ وَهَذَا قِيلَ تَعَلَّمُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا وَلَا يَأْبَى الْعَالِمُ
الْمُتَوَاضِعُ أَنْ يَنْقُلَ الْحَقُّ عَنْ أَيِّ مَخْلُوقٍ .

وَقَدْ تَتَلَمَذَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ نَازِمِ عَقْدِ الْفَرَائِدِ
وَنَظَمَ ابْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ بَعْضَ اخْتِيَارَاتِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ فَعِنْدَمَا ذَكَرَ مَسَافَةَ
الْقَصْرِ قَالَ :

وَعِنْدَ إِمَامِ الْعَصْرِ لَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَى ذَا وَلَكِنْ بِاسْمِهِ فَلْيُحَدِّدِ
وَعِنْدَمَا ذَكَرَ قِتَالَ أَهْلِ الْبَغْيِ قَالَ :

وَيَكْرَهُ شَيْخُ الْعَصْرِ أَنْ يَقْصُدَ الْفَتَى بَغَاةَ ذَوِي الْأَرْحَامِ لَا ذُو الْمَجْرَدِ
عِنْدَمَا ذَكَرَ مِنْ لَهَا عَادَةً مِنَ النِّسَاءِ وَتَغَيَّرَتْ قَالَ :

وَعِنْدَ إِمَامِ الْوَقْتِ تُجْلِسُ مُطْلَقًا لِظَاهِرِ مَا يُرَوَى بِغَيْرِ تَقْيِيدِ
فَلِلَّهِ دَرُهُ مِنْ مُتَوَاضِعٍ . عَكْسَ مَا عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ حَامِلِي الشَّهَادَاتِ

الْحَالِيَةِ دِكْتُورَاهُ وَمَاجِسْتِيرِ وَيْكَالُورِيُوسِ وَدِبْلُومِ وَنَحْوَهَا نَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ
يَعَافِيَهُمْ وَلَا يَبْلَاَنَا فِيهَا بُلُوبًا مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالْجَهْلِ .

قِيلَ لِبُزْرِ جَمْهَرِ مَا النِّعْمَةُ الَّتِي لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا ، قَالَ التَّوَاضِعُ
قِيلَ لَهُ فَمَا الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ قَالَ الْعُجْبُ وَقَالَ التَّوَاضِعُ مَعَ
السَّخَافَةِ وَالْبُخْلِ أَحَدٌ مِنَ الْكِبَرِ مَعَ السَّخَاءِ وَالْآدَابِ فَأَعْظَمُ بِحَسَنَةِ عَفَتْ
عَنْ سَيِّئَتَيْنِ وَأَقْبَحُ بَعِيبِ أَفْسَدَ مِنْ صَاحِبِهِ حَسَنَتَيْنِ وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

وَأَحْسَنُ مَقْرُونَيْنِ فِي عَيْنِ نَاطِرٍ جَلَالَةُ قَدْرِ فِي خُمُولٍ تَوَاضِعٍ
آخِر :

إِنَّ التَّوَاضِعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ عُجْبٌ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ فِي حَالِهِ أَهْوَ السَّعِيدُ أَمْ الشَّقِي
أَمْ كَيْفَ يُخْتَمُ عُمُرُهُ أَوْ رُوحُهُ يَوْمَ النَّوَى مُتَسْفِلٌ أَوْ مُرْتَقِي
وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ لَهُ مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبَهَا وَاتَّقِي
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنْ بَرِيءٍ مِنْ ثَلَاثِ نَالَ ثَلَاثًا مِنْ بَرِيءٍ مِنَ السَّرَفِ
نَالَ الْعِزَّ وَمَنْ بَرِيءٍ مِنَ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرْفَ وَمَنْ بَرِيءٍ مِنَ الْكِبَرِ نَالَ كَرَامَةَ
التَّوَاضِعِ وَقَالَ مِصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ التَّوَاضِعُ مَصَائِدُ الشَّرَفِ وَقِيلَ فِي مَثُورِ
الْحِكَمِ مَنْ دَامَ تَوَاضَعُهُ كَثُرَ صَدِيقُهُ .

أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَهُوَ كَالْمَغْرُورِ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا تَفُوتُهُ الْحَقَائِقُ الْعِلْمِيَّةُ لِأَنَّهُ تَأْبَى
عَلَيْهِ نَفْسُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقَّ حَيْثُ وَجَدَهُ وَلِهَذَا قِيلَ ضَاعَ الْعِلْمُ بَيْنَ الْحَيَاءِ وَالْكِبَرِ
ثُمَّ إِنْ كَانَ الْمُتَوَاضِعُ تَلْمِيزًا يَجِدُ لُطْفًا وَعَظْفًا مِنَ الْأُسْتَاذِ فَلَا يَبْخُلُ عَلَيْهِ
بِمَجْهُودِهِ وَلَا يَشُحُّ عَلَيْهِ بِفَائِدَةٍ لِأَنَّ التَّوَاضِعَ يَسْتَلْزِمُ الْأَدَبَ .

وَأَمَّا أَحْسَنُ الْأَدَبِ وَالتَّوَاضِعِ وَاللُّطْفِ مَعَ الْمُعَلِّمِ الَّذِي يَبْذُلُ جُهِدَهُ
فِي سَبِيلِ تَثْقِيفِهِ وَتَهْدِيئِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ صَالِحَةً وَأَنَّهُ بِتَوَاضِعِهِ وَحُسْنِ سَيْرَتِهِ مَعَ
مُعَلِّمِهِ يُبْرِهِنُ عَلَى أَنَّهُ يَمُنُّ يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ قِيَمَةَ الْمَعْرُوفِ
وَأَنَّهُ يَمُنُّ يُجَازِي عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ .

أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي يَتَكَبَّرُ وَيَتَعَاطَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْمِلُهُ الْكِبَرُ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْتِقَارِ الْمُعَلِّمِ فَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ غَيِّيٌّ جَاهِلٌ جَلْفٌ فَدِيمٌ لَا يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قِيَمَتَهُ وَلَا
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ جَهْلِهِ وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ مَعْرُوفٌ فَإِنَّكَ تَرَى الْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى
الْمُعَلِّمِينَ يَغْمَهُونَ فِي حَقِّهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَلَا يُخْرِجُونَ عَنِ السَّخْفِ فَضْلًا عَمَّا

ارْتَكَبُوهُ مِنْ نُكْرَانِ الْجَمِيلِ وَجَحَدِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يُسَدِّي إِلَيْهِمْ وَقْدِيماً قِيلَ :
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنَّ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ
آخر : وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعْلَمِ سَاعَةً
فَصَبْرًا عَلَى مَرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ
وَذَاتُ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى
آخر :

أَيَّنَ الْمَرَاتِبُ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتْهَا
لَا شَكَّ أَنَّ لَنَا قَدْرًا رَأْوُهُ وَمَا
هُمْ الْوُحُوشُ وَنَحْنُ الْإِنْسُ حِكْمَتُنَا
آخر : إِحْرَصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغَ الْأَمَلَا
فَالنَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مِنْ الَّذِي حَازَ عِلْمًا لَيْسَ عِنْدَهُمْ
لِمِثْلِهِمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلَا لَهُمُومَا
تَقُودُهُمْ حَيْثُمَا شِئْنَا وَهُمْ نَعَمٌ
وَلَا تُوَصِّلُ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلًا
أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِي الْعِلَلَا

تَنْبِيهِ : وَنَعْنِي بِالْعَالِمِ الْمُعَلِّمِ الَّذِي يُتَأَدَّبُ مَعَهُ وَيَتَوَاضَعُ لَهُ وَيُقَدَّرُ
وَيُحْرَصُ عَلَى اخْتِذِ الْعِلْمِ مِنْهُ وَمُجَالَسَتِهِ الْعَامِلُ بِعَمَلِهِ الْمَتَأَدَّبُ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ
الْمُتَمَسِّكُ بِهَا الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَ الْبَعِيدِ عَنِ
الْمُجَامَلَةِ إِذَا رَأَى مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الْبَعِيدَ عَنِ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ .

أَمَّا مَنْ يُسَمُّونَ مَشَايِخَ وَأَسَاتِذَةً وَيُرَى عَلَيْهِمْ آثَارُ مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ
حَلَقِ لَحْيَةٍ أَوْ تَشْبِيهِ بِالْكَفَرَةِ أَوْ تَرْكِ حُضُورِ جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ اسْتِعْمَالِ آيَاتِ
لَهُ أَوْ شَرْبِ دُخَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ يَتَعَيَّنُ الْإِبْتِعَادُ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُجَاوَرَتِهِمْ
وَمُعَامَلَتِهِمْ وَمُشَارَكَتِهِمْ إِلَّا لِضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّ

الطَّبَاعُ كَسَابَةٌ وَيُخْشَى عَلَى مَنْ قَارَفَهُمْ أَوْ قَارَبَهُمْ أَنْ يَتَّصِلَ مَا بِهِمْ مِنْ مَرَضٍ
مَعْنَوِي إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْبَرِيِّ .
شعراً :

خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَادِ وَذِكْرِهِ وَتَشَاغَلُوا بِالْحِرْصِ وَالْأَطْمَاعِ
صَارَتْ مَجَالِسُ مَنْ تَرَى وَحَدِيثُهُمْ فِي الصُّحُفِ وَالتِّلْفَازِ وَالْمِذْيَاعِ
آخر :

(أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي جَرِّ ثَوْبِهِ وَجَزَّ لِبَعْضِ الرَّاسِ فَعَلَ الْأَرَاذِلِ)
(فَمَا الْعِزُّ فِي حَلَقِ اللَّحَا أَوْ خَنَافِسِ وَلَا شُرْبِ دَخَانٍ كَفَعَلَ الْأَسَافِلِ)
(وَلَكِنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى وَصِدْقِ وَحَلْمٍ وَاقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ)
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ غَائِباً عَنِ الْمُنْكَرِ فِي
بُيُوتِ الْوَلَاةِ وَيَكُونُ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرٍ مَنْ حَضَرَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَبْلُغُهُ فَيَرْضَى بِهِ
وَيَسْكُتُ عَلَيْهِ ، قُلْتُ وَفِي وَقْتِنَا مَا أَكْثَرَ السَّاكِتِينَ وَالْمُدْلِسِينَ وَالْمُدَاهِنِينَ الَّذِينَ
هَمُّهُمْ وَهَدَفُهُمُ الْوَحِيدُ مَا يَخْشَوْنَ بِهِ بُطُونَهُمْ مِنْ مَطْعُومٍ وَمَشْرُوبٍ أَوْ مَا
يُجَمِّلُونَ بِهِ ظَوَاهِرَهُمْ مِنْ مَلْبُوسٍ وَمَرْكُوبٍ أَوْ يَتَذَوِّقُونَ بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ
دَائِماً يُطَلَّقُ وَيَتَزَوَّجُ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى الدَّوَامِ .

قَالَ ﷺ لَا تُطَلِّقُ النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِبْيَةٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ
وَالذَّوَاقُ الْكَثِيرُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ شَرْعِيٍّ وَالذَّوَاقَةُ الَّتِي كُلُّ مَنْ
أَخَذَهَا تَتَسَبَّبُ لِفِرَاقِهِ لِأَجْلِ أَنْ تَتَزَوَّجَ بغيرِهِ .

وإن كَانَ الْمُتَوَاضِعُ تَاجِراً ذَا مَالٍ فَإِنَّهُ بِمُخَالَطَتِهِ النَّاسِ وَعَدَمِ التَّرَفِّعِ
وَالكِبَرِ عَلَيْهِمْ يَنَالُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْأَلْفَةَ وَالِإِثْنَيْنِ وَالْمَحَبَّةَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي
الْمُعَامَلَةِ وَيَعْرِفُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَيَرَى مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الشَّقَاءِ وَيَمَسُّهُمْ مِنَ
الْجُوعِ وَالْعُرْيِ وَمَا يُؤْذِيهِمْ مِنَ أَلَمِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ فَتَأَلَّمَ نَفْسُهُ لَمَّا يُصِيبُهُمْ فَيَرْحَمُهُمْ
وَيَعْطِفُ عَلَيْهِمْ فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالْمُشَارَكَةُ فِيهِ وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ إِدَاءُ مَا

فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتٍ وَزَكَاةٍ وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ انْقَاذُ الْمَكْرُوبِ وَإِغَاثَةُ الْمُلْهُوفِ .
 وَفِي عَمَلِهِ ذَلِكَ مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ فَائِدَةٌ لَهُ وَلِلنَّاسِ لِأَنَّهُ بِعَمَلِهِ هَذَا
 يُرْضِي اللَّهَ أَوَّلًا وَرَضَى الرَّبِّ خَيْرُ ذَخِيرَةٍ يَذْخَرُهَا الْمَرْءُ تَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ لِأَنَّ مَنْ يَرْضَى عَنْهُ مَوْلَاهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ فَقَدْ فَازَ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا
 بِالدُّنْيَا فَلِمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ رَاحَةِ الْخَاطِرِ الَّتِي يَتَأَلَّمُ لَهَا الْمُتَكَبِّرُونَ وَتَغْلِي
 مِنْ أَجْلِهَا دِمَاؤُهُمْ وَيَطْفَأُ غَضَبُهُمْ فَيَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّعَدِّيِّ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ
 قَوْلًا وَفِعْلًا وَلِمَا يَكْسِبُهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُ
 وَإِخْلَاصِهِمْ فِي خِدْمَتِهِ وَالْمُبَادَرَةَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَضَافِرُهُمْ عَلَى الدِّفَاعِ
 عَنْهُ وَالْانْتِصَارِ لَهُ .

وَعَلَى عَكْسِهِ الْمُتَكَبِّرُ لاحتِقَارِهِ لَهُمْ واحتِقَارِهِمْ لَهُ وَإِنْ كَانَ التَّوَاضُّعُ
 مِنْ صَاحِبِ جَاهٍ فَإِنَّ التَّوَاضُّعَ يَجْعَلُ لِحَاثِهِ قِيَمَةً لِأَنَّ الْجَاهَ إِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلْ
 فِي فَائِدَةِ الْأُمَّةِ وَالْأَفْرَادِ لَا يَكُونُ لَهُ مَعْنَى وَمَنْ تَرَفَّعَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ
 يَتَوَاضَّعْ لَهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَذْنُو مِنْهُ أَحَدٌ وَلَا يَنْتَفِعُ بِجَاهِهِ مُحْتَاجٌ فَيَظْلُ جَاهُهُ
 قَاصِرٌ عَلَيْهِ وَيُصْبِحُ اسْمًا بِدُونِ مُسْمًى .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ لَهُ مَا يَسُدُّ شَهْوَتَهُ وَخَذَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ
 سُلْطَانٍ فَقَدْ ظَفَرَ بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَلَا يُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ شَقِيٌّ أَمْ
 سَعِيدٌ فَهُوَ ضَائِعٌ أَحْمَقٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِلُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بَلْ لَا بُدَّ مِنَ
 التَّعَاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
 لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ قَالَ الشَّاعِرُ :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدُوٍ وَحَاضِرَةٍ
 بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ

وَكُلُّ عَضْوٍ لِأَمْرِ مَّا يُمَارِسُهُ
لَا مَشْيَ لِلْكَفِّ بَلْ تَمْشِي بِهِ الْقَدَمُ
آخِر :

إِذَا مَا تَأْمَلْنَا الْأُمُورَ تَبَيَّنَتْ
لَنَا وَأَمِيرُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ خَادِمٌ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ كَيْفَ يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ وَمَنْ كَانَ الدَّهْرُ
يُجَارِيهِ فَكَيْفَ يُطِيقُ الْإِنْتِصَارَ ، وَمَنْ كَانَ رَاحِلًا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
كَيْفَ يَلْذُّ لَهُ قَرَارٌ ، عَجَبًا لِمَنْ يَمْلَأُ عَيْنُهُ بِالنَّوْمِ وَهُوَ لَا يَذْهَبُ إِلَى
الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

(وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ
وَلَمْ تَذِرْ فِي أَيِّ الْمَكَانَيْنِ تَنْزِلُ)

إِنْ هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ وَأُمْنِيَّةٌ عَاجِلَةٌ وَسَجِيَّةٌ عَادِلَةٌ جَرَى بِهَا الْقَلَمُ وَمَضَى
عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَمِ ، فَيَا فَرَائِسَ الْأَحْدَاثِ وَيَا غَرَائِيسَ الْأَجْدَاثِ ، لَقَدْ
صَعَقَ الْمَوْتُ فِي دِيَارِكُمْ فَتَعَبَ ، وَصَدَقَكُمْ صَرْفُ الزَّمَانِ وَمَا كَذَبَ ،
فَكَأَنَّهُ قَدْ أَعَادَ عَلَيْكُمْ الْكَرَّةَ وَسَلَبَ ، وَنَغَصَ عَلَيْكُمْ الْمَسْرَةَ ، وَانْتَهَزَ فِيكُمْ
الْغِرَّةَ ، فَمَا أَقَالَكُمْ عَثْرَةٌ .

عَنْ كَعْبٍ أَوْ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ :
يَقُومُونَ مِقْدَارَ ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِأَقْوَامٍ
قَامُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَأْكُلُوا فِيهَا
أَكْلَةً وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا شَرْبَةً حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَاقُهُمْ مِنَ الْعَطَشِ

وَاحْتَرَقَتْ أَجْوَافُهُمْ مِنَ الْجُوعِ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَسُقُوا مِنْ عَيْنٍ قَدْ
أَنْ حَرُّهَا وَاشْتَدَّ نَفْحُهَا .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَجْهُودُ مِنْهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ كَلَّمَ نَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي
طَلَبِ مَنْ يَكْرُمُ عَلَى مَوْلَاهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ فِي الرَّاحَةِ مِنْ مَقَامِهِمْ وَمَوْقِفِهِمْ
لِيَنْصَرِفُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ مِنْ وَقُوفِهِمْ فَفَزَعُوا إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَمِنْ
بَعْدِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى كُلُّهُمْ يَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ
يَغْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فَكُلُّهُمْ يَذْكُرُ شِدَّةَ غَضَبِ الرَّبِّ عَزَّ
وَجَلَّ وَيُنَادِي بِالشُّغْلِ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي فَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ
لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ لِإِهْتِمَامِهِ بِنَفْسِهِ وَخِلَاصِهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَأَنْتُمْ فِي مَكَانٍ الْإِمْكَانِ ، قَبْلَ ضَيْقِ الْأَوْطَانِ ،
وَتَقْلُّصِ اللِّسَانِ وَاصْفِرَارِ الْبَنَانِ ، وَالتَّقَلُّبِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ مِنْ شِدَّةِ
الْأَلَامِ .

وَرَفَعُ يَدٍ وَوَضْعُ الْأُخْرَى مِنْ شِدَّةِ السَّكَرَاتِ ، لِحَذْبِ الرُّوحِ مِنْ
الْعُرُوقِ وَالْعَصَبِ وَالْعِظَامِ ، قَبْلَ شُخُوصِ الْبَصَرِ ، وَبُرُودَةِ الْبَدَنِ ، وَنَقْلِهِ
لِبَيْتِ الدَّوْدِ وَالظُّلْمَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالْإِنْفِرَادِ وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَمَا يَعْقُبُهُ
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَطِيرٍ فِي يَوْمٍ يَشِيبُ مِنْ أَهْوَالِهِ الْوِلْدَانِ .

فَمَا ظَنُّكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِيَوْمٍ بَضَائِعُهُ الْأَعْمَالُ ، وَشُهُودُهُ الْجُلُودُ
وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَوْصَالُ ، وَسِجْنُهُ النَّارُ ، وَحَاكِمُهُ الْجَبَّارُ ، إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ
لَا يَعْمَلُ لِحَسَابِهِ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَيْسَ فِيهِ لِلْمُجْرِمِ رَاحَةٌ وَلَا
نَوْمٌ ، فَانْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَتَيَقَّظُوا وَتَزَوَّدُوا فَكَأَنَّكُمْ بِهِ وَقَدْ أَتَى قَالَ تَعَالَى
﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا
تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .

شِعْرًا :

خَبْتُ مَصَائِيحُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِهَا
وَطَوَّحْتُ لِلْمَغِيبِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَاسْتَحْكَمْتُ غُرْبَةَ الْإِسْلَامِ وَانْكَسَفَتْ
شَمْسُ الْعُلُومِ الَّتِي يُهْدَى بِهَا الْبَشَرُ
تُخْرِمُ الصَّالِحُونَ الْمُقْتَدَى بِهِمْ
وَقَامَ مِنْهُمْ مَقَامَ الْمُبْتَدَا الْخَبَرُ
فَلَسْتُ تَسْمَعُ إِلَّا كَانَ ثُمَّ مَضَى
وَيَلْحَقُ الْفَارِطُ الْبَاقِي بِمَنْ غَبَرُوا
وَالنَّاسُ فِي سَكْرَةٍ مِنْ خَمْرِ جَهْلِهِمْ
وَالصُّحُوفُ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ لَوْ شَعَرُوا
نَلْهُو بِزُخْرَفِ هَذَا الْعَيْشِ مِنْ سَفِهِ
لَهُوَ الْمُنْبِتِ عُودًا مَا لَهُ ثَمَرُ
وَتَسْتَحِثُّ مَنَايَانَا رَوَاجِلَنَا
لِمَوْقِفِ مَالِنَا عَنْ دُونِهِ صَدْرُ
إِلَّا إِلَى مَوْقِفِ تَبَدُّوا سَرَائِرُنَا
فِيهِ وَيَظْهَرُ لِلْعَاصِينَ مَا سَتَرُوا
فَيَالَهُ مَصْدَرًا مَا كَانَ أَعْظَمَهُ
النَّاسُ مِنْ هَوْلِهِ سَكْرَى وَمَا سَكِرُوا
فَكُنْ أَجْنَى عَابِرًا لَا عَامِرًا فَلَقَدْ
رَأَيْتَ مَضْرَعَ مَنْ شَادُوا وَمَنْ عَمَرُوا
اسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَاqِلِهِمْ
كَأَنَّهُمْ مَا نَهَوْا فِيهَا وَلَا أَمَرُوا

تَغْلُ أَيْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ
بَرُّوا تُفَكُّ فِي الْأَغْلَالِ إِنْ فَجَرُوا
وَنُحِ عَلَى الْعِلْمِ نَوْحَ الثَّاكِلَاتِ وَقُلْ
وَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى أَهْلِ لَهُ قُبِرُوا
الثَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ جُهِدَهُمْ
وَالصَّادِقِينَ فَمَا مَانُوا وَلَا خَتَرُوا
الصَّادِعِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَوْ سَخِطُوا
أَهْلُ الْبَسِيطَةِ مَا بَالُوا وَلَوْ كَثُرُوا
السَّالِكِينَ عَلَى نَهْجِ الرُّسُولِ عَلَى
مَا قَرَّرْتُ مُحْكَمُ الْآيَاتِ وَالسُّورُ
الْعَادِلِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
وَالْأَمِيرِينَ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا ائْتَمَرُوا
لَمْ يَجْعَلُوا سُلْمًا لِلْمَالِ عِلْمُهُمْ
بَلْ نَزَّهُوهُ فَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ وَضْرُ
فَحَيَّ أَهْلًا بِهِمْ أَهْلًا بِذِكْرِهِمْ
الطَّيِّبِينَ ثَنَاءً أَيْنَمَا ذُكِرُوا
أَشْخَاصُهُمْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَهُمْ
كَأَنَّهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ نُشِرُوا
هَذِي الْمَكَارِمُ لَا تَزْوِيْقُ أُبَيَّةِ
وَلَا الشُّفُوفُ الَّتِي يُكْسَى بِهَا الْجُدُرُ
وَالْعِلْمُ إِنْ كَانَ أَقْوَالًا بِلا عَمَلٍ
فَلَيْتَ صَاحِبَهُ بِالْجَهْلِ مُنْغَمِرُ

يَا حَامِلَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ إِنَّ لَنَا
يَوْمًا تُضْمُّ بِهِ الْمَاضُونَ وَالْآخِرُ
فَيَسْأَلُ اللَّهُ كُلًّا عَنْ وَظِيفَتِهِ
فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا مِنْهُ تَعْتَذِرُ
وَمَا الْجَوَابُ إِذَا قَالَ الْعَلِيمُ أَذَا
قَالَ الرَّسُولُ أَوِ الصِّدِّيقُ أَوْ عُمَرُ
وَالْكُلُّ يَأْتِيهِ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ فَمِنْ
نَاجٍ وَمِنْ هَالِكٍ قَدْ لَوَّحَتْ سَقَرُ
فَجَدِّدُوا نِيَّةَ إِلَهٍ خَالِصَةً
قُومُوا فَرَادَى وَمَشَى وَاصْبِرُوا وَمُرُوا
وَنَاصِحُوا وَانْصَحُوا مَنْ وَلِيَ أَمْرَكُمْ
فَالصَّفْوُ لَا بُدَّ يَأْتِي بَعْدَهُ كَدْرُ
وَاللَّهُ يَلْطَفُ فِي الدُّنْيَا بِنَا وَبِكُمْ
وَيَوْمَ يَشْخَصُ مِنْ أَهْوَالِهِ الْبَصَرُ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
شَفِيعِنَا يَوْمَ نَارِ الْكَرْبِ تَسْتَعِيرُ
مُحَمَّدٌ خَيْرَ مَبْعُوثٍ وَشِيعَتِهِ
وَصَحْبِهِ مَا بَدَا مِنْ أَفْقِهِ قَمَرُ

اللهم كَمَا صُنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ
الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ ، اللهم مَنْ كَانَ عَلَى هَوَى وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرَدَّهُ
إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَظُلُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا
تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ

بِشْرِ مَا عِنْدَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيْكُمْ مَسْئِلَةً كُبْرَى وَفِي أَعْنَاقِكُمْ أَمَانَةٌ عَظْمَى
سَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ
عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ فِي أَعْنَاقِكُمْ أَوْلَادَكُمْ وَهُمْ أَفْلَادُ أَكْبَادِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
فِيهِمْ وَوَجَّهُوهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ
الْأَوْلَادِ سَيَكُونُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ رِجَالًا ، فَإِذَا تَرَبُّوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَعَوَّدُوا
الْأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَرْفَعُ مَقَامَهُمْ وَتُعَلِّي شَأْنَهُمْ وَحَصَّلُوا مِنَ الْعُلُومِ
النَّافِعَةِ مَا يَنْفَعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَنْفَعُونَ بِهِ عِبَادَ اللَّهِ ، كَانُوا أَسَاسًا مَكِينًا
لِنَهْضَةِ الْأُمَّةِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ إِثْنَانِ .

وَإِنْ اسْتَعَادُوا سَافِلَ الْأَخْلَاقِ وَهَجَرُوا الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَمَا يُعِينُ
عَلَيْهَا ، كَانُوا ضَرَرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْأُمَّةِ .

عِبَادَ اللَّهِ التَّرْبِيَّةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ الْخَطَرُ كَبِيرُ الْقِيَمَةِ ، وَالطِّفْلُ أَمَانَةٌ عِنْدَ
وَالِدَيْهِ ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ فَإِنْ عُوْدَ
الْخَيْرِ وَعُلِمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسِعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ ،
وَكَلُّ مُؤَدِّبٍ وَمُعَلِّمٍ لَهُ فِي الْخَيْرِ ، وَإِنْ عُوْدَ الشَّرِّ وَأَهْمِلَ وَتَرَكَ بِلاَ عِنَايَةٍ ،
شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ عَلَى وَلِيِّهِ وَرَاعِيهِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْإِثْمِ .

فالتَّربِيَةُ هِيَ غَرْسُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَمَحَبَّتِهِ وَآدَابِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا
واعتقاداً ، وَغَرْسُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فِي نُفُوسِ النَّاشِئِينَ وَسَقْيُهَا بِمَاءِ
الْإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَالتَّوَجُّيْهِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِ
السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا
مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا
تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسُنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . وَاللَّهُ وَاعِلِمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

(فَضْلٌ)

قَالَ فِي الدُّرُوسِ الْوَعْظِيَّةِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَجْمَعَ الْعُقَلَاءُ
عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّربِيَةِ فَإِنَّمَا يُوَلَّدُ صَغِيرًا مُجَرَّدًا عَنْ كُلِّ
الْمُمَيِّزَاتِ قَابِلًا لِكُلِّ نَقْشٍ مُسْتَعِدًّا لِكُلِّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ تَعْلِيمٍ وَيُحَاطُ بِهِ
مِنْ تَثْقِيفٍ .

وَالْوَالِدَانِ هُمَا الرَّاعِيَانِ لِوَلَدِهِمَا الْمَسْئُولَانِ عَنْهُ لَدَى اللَّهِ وَالنَّاسِ ،
فَإِنْ أَحْسَنَا تَأْدِيبَهُ وَعَوَّدَاهُ الْخَيْرَ وَأَنْشَأَهُ عَلَيْهِ سَعَدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَنَالَ
أُمْنِيَّتَهُ وَمُبْتَغَاهُ ، وَكَانَ لِوَالِدَيْهِ وَكُلِّ مَنْ اشْتَرَكَ فِي تَعْلِيمِهِ وَسَاهَمَ فِي تَهْدِيْبِهِ
أَجْرُهُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُ وَالِدَاهُ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ وَلَمْ يَرْعِيَا حَقَّ اللَّهِ بِهِ
كَانَ اثْمُهُمَا عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرًا وَسُؤَالُهُمَا خَطِيرًا .

وَإِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَقَّقَةِ وَالْحَقَائِقِ الْمُشَاهِدَةِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا أَنَّ عَقْلِيَّةَ
الْوَلَدِ تَتَأَثَّرُ بِتَأَثُّرِ الْبَيْئَةِ وَالْمُجْتَمَعِ صِحَّةً وَفَسَاداً ، لِسَدَاجَةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ
فِطْرَتِهِ إِذَنْ ، فَوَاجِبُ الْوَالِدِ كَبِيرٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُوطَهُ بِعِنَايَةٍ دَقِيقَةٍ وَرَقَابَةٍ
شَدِيدَةٍ وَتَوْجِيهٍِ صَحِيحٍ وَتَرْبِيَةٍ حَسَنَةٍ .

وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ ، وَيُهَذِّبَهُ ، وَيُعَلِّمُهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنَ
الْعَادَاتِ ، وَيَحْفَظُهُ مِنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ ، وَذَوِي الْأَخْلَاقِ الْمُنْحَطَّةِ ، وَلِيُعَلِّمَ
الْوَالِدُ أَنَّ وَلَدَهُ أَمَانَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلْيُؤَدِّ وَاجِبَ الْأَمَانَةِ ، وَلِيَقُمْ بِحَقِّ
الرُّعَايَةِ .

وَإِذَا أَهْمَلَ الْوَلَدُ فِي ابْتِدَاءِ نَشَأَتِهِ وَأَوَّلِ رَغْرَعَتِهِ وَتَمَيُّزِهِ خَرَجَ خَبِيثَ
الطَّبْعِ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ ، مُحْتَالاً كَذَاباً سَرَّاقاً كَثِيرَ الْهَذْيَانِ وَفُضُولِ
الْكَلَامِ ، يَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، بَذِيءَ اللِّسَانِ مُغْتَاباً نَمَاماً وَقِحاً بَعِيداً عَنِ
التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ ، قَرِيباً مِنَ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ .

وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يَكُونُ وَبَالاً عَلَى الْمُجْتَمَعِ وَعُضُواً فَاسِداً
يَجِبُ أَنْ يُبْتَرَّ وَيُقَطَعَ إِلَّا مَنْ حَفِظَ رَبُّكَ .

وَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الطِّفْلِ وَالطُّفْلَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّعْلِيمِ أَنْ يُسَلِّمَ
الْوَلَدَ لِمُرَبِّ صَالِحٍ ، وَمُعَلِّمٍ نَاصِحٍ ، يَحْفَظُ عَلَيْهِ أَخْلَاقَهُ ، وَيُحَسِّنُ
آدَابَهُ ، وَيُرَوِّضُهُ وَيُمَرِّنُهُ عَلَى الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ ، وَيُلْقِنُهُ الْعَقَائِدَ الصَّحِيحَةَ
السُّلِيمَةَ ، الْإِسْلَامِيَّةَ وَلَا يَتَسَامَحَ مَعَهُ فِي إِهْمَالِ أَمْرِ الدِّينِ وَآدَابِهِ .

وَلَا يَجُوزُ تَسْلِيمُ الطِّفْلِ إِلَى مُعَلِّمٍ مُتَهَتِكٍ يَسْتَهْتِرُ بِأَمْرِ الدِّينِ أَوْ
زُنْدِيقٍ مَارِقٍ لَا يُبَالِي بِعَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ جَاهِلٍ سَخِيفٍ يَبْهَتُهُ بِالْخَرَافَاتِ
وَالْغَرَائِبِ ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ لَا يُمَيِّزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْغَثَ مِنَ السَّمِينِ ،

أَوْ مُلْحِدٍ خَارِجٍ عَنِ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ وَالنَّوَامِيسِ السَّمَاوِيَّةِ غَيْرِ مُكْتَرِثٍ
بِالتَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ ، أَوْ يَقْذِفُ بِهِ فِي الْمَدَارِسِ التَّبْشِيرِيَّةِ الْأَجْنِبِيَّةِ ذَاتِ
الْأَغْرَاضِ الْمَعْرُوفَةِ وَالْغَايَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالتَّوْجِيهِ الْفَاسِدِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ .

وَلِمِثْلِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ الشَّرِيفَةِ وَالْغَايَاتِ النَّبِيلَةِ ، يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِعَايَةِ الْوَلَدِ ، وَصِيَانَتِهِ ، وَشِدَّةِ مُرَاقَبَتِهِ ،
وَحِمَايَتِهِ فَهُوَ يَقُولُ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالْعَقِيدَةِ الْمَرْضِيَّةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ » .

الْمَعْنَى إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَنْ تَغَيَّرَ عَنِ الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ وَمَالَ إِلَى
الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الزَّائِفَةِ كَانَ سَبَبُ تَغْيِيرِهِ أَنَّ
أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ بِتَعْلِيمِهِمَا إِيَّاهُ ، وَتَرْغِيْبِهِمَا فِيهِ ، أَوْ
وَنَحْوِ هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِبْرٍ عَلَيْهَا وَالْآيَةُ الْآخَرَى
وَأَنْذَرُ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ فِي تَوْجِيهَاتٍ دِينِيَّةٍ وَمَنَاصِحَاتٍ فِيهَا يُجِبُ عَلَى الرَّاعِي وَالرَّعِيَةِ .
يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمَسْئُولُونَ الْكَرَامُ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَمَعَنَ الْفِكْرَةَ ،
وَتَلَمَسَ الْحَقِيقَةَ ، وَتَجَافَى عَنِ التَّصْنَعِ وَالْمَغَالِطَةِ .
عَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَدَهُّورٍ وَانْهِيَارٍ ، وَنَقْصٍ مِنْ أَخْلَاقِ
الدِّينِ الْحَنِيفِ ، وَتَعَالِيْمِهِ الْقِيَمَةِ وَسَبَبُهُ الْوَحِيدُ .

وعَامِلُهُ المَفْرَدُ تَفْرِيطُ زَعَمَاءِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي تَرْبِيَةِ الشَّبَابِ ،
وَالْتِرَاحِي فِي جِهَادِ النُّفُوسِ عَلَى مَا يَجِبُ مِنْ مُعَانَاةِ النَّشْءِ :
وَيُنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ
وَمَنْ هُمْ زَعَمَاءُ الأُمَّةِ ؟ نَعْنِي كُلَّ مَنْ يَلِي أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَارَةٍ
أَوْ إِدَارَةٍ ، أَوْ يَشْغُلُ مَنْصِبَ تَعْلِيمٍ ، أَوْ تَكُونُ لَهُ كَلِمَةٌ مَسْمُوعَةً .
إِنْ أَبْنَاءُ الْمَدَارِسِ فِي عُمُومِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ . هُمْ رِجَالُ الْمُسْتَقْبَلِ
بَلْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ الْمَرْجُونَ لِحَمْلِ الدِّينِ وَحِمَايَتِهِ .
فَإِذَا أَنْهَارَ كَيَانُ الدِّينِ فِي نَفُوسِهِمْ ، وَتَلَاشَى تَعْظِيمُ الشَّرِيعَةِ فِي
قُلُوبِهِمْ ، وَجَهَلُوا مَا بَلَغَ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ بِأَهْلِهِ دُنْيَاً وَآخِرَى فِي حَالِ
طُفُولَتِهِمْ ، وَفَرَاغِ أَذَاهَانِهِمْ .
فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ إِذَا شَبَّ أَبْنَاؤُنَا ، وَهُمْ لَا يَرَوْنَ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا
دُعَاةَ الْإِسْتِعْمَارِ ، وَسَمَاسِرَةَ الْغَرْبِ قَوْلًا وَعَمَلًا يَتَشَدَّقُونَ بِتَضَخِيمِ الْغَرْبِ ،
وَتَعْظِيمِ رِجَالِهِ ، وَيَنْخَرِطُونَ فِي هُوَّةِ تَقْلِيدِهِمْ .
فَيَفْعَلُ هَؤُلَاءِ ، وَيَتَغَافَلُ أَوْلَئِكَ عَنْ مَآثِرِ هِيَ الْمَثَلُ الْعُلْيَا فِي رُقِيِّ
الْبَشَرِ ، قَدَمًا فِي حَيَاتِهِ الْهَنِيئَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى حَيَاتِهِ إِلَى حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَوَارِ
خَالِقِهِ الْكَرِيمِ .
إِنْ تِلْكَ الْمَآثِرُ الَّتِي جَلَّتْ عَنِ الْخَفَاءِ ، وَشَهِدَتْ بِهَا الْأَعْدَاءُ ، وَظَهَرَتْ
ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي الْمَلَأِ لِتُبْرِهِنَ عَلَى مَجْدِ أَبْنَائِهَا .
أَوْلَئِكَ السَّادَةُ آبَاؤُنَا الْكَرَامُ وَسَلَفُنَا الصَّالِحُ ، الَّذِينَ خَالَطَتْ بِشَاشَةِ
الْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ ، وَامْتَرَجَتْ عَقَائِدُ الدِّينِ بِنُفُوسِهِمْ ، وَانْطَبَعَتْ آدَابُهُ وَتَعَالِيمُهُ
فِي أَخْلَاقِهِمْ .
فَمَثَلُوهُ عَمَلًا ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ فَعَلًا قَبْلَ دُعَائِهِمْ إِلَيْهِ قَوْلًا ، وَطَبَّقُوا قَوَانِينَهُ
وَأَنْظِمَتَهُ حُكُومَاتٍ وَشُعُوبًا وَأَفْرَادًا .

أولئك الذين استرخصوا مهجهم في سبيل إعزازه ، وضحوا بأموالهم وأولادهم وأوطانهم في حمى حوزته ، والذب عن كيانه :

هم الذين رعدوا للدين حرمة للدين عندهم جاء ومقدار عظم أمر الدين في قلوبهم فلم يشاركه وطن ولا عشيرة . به وحده قاموا وبهم قام وله قاتلوا ، وفيه أحبوا وأبغضوا ولشعائره عظموا ، وعند حدوده وقفوا ، وبأوامره أمثلوا .

فامتطوا به هام العالم حين حملوه ، وأصبحوا به مضرب الأمثال في العز إذ مثلوه .

لم تستعبدهم الدنيا ، ولم تسيطر على نفوسهم شهوة ذاتية ، ولم تملكهم الأغراض الشخصية .

ولم يحملهم حب الانتصار على الظلم المدمر ، ولم يثبهم حب الوطن عن الهجرة إليه :

سيروا كما ساروا لتجنوا ما جنوا لا يخصد الحب سوى الزراع إن محض النصح ليحتم التصريح بأن ما حل بالامة الاسلامية إنما يتحمل تبعته كاهلان ، ويتقلد مسؤوليته عنقان : أمراء الأمة ، وعلماء الدين .

أولئك الذين أوجب الله لهم السمع والطاعة ، وأخذ عليهم العهد والميثاق .

فإذا قام العلماء بنشر تعاليم الدين ، وتجليته بالأعمال في مظهره الحقيقي ، ورويقه الباهر .

وقام الأمراء بتطبيق أنظمتهم الكريمة ، وتنفيذ أوامره القيمة ، والاستفادة بإرشاداته الساطعة .

وتحققوا بوصف الله لخلفائه في أرضه : ﴿ الذين إن مكناهم في

الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿١﴾ .

وَأَسْنَدُوا الْأُمُورَ إِلَى أَكْفَائِهَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿٢﴾ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴿٣﴾ وَتَصَوَّرُوا مَسْئُولِيَّتَهُمُ الْمُحَقَّقَةَ بِأَخْبَارِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ : ﴿٤﴾ كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

فاجتهدوا حَسَبَ الْإِمْكَانِ فِي اخْتِيَارِ الْمُعَلِّمِينَ فِي مَعَاهِدِهِمْ وَمَدَارِسِهِمْ الدِّينِيَّةِ ، وَتَعَهُدِهِمْ بِالْمِرَاقَبَةِ الْحَقَّةِ الْمُكَافِحَةِ لِإِتْخَاذِ التَّعْلِيمِ مَكْسَبًا مُحْضًا لَا أَمَانَةً وَدِينًا .

« إِنْ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا مَنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ عَنْهُ » فَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ عَمَلُهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُؤَلَّى أَمَانَةَ التَّعْلِيمِ ، وَلَا يَصْلُحُ لِرِعَايَةِ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ . بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ إِصْلَاحُ حَالِهِ أَوَّلًا كَمَا قِيلَ :

- فابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَئِهَا عَنْ غِيهَا -

وَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَنْطَبِعَ فِي قَلْبِ مُتَعَلِّمٍ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَةِ مُعَلِّمِهِ . إِنْ الْقَوْلَ الْمَجْرَدَ عَنِ الْعَمَلِ لَا أَثَرُ لَهُ بَلْ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ ، لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا رَأَى تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ مُعَلِّمِهِ صُورَةً مُجَرَّدَةً عَنِ الْعَمَلِ اعْتَقَدَ بِحُكْمِ طُفُولَتِهِ وَبِجَهْلِهِ بِادِيءِ الْأَمْرِ أَنَّ الْعِلْمَ مَقْصُودٌ لِنَفْسِهِ ، لَا لِلْعَمَلِ بِهِ فَلَمْ يَرْضَ نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ بِعِلْمِهِ .

وَبِهَذَا تَعْظُمُ مُصِيبَتُهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ . فَيَجِبُ أَنْ يَتَجَافَى الْمُسْئُولُونَ فِي مَعَاهِدِهِمْ وَمَدَارِسِهِمُ الدِّينِيَّةِ عَنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيُظْهِرُونَ مَا لَا يُبْطِنُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ مَقَّتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ .

وفي الحديث : « أَخُوفَ مَا أَخَافَ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ
اللسان » .

وفي شرح ابن رَجَبٍ على حديث : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . . الخ »
روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر : إن أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
الْمُنَافِقَ الْعَلِيمَ ، قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ عَلِيماً ؟ قال : يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ ،
وَيَعْمَلُ بِالْجَوْرِ أَوْ قَالَ الْمُنْكَرِ .

ولا نَلْتَمِسُ مِنَ الْمَسْئُولِينَ التَّفْتِيشَ عَنِ الْبَاطِنِ ، وَتَتَبَعَ السَّرَائِرَ ، فَإِنَّا
لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ ، وَيَكْفِي الْمَجَاهِرَةَ بِمُخَالَفَةِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِلتَّعَالِيمِ
الْمَرْسُومَةِ .

فإن وَفَّقَنَا اللهُ لِلْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ ، وَأَرْجُوا أَنْ يَكُونَ أَنْ لَنَا ذَلِكَ .
وبذلك نكون قد تلافينا الخلل ، وعالجنا الداء ووضعنا الهناء موضع
النقب :

فَيَا مَعْشَرَ الْحُكَّامِ مِنْ كُلِّ مَسْلِمٍ لِنَعْمَرَ مَجْدًا قَدْ بَنَتْهُ سَرَاتِنَا وَسِيرُوا بِنَا نَقْفُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدٍ وَنَخَافُوا إِلَهَ الْعَرْشِ فِي هَضْمِ أُمَّةٍ وَمَا الْهَضْمُ إِلَّا أَنْ تُضَامَ شُعُوبُكُمْ فَسِيرُوا بِهَا نَحْوَ الْأَمَامِ نَسْرُكُمُ إِذَا أُوتِيَ الرَّاعُونَ حُسْنَ قِيَادَةٍ فَمَا نَهَضَ الْكَابُونَ فَضْلًا وَإِنَّمَا وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ وَعَدًا مُحَقَّقًا وَهَلْ نَصْرُهُ إِلَّا اتِّبَاعُ كِتَابِهِ فَيَا قَادَةَ الدِّينِ الْحَنِيفِ تَبَاَصَّرُوا	بِنَا فَانْهَضُوا نَحْوَ الْمَعَالِي وَشَمِّرُوا فَاعْمَلُوا وَعَنْ كُلِّ النِّقَائِصِ سَوِّرُوا نَبِيٌّ أَتَى بِالْعَدْلِ وَالْبِرِّ يَأْمُرُ لَهَا نَبَأٌ فِي الذِّكْرِ يُتْلَى وَيُذَكَّرُ وَمَا الْعُذْرُ عِنْدَ اللهِ أَنْ تَتَأَخَّرُوا فَلَيْسَتْ جُنُودًا بَلْ هِيَ الْإِسْدُ تَزَارُ وَصِدْقًا فَإِنَّ الْجُنْدَ جُنْدٌ مُظَفَّرُ رَأُونَا نِيَامًا ثُمَّ قَامُوا وَزَمَرُوا بَأْنَكُمْ إِنْ تَنْصَرُوا اللهُ تَنْصَرُوا وَتَحْكِيمُ مَا قَالَ الرَّسُولُ الْمُطَهَّرُ وَنَحَلُّوْا أُمُورًا عَنْ عُلاَكُمْ تُقَهِّقُرُ
--	--

فَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي اجْتِمَاعِ سَرَاتِكُمْ
وَلَا تُسَلِّمُوا أَبْنَاءَ دِينٍ مُقَدَّسٍ
وَمَجْهُولِ حَالٍ قَدْ رَأَى الْعِلْمَ صُنْعَةً
فَمَنْ يَا أَبَا الضَّيِّمِ لِلدِّينِ بَعْدَكُمْ
تَجَافَوْا عَنِ الْجَافِينَ فِي كُلِّ مَعْهَدٍ
كَذَاكَ عَنِ الْغَالِينَ وَابْغُوا أَفْضَالَ
فَمَرْأَةٍ أَخْلَاقِ الْمُعَلِّمِ طِفْلُهُ
فَأَوْلُوهُمْ مِنْكُمْ رِقَابَةَ مُخْلِصٍ
فَمَهْمَا اسْتَقَمْتُمْ تَسْتَقِيمُ شُعُوبُكُمْ

وَأَنْ تَتَوَاصَوْا بِالضَّعَافِ وَتُؤَثِّرُوا
لِكُلِّ غَيْبٍ بِالْقَبَائِحِ يَجْهَرُ
وَيَكْفِيهِ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ مُحَرَّرُ
وَمَنْ لِلشَّبَابِ النَّاشِئِينَ يُبْصِرُ
وَمَدْرَسَةٍ فِيهَا الْمَعَارِفُ تُنْشَرُ
فَضَائِلُهُمْ فِي النَّاشِئِينَ تُؤَثِّرُ
وَمَا فِيهِ فِي تَلْمِيزِهِ لَكَ يَظْهَرُ
تُمَحِّصُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَتُطَهِّرُ
وَأِنْ تُبْصِرُوا أَنْتُمْ فَكُلُّ سَيِّبِرُ

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ يَحْتَوِي عَلَى آدَابٍ وَمَوَاعِظَ وَنَصَائِحَ وَأَخْلَاقٍ فَاضِلَةٍ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَقَايَةَ الْأَنْفُسِ بِالزَّامِيهَا أَوْامِرُ اللَّهِ امْتِثَالًا وَنَوَاهِيهِ اجْتِنَابًا
وَالْتَوَنُّ عَمَّا يُسَخِّطُ اللَّهَ ، وَيُوجِبُ الْعَذَابَ .
وَوَقَايَةَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ بِتَأْدِيبِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ وَإِلْزَامِهِمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَلَا
يَسْلَمُ الْعَبْدُ إِلَّا إِذَا قَامَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي مَنْ تَحْتَ وَلَايَتِهِ وَتَصَرَّفَ بِهِ .

وَرُوي أَنَّ عُمَرَ قَالَ حِينَ نَزَلَتْ الْآيَةُ الْآتِيَةُ بَعْدَ سَطْرَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ
نَقِي أَنْفُسَنَا فَكَيْفَ لَنَا بِأَهْلِينَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَهَوَّنَنَّ عَمَّا نَهَاكُمُ
اللَّهُ عَنْهُ وَتَأْمُرُونَهُنَّ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ فَيَكُونَ ذَلِكَ وَقَايَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّارِ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَحَدِيثُ كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ .

إِنَّ تَرْبِيَةَ الْأَوْلَادِ وَتَعْلِيمَهُمْ لِأَمْرِ عَظِيمٍ لَهُ شَأْنُهُ الْأَكْبَرُ وَخَطَرُهُ الْجَسِيمُ
فِي حَيَاتِنَا الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْخُلُقِيَّةِ ، فَهُمْ قُوَى الْمُجْتَمَعِ الْمُنْتَظَرِ وَدَعَائِمِهِ
الَّتِي سَيَقُومُ عَلَيْهَا ، وَعَلَيْهِمْ وَحْدَهُمْ يَتَوَقَّفُ رُقْيُ الْأُمَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَنُمُوها
وَتَقَدُّمُهَا .

وَإِنَّ أَمَامَهُمْ لَخَطَرٌ عَظِيمٌ وَغَزْوٌ هَائِلٌ مُتَسَرِّبٌ بَعْضُ الثَّقَافَاتِ لِهَدمِ
عَقَائِدِهِمْ وَفَسَادِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَانْتِزَاعِ رُوحِ الْإِبَاءِ وَالْغَيْرَةِ وَالْعَفَافِ مِنْ
نَفُوسِهِمْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَإِنَّ مُشْكَلَتَهُمُ الْيَوْمَ هِيَ أُمُّ الْمَشَاكِلِ فَلَأَنْ نَخْسَرَ الْأَمْوَالَ وَالْأَنْفُسَ
أَيْسَرُ وَأَهْوَنُ مِنْ أَنْ نَخْسَرَ رُوحَ نَشْنِئَتِنَا الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَعَقَائِدَهُمُ السَّلَفِيَّةِ ، فَيَجِبُ
أَنْ نَسْعَى فِي حَيَاطَتِهِمْ بِسِيَاجِ الدِّينِ وَأَنْ نَغْرَسَ فِي نَفُوسِهِمْ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ احْتِرَامَ الْإِسْلَامِ ، وَحُبَّ تَعَالِيْمِهِ ، وَآدَابِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا .

يَجِبُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِذَلِكَ الْآبَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ يَجِبُ أَنْ لَا يُوَكَّلَ تَرْبِيَتُهُمْ
وَتَعْلِيمُهُمْ وَتَهْدِيَتُهُمْ وَالْإِشْرَافَ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِمَنْ عُرِفَ بِصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَسَلَامَةِ
الْمَبْدَأِ وَنَزَاهَةِ الْعِرْضِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى شُعَائِرِ الدِّينِ وَأَرْكَانِهِ فَمَا أَنْتُمْ إِلَّا بِاللَّهِ
ثُمَّ بِنَشْتِكُمْ وَمَا النَّشْيُ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِاللِّدِينِ وَالْأَخْلَاقِ .

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

آخر :

إذا استَحَالَتْ سجايا القوم فاسدة فليس ينفعهم علم ولا عمل
ويقول الآخر :

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخلاقِ مَرْجَعُهُ فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخلاقِ تَسْتَقِمُ
وَمَا الْأَخلاقُ إِلَّا بِالتَّربِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي
ثَمَرَاتِ قُلُوبِكُمْ وَفَلَذَاتِ أَكْبَادِكُمْ لَا تَهْمِلُوا تَرْبِيَتَهُمُ التَّربِيَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَلَا
تَتَسَاهَلُوا بِهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَقَدْ أُلْقِيَ إِلَيْكُمْ مَقَالِيدُهُمْ ، وَأَصْبَحْتُمْ
رُعَاةَ أُمُورِهِمْ ، وَلَا تَكِلُوا أَمْرَهُمْ إِلَى حَاضِنَةٍ وَلَا مُرَبِّيَةٍ وَلَا إِلَى مُعَلِّمٍ لَمْ تَتَأَكَّدُوا
صِحَّةَ إِسْلَامِهِ .

فإنهم وُلِدُوا أَصْفِيَاءَ النَّفُوسِ قَابِلِينَ لِكُلِّ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ
شَرٍّ ، فَإِنْ وَفَّقَ أَحَدُهُمْ فِيمَنْ يُحْسِنُ تَرْبِيَتَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَيَغْذِيهِ بِلَبَانِ الدِّينِ ،
وَيُحِبُّهُ لِسِيرَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، شَبَّ حَسَنَ الْأَخلاقِ طَيِّبَ النَّفْسِ ، مُتَمَسِّكًا
بِدِينِهِ ، مُبْتَعِدًا عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَمُتَحَلِّيًا بِالْفَضَائِلِ ، نَافِعًا لِلأُمَّةِ .
وإِلَّا فَسَيَشِبُّ خَبِيثَ النَّفْسِ فَاسِدَ الْاِعْتِقَادِ سَيِّئَ الْأَخلاقِ خَالٍ مِنَ
الرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّعَالِيمِ النَّبَوِيَّةِ كَلَّا عَلَى نَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَشَقَاءَ وَشَرًّا عَلَى
مُجْتَمَعِهِ ، وَبَلَاءَ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي أَوْلَادِكُمْ بَاعِدُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرْنَاءِ السُّوءِ
وَفَاسِدِي الْأَخلاقِ وَفَاقِدِي المُرُوءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَمُرُوهُمْ بِمَا أَمَرْتُمْ بِهِ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وَأَخْبَرَ عَنْ اسْمَاعِيلَ فَقَالَ
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ الْآيَةِ وَقَالَ حِكَايَةُ عَنْ لُقْمَانَ وَهُوَ يُوصِي
ابْنَهُ ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ
إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وَانْهَوْهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ لُقْمَانَ بَعْدَ مَا أَمَرَ ابْنَهُ بِأَشْيَاءَ نَهَاَهُ

عَنْ أَشْيَاءَ فَقَالَ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ .

وذكر بعضُ العلماءِ آداباً نحو الصبي إذا بلغ سنَّ التَّمييزِ فقال رحمه الله ومهما بدت من الصَّبي مخايل التمييز فينبغي أن يُحَسِّنَ مُرَاقَبَتَهُ ومطالعة أحواله فإذا ظهرت في وجهه أنوار الحياء وكان يَحْتَشِمُ وَيَسْتَحِي مِنْ بعضِ الأفعالِ حتى يراها قبيحة .

فهذه هدايةٌ مِنَ اللَّهِ تعالى إليه وبشارةٌ تدلُّ على اعتدالِ الأخلاقِ وصفاءِ القلبِ .

وَمَنْ هَذِهِ حَالُهُ فَهُوَ مُبَشِّرٌ بِكَمَالِ الْعَقْلِ عِنْدَ الْبُلُوغِ .
فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُهْمَلَ عَنْ رِعَايَةِ الْإِعْتِنَاءِ فِي حَقِّهِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ .
وَجَهْلُهُ مَا نُشِيرُ إِلَيْهِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ مِنَ الْأَدَابِ وَاحِدٌ وَثَلَاثُونَ أَدَبًا .
الْأَدَبُ الْأَوَّلُ : هُوَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْأَطْفَالِ الشَّرُّ فِي الطَّعَامِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ فِيهِ فَلَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ إِلَّا بِبَيْمِينِهِ .
وَيَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عِنْدَ أَكْلِهِ وَلِيَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ .
وَلَا يُبَادِرُ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ غَيْرِهِ .
قال الشاعر :

وإن مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذَا أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وَلَا يُحَدِّقُ إِلَى الطَّعَامِ وَإِلَى مَنْ يَأْكُلُهُ فَإِنَّ هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْبُخْلِ .
الْأَدَبُ الثَّانِي : يُؤْمَرُ أَنْ لَا يُسْرَعَ فِي الْأَكْلِ ، وَيَمْضَغُ الطَّعَامَ مَضْغًا
جَيِّدًا وَلَا يُوَالِي بَيْنَ الْأَكْلَاتِ وَيُلَطِّفُ اللَّقْمَةَ وَلَا يُلَطِّخُ أَثْوَابَهُ .
الْأَدَبُ الثَّلَاثُ : يُعَوَّدُ أَكْلَ الْخُبْزِ مِنْ غَيْرِ الْإِدَامِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ

حتى يصير بحيث لا يرى الإدام حتماً واجباً لأنه ربما فقده .
ويُقْبَحُ عنده كثرة الأكل بأن يشبهه مَنْ يُكثِرُ الأكل بالبهائم .
ويُذَمُّ الصَّبِيُّ الذي يُكثِرُ الأكل عنده ويُمدح الصَّبِيُّ القليل الأكل .
حتى يقتدي بذلك لئلا يصير شرهاً لا يهّمه إلا بطنه .

الأدب الرابع : يُحَبَّبُ إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة ، ويُمدح عنده
الطعام الذي فيه خشونة أي طعام كان بحيث لا يكون مؤلماً بالطعام اللين
فيصعب عليه مفارقتها .

الأدب الخامس : يُسْتَحَبُّ أن يكون لباسه من الثياب البيض دُونَ
الثياب الملونة بالصباغات المزعفرة والمعصفرة وأنواع الديباج والأبريسم .
ويقرر عنده أن ذلك إنما هو من لباس النسوان والرجال الذين لا خير
فيهم ولا دين لهم وأن الرجال يستنكفون عن ذلك .

الأدب السادس : أنه مَهْمَا رَأَى على صبي ثوباً من ديباج أو حرير أو
أبريسم فينبغي أن يُنْكِرَ عليه فيذم على لبسه ويُرْأى عنه بكل حال ولا يُغْتَفَرُ
له ذلك ويذم عنده إسبال الثياب ليعتاد عدم الإسبال .

الأدب السابع : يَنْبَغِي أن يُحْفَظَ الصَّبِيُّ عن الصبيان الذين عودوا
التنعم والترفة ولبس الثياب الفاخرة وعن مُحَالَطَةِ مَنْ يَرْغَبُ فيها ذكرناه .
فإن الصبي إذا أَهْمِلَ في أول النشأة خَرَجَ في الأغلب رَدَى الأخلاق
كذاباً حَسُوداً سَرُوقاً نَمَافاً جَوْجاً ذَا فُضُولٍ وَمُجُونٍ ، وإنما يُحْفَظُ عن ذلك كُلِّهِ
بِحُسْنِ الأدب .

الإدب الثامن : ثم إنه يُسْتَحَبُّ أن يُشْغَلَ في المكتب يتعلم القرآن
وتفسيره وأحاديث الرسول ﷺ والفقه ويحرص على حفظ القرآن عن ظهر
قلب وكذلك الأحاديث الصحيحة كالعمدة وكذلك مختصر المقنع أو دليل
الطالب لأن الحفظ هو العلم فمن لم يحفظ لا يقدر على استخراج المسائل
غالباً والله أعلم .

وَيَعْتَمِدُ فِي حِفْظِ الْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ وَأَخْبَارِ الْأَبْرَارِ وَحِكَايَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَحُسْنِ الرِّيَاضَةِ لِلنَّفْسِ فَيَنْغَرَسُ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الصَّالِحِينَ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ . قُلْتُ وَيَحْذَرُ عَنْ كُتُبِ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ .

الْأَدَبُ التَّاسِعُ : يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ عَنِ الْأَشْعَارِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْهَجَاءِ وَالْعِشَاقِ وَيُحْفَظَ عَنِ مُخَالَطَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى فَإِنَّ ذَاكَ مَهْمَا أَنْغَرَسَ فِي قُلُوبِ الصَّبِيَّانِ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْفَسَادَ فِي النَّفُوسِ .

الْأَدَبُ الْعَاشِرُ : أَنْ يُعَوَّدَ كِتَابَةُ الْخَطِّ وَحِفْظُ الْأَمْثَالِ الشَّعْرِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الزَّهْدِيَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ صِفَةُ كِمَالٍ وَزِينَةٍ ، وَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخَطِّ فَإِنَّهُ مِنْ مِفْتَاحِ الرِّزْقِ .

الْأَدَبُ الْحَادِي عَشَرَ : إِذَا ظَهَرَ مِنْ جِهَةِ الصَّبِيِّ فِعْلٌ جَمِيلٌ وَخُلُقٌ حَسَنٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ عَلَيْهِ وَيُجَازَى بِمَا يَفْرَحُ بِهِ وَيُمدَحُ بَيْنَ أَظْهَرِ النَّاسِ . فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَغَافَلَ عَنْهُ وَلَا يُهْتَكُ سِتْرُهُ فِي مَلَأٍ مِنَ الْخَلْقِ وَلَا يُكَاشَفُ فِي وَجْهِهِ وَيُظْهَرُ لَهُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَتَجَاسَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَا سِوَا إِذَا سَتَرَهُ الصَّبِيُّ وَأَخْفَاهُ .

الْأَدَبُ الثَّانِي عَشَرَ : أَنَّهُ إِنْ عَادَ إِلَى ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَاتَبَ سِرًّا وَيُعْظَمَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَيُقَالَ لَهُ إِيَّاكَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا فَتُفْتَضِحَ بَيْنَ النَّاسِ .

وَلَا يُكْثَرُ عَلَيْهِ الْعِتَابُ فِي كُلِّ حِينٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَهْوُنُ سَمَاعَ الْمَلَامَةِ فِي حَقِّهِ وَيَسْقُطُ وَقَعُ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ .

الْأَدَبُ الثَّلَاثُ عَشَرَ : أَنْ يَكُونَ الْأَبُّ حَافِظًا لِهَيْبَةِ الْكَلَامِ مَعَهُ وَلَا يُؤَيِّدُهُ إِلَّا أَحْيَانًا ، وَالْأُمُّ تُخَوِّفُهُ بِالْأَبِّ وَتَزْجُرُهُ عَنِ الْقَبَائِحِ وَتُظْهِرُ لَهُ الْوَعِيدَ بِشِدَّةِ الْأَبِّ وَخَوْفِهِ مِنْهُ .

الأدب الرابع عشر : ينبغي أن يُمنع من النوم نهاراً فإن ذلك يُورث الكسل في حقه ولا يُمنع من النوم ليلاً لأنَّ منعه من النوم في الليل يُورث الملالة والتسخرن ويضعف عن مكابدة النوم وشدة النعاس .

الأدب الخامس عشر : ينبغي أن يُمنع من استعمال الفرش الوطية حتى تتصلب أعضاؤه ويستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم .

بل يُعوّد الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم والمشرّب . فقد قال رسول الله ﷺ « إياكم وفُضُولُ المَطْعَمِ فَإِنَّهُ يَسِمُ القلبَ بالقسوة » .

الأدب السادس عشر : ينبغي أن يُمنع من كُلِّ ما يفعّله في خفية فإنه لا يُخفيه إلا وهو يعتقده أنه قبيح فيدعو ذلك إلى أنه يتعوّد فعل كل قبيح .

الأدب السابع عشر : ينبغي أن يُعوّد في بعض النهار المشي في الحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويتعود الميل إليه .

وإن كان ممن يعتاد الرمي ويحبه فلا بأس بشغله ، وهكذا الحال في ركوب الخيل فقد قال ﷺ « ثلاثة لا تعدّ من اللّهُو ، هو الإنسان بفرسه وهوّه بقوسه وهوّه بأهله » .

الأدب الثامن عشر : ينبغي أن يُعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يُسرّع في المشي ولا يُرخي يديه يُحرّكهما ورائه فعل المتبختر .

فقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه المشية ، وهكذا حال التَّمْطِطِ عند المشي مكروه أيضاً وقد نهى عنه .

الإدب التاسع عشر : ينبغي أن يُمنع من الافتخار على أقرانه وأمثاله بشيء مما يملكه أبواه أو بشيء من مطاعمه وملابسه ونحو ذلك ويعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره من الصبيان ويلطف في الكلام معهم .

الأدب العشرون : يُمنع أن يأخذ على الصبيان من أمثاله شيئاً إذا كان من أهل الشرف والرياسة ويُقرر في نفسه أن الأخذ لوم وخسّة ونزول قدر وإن الإعطاء كرم وشرف .

وإن كان من أولاد الفقراء فيقرر في نفسه أن الأخذ طمع وفي الطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلاب فإنه يتدلل في انتظار لقمة .
الأدب الحادي والعشرون : ينبغي أن يقبح إلى الأولاد حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب والسُّموم .

فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السُّموم على الصبيان بل على الأكابر من العقلاء ، فإن ضرر السم ينقطع بالموت وضرر حبيهما يتجدد بعد الموت .

الأدب الثاني والعشرون : ينبغي أن يعود أن لا يبصق في المجلس ولا يتمخّط بحضرة غيره ولا يستدبر غيره من المسلمين ولا يكثر الشاؤب .

الأدب الثالث والعشرون : ينبغي أن يعلم كيفية الجلوس على ركبتيه على الأرض أو ناصباً قدمه اليمين وأضع الأخرى على الأرض أو يقعد محتبياً بيديه ، هكذا كان رسول الله ﷺ يفعل في أكثر أحواله .

الأدب الرابع والعشرون : ينبغي أن يُمنع من كثرة الكلام إلا من ذكر الله ويبين له أن ذلك من أمارة الوقاحة وأنه عادة أبناء اللثام وأولاد السفلة من الناس لينزجر عن ذلك ويمتنع منه والله أعلم .

الأدب الخامس والعشرون : ينبغي أن يُمنع عن الأيمان صدقاً كانت أو كذباً حتى لا يعود ذلك في حال الصغر .

الأدب السادس والعشرون : يُمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على لسانه مثل ذلك ، فإن ذلك

يَسْرِي لَا مَحَالَةَ مِنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ ، وَأَصْلُ تَأْدِيبِ الصَّبِيَانِ الْحِفْظُ مِنْ قُرْنَاءِ السُّوءِ . قُلْتُ ويحذر من التلفاز والفديو والمذياع والمجلات .

الأدب السابع والعشرون : يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّمَ شَجَاعَةَ الْقَلْبِ وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَتَمْدَحَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِسَمَاعِهِ لَهَا يَنْغَرِسُ فِي قَلْبِهِ حُسْنُهَا وَيَتَعَوَّدُهَا .

الأدب الثامن والعشرون : يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّمَ طَاعَةَ وَالِدَيْهِ وَمُعَلِّمِهِ وَمُؤَدِّبِهِ وَكُلِّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سَنَاءً مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَكُونَ نَاضِراً إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْجَلَالَةِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَأَنْ يَتْرَكَ اللَّعِبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَهَذِهِ الْأَدَابُ كُلُّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِسُنَنِ التَّمْيِيزِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبته وسلم .

فصل في كلامٍ نافعٍ في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع فقال رحمه الله

الفائدة الأولى : صَفَاءُ الْقَلْبِ وَاتِّقَادُ الْقَرِيحَةِ وَنَفَازُ الْبَصِيرَةِ ، فَإِنَّ الشَّبْعَ يُورِثُ الْبَلَادَةَ وَيُعِمِّي الْقَلْبَ وَيَكْثُرُ الْبُخَارُ فِي الدِّمَاغِ يَشْبَهُ السُّكَّرَ حَتَّى يَسْتَوِي عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرَةِ فَيَثْقُلُ الْقَلْبُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْجَرِيَانِ فِي الْأَفْكَارِ .

الفائدة الثانية : رِقَّةُ الْقَلْبِ الَّتِي يَتَهَيَّأُ بِهَا لِإِدْرَاكِ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَمْ مِنْ ذِكْرٍ يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ .
وَلَكِنْ الْقَلْبُ لَا يَلْتَذُّ بِهِ وَلَا يَتَأَثَّرُ عَنْهُ حَتَّى كَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَاباً مِنْ قَسَاوَةِ الْقَلْبِ .

وقد يَرِقُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَيَعْظُمُ تَأَثُّرُهُ بِالذِّكْرِ وَتَلَذُّدُهُ بِالْمُنَاجَاةِ ، وَخُلُوُّ الْمَعْدَةِ هُوَ السَّبَبُ الْأَظْهَرُ فِي ذَلِكَ .

الفائدة الثالثة : الانكسار والذلّ وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو
مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى .

ولا تنكسر النفس ولا تذلل كما تذلل بالجوع ، فعنده يستكين العبد لربه
ويخشع له ويقف على عجزه وذله .

والبطر والفرح بابان من أبواب النار وأصلهما الشبع ، والذلّ
والانكسار بابان من أبواب الجنة ، وأصلهما الجوع .

ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة
لأنهما متقابلان كالمغرب والمشرق ، فالبعد من أحدهما قرب من الآخر .

الفائدة الرابعة : لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء ، فإن
الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع ، والمؤمن الفطن لا يشاهد بلاء إلا
ويذكره بلاء الآخرة ، ويتذكر من عطشه الخلائق في عرصات القيامة ، ومن
جوعه جوع أهل النار حين يجوعون فيطعمون من الزقوم ، والضريع
ويُسقون الغساق والمهل .

الفائدة الخامسة : كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس
الأمارة بالسوء ، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات .

ونيل الشهوات مادة القوى ، ومادة الشهوات والقوى لا محالة
الأطعمة ، فبقيلتها تضعف كل شهوة وقوة .

والسعادة كلها أن يملك الإنسان نفسه ، والشقاوة في أن تملك
الإنسان نفسه وتكون هي المستولية عليه .

الفائدة السادسة : رفع النوم وداوم السهر ، فإن كل من شبع شرب
كثيراً ، ومن كثر شره كثر نومه .

وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة
القلب ، والعمر أنفُس الجواهر وهو مال الإنسان الذي به يتجر .

الفائدة السابعة : تيسيرُ المواظبةِ على العبادةِ فإن كثرةَ الأكلِ تمنعُ من كثرةِ العبادةِ .

لأنَّ الأكلَ يحتاجُ إلى زمانٍ يشتغلُ فيه بالأكلِ ، وربما احتاجَ إلى زمانٍ في شراءِ الطعامِ وطبخه ثم يحتاجُ إلى غسلِ اليدينِ والحلَّالِ ثم يكثرُ تردُّدهُ للخروجِ إلى بيتِ الماءِ .

وهذه أوقاتٌ يمكنُ صرفُها إلى العبادةِ عوضاً عن الأكلِ المباحِ وليس لها سببٌ إلا كثرةُ الأكلِ والتوسُّعُ في الشَّبَعِ .

الفائدة الثامنة : صحةُ البدنِ ودفعُ الأمراضِ فإن سببها كثرةُ الأكلِ وحصولُ فضلاتِ الأخلاطِ في المعدةِ والعروقِ .

ثم إن المرضَ يمنعُ من العباداتِ ويُشوشُ القلوبَ ويمنعُ من الذكرِ والفكرِ ويُغصُّ ويُحجِّجُ إلى الفصدِ والحِجامةِ والدواءِ والطبيبِ ، وكلُّ ذلكِ يحتاجُ إلى أمورٍ كثيرةٍ وتبعاتٍ وفي الجوعِ ما يمنعُ من ذلكِ كلهُ .

الفائدة التاسعة : خفةُ المؤنةِ فإنَّ كُلَّ مَنْ تَعَوَّدَ قَلَّةَ الأكلِ كَفَاهُ مِنَ المالِ قَدْرٌ يَسِيرُ .

والذي تَعَوَّدَ الشَّبَعِ صَارَ بَطْنُهُ غَرِيماً مُلَازِماً يَأْخُذُ بِمُخَنَقِهِ كُلَّ يَوْمٍ فيقولُ مَاذَا تَأْكُلُ الْيَوْمَ .

فيحتاجُ إلى أَنْ يَدْخَلَ فِي الْمَدَاخِلِ الْحَبِيثَةِ مِنَ الْحَرَامِ فَيَعِصِي أَوْ مِنَ الْحَلَالِ فَيَذَلَّ وَيَتَّعَبُ .

وربما يحتاجُ إلى أَنْ يَمُدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى الْخَلْقِ بِالطَّمَعِ فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَهُوَ غَايَةُ الذُّلِّ وَالْمُؤْمَنُ خَفِيفُ الْمُؤْنَةِ .

الفائدة العاشرة : التمكنُ مِنَ الْأَيْثَارِ وَالتَّصَدِّقِ بِمَا فَضَلَ مِنَ الْأَطْعَمَةِ عَلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ .

فَمَا يَأْكُلُهُ فَخِزَانَتُهُ الْكَنِيفُ وَمَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَخِزَانَتُهُ فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ .
فهذه جُمْلَةٌ ما نريد ذِكْرَهُ مِنْ فَوَائِدِ الْجُوعِ ، وَأَمَّا آفَاتُ الشَّبَعِ فَهُوَ
نَقَائِضُ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي أوردناها فلا حاجة لنا إلى تكريرها إنتهى .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمُ
اللَّهُ حِينَ جَلَوْا مِنَ الدَّرْعِيَّةِ بَعْدَ اسْتِيْلَاءِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا سَقْنَاهَا لَعَلَّ الْمُسْلِمِينَ
يَسْتَيْقِظُونَ مِنْ رَقَدَتِهِمْ وَيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَوْلًا
وَفِعْلًا وَيَخْشَوُا الْعُقُوبَةَ الَّتِي إِذَا جَاءَتْ لَا تَخْصُ الظَّالِمِينَ .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

شِعْرًا :

خَلِيلِي عُوجًا عَنْ طَرِيقِ الْعَوَازِلِ
بِمَهْجُورٍ لَيْلَى فَابْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ انْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي غَلِيلَ الْبَلَابِلِ
أَرَى عِبْرَةً غَبْرَاءَ تَتَّبِعُ أُخْتَهَا
عَلَى إِثْرِ أُخْرَى تَسْتَهْلُ بِوَابِلِ
تُهَيِّجُ ذِكْرًا لِلْأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ
تُشِيبُ النَّوَاصِي وَاللَّحَا لِلْأَمَائِلِ
وَتُسْقِطُ مِنْ بَطْنِ الْحَوَامِلِ حَمْلَهَا
وَتُذْهِلُ أَخْيَارَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ

فَبَيَّنَا نُسُودَ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا
وَتَنَفَّذْ أَحْكَامَ لَنَا فِي الْقَبَائِلِ
وَتَخَفِيقُ رَايَاتُ الْجِهَادِ شَهِيرَةً
بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ يَمْنَةً وَشَمَائِلِ
تَبَدَّلَتْ النِّعْمَاءُ بُؤْسًا وَأَصْبَحَتْ
طُغْيَانُ عُنَاةٍ مَلْجَأً لِلْأَرَاذِلِ
وَبَثَّ عُنَاتُ الدِّينِ فِي الْأَرْضِ بَغْيُهُمْ
وَرِيَعَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ الْغَوَافِلِ
وَأَقْبَلَ قَادَاتُ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى
وَسَادَاتُهَا فِي عَسْكَرٍ وَجَحَافِلِ
وَشَتَّتْ شَمْلُ الدِّينِ وَانْبَثَّ أَصْلُهُ
فَأَضْحَى مُضَاعاً كَالْبُدُورِ الْأَوَافِلِ
وَفَرَّغَ الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِناً
تَرَاهُمْ فُرَادَى نَحْوَ قِطْرِ وَسَاحِلِ
وَفُرِّقَ شَمْلٌ كَانَ لِلْخَيْرِ شَامِلاً
وَزَالَتْ وُلاَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعَادِلِ
وَسَادَ شِرَارُ الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ
وَدَارَتْ رَحَى لِلْأَرْدَلَيْنِ الْأَسَافِلِ
فَأَصْبَحَتْ الْأَمْوَالُ فِيهِمْ نَهَائِباً
وَأَضْحَتْ بِهَا الْأَيْتَامُ خُمْصَ الْحَوَافِلِ
فَكَمْ دَمَرُوا مِنْ مَسْكَنِ كَانَ آيِساً
وَكَمْ خَرَّبُوا مِنْ مَرْبَعٍ وَمَعَاوِلِ

وَكَمْ خَرَّبُوا مِنْ مَسْجِدٍ وَمَدَارِسٍ
يُقَامُ بِهَا ذِكْرُ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَكَمْ قَطَعُوا مِنْ بَاسِقَاتِ نَوَاعِمٍ
وَكَمْ أَغْلَقُوا مِنْ مَعْقَلٍ وَمَنَازِلِ
وَكَمْ أَهْلَكُوا خَرْتًا وَنَسْلًا بِبَغْيِهِمْ
وَكَمْ أَيْتَمُوا طِفْلاً بِغَدْرِ وَبَاطِلِ
وَكَمْ هَتَكُوا سِتْرًا حَيًّا مُنْعَاً
وَكَمْ كَشَفُوا حُجَبَ الْعَذَارَى الْعَقَائِلِ
وَكَمْ خَرَّقُوا مِنْ كُتُبِ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ
وَفَقَّهِ وَتَوْحِيدٍ وَشَرْحِ مَسَائِلِ
وَكَمْ هَدَمُوا سُورًا وَقَصْرًا مُشِيدًا
وَحِصْنًا حَصِينًا أَوْهَنُوا بِالْمَعَاوِلِ
وَكَمْ أَسَرُّوا مِنْ حَاكِمٍ بَعْدَ عَالِمٍ
وَكَمْ زَلَزَلُوا مِنْ مُحْصَنَاتِ غَوَائِلِ
وَكَمْ قَتَلُوا مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ فِتْنَةً
تُقَاةً هُدَاةً فِي الدُّجَى كَالْمَشَاعِلِ
يَذُودُونَ عَنِ وَرْدِ الدُّنَايَا نُفُوسَهُمْ
وَيَسْعَوْنَ جُهْدًا لِإِقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ
فَمَا بَعْدَهُمْ وَاللَّهِ فِي الْعَيْشِ رَغْبَةٌ
« لَدَى مُخْلِصٍ حُرِّ كَرِيمِ السَّمَائِلِ »
مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ جِئْنَ أَوْرَثُوا
ثَنَاءً وَمَجْدًا كَالْهُدَاةِ الْأَوَائِلِ

فَوَا أَسْفَا مِنْ فَقْدِهِمْ وَفِرَاقِهِمْ
وَوَاسَوْءَاتَا مِنْ بَعْدِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ
فَجَازَاهُمُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ بِرَحْمَةٍ
تَعُمُّ عِظَاماً أُودِعَتْ فِي الْجَنَادِلِ
وَأَبْقَى لَهُمْ نَصِيراً وَأَهْلاً مُؤْتِلاً
يُعِزُّ هُدَاةَ الدِّينِ بَيْنَ الْجَحَافِلِ
لَقَدْ بَخِلْتُ عَيْنٌ تَظُنُّ بِمَائِهَا
عَلَى فَقْدِهِمْ أَوْ دَمْعٌ عَيْنٍ تُهَامِلِ
فَقَدْ كُسِفَتْ شَمْسُ الْمَعَارِفِ بَعْدَهُمْ
وَسَالَتْ جُفُونٌ بِالدُّمُوعِ الْهَوَاطِلِ
فَكَمْ عَاتِقٍ غَرَاءٌ تَبْكِي بِشَجْوِهَا
وَأَرْمَلَةٍ تُكَلِّي وَحْبَلِي وَحَائِلِ
يُنْحَنُ بِأَكْبَادِ جِرَارٍ وَعَبْرَةٍ
وَيَكْظِمْنَ غَيْظاً فِي الْجَوَانِبِ دَاخِلِ
يُرْجِعْنَ أَلْحَانَ التَّعْزِي بِحُرْقَةٍ
وَيُظْهِرْنَ صَبْراً عَنْ شُمَاةٍ وَعَاذِلِ
فَلَوْ شَهِدَتْ عَيْنَاكَ يَوْمَ رَجِيلِهِمْ
عَنْ الْمَسْكَنِ الْأَعْلَى الرَّفِيعِ الْمَنَازِلِ
وَفُرِّقَتْ الْأَحْبَابُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
وَسَارَ بِهِمْ حِزْبُ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
يُسُوقُونَهُمْ سَوْقاً عَنِيفاً بِشِدَّةٍ
وَيُرْجُونَ أَشْيَاحاً بِتِلْكَ الْقَوَافِلِ

لَذَابَتْ جُفُونُ الْعَيْنِ وَاحْتَرَقَ الْحَشَا
وَسَالَتْ خُدُودٌ بِالْدُّمُوعِ السَّوَائِلِ
فَقَدْ عَاثَتْ الْأَحْزَابُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ
بِكُلِّ مَكَانٍ نَاصِبِينَ الْحَبَائِلِ
فَكَمْ غَارَةٍ غُيِّرَتْ يُكْسِرُهُ وَرُدُّهَا
عَلَى إِثْرِ أُخْرَى بَيْنَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
وَكَمْ فِتْنَةٍ كُبِّرَى تُتَابِعُ أُخْتَهَا
عَلَى إِثْرِ صُغْرَى مِنْ قَتِيلٍ وَقَاتِلِ
تَرَى خَيْلَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُغِيرَةً
عَلَى دَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ أَوْ مُسَائِلِ
عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ دِينَنَا
وَيَجْبُرَ كَسْرًا مُثْقَلًا بِالْحَبَائِلِ
وَيَعْمُرَ لِلسَّمْحَاءِ رُبُوعًا تَهْدَمَتْ
وَيُعْلِي مَنَارًا لِلْهُدَى غَيْرَ زَائِلِ
فَيُظْهِرُ نُورَ الْحَقِّ يَغْلُو سَنَاؤُهُ
فَيُضْجِي ظِلَامَ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ زَائِلِ
وَيَكْسِرَ أَعْلَامَ الضَّلَالَةِ إِنَّهُ
قَرِيبٌ مُجِيبٌ مُسْتَجِيبٌ لِسَائِلِ
وَيَطْمِسَ آثَارَ الْفَسَادِ بِسَدِيمَةٍ
مِنْ النَّصْرِ هَتَّانِ الْجَوَانِبِ وَابِلِ
فَيَنْبُتُ زَرْعُ الْحَقِّ أَخْرَجَ شَطَاةَ
مُسِيحًا بِخَيْرٍ لِلثَّمَارِ الْحَوَاصِلِ

إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءِ فَإِنَّا
 غَيْبُكَ تُبْنَا لَسْتَ عَنَّا بِغَافِلٍ
 أَغْنَا أَغْنَا وَارْفَعْ الضُّرَّ وَالْبَلَاءَ
 بِعَفْوِكَ عَنَّا يَا قَرِيبُ لَا مِلَّ
 فَإِنْ لَمْ تُغْنِنَا يَا قَرِيبُ فَمَنْ لَنَا
 لِنَقْصِدَ فِي دَفْعِ الْأُمُورِ الثَّقَائِلِ
 إِلَيْكَ أَنْبَا فَاغْفِرْ الذَّنْبَ وَالْخَطَا
 إِلَيْكَ رَجَعْنَا فَارْجِعِ الْخَيْرَ كَامِلِ
 فَقَدْ سَامَنَا الْأَعْدَاءُ سَوْماً مُبَرِّحاً
 بِقَتْلِ وَأَسْرِ مُوثِقاً بِالْحَبَائِلِ
 عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرِ تَوْجِيهِ رَبَّنَا
 وَهَذِمِ قِبَابِ الْمُشْرِكِينَ الْأَبَاطِلِ
 وَأَمْرِ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْكَارِ مُنْكَرٍ
 وَفِعْلِ صَلَاةٍ فِي الْجَمَاعَةِ حَافِلِ
 وَأَخْذِ زَكَاةِ الْمَالِ فَرَضاً مُؤَكِّداً
 يُرَدُّ لِيَذِي فَقِيرٍ وَغُرْمٍ وَغَامِلِ
 وَحَجٍّ وَتَقْوِيمِ الْجِهَادِ لِأَنَّهُ
 أَمَانٌ وَعِزٌّ عَنْ مَذَلَّةٍ خَاذِلِ
 إِذَا مَا مَلَكْنَا قَرِيبَةً أَوْ قَبِيلَةً
 أَقَمْنَا بِهَا شَرْعَ الْهُدَاةِ الْكَوَامِلِ
 فَتَهْدِمُ أَوْثَاناً وَتَبْنِي مَسَاجِداً
 وَتَكْسِرُ مِزْمَاراً وَطَبْلًا لِجَاهِلِ

وَنَقْطَعُ سُرَّاقاً وَنَرْجُمُ مُحْصَنًا
وَنَجِلْدُ سَكْرَاناً بِنَصْرِ الرِّسَائِلِ
نَكْفُ ظُلُومَ الْبَدْوِ وَالْحَضِرِ إِنْ غَدَا
يُغَيِّرُ عَلَى حَقِّ الضَّعَافِ الْأَرَامِلِ
وَنَتَّبِعُ آثَارَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
مَعَ السَّلَفِ الْبِرِّ التُّقَاةِ الْأَفَاضِلِ
كَأَحْمَدَ وَالنُّعْمَانَ قُلُ لِي وَمَالِكِ
كَذَا الشَّافِعِي رُكْنِ الْحَدِيثِ وَنَاقِلِ
فَمَاذَا عَلَيْنَا إِذْ سَلَكْنَا سَبِيلَهُمْ
بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ مُسْعِدٍ فَنُوَاصِلِ
أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ صَبْرًا فَإِنِّي
أَرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُورِ خَيْرَ الْوَسَائِلِ
وَلَا تَيَاسُوا مِنْ كَشْفِ ذَا الْكَرْبِ وَالْبَلَا
فَذُو الْعَرْشِ فَرَّاجُ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
عُيُونُ الْقَضَا لَيْسَتْ نِيَاماً وَسَهْمُهُ
مُصِيبٌ فَمَا يُخْطِي عُيُونَ الْمُقَاتِلِ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ لِلَّهِ مُخْلِصاً
تَرَنَّمَ فِي مِحْرَابِهِ مُتَمَائِلِ
يَمُدُّ يَدَيْهِ سَائِلاً مُتَضَرِّعاً
لِرَبِّ قَرِيبٍ بِالْإِجَابَةِ كَافِلِ
فَجَاءَتْ سِهَامُ اللَّيْلِ تَهْوِي بِسُرْعَةٍ
إِلَى ظَالِمٍ عَنْ ظُلْمِهِ مُتَغَافِلِ

أَصَابَتْ نِيَاطَ الْقَلْبِ فِي وَسْطِ نَحْرِهِ
فَأَبَّ بِخُسْرَانٍ وَحَرِّ بَلَابِلِ
فَقُمَ قَارِعاً لِلْبَابِ وَالنَّابِ نَادِماً
عَلَى مَا جَرَى وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَسَائِلِ
وَأَمَّا بَنُو الدُّنْيَا فَلَا تَرْجُ نَفْعَهُمْ
فَلَا مُرْتَقَى مِنْهُمْ يُرْجَى لِنَازِلِ
فَإِنِّي تَتَبَعْتُ الْأَنَامَ فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى حَاسِدٍ أَوْ شَامِتٍ أَوْ مُعَاذِلِ
فَلَمْ أَرَى أَنَّكَ لِلْعَدُوِّ مِنَ الدُّعَا
كَرَّمِي بِبَيْلٍ أَوْتَرْتَ بِالْمَنَاصِلِ
فَلَا تَدْعُ غَيْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَحَلِّ جَمِيعِ الْخَلْقِ طُراً وَعَازِلِ
سَأَلْتُكَ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَنِّ وَالْعَطَا
تَجُودُ وَتَغْفُو عَنْ عُيُودِكَ يَا وَلِي
وَتُرْسِلَ طَاعُوناً وَرِجْزاً وَنِقْمَةً
وَطَعْناً لِبَطْغَانٍ وَقَتْلًا لِقَاتِلِ
يَعْمُ لِأَحْزَابِ الضَّلَالِ وَصَحْبِهِمْ
بِسَوْطِ عَذَابٍ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
فَإِنَّكَ قَهَّارٌ عَلَى كُلِّ قَاهِرٍ
وَأَمْرُكَ غَلَابٌ لِكُلِّ مُحَاوِلِ
وَأَرْكَى صَلَاةً لَا تَنَاهَى عَلَى الذِّئْبِ
لَهُ انْشَقَّ إِيوَانٌ لِكُشْرَى بِيَابِلِ

مُحَمَّدُ وَالْأَصْحَابُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْمَحَافِلِ

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشيد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويُرَال به ما حدث من بدع ومنكرات ومعاصي ويُحْيَا به بدلها ما أميت من سنة وغيرة وشيمة كريمة إنك على كل شيء قدير وبالأجابة جدير .

اللَّهُمَّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَشْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاضِعاً كَانَ يَرْكَبُ الْجِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ فَقَدْ أَرْدَفَ بَعْضُ نِسَائِهِ وَأَرْدَفَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِاصْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ذَبْحُهَا وَقَالَ آخَرُ عَلَيَّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخَرُ عَلَيَّ طَبْخُهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونَنِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيِّزَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ جَاءَ وَقَدْ النَّجَاشِيُّ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ ، قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرَمِينَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ .

وعن ابنِ عُمَرَ قال أتى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَ بَرٍ
 فاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصاً بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
 فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسِنِي قَمِيصاً كَسَاكَ اللَّهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ فَنَزَعَ الْقَمِيصَ
 فَكَسَاهُ إِيَّاهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَاحِبِ الْحَانُوتِ فاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصاً بِأَرْبَعَةِ
 دَرَاهِمَ وَبَقِيَ مَعَهُ دِرْهَمَانِ ، فَإِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ تَبْكِي فَقَالَ
 مَا يُبْكِيكَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَفَعَ إِلَيَّ أَهْلِي دِرْهَمَيْنِ اشْتَرِي بِهِمَا ذَقِيقاً
 فَهَلَكَا فَدَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا الدِّرْهَمَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ .

ثُمَّ وَلَّتْ وَهِيَ تَبْكِي فَذَعَاَهَا فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ الدِّرْهَمَيْنِ
 فَقَالَتْ أَخَافُ أَنْ يَضْرِبُونِي فَمَشَى مَعَهَا إِلَى أَهْلِهَا فَسَلَّمَ فَعَرَفُوا صَوْتَهُ ثُمَّ
 عَادَ فَسَلَّمَ ثُمَّ عَادَ فَتَلَّتْ فَرَدُّوا .

فَقَالَ أَمَا سَمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلَامِ فَقَالُوا نَعَمْ وَلَكِنْ أَحْبَبْنَا أَنْ تَزِيدَنَا مِنَ
 السَّلَامِ فَمَا أَشْخَصَكَ بِأَيْنَا وَأَمِنَا قَالَ أَشْفَقْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ أَنْ تَضْرِبُوهَا .

قَالَ صَاحِبُهَا هِيَ حُرَّةٌ لَوْجِهَ اللَّهِ لِمَمَّشَاكَ مَعَهَا فَبَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَيْرِ وَبِالْجَنَّةِ .

وَقَالَ لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَشْرَةِ كَسَا اللَّهُ نَبِيَّهُ قَمِيصاً وَرَجُلًا مِنَ
 الْأَنْصَارِ قَمِيصاً وَأَعْتَقَ مِنْهَا رَقَبَةً وَأَحْمَدُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا بِقُدْرَتِهِ
 أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ فِي ٩ ص ١٣ .

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَشْهَدُ لِتَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَاحَتِهِ
 وَرَحْمَتِهِ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ
 لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ رَوَاهُ
 الْبُخَارِيُّ .

وعن الأسود بن يزيد قال سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله ، يعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة رواه البخاري .

ودخل الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده فلما فرغ قال له بعض أصحابه لقد أطلت سجودك قال إن أبنني ارتحلني فكرهت أن أعجله .

وكان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في بيته ألين الناس بساماً ضحاكاً .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى البياض بياض بطنه .

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشهد الجنائز ويأتي دعوة المملوك ويركب الجمار ولقد رأيته يوماً على جمار خطامه ليف .

وعن أنس رضي الله عنه ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك .

وعن الحسن رضي الله عنه أنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الجباب ، ولا يغذى عليه بالجفان ولا يراخ عليه بها ولكنه كان بارزاً من أراد أن

يَلْقَى نَبِيَّ اللَّهِ لَقِيَهُ كَانَ يَجْلِسُ بِالْأَرْضِ وَيُوضَعُ طَعَامُهُ بِالْأَرْضِ وَيَلْبَسُ
الْغَلِيظَ وَيَرْكَبُ الْجِمَارَ وَيُرْدِفُ بَعْدَهُ وَيَلْعَقُ وَاللَّهُ يَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم .

وعن قُبَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ اسْتَقْبَلَتْهُ رِعْدَةٌ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَوِّنْ
عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مَلِكًا إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ .

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ حَسْمًا لِمَوَادِّ الْكِبَرِ وَقَطْعًا
لِذَرَائِعِ الْأَعْجَابِ وَكُسْرًا لِأَشْرِ النَّفْسِ وَيَطْرَهَا وَتَذْلِيلًا لِسَطْوَةِ الْأَسْتِعْلَاءِ
وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ يَحْلِبُ لِلضُّعَفَاءِ
مِمَّنْ حَوْلَهُ أَغْنَامَهُمْ فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ سَمِعَ جَارِيَةً تَقُولُ الْيَوْمَ لَا تُحْلِبُ لَنَا
مَنَايِحَ دَارِنَا فَسَمِعَهَا فَقَالَ بَلَى لِعَمْرِي لِأَحْلِبْنَهَا لَكُمْ فَكَانَ يَحْلِبُهَا وَرُبَّمَا
سَأَلَ صَاحِبَتَهَا يَا جَارِيَةُ أَتُجِيبِينَ أَنَّ أُرْغِي لَكَ أَمْ أَصْرِيحُ فَرُبَّمَا قَالَتْ أُرْغِي
وَرُبَّمَا قَالَتْ صْرِيحُ فَأَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ فَعَلُ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةً
فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرْعَى عَلَى خَالَاتٍ لِي مِنْ بَنِي
مَخْرُومٍ فَيَقْبِضَنَ لِي الْقَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ فَأَظِلُّ الْيَوْمَ وَأَيُّ يَوْمٍ فَقَالَ
لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زِدْتَ عَلَيَّ أَنْ قَصَّرْتَ بِنَفْسِكَ
فَقَالَ وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنِّي خَلَوْتُ فَخَدَثْتَنِي نَفْسِي فَقَالَتْ أَنْتَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَفْضَلُ مِنْكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَهَا نَفْسَهَا .

شِعْرًا :

تَوَاضَعُ لِرَبِّ الْعَرْشِ عِلَّكَ تُرْفَعُ
فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَخْضَعُ
وَدَاوِ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ إِنَّهُ
لَأَشْفَى دَوَاءً لِلْقُلُوبِ وَأَنْفَعُ

آخِرُ :

تَوَاضَعُ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحَ لِنَظِيرِ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعُ
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ
لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ .

وَعَنْ بَنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِيَ
مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ
فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ خُذِي
فِي أَيِّ طَرِيقٍ شِئْتَ قَوْمِي حَتَّى أَقُومَ مَعَكَ فَخَلَا مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيَا
حَتَّى قَضَى حَاجَتَهَا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كُنْتُ أَرَى امْرَأَةً تَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
وَكَانَ يُقْبَلُ عَلَيْهَا بِخَفَاوَةٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَعَلِمَ ذَلِكَ مِنِّي فَقَالَ يَا عَائِشَةُ هَذِهِ
كَانَتْ تَغْشَانَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ حُسِّنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ .
قُلْتُ وَلِلَّهِ فِي الْقَائِلِ :

وَإِنَّ أَوْلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَالِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي وَاسَاكَ فِي الْحُزَنِ
إِنْ الْكِرَامَ إِذَا مَا أُيسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبِي ذَرٍّ قَالَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ

بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَذَرِي أَيْهَمُ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ فَبَيْنَمَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَنَجْلِسُ بِجَانِبِيهِ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلَّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مُتَكِنًا فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ قَالَ لَا بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ .

وَعَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنِي مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا فَانْظَرْتُ إِلَى جَبْرِئِلَ فَأَشَارَ لِي ضَعُ نَفْسِكَ فَقُلْتُ نَبِيًّا عَبْدًا . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوْفَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيَقِلُّ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ وَلَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ يَقْضِي لَهَا حَاجَتَهُمَا .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ فِي عِصَابَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ جَالِسًا وَإِنْ بَعْضُهُمْ يَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِنَ الْعُرَى وَقَارِيءٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أَمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ مَعَهُمْ نَفْسِي ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطْنَا لِيَعْدَلَ بَيْنَنَا بِنَفْسِهِ فَقَالَ أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ

شِعْرًا :

وَصَلَّى عَلَيْكَ الْعَابِدُ الْمُتَهَجِّدُ	إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا تَحِيَّةٌ
نَبِيٌّ هَدَى لِلْأَنْبِيَاءِ مُؤَيَّدُ	فَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ هَادٍ وَمُهْتَدٍ
تُجَدِّدُهُ الْأَيَّامُ يُرَوِّى وَيُنْشِدُ	وَقَدْ قَالَ حَسَّانٌ فِي الشَّعْرِ شَاهِدُ
مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ	«أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبَوَةِ خَاتَمُ

«وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
فَقُلْتُ شَبِيهَا بِالَّذِي قَالَ إِنِّي
فَلَا يُقْبَلُ التَّوْحِيدُ إِلَّا بِذِكْرِهِ
وَمَا جَاءَ يَدْعُونَا بِهِ دَلَالَةً
وَمِنْ ذَاكَ جِذْعٌ حَنَّ شَوْقًا إِلَى الرِّضَا
وَقَدْ سَمِعُوا صَوْتًا مِنَ الْجِذْعِ بَيْنًا
وَمِنْ ذَاكَ شَاةٌ خِلْوَةٌ الضَّرْعِ مَسَّهَا
فَقَامَ إِلَيْهَا الْحَالِبَانِ فَاتَّرَعَا
وَسَارَا إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَيْلَةً
يُخْبِرُ بِالْعِيرِ الَّتِي فِي طَرِيقِهِ
وَمِنْ ذَاكَ أَخْبَارٌ عَنِ الْغَيْبِ قَالَهَا
فَسُوْدَدُهُ بِاللَّهِ إِذْ كَانَ وَحْيُهُ
فَإُظْهِرَ بِالْإِسْلَامِ دَعْوَةٌ صَادِقَةٌ
تُسَلِّمُ أَحْجَارٌ عَلَيْهِ فَصِيْحَةٌ
وَيُسَمِّعُ مِنْ أَصْوَاتِهَا فِي طَرِيقِهِ
وَأَنْشَأَ رَبِّي مُزْنَةً فَوْقَ رَأْسِهِ
تُظِلُّهُ مِنْ كُلِّ حَرٍّ يُصِيبُهُ
وَإِنْ سَارَ سَارَتْ لَا تُفَارِقُ رَأْسَهُ
حَلِيمٌ رَحِيمٌ لَيْنٌ مُتَوَاضِعٌ
وَقَالَ آخِرُ :

نَبِيٌّ تَسَامَى فِي الْمَشَارِقِ نُورُهُ
أَتَنَّا بِهِ الْأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيئِهِ

إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
بِهِ مُؤْمِنًا حَقًّا لِرَبِّي مُوَحِّدُ
لِيَقْرَنَهُ عِنْدَ النَّدَاءِ الْمُوَحِّدُ
وَلَكِنْ بِآيَاتٍ تَدُلُّ وَتَشْهَدُ
وَمَا زَالَ سَاعَاتٍ يَمِيلُ وَيُسْنَدُ
فِيَا عَجَبًا مِمَّنْ يَشْكُ وَيُلْحِدُ
فَدَرَّتْ بِغَزْرِ حَافِلٍ يَتَزَيَّدُ
أَوَانِيَهُمَا وَالضَّرْعُ مَلَانٌ أَبْرَدُ
مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَارِدًا لَيْسَ يُطْرَدُ
لِيُوقِنَ أَهْلُ الشُّرْكِ ذَاكَ فَيَسْعَدُوا
يُعَايِنُ مِنْهَا الصِّدْقَ فِيهَا وَيُوجَدُ
إِلَيْهِ وَهَلْ فَوْقَ النَّبِوةِ سُودَدُ
فَضَّلَ بِهِ قَوْمٌ وَقَوْمٌ بِهِ هُدُوا
إِذَا مَا خَلَا فِي حَاجَةٍ يَتَفَرَّدُ
تُجَجِّدُهُ إِنَّ النَّبِيَّ مُجَجَّدُ
رَأَاهَا بُحَيْرُ الرَّاهِبِ الْمُتَعَبِّدُ
تَقِيْمُ عَلَيْهِ مَا أَقَامَ فَيَرْكُدُ
فَقَالَ لَهُمْ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
سَخِيٌّ حَيٌّ عَابِدٌ مُتَزَهِّدُ

فَلَا حَتَّ بَوَادِيهِ لِأَهْلِ الْمَغَارِبِ
وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ

وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ جِنُّ فَزَيَّلَتْ
 هَدَانَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ
 وَجَاءَ بآيَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا
 فَمِنْهَا نُبُوءُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ
 فَرَوَى بِهِ جَمًّا غَفِيرًا وَأَسْهَلَتْ
 وَبِشْرٍ طَغَتْ بِالْمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ
 وَضَرَعَ مَرَاهُ فَاسْتَدَّرَ وَلَمْ يَكُنْ
 وَنُطِقَ فَصِيحٍ مِنْ ذِرَاعٍ مُبَيَّنَةٍ
 وَمِنْ تَلَكُمِ الْآيَاتِ وَخِيَّ اتَى بِهِ
 تَقَاصَرَتْ الْأَفْكَارُ عَنْهُ فَلَمْ يُطِعْ
 حَوَى كُلَّ عِلْمٍ وَاحْتَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ
 أَتَانَا بِهِ لَا عَنْ رَوِيَّةٍ مُرْتَثِي
 يُوَاتِيهِ طُورًا فِي إِجَابَةِ سَائِلٍ
 وَإِثْنَانِ بُرْهَانٍ وَفَرَضِ شَرَائِعِ
 وَتَضَرِيفِ أَمْثَالٍ وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ
 وَفِي مَجْمَعِ النَّادِي وَفِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
 فَيَأْتِي عَلَى مَا شِئْتَ مِنْ طُرُقَاتِهِ
 يُصَدِّقُ مِنْهُ الْبَعْضُ بَعْضًا كَأَنَّمَا
 وَعَجَزُ الْوَرَى عَنْ أَنْ يَجِيئُوا بِمِثْلِ مَا
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمَ مُنْجَبٍ
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ شَارِقٍ

مَقَاعِدَهُمْ مِنْهَا رُجُومُ الْكَوَائِبِ
 لَطُولُ الْعَمَى مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ
 دَلَائِلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ
 وَقَدْ عَدِمَ الْوُرَادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ
 بِأَعْنَاقِهِ طَوْعًا أَكْفُ الْمَذَانِبِ
 وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمَذْقِهِ شَارِبِ
 بِهِ دِرَّةٌ تَصْغِي إِلَى كَفِّ حَالِبِ
 لِكَيْدِ عَدُوٍّ لِلْعَدَاوَةِ نَاصِبِ
 قَرِيبُ الْمَآتِي مُسْتَجِمُّ الْعَجَائِبِ
 بَلِيغًا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ خَاطِبِ
 وَفَاتَ مَرَامَ الْمُسْتَمِرِّ الْمَوَارِبِ
 وَلَا صُحُفِ مُسْتَمَلٍّ وَلَا وَصْفِ كَاتِبِ
 وَإِفْتَاءِ مُسْتَفْتٍ وَوَعْظِ مُخَاطِبِ
 وَقَصِّ أَحَادِيثٍ وَنَصِّ مَآرِبِ
 وَتَعْرِيفِ ذِي جَعْدٍ وَتَوْقِيفِ كَاذِبِ
 وَعِنْدَ حَدُوثِ الْمُعْضِلَاتِ الْغَرَائِبِ
 قَوِيمِ الْمَعَانِي مُسْتَدِرِّ الضَّرَائِبِ
 يُلَاحِظُ مَعْنَاهُ بَعَيْنُ الْمُرَاقِبِ
 وَصَفْنَاهُ مَعْلُومٌ بِطُولِ التَّجَارِبِ
 جَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ الْمَنَاجِبِ
 الْأَخَ لَنَا ضَوْءًا وَفِي كُلِّ غَارِبِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلَى أَنْ

تُعْتَقَ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ وَالْدِّينِ وَالْمَظَالِمِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا
كَرِيمُ يَا سِتَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَوْلَدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله إقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ بَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ إِبْتِدَاءٌ لَا بُدَّ
لَهُ مِنْ نِهَايَةٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ أَوَّلٌ حَتَّى لَا مَنَاصَ لَهُ آخِرٌ ، وَالْعِبْرَةُ بِالْخَاتِمَةِ نَسْأَلُ
اللَّهَ حُسْنَهَا .

وَأَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي تَمُرُّ وَالْعُمُرُ يَنْقُضِي وَالْحَيَاةُ تَزُولُ ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا مَا
قَدَّمَتهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يَنْفَعُكَ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ .

فَالْأَمْرُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ خَطِيرٌ فَإِنْ مَوْقِفًا مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ تَشِيبُ مِنْ هَوْلِهِ
الْوِلْدَانُ يَوْمَ تَمُورُ فِيهِ السَّمَاءُ مُورًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا .

يَوْمَ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا
﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ إِمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يَغْنِيهِ ﴾ ﴿ يَوْمَ ينادي النّادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ .

يُنَادِ بِالْحَشْرِ : يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ وَاللَّحُومُ
الْمُتَمَزِّقَةُ وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ،
فَتَخْرُجُ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهَا .

إِنْ يَوْمًا هَذَا بَعْضُ أَحْوَالِهِ جَدِيرٌ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ كُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَكْثَرُوا ذِكْرَهَا ذِمَّ اللِّذَاتِ
وَتَذَكَّرُوا مَا ذَهَبَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ كَمْ وَفَاتَ فَكَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ نَقَلْتُكُمْ الْأَجَلَ إِلَى
إِنْقِضَاءِ الْمَدَّةِ .

فيا رهائن الموت وأعراض المنغمسين في الآثام أعلَى الله تَجَرُّونَ ،
وعلى الدنيا وحطامها الفاني تتنافسُونَ ، وفي دار النُّقْلَةِ تتَحاسِدُونَ .
أمرتُم بخرابها فَعَمَرْتُمُوهَا ونُهَيْتُم عن تزيينها فزَخَرَفْتُمُوهَا ونُذِبْتُم لطلب
الآخرة فَأَهْمَلْتُمُوهَا ودَعَيْتُم الخداعةَ الغرارةَ بِداوِعيها فأَجَبْتُمُوهَا فَشَغَلَتْكُم
بِلذاتِها وقَمَعَتْكُم بشهواتِها ورَضِيتُم مِنَ الكثيرِ باليسيرِ وبعثتُم الجزيلَ بالحقيرِ
وتَكاسَلْتُم عن الجِدِّ والتَّشْمِيرِ وأَقَمْتُم على التَّسْوِيفِ والتَّعْذِيرِ .
عبادَ الله أينَ الخوفُ والوَجَلُ والاستغفارُ ، وأينَ الخشوعُ والخضوعُ
والبكاءُ وجريان الدموعِ على الذنوبِ التي تَذَكُّرُها يَرُوعُ ، أينَ التفكرُ
والاعتبارُ .

ألا فاحذروا المعاصي فإنها جالبةُ النقمِ ومُغَيِّرَةُ النِّعَمِ ولأحوال وقال الله
جل وعلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَالٍ ﴾ .
عبادَ الله لا تَغُرَّنَّكُم الدنيا كمال غُرَّتْ مَن قَبْلَكُمْ فَإِنْ حَظَّهَا مَشُومٌ وَإِنْ
نَعِيْمَهَا وَإِنْ طَالَ لَا يَدُومُ :

ولو كَانَتِ الدُّنْيَا عَرُوسًا وَجَدَّتْهَا بِمَا قَتَلَتْ أَوْلَادَهَا لَا تُزَوِّجُ
ويقول الآخر :

ولو كَانَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْإِنْسِ لَمْ تَكُنْ سِوَى مُؤَمِّسٍ أَفْنَتْ بِمَا سَاءَ عُمَرُهَا
عبادَ الله لا يَخْدَعْنَكُمْ الأملُ فَإِنَّ الأجلَ مُحْتُومٌ وَلَا يَصْدَنْكُم الشَّيْطَانُ
عما خَلَقْتُم لَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَلَا تَغُرَّنْكَ الأمانِي فإنها حلم المستيقض
وسَلْوَةُ الْمُحْزُونِ ، قال الله جل وعلا ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مُعْرَضُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

شِعْرًا

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ
هي الأمورُ كما شَاهَدَتْهَا دُولُ
وَعَالَمِ الْكَوْنِ لَا تَبْقَى مُحَاسِنُهُ
يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتَّى كُلَّ سَابِغَةٍ
وَيُنْتَضَى كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيْنَ الْمُلُوكِ ذُؤُورَا التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ مِنْ إِرَمِ
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ
دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
فَجَاءَتْ الدَّهْرُ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
وَلِلْمَصَائِبِ سُلُوءٌ يَهْوُونَهَا
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِرتَزَاتُ
فَإِسْأَلُ بَلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ
وَأَيْنَ حِمَصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزِهِ
كَذَا طُلَيْطَلَةُ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ
وَأَيْنَ غُرْنَاطَةُ دَارِ الْجِهَادِ وَكَمْ
وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُهَا

فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَأَتْهُ أَرْزَمَانُ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
إِذَا نَبَتْ مُشْرِفِيَاتٍ وَخِرْصَانُ
كَانَ إِبْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغُمْدُ غُمْدَانُ
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ
حَتَّى قَضَوْا فَكَانَ الْكُلُّ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ
وَأَمْ كَسَرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوءَانُ
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَإِنِّهْدَ تَهْلَانُ
حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ
وَأَيْنَ قُرْطَبَةُ أُمِّ أَيْنَ جَيَّانُ
وَنَهْرُهَا الْعِذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ
مَنْ عَالِمٌ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
أَسَدٌ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ
كَأَنَّهُمَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ

قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقُصُورِ بِهَا
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ يَحْكِي فِي تَسْلُسِلِهِ
وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلَيْتُ
وَعَالِمُ كَانَ فِيهِ لِلْجَهُولِ هُدًى
وَعَابِدُ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهِلٌ
وَأَيْنَ مَالِقَةُ مُرْسَى الْمَرَكَبِ كَمْ
وَكَمْ بَدَاخِلُهَا مِنْ شَاعِرٍ فَطِنٍ
وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزِلٍ فَرجٍ
وَأَيْنَ جَارَتُهَا الزَّهْرَاءُ وَقُبَّتُهَا
وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارِ الزَّعْفَرَانِ فَهَلْ
وَكَمْ شُجَاعُ زَعِيمٍ فِي الْوَعَى بَطْلٍ
وَوَادِيَا مَنْ غَدَتْ بِالْكَفْرِ عَامِرَةٌ
كَذَا الْمَرْيَةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَمْ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أُمْسَتْ كَنَائِسَ مَا
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
وَمَاشِيًا مَرَحًا يُلْهِيُهُ مَوْطِنُهُ
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةٌ

عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَى أَرْكَانُ
قَدْ حَفَّ جَدْوَلُهَا زَهْرٌ وَرِيحَانُ
سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَعَانُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آيٌ وَفَرْقَانُ
مُذَرِّسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تَبْيَانُ
وَالدَّمَعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ
أَرَسَتْ بِسَاحَتِهَا فُلُكٌ وَغُرَبَانُ
وَذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وَتَبْيَانُ
وَجَنَّةٌ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَبُسْتَانُ
وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالُ وَفُرْسَانُ
رَأَى شَبِيهًا لَهَا فِي الْحُسْنِ إِنْسَانُ
تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِهِ أَهْلٌ وَوَلَدَانُ
وَرَدَّ تَوْحِيدَهَا شِرْكٌ وَطُغْيَانُ
قُطِبَ بِهَا عِلْمٌ بِحَرٍّ لَهُ شَانُ
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَفِ هَيْمَانُ
حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهِيَ عِيدَانُ
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمرَانُ
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَقْظَانُ
أَبْعَدَ حِمَصٍ تَغْرُ الْمَرْءَ أَوْطَانُ
وَمَالَهَا مَعَ طَوِيلِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ النَّهْرِ فِي دَعَاةٍ
أَعْنَدَكُمْ نَبَأًا مِنْ أَمْرِ أَنْدَلُسٍ
كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ
أَلَّا نُفُوسٌ أَبْيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِمُوا
بِالْأُمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَايَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
يَا رَبِّ طِفْلٍ وَأُمٍّ حَيْلَ بَيْنَهُمَا
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ
يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
هَلْ لِلْجَهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ
وَأَشْرَفَ الْحُورُ وَالْوِلْدَانُ مِنْ غُرْفٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ

كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نِيرَانُ
لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عَزٌّ وَسُلْطَانُ
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
أُسْرَى وَقَتْلَى فَلَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
أَمَّا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
سَطَا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي قُيُودِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
لَهَالِكِ الْأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ
كَأَنَّمَا هِيَ يَأْقُوتٌ وَمَرْجَانُ
وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ
تَزْخَرَفَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَانُ
فَازَتْ وَرَبِّ بِهَذَا الْخَيْرِ شُجْعَانُ
مَاهَبٌ رِيحُ الصَّبَا وَإِهْتَزَّ اغْصَانُ

هذه منظومة وعظية نقلناها من مقامات الحريري :

وَالْمَعْهَدِ الْمُرْتَبِعِ	خَلِ ادِّكَارَ الْأَرْبَعِ
وَعَدِّ عَنْهُ وَدَعِ	وَالظَّاعِنِ الْمُوَدِّعِ
سَوَدَتْ فِيهِ الصُّحُفَا	وَانْدُبَ زَمَانًا سَلَفَا
عَلَى الْقَبِيحِ الشَّنْعِ	وَلَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا
مَائِمًا أَبْدَعَتْهَا	كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعَتْهَا

لِشَهْوَةٍ أَطَعْتَهَا
وَكَمْ خُطِي حَشَّتْهَا
وَتَوْبَةٍ نَكَشْتَهَا
وَكَمْ تَجَرَّاتٍ عَلَى
وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا
وَكَمْ غَمَضْتَ بَرَّهُ
وَكَمْ نَبَذْتَ أَمْرَهُ
وَكَمْ رَكَضْتَ فِي اللَّغَبِ
وَلَمْ تُرَاعَ مَا يَجِبُ
فَالْبَسْ شِعَارَ النَّدَمِ
قَبْلَ زَوَالِ الْقَدَمِ
وَاخْضَعْ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفِ
وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرْفِ
إِلَامَ تَسْهُوٍ وَتَنِي
فِيمَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي
أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطَّ
وَمَنْ يَلْحُ وَخَطَّ الشَّمْطُ
وَيَحْكُ يَا نَفْسُ احْرَصِي
وَطَاوِعِي وَاخْلِصِي
وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى
وَاخْشِي مُفَاجَأَةَ الْقَضَا
وَانْتَهَجِي سُبُلَ الْهُدَى

فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجَعٍ
فِي خِزْنَةٍ أَحْدَثْتَهَا
بِاللَّعِبِ وَمَرْتَعٍ
رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
صَدَقْتَ فِيمَا تَدَّعِي
وَكَمْ أَمِنْتَ مَكْرَهُ
نَبَذَ الْحَذَاءِ الْمُرْقَعِ
وَفُهِتَ عَمْدًا بِالْكَذِبِ
مِنْ عَهْدِهِ الْمُتَّبَعِ
وَاسْكُبْ شَائِبَ الدَّمِ
وَقَبْلَ سُوءِ الْمَضَرَعِ
وَلِذَ مَلَاذِ الْمُقْتَرِفِ
عَنْهُ انْحِرَافَ الْمُقْلِعِ
وَمُعْظَمَ الْعُمْرِ فَنِي
وَلَسْتُ بِالْمُرْتَدِعِ
وَخَطَّ فِي الرَّأْسِ خُطَطُ
بِفُودِهِ فَقَدْ نُعِي
عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ
وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي
مِنْ الْقُرُونِ وَانْقَضَى
وَحَازِرِي أَنَّ تُخْدَعِي
وَادْكِرِي وَشُكَّ الرَّدَى

أَهَا لَهُ بَيْتُ الْبَلَى
وَمَوْرِدِ السَّفَرِ الْأُولَى
بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُوْدِعَهُ
بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَةِ
لَا فَرْقَ أَنْ يَحِلَّهُ
أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ
وَبَعْدَهُ الْعَرَضُ الَّذِي
وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي
فِيَا مَفَازَ الْمُتَّقَى
سُوءَ الْحِسَابِ الْمُبِقِ
وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى
وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَعَى
يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمُتَكَلُّ
لَمَّا اجْتَرَمْتُ مِنْ زَلَلٍ
فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمٍ
فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمَ

وَالْمَنْزِلِ الْفَقْرِ الْخَلَا
وَاللَّاحِقِ الْمُتَّبِعِ
قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتَوْدَعَهُ
قَيْدَ ثَلَاثِ أَذْرُعِ
دَاهِيَةٍ أَوْ أَبْلَةٍ
مُلْكٌ كَمُلْكِ تَبَعٍ
يُحْوِي الْحَيَّ وَالْبَذَى
وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِيَ
وَرِنَحَ عَبْدٍ قَدْ وَقِيَ
وَهَوْلَ يَوْمِ الْمَفْزَعِ
وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى
لِمَطْعَمٍ أَوْ مَطْمَعٍ
قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلٍ
فِي عُمْرِي الْمَضِيِّعِ
وَارْحَمْ بُكَاءَ الْمُنْسَجِمِ
وَحَيْرَ مَدْعُوٍّ دُعِيَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذَكَرِكَ وَارْزُقْنَا التَّاهِبَ
وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْمُعَاشِرَةِ وَالْجِلْمِ وَآثَارِهِ
وَالْأَسْبَابِ الْبَاعِثَةِ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ

الْجِلْمُ لُغَةً الْأَنَاءَةُ وَالْعَقْلُ لِكَوْنِهِ سَبَبُ الْجِلْمِ وَاصْطِلَاحًا ضَبْطُ النَّفْسِ
وَالطَّبْعُ عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ أَوْ احْتِمَالِ الْأَذَى مِنَ الْأَذْنَى وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى
الْأَوَّلِ لِأَنَّ مَنْ احْتَمَلَ الْأَذَى مِنْ دُونِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَقَدْ ضَبَطَ نَفْسَهُ عِنْدَ
الْغَضَبِ .

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ الْجِلْمِ حَالَةٌ تَوْقُرُ وَتَبَاتٍ ، أَيْ صِفَةٌ تُورِثُ طَلَبَ
وَقَارٍ وَتُبُوتٍ فِي الْأَمْرِ وَاسْتِقْرَارٍ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُحَرِّكَةِ لِلْغَضَبِ الْبَاعِثَةِ عَلَى
الْعَجَلَةِ فِي الْعُقُوبَةِ . وَلَا يُسَمَّى الْمَرْءُ حَلِيمًا إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ طَبْعًا لَا تَكَلُّفًا
وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِهِ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ . وَكَمَا قَالَ فِي وَلَدِهِ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلَا إِنَّ جِلْمَ الْمَرْءِ أَكْرَمُ نِسْبَةٍ
تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ حَلِيمٌ

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ جِلْمًا فَإِنِّي
أَرَى الْجِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ كَرِيمٌ

وَقَالَ الْآخَرُ :

أَحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ جُهْدِي
وَأَكْثَرُهُ أَنَّ أَعْيَبَ وَأَنَّ أَعَابَا

وَأَصْفَحُ عَنْ سَبَابِ النَّاسِ جِلْمًا
وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ
وَمَنْ حَقَرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

فَأَمَّا ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ مَعَ التَّكَلُّفِ فَهُوَ تَحَلُّمٌ لَا جِلْمٌ فَإِذَا
تَكَلَّفَ الْإِنْسَانُ الْجِلْمَ بِأَنْ مَرَّنَ نَفْسَهُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَصْبَحَ
الْجِلْمُ لَهُ عَادَةً .

وَأَصْلُ الْكَظْمِ شَدُّ رَأْسِ الْقَرِيبَةِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا وَكَظْمُ الْبَابِ سَدُّهُ شُبَّةً بِهِ
مَنْ أُمْسَكَ نَفْسَهُ وَضَبَطَهَا عِنْدَ امْتِلَائِهَا بِالْغَضَبِ فَلَمْ يَنْتَقِمْ مِنْ أَهَاجِهِ وَمِنْهُ
فُلَانٌ كَظِيمٌ بِمَعْنَى مُمْتَلِئٌ حُزْنًا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُونُسَ « إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ أَيُّ
غَيْظًا عَلَى قَوْمِهِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ » .

وَالْغَيْظُ مُرَادِفٌ لِلْغَضَبِ وَلَا يَتِمُّ جِلْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِأُمْسَاكِ الْجَوَارِحِ
كُلِّهَا : الْيَدِ عَنِ الْبَطْشِ وَاللِّسَانِ عَنِ الْفُحْشِ وَالْعَيْنِ عَنْ فُضُولَاتِ النَّظَرِ
وَأَقْرَبُ لَفْظٍ يُسْتَعْمَلُ ضِدَّ الْجِلْمِ التَّدْمُرُ .

وَأَمَّا الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ فَهُمَا صُورَتَا الْجِلْمِ فَالْعَفْوُ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ ،
وَالصَّفْحُ تَرْكُ التَّشْرِيبِ وَهُوَ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ . بِأَنْ لَا
يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ إِخْلَالٌ بِالذِّينِ ، قَالَ تَعَالَى (فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) تَنْبِيهَاً عَلَى
مَا يَجْمَلُ مِنْهُ .

وَأَمَّا الصَّفْحُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ فَلَا يَصْفَحُ حَيْثُ اقْتَضَى الْمَقَامُ الْعُقُوبَةَ ،
كَعُقُوبَةِ الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَا يَنْفَعُ فِيهِمْ إِلَّا الْعُقُوبَةُ .

وَقَدْ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ » فَأَمَرَ جَلَّ وَعَلَا بِالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَقَالَ تَعَالَى وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا وَقَالَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَقَالَ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ ، وَقَالَ تَعَالَى (إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَاصْدُقْ صَدِيقَكَ إِنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً

وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِالَّتِي فَإِذَا السَّيِّئُ

وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْحِلْمُ عَلَى مَنْ يَعْتَدِي عَلَى الدِّينِ أَوْ الْعِرْضِ أَوْ الْمَالِ
فَهَذَا فِي غَايَةِ الْجُبْنِ وَمُنْتَهَى الذَّمِّ نَعَمْ يَنْبَغِي لِمَنْ يُدَافِعُ عَنِ الْفَضِيلَةِ أَنْ يَضْبِطَ
نَفْسَهُ عِنْدَ الدَّفَاعِ فَلَا يُسْرِفَ فِي الْإِنْتِقَامِ .

وَيُعْجِبُنِي جَوَابُ مَا ذَكَرَ فِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ أَنَّ مُعَلِّمًا كَانَ يُلْقِي
دَرْسًا أَوْ هُوَ يَعِظُ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ لَمْ يَسْتَعْمِلِ الرَّفِيقَ وَتَسَرَّعَ فِي الْإِنْتِقَادِ وَخَطَأَ
الْمُعَلِّمَ جَهْرًا وَالنَّاسُ يَسْمَعُونَ وَمَضَى الشَّيْخُ فِي شَرْحِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ
لِلنَّاقِدِ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فِي بَيْتِهِ مُعْتَذِرًا مِمَّا فَرَطَ

مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ نَظْمًا جَوَابًا لَهُ :

جَفَاءَ جَرَى جَهْرًا لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطَ

وَعُذْرٌ أَتَى سِرًّا فَاكَّدَ مَا فَرَطَ

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ يَمْحُو جَلِيَّ جَفَائِهِ

خَفِيَّ اعْتِدَارٍ فَهُوَ فِي أَعْظَمِ الْغَلَطِ

فَالنَّقْدُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ لِيَكُونَ مِنْ وَرَائِهِ نَجَاحُ الْقَصْدِ
وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْإِثْمِ وَالزَّلَلِ وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُنْتَقِدِ أَنْ يُلَطِّفَ الْكَلَامَ
وَيَأْتِيَ بِصِيغَةِ سُؤَالٍ وَاسْتِفْهَامٍ وَيَسْأَلَ مَنْ حَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ هَذَا إِذَا كَانَ
مُتَقِنًا لِلخَطِّ وَإِلَّا فَبَعْدَ التَّثَبُّتِ يُبَيِّنُ لَهُ ذَلِكَ بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْمَعْرُوفِ مِنَ
الْقَوْلِ وَلِيَحْذَرَ مِنْ خُشُونَةِ الْكَلَامِ فَإِنَّهَا مُنْفَرَّةٌ وَدَاعِيَةٌ إِلَى التَّمَادِي فِي
الْبَاطِلِ .

وَعَلَى الْحَلِيمِ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ لِرَدِّ الْمُعْتَدِينَ وَرَدِّعِهِمْ وَإِلَّا
كَانَ مُتَهَوِّرًا ظَالِمًا فَالشَّجَاعَةُ تَسْتَلْزِمُ الْحِلْمَ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدُ الْقُوَّةِ
الَّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا الْمَرْءُ مُوَاجَهَةَ الْأَخْطَارِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَهَا مِنْ ضَبْطِ النَّفْسِ عِنْدَ
الْغَضَبِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ اتِّبَاعِ سُنَنِ الدِّينِ .

وَالشَّجَاعَةُ هِيَ الْحَدُّ الْوَسَطُ بَيْنَ رَذِيلَتِي الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ فِيهِ الْجُبْنِ
تَفْرِيطٌ وَتَضْيِيعٌ وَتَقْصِيرٌ وَفِي التَّهَوُّرِ إِفْرَاطٌ وَتَعَدٍّ لِلْحُدُودِ وَفِي الشَّجَاعَةِ السَّلَامَةُ
بِأَنْ يُقَدِّمَ حَيْثُ يَرَى الْإِقْدَامَ عَزْمًا وَيُحْجِمَ حَيْثُ يَرَى الْإِحْجَامَ حَزْمًا .

وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْحِلْمِ آثَارٌ جَلِيلَةٌ وَمَنَافِعٌ عَظِيمَةٌ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ قَدْرَهَا إِذَا
حَصَلَ الْغَضَبُ وَآثَارَ الْعَوَاطِفِ وَآثَارَ النُّفُوسِ وَشَبَّ نَارَ الْفِتْنَةِ فَاضْطَرَبَتْ
الْأُمُورُ وَتَغَيَّرَتْ وَاسْتَحْكَمَتِ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ وَاسْتَوْلَى عَلَى النَّفْسِ حُبُّ
النِّزَاعِ وَالصَّدَامُ وَحُبُّ إِلَى النُّفُوسِ الْفِتْكَ وَالْذَّمَارُ وَنُسِيَتْ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ مِمَّا
يَجْرُهُ الطُّيُشُ وَالتَّهَوُّرُ مِنْ بَلَاءٍ وَدَمَارٍ وَشَقَاءٍ وَنَتَائِجٍ وَخِيَمَةٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ
وَيُظْهَرُ فَضْلُ الْحِلْمِ .

فَإِنَّ الْحِلْمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَدْفَعُ بِهِ هَذِهِ الشُّرُورَ لِأَنَّ الْحَلِيمَ يَسْتَطِيعُ إِذَا

وَفَقَهُ اللَّهُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ نَظْرًا صَادِقًا وَيُقَدِّرُهُ تَقْدِيرًا صَحِيحًا
وَيَزِنُهُ بِمِيزَانٍ عَادِلٍ فَلَا يَسْتَخِفُّهُ الْغَضَبُ وَالطَّيْشُ فَيَذْفَعُهُ إِلَى الْمُخَاطَرَةِ
وَيَسُوقُهُ إِلَى مَا لَا قَبْلَ لَهُ بِهِ .

فَالْحِلْمُ خَيْرٌ وَقَايَةِ تَقْيِ مَصَارِعِ السُّوءِ وَتَحْفَظُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَوَاطِنِ
الْهَلَاكِ .

وَقَدْ مَثَلَ الْعُلَمَاءُ لِذَلِكَ أُمُثْلَةً مِنْهَا إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ حَلِيمًا لَا يَسْتَفِزُّهُ
الْغَضَبُ إِلَى إِبْرَامِ الْأُمُورِ قَبْلَ التَّثَبُّتِ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ نِعْمَةً وَبَرَكََةً عَلَى نَفْسِهِ
وَعَلَى رَعِيَّتِهِ لِأَنَّ التَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ قَبْلَ إِبْرَامِهَا يَسْتَلْزِمُ الْعَدْلَ وَاعْطَاءَ كُلِّ ذِي
حَقٍّ حَقَّهُ وَجَزَاءَ كُلِّ فَرْدٍ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَبِذَلِكَ تَسْعَدُ وَتَدُومُ الدَّوْلَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَتَرْتَفِعُ مَكَانَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ عِبَادِهِ .

الْمَثَالُ الثَّانِي : الزُّعَمَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ إِذَا كَانُوا حُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ عَنْ
أَتْبَاعِهِمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ كَثِيرًا مِنَ الْأَذَى وَيَذْفَعُونَ عَنْهُمْ شَرَّ التَّنَازُعِ وَالْخُصُومَاتِ
مَعَ بَعْضِهِمْ وَمَعَ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُعَالِجَ الْأُمُورَ بِالْهُدُوءِ وَالرَّفْقِ
وَالتَّلَطُّفِ وَيُفَكِّرَ فِي الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تُزِيلُ الْأَحْقَادَ وَالضُّغَائِنَ
وَالْخِصَامَ وَيَكْفُهُمْ عَنِ الشَّرِّ وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ بِحِلْمِهِ وَلِيْنِهِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَخْذُهُ بِقُوَّتِهِ
وَجَاهِهِ فَتَنْحَسِمُ مَادَّةُ الشَّرِّ وَيَحِلُّ الْوِثَامُ مَحَلَّ الْخِصَامِ .

وَمِنْ الْأُمُثْلَةِ الْقُضَاةُ إِذَا كَانُوا مُتَّصِفِينَ بِالْحِلْمِ فَإِنَّهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ يَهْتَدُونَ
إِلَى الصَّوَابِ وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْحَقُّ لِأَنَّ سَعَةَ صَدْرِ الْقَاضِي لَاسْتِمَاعِ جَمِيعِ مَا
يَذْكُرُهُ الْخُصُومُ وَحِلْمُهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَذْلُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ حُجَجِهِمْ وَيُبَيِّنُوا لَهُ كُلَّ مَا

يَسْتَطِيعُونَهُ مِنْ طُرُقِ الْإِثْبَاتِ مِنْ خَيْرِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُفِيدُ فِي اسْتِنْبَاطِ الْحَقِّ
وَمَعْرِفَةِ الْمُبْطَلِ مِنَ الْمُحَقِّ بِخِلَافِ الْأَحْمَقِ الْغَضُوبِ فَإِنَّ ضَرَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ
وَحَطَأُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ .

وَمِنْ الْأُمَثِلَةِ لِذَلِكَ أَنَّ الْمُرَبِّيَّ إِذَا كَانَ حَلِيمًا فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْتَجِ
أَحْسَنَ النَّتَائِجِ وَيُؤَدِّي لَأُمَّتِهِ أَجَلَ الْخِدْمِ وَأَفْضَلَهَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ بِحِلْمِهِ أَنْ
يَتَبَيَّنَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ مِنْ نَفْسِ الْقَائِمِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ فَيُعَالِجُهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ
حَتَّى يَشَبَّ صَالِحًا نَافِعًا إِذَا كَانَ قَائِمًا بِتَلْقِينِهِ الْعِلْمَ فَإِنَّ مُلْقِنَ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ
حَلِيمًا فَإِنَّهُ يُضِيعُ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ أَحْسَنَ الْفُرُصِ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنْ
مُنَاقَشَةِ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَطَأِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحَقِّ
مِنَ الْبَاطِلِ وَيَتَدَرَّبُ بِهَا عَلَى الْمُنَاطَرَةِ الْمُفِيدَةِ لِلْفِكْرِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُرَبِّيَّ الْأَحْمَقَ يُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَثَرًا سَيِّئًا فِي نَفْسِ
الْمُرَبِّيِّ لِأَنَّ الطَّبَاعَ كَسَابَةً فَيَتَأَثَّرُ مِنْهُ وَيَسْرِي إِلَيْهِ مِنَ أَسْتَاذِهِ مِنْ مَا بِهِ مِنْ
أَمْرَاضٍ أَخْلَاقِيَّةٍ غَالِبًا وَيَكُونُ شَرًّا مُتَعَدِّيًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ .

وَمِنْ الْأُمَثِلَةِ لِذَلِكَ الزَّوْجُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَإِذَا كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا حَلِيمًا فَإِنَّهُمَا
يَعِيشَانِ عِيشَةً مَرْضِيَّةً إِذَا كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يُغْضِي عَنْ هَفَوَاتِ الْآخِرِ وَيَرْفُوهَا فَلَا
بُشْرَانِ نِزَاعًا لِأَيْسَرِ الْأُمُورِ وَأَحَقَرِ الْأَسْبَابِ وَأَتْفِهَهَا وَإِنْ وَقَعَ نَادِرًا عَالِجَاهُ بِلُطْفٍ
وَحَرِصًا عَلَى كَتْمِهِ عَنِ الْأَوْلَادِ لِعِلْمِهِمَا بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى إِظْهَارِهِ مِنَ الضَّرْرِ
الْعَظِيمِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْأَبْنَاءُ فِي حَدِّ قَابِلٍ لَانْطِبَاعِ الْأَخْلَاقِ فِيهِمْ وَانْتِقَالِ
الصِّفَاتِ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْحِلْمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَوْقَعُهُ عَظِيمٌ وَضَرَرُ الْحِمَاةِ شَدِيدٌ
جِدًّا لَمَا يُصِيبُ الْأَبْنَاءَ مِنْ ضَرَرٍ عَدَمِ الْحِلْمِ فَالْحِلْمُ فِي الْحَقِيقَةِ سَعَادَةٌ
عَاجِلَةٌ وَخَيْرٌ لِلْأُسْرَةِ بِتَمَامِهَا .

وَمِنْ الْأُمَثِلَةِ لِذَلِكَ التَّاجِرُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَلِيمًا تَرُوجُ تِجَارَتُهُ وَيُقْبَلُ
 الْمُعَامِلُونَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ حَلِيمٌ يُرْغَبُ فِي مُعَامَلَتِهِ أَمَّا إِذَا كَانَ حَمَقِيًّا غَضُوبًا لَاهُونَ
 الْأَشْيَاءِ وَأَيْسَرَ الْأُمُورِ فَتَجِدُهُ مَعَ النَّاسِ فِي لِحَاجٍ وَخِصَامٍ لَا يُمْكِنُ غَضَبُهُ
 أَحَدًا مِنْ مُفَاهِمَتِهِ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهُ أَوْ يَشْتَرِيَهُ وَرُبَّمَا أَدَّى بِهِ غَضَبُهُ وَعَدَمُ خِلْمِهِ
 إِلَى اتِّلَافِ السِّلَعَةِ الَّتِي يُرِيدُ بَيْعَهَا أَوْ إِلَى الْإِيْمَانِ أَنَّهُ لَا يَبِيعُهَا مِنَ الْمُسَاوِمِ لَهُ
 أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْحَمَقَى الْجَاهِلِينَ فَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَسْبَابِ
 لِكَسَادِ تِجَارَةِ هَؤُلَاءِ وَانْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُمْ وَتَفَرُّتِهِمْ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ . وَقَدْ
 يُفْضَلُونَ مُعَامَلَةَ الْحَلِيمِ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ سِلْعَتُهُ أَقَلَّ جُودَةً مِنْ سِلْعَةِ ذَلِكَ
 الْأَحْمَقِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَهْلُ الصَّنَائِعِ إِذَا كَانُوا حَمَقَاءَ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُعَامِلُونَهُمْ خَوْفًا
 مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ وَيَذْهَبُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ حَلِيمًا لِأَنَّهُ يَكُونُ مُحِبًّا إِلَى النَّفْسِ
 يَسْتَرِيحُ مَعَهُ النَّاسُ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ تَنْبَهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِقَوَارِعِ الْعِبَرِ وَتَذَبُّرُوا مَوَاعِظَ كِتَابِ رَبِّكُمْ
 فَإِنَّهُنَّ صَوَادِقُ الْخَبَرِ وَتَفَكَّرُوا فِي حَوَادِثِ الْأَيَّامِ فَإِنَّ فِيهَا الْمُرْدَجِرَ وَتَأَمَّلُوا دَوْرَ
 الزَّمَانِ عَصْرًا فَعَصْرًا أَيَّامًا تَتْلُو أَيَّامًا وَشَهْرًا يَتْلُو شَهْرًا وَسَنَةً تَتْلُو سَنَةً وَأَوْقَاتُ
 تُطَوَّى فَتُخَرَّبُ عُمرَانَا وَتَعْمُرُ قَفْرًا وَتُعِيرُ مَرَّةً وَتَسْلُبُ أُخْرَى .

مَوَاعِظُ تُنَادِي الْعَاقِلُ بِلِسَانِ الْحَقِيقَةِ جَهْرًا فَاحْذَرُوا زَخَارِفَ الدُّنْيَا
 الْمَظْلَلَةَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ تَكَثَّرَ مِنْهَا وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ فِي مَرَاضِي اللَّهِ وَيَجْعَلْهُ ذُخْرًا
 لِلدَّارِ الْآخِرَةِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا قَلَّةً .

فَتَزَوَّدُوا مِنْهَا التَّقْوَى فَإِنَّهَا خَيْرُ زَادٍ وَخُذُوا أَهْبَةَ التَّحَوُّلِ وَانْتَبَهُوا مِنْ

سِنَةِ الرُّقَادِ قَبْلَ أَنْ تُقَرَّبَ لَكُمْ مَرَائِبُ التَّحَوُّلِ إِلَى الْقُبُورِ وَيُنَادِي بِكُمْ
الرَّحِيلُ إِلَى الْآخِرَةِ .

خُذُوا أَهْبَةً فِي الزَّادِ فَاَلْمُوتُ كَائِنٌ
فَمَا دَارَكُمْ هَذِي بِدَارِ إِقَامَةٍ
أَمَا جَاءَكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ وَتَزَوَّدُوا
فَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ
آخِر : نَهْوَى الْحَيَاةَ وَلَوْ صَحَّتْ عَزَائِمُنَا
لَوْ عَلِمْنَا عَلِمْتَ شُمُ الْجَبَالِ بِهِ
إِنَّ الشُّخُوصَ الَّتِي كَانَتْ رَجَاحَتُهَا
عَمَّتُهُمْ حَادِثَاتٌ غَيْرُ مُبْقِيَةٍ
فَمَا مِنْهُ مَنْجَا وَلَا عَنْهُ عُنْدَ
وَلَكِنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَتَزَوَّدِ
فَمَا عُذْرُ مَنْ وَافَاهُ غَيْرُ مُزَوَّدِ
تُقَرَّبُ مِنْ دَارِ اللَّقَا كُلِّ مُبْعَدِ
لَمَّا صَرَفْنَا إِلَى الْخَدَاعَةِ الْهَمَمَا
أَزَالَ ذَلِكَ مِنْ آثَانِهَا الشَّمَمَا
تُوزَنُ الْهَضْبُ صَارَتْ فِي الثَّرَى رَمَا
شَيْئاً فَلَمْ تَبْقِ أَبْدَاناً وَلَا قِمَمَا

اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ وَزَيْنَا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَا تَهْتِكْ عَلَيْنَا
جَمِيلَ سِتْرِكَ وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا
مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَأَسْبَابُ الْحِلْمِ الْبَاعِثَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ عَشْرَةٌ أَحَدُهَا
الرَّحْمَةُ لِلْجُهَّالِ وَذَلِكَ مِنْ خَيْرِ يُوَافِقُ رِقَّةً وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحِكْمِ مِنْ أَوْكَدِ
أَسْبَابِ الْحِلْمِ رَحْمَةُ الْجُهَّالِ فَيَأْمَنُ وَيَأْمُنُونَ مِنْ اسْتِحْدَاثِ الْبُغْضِ
وَالْقَطِيعَةِ الْمُؤَدِّيْنَ إِلَى تَرْكِ النُّصْرَةِ وَالْغِيْبَةِ .

الثَّانِي : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْتِصَافِ وَذَلِكَ

الْحِلْمُ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ وَحُسْنِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ وَبِقُدْرَتِهِ وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ
أَحْسَنُ الْمَكَارِمِ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ وَجُودُ الْمُفْتَقِرِ .

شِعْرًا :

خَيْرُ الْخَلِيلِينَ مَنْ أَغْضَى لِصَاحِبِهِ وَلَوْ أَرَادَ انْتِصَارًا مِنْهُ لَا انْتَصَرَ

وَالثَّلَاثُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ التَّرَفُّعُ عَنِ السَّبَابِ وَعَذْلُكَ مِنْ شَرَفِ
النَّفْسِ وَعُلُوُّ الْهِمَّةِ وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ شَرَفُ النَّفْسِ أَنْ تَحْمَلَ الْمَكَارِهَ وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

آخِر :

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

وَالرَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الِاسْتِهَانَةُ بِالْمُسِيءِ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَّا جَانِبَهُمْ أَمِنُوا لِلُّؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنَّ يُقْتَلُوا قَوْدًا

وَقَالَ آخَرُ :

فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطْنِينَ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ يَظِيرُ

آخِر :

وَكَمْ مِنْ لَيْئِمٍ وَدَّ أَنِي شَتَمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقَمُ
وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَمِهِ حِينَ يَشْتَمُ

آخِر :

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتَ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي عَيَّتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيَّتُ

وَالْخَامِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الِاسْتِحْيَاءُ مِنْ جَزَاءِ الْجَوَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ النَّفْسِ وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي لَأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا حَتَّى يَظُنُّ رَجَالٌ أَنَّ بِي حَقًّا أَخْشَى جَوَابَ سَفِيهِ لَا حَيَاءَ لَهُ فَسَلِ يَظُنُّ رَجَالٌ أَنَّهُ صَدَقَا

آخِر :

فَمَا الْأَنْسُ بِالْأَنْسِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ إِذَا سَلِمْتَ نَفْسِي وَدِينِي مِنْهُمْ بَأْسٌ وَلَكِنْ فَقَدْ أَنْسَهُمْ أَنْسٌ فَحَسِبِي أَنَّ الْعِرْضَ مِنِّي لَهُمْ تُرْسٌ

السَّادِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ التَّفَضُّلُ عَلَى السَّابِّ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْكَرَمِ وَحُبِّ التَّالِفِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كَانَ دُونِي مَنْ يُلِيْتُ بِجَهْلِهِ وَأَنْ كَانَ مِثْلِي فِي مَحَلٍّ مِنَ الْعُلَا وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْفَضْلِ وَالْحِجَا أَبَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَقَابَلَ بِالْجَهْلِ هَوَيْتُ إِذَا حِلْمًا وَصَفْحًا عَنِ الْجَهْلِ رَأَيْتُ لَهُ حَقَّ الْعِلَاوَةِ وَالْفَضْلِ

السَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ اسْتِكْفَافُ السَّابِّ وَقَطْعُ السَّبَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَزْمِ وَجَوْدَةِ الْعَقْلِ وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلْأَمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتَ لَهُمْ فَالْصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحَقَّ شَرَفٌ أَمَا تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحٌ أَيْضًا وَفِيهِ لَصَوْنُ الْعِرْضِ إِصْلَاحٌ وَالْكَلْبُ يُخْشَى لِعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحٌ

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِذَا فَاهَ السَّفِيهِ بِسَبِّ عِرْضِي كَرِهْتُ بَأْنَ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَبِيبًا

وَتَعَرَّضَ رَجُلٌ أَحَقُّ لِأَحَدِ الْعُقَلَاءِ الْحُكَمَاءِ وَأَسْمَعُهُ كَلَامًا غَلِيضًا
وَأَفْحَشَ فِي الْقَوْلِ فَتَحَلَّمَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ يُنَوِّعُ سَبَّهُ وَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لِمَاذَا لَا
تُجِبُهُ ؟

فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ عَضَّكَ حِمَارٌ أَوْ رَمَحَكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَرْمَحُهُ قَالَ لَا ،
قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ نَبَحَ عَلَيْكَ كَلْبٌ أَوْ عَضَّكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَنْبَحُ عَلَيْهِ قَالَ لَا
قَالَ فَإِنَّ السَّفِيهَ إِمَّا يَكُونُ كَالْكَلْبِ أَوْ كَالْحِمَارِ لِأَنَّهُ مَا يَجُلُ مِنْ جَهْلٍ وَأَذَى
وَشَرٌّ وَكَثِيرًا مَا يَجْتَمِعَانِ فِيهِ فَلَا بُعَادَ عَنْهُ غَنِيمَةٌ لِيُحْصَلَ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِ
وَأَذَاهُ .

وَالثَّامِنُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الْخَوْفُ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَوَابِ وَهَذَا
يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَرَبِّمَا أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وَاقْتِضَاهُ الْحَزْمُ .

وَالتَّاسِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الرِّعَايَةُ لِيَدِ سَلَفَتْ وَحُرْمَةُ لَزِمَتْ وَهَذَا
يَكُونُ مِنَ الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ أَكْرَمُ الشِّيمِ أَرْعَاهَا
لِلذَّمِّ وَالْعَاشِرُ مِنْ أَسْبَابِ الْحِلْمِ الْكَيْدُ وَالْمَكْرُ وَتَوَقُّعُ الْفُرْصِ الْخَفِيَّةِ
وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الدَّهَاءِ .

يَقُولُ لَكَ الْعَقْلُ الَّذِي زَيَّنَ الْفَتَى
وَلَا قِيَةَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ وَالرِّضَا
وَقَبْلُ يَدِ الْجَانِي الَّذِي لَسْتَ قَادِرًا
إِذَا أَنْتَ لِمَ تَقْوَى عَدُوَّكَ دَارِهِ
وَبَارِكَ لَهُ مَا دُمْتَ تَحْتَ اقْتِدَارِهِ
عَلَى قَطْعِهَا وَارْتُقَبَ سُقُوطَ جِدَارِهِ

آخِر :

وَإِذَا عَجِزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ
فَالنَّارُ بِالمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا
وَأَمَزَخَ لَهُ إِنَّ الْمِزَاحَ وَفَاقُ
تُعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ

وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ قَلَّ كَيْدُهُ وَقَالَ بَعْضُ

الْأَدَبَاءُ غَضِبُوا الْجَاهِلَ فِي قَوْلِهِ وَغَضِبَ الْعَاقِلُ فِي فِعْلِهِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ
إِذَا سَكَتَ عَنِ الْجَاهِلِ فَقَدْ أَوْسَعَتْهُ جَوَاباً وَأَوْجَعَتْهُ عِقَاباً وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ
قَتَادَةَ :

(تَعَاقِبْ أَيْدِينَا وَيَحْلَمْ رَأَيْنَا وَنَشْتُم بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ)
وَقَالَ آخَرُ :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّهَا
فَأُبِيدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةٍ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرِ أَنِّي
تَذَكَّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ
كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ
أَرَى أَنَّ تَرَكَ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

آخَرُ :

إِذَا خَلِيلِي لَمْ يُكْثِرْ إِسَاءَتَهُ
يَجْنِي عَلَيَّ وَأَحْنُو صَافِحاً أَبَدَا
فَأَيْنَ مَوْضِعُ إِحْسَانِي وَغُفْرَانِي
لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ حَانٍ عَلَى جَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ لَا يُعْرَفُ
الْجَوَادُ إِلَّا فِي الْعُسْرَةِ وَلَا يُعْرَفُ الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ وَلَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا
فِي الْغَضَبِ قَالَ الشَّاعِرُ :

« مَنْ يَدَّعِي الْحِلْمَ أَغْضِبُهُ لِتَعْرِفَهُ لَا يُعْرَفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ »

وَمَنْ فَقَدَ الْغَضَبَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَغْضَبَةِ حَتَّى اسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَبْلَ
الْإِغْضَابِ وَبَعْدَهُ فَقَدْ عَدِمَ مِنْ فَضَائِلِ النَّفْسِ الشُّجَاعَةِ وَالْأَنَفَةِ وَالْحَمِيَّةِ
وَالْغَيْرَةِ وَالِدِّفَاعِ وَالْأَخْذَ بِالنَّارِ لِأَنَّهَا خِصَالُ مُرَكَّبَةٍ مِنَ الْغَضَبِ فَإِذَا عَدِمَهَا
هَانَ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ لِبَقَاءِ فَضَائِلِهِ فِي النَّفْسِ قِيَمَةٌ وَلَا لَوْفُورِ حِلْمِهِ مَوْقِعٌ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا كَانَ الْحِلْمُ يُؤَدِّي إِلَى فَسَادٍ بَأَن كَانَ الْمَحْلُومُ عَلَيْهِ
لَيْثِيًّا يَزْدَادُ شَرَّهُ مَعَ الْحِلْمِ فَالْجَهْلُ مَعَهُ أَحْسَنُ لِأَنَّهُ يَرُدُّعُهُ عَنِ الشَّرِّ وَالتَّهَادِي
فِيهِ

شعرا :

لَئِنْ كَانَ حِلْمُ الْمَرْءِ عَوْنُ عَدُوهِ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْجَهْلَ أَعْنَى وَأَرْوَحُ
وَفِي الْحِلْمِ ضَعْفٌ وَالْعُقُوبَةُ قُوَّةٌ إِذَا كُنْتَ تَخْشَى كَيْدَ مَنْ عَنْهُ تَصَفَّحُ
آخر :

أَبَا حَسَنٍ مَا أَقْبَحَ الْجَهْلُ بِالْفَتَى وَلِلْحِلْمِ أحياناً مِنَ الْجَهْلِ أَقْبَحُ
آخر :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتَ الَّذِي لَا أَشَاكُلُهُ
فَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
آخر :

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلْبَسْتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا
فَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَقَّا

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعَفْوُ يُفْسِدُ مِنَ اللَّئِيمِ بِقَدْرِ إِصْلَاحِهِ مِنَ
الكَرِيمِ وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

مَنْ الْحِلْمُ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ
فَالْحَكِيمُ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ فَلَا يُعَامِلُ الْكَرِيمَ مُعَامَلَةَ
اللَّئِيمِ وَلَا بِالْعَكْسِ فَإِنَّ هَذَا فِيهِ ضَرَرٌ عَظِيمٌ وَيُخِلُّ فِي مَنْصِبِ الشَّخْصِ
وَيَحْطُ مِنْ قَدْرِهِ وَيُدُلُّ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ وَأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ أَنْ يُنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ
وَيَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي ذَلِكَ :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
فَوَضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ لَيْثِمِ الطَّبَعِ مَفْسَدَةٌ تُطْغِي وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكَرِيمِ يَدَا

وَقَالَ آخَرُ :

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ
فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيْمِي فَإِنِّي مُقَوْمٌ وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِذْنًا وَصَاحِبًا وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُحْرَجُ

وَيَقُولُ الْآخَرُ :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ نَاشِئًا وَخَيْرْتَ أَنِّي شِئْتُ فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ
وَلَكِنْ إِذَا أَنْصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مُنْصِيفًا وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الْحِلْمُ فَالْجَهْلُ أَمْثَلُ

وَلَمَّا ظَفَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ بِأَبِي عَزَّةَ الشَّاعِرِ الَّذِي مَنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَتَعَهَّدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا يُنَاصِبَ الْمُسْلِمِينَ الْعِدَا وَلَا يُحَرِّضَ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءَ فَلَمْ يَفِ بِقَوْلِهِ وَلَمْ يَصْدُقْ بِوَعْدِهِ بَلْ نَقَضَ الْعَهْدَ وَخَانَ الْمِيثَاقَ وَمَا أَبْرَمَ مِنَ الْإِتِّفَاقِ فَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَتْلِهِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْلَنِي وَآمِنُنِي عَلَيَّ وَدَعْنِي لِبَنَاتِي وَأَعْطِيكَ عَهْدًا إِلَّا أَعُوذُ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهِ لَا تَمْسَحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ وَتَقُولُ خَدَعْتَ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ أَضْرِبْ عُنْقَهُ يَا زَيْدُ فَضْرَبَ عُنْقَهُ «اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ آدَابُ الْإِسْلَامِ جَمَالٌ لَا يُوَارِثُهُ

جَمَالَ وَحَظَّ الْإِنْسَانُ مِنْهَا يَكُونُ بِقَدْرِ مَا تَخَلَّقَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَخَلِّقًا بِجَمِيعِهَا كَانَ أَجْمَلَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ .

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الدِّينُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا قِيَامَ لِلدِّينِ بِدُونِهِ كَالْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَجِّ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الْحَجُّ عَرَفَةٌ أَيْ إِنَّهُ رُكْنُ الْحَجِّ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَكُونُ الْحَجُّ إِلَّا بِهِ الْوُقُوفُ بِعَرَفَاتٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْأَخْلَاقِ مَكَانَةً عَظِيمَةً أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِيهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِيْمَانًا قَالَ « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الظَّفَرِ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقُرْبِ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَكْثَرَهُمْ ظَفَرًا بِحُبِّهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ أَمْرٌ لَا زِمَ وَشَرْطٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَأَنَّ إِهْمَالَ هَذَا الشَّرْطِ لَا يُغْنِي عَنْهُ الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَحَدَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ فُلَانَةً تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِأَن يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا

وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي » وَيَقُولُ « اللَّهُمَّ أَهْدِنِي لأَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ » وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَدْحُ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وَاللَّهُ لَا يَمْدَحُ إِلَّا عَلَى الشَّيْءِ الْعَظِيمِ ، وَمِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَوْضُوعِ الْأَخْلَاقِ أَمْراً بِالْجَيِّدِ مِنْهَا وَمَذْحاً لِلْمُتَّصِفِينَ بِهِ وَمَعَ الْمَدْحِ الثَّوَابُ ، وَنَهياً عَنِ الرَّدِيِّ مِنْهَا وَذَمٌّ لِلْمُتَّصِفِينَ بِهِ وَمَعَ الذَّمِّ الْعِقَابُ وَلَا شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْآيَاتِ فِي مَوْضُوعِ الْأَخْلَاقِ دَلِيلٌ عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا .

وَبِالتَّالِي فَالْإِكْتَارُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِقْلَالُ مِنْهَا يَكُونُ جَمَالُ الْإِنْسَانِ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ الْإِكْتَارِ أَوْ الْإِقْلَالِ وَكَذَلِكَ تَرُكُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ شَيْنٌ لِتَارِكِهَا كَبِيرٌ وَعَلَى قَدْرِ مَا تَرَكَهُ يَكُونُ شَيْنُهُ عِنْدَ الْكَبِيرِ مِنَّا وَالصَّغِيرِ فَمَهُمَا أَكْثَرَتْ أَوْ أَقَلَّتْ مِنْ تَرِكِهَا يَكُونُ شَيْنُكَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ التَّقْدِيرِ .

وَلِذَلِكَ أَنْظَرُ إِلَى الْكُفَّارِ حَيْثُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا كُلَّهَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ تَجِدُهُمْ فِي قُبْحٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْحُسْنُ

وَالْجَمَالُ فَيَمُنُّ اتَّصَفَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَنَا فَقَطُّ بَلْ عِنْدَ اللَّهِ بِهِ يَمْدَحُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِذَلِكَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فَاَنْظُرْ أَيَّ نَصِيبٍ نَصِيبِكَ مِنْ تِلْكَ الْإِخْلَالِ الْحَسَنِ لِتَعْرِفُ قَدْرَكَ وَقِيَمَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ إِنَّ الْأَلَمَ لَيَمْلَأُ الْجَوَانِحَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَعَلَى عُشَاقِهَا الْفُضْلَاءِ النَّبَلَاءِ مَاتَتْ وَمَاتُوا ، أَيْنَ أَهْلُ الْأَخْلَاصِ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْمَوْتَ خَيْراً مِنْ حَيَاةِ الرِّيَاءِ .

أَيْنَ أَهْلُ الصَّدَقِ الَّذِينَ يَرُونَ قَطْعَ السِّنْتِهِمْ أَخَفَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَكْذِبُوا
أَوْ يَتَمَلَّقُوا أَوْ يُدَاهِنُوا أَوْ يُنَافِقُوا أَوْ يَنُمُوا أَوْ يَغْتَابُوا أَوْ يَتَجَسَّسُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
لِيَرْجُونَهُمْ بِالسُّجُونِ .

أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا وَإِذَا عَاهَدُوا وَفُوا أَيْنَ أَهْلُ الْعَفْوِ عِنْدَ
الْمَقْدِرَةِ أَيْنَ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .

الَّذِينَ حِلْمُهُمْ مِثْلُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ أَيْنَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْكُرْبَ
لِيُفَرِّجُوهَا ، أَيْنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الرَّبِّ وَمُعَامِلِيهِ أَيْنَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْوَلَاءَ
وَالْبِرَّ وَلَا يَأْلِفُونَ وَلَا يُجَالِسُونَ إِلَّا أَهْلَ الصَّلَاحِ وَيَتَّبِعُونَ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ أَهْلِ
الْمَعَاصِي مِنَ اللُّوْطِيَّةِ وَالزُّنَاةِ الَّذِينَ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَالَّذِينَ
يُسَاكِنُونَ الْكُفَّارَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا مَوْرِدَ لَهُمْ فَيُنْعِشُوهُمْ بِمَا تيسَّرَ
مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ تَطَوُّعَ دَرَاهِمٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ كُسْوَةٍ . أَوْ يَتَسَبَّبُونَ لَهُمْ فِي
وِظَائِفَ يَكْفُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ عَنِ النَّظَرِ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

أَيْنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ مُكَمَّلَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا لَا يُحَابُونَ بِهَا وَيَبْحَثُونَ
عَنْ أَهْلِ الْعَوَائِدِ فَإِذَا وَجَدُوهُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لَمْ يُبَالُوا بِهِمْ وَلَمْ يُعْطُوهُمْ
لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا لَا تَبْرَأُ ذِمَّتُهُمْ بِذَلِكَ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ لِيَجْبُرُوا قُلُوبَهُمْ بِمَا مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ بِهِ ، أَيْنَ الَّذِينَ يَهْجُرُونَ الْفَسَقَةَ وَالظَّالِمَةَ وَالْمُجْرِمِينَ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا
آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ .

أَيْنَ الرَّجُلُ الْمُهَذَّبُ الَّذِي لَا يَتَلَبَّسُ فِي سِرِّهِ وَلَا فِي عَلَانِيَتِهِ بِحَالٍ

يَسْتَحْيِي مَنْ أَطْلَاعَ الْعُقَلَاءَ عَلَيْهِ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَرْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةً وَلَا يَقُولُ قَوْلًا غَيْرَ مُفِيدٍ لِسَامِعِهِ فَائِدَةً فِي دِينِهِ وَلَا يُضْمِرُ لِعَدُوِّهِ سُوءًا إِذَا سَأَلَهُ وَلَا يَتَخَلَّقَ إِلَّا بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ .

أَيُّنَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا النَّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ يُبْعِدُونَ عَنِ الْغِشِّ كُلَّ الْبُعْدِ ، بَعَثَ أَبُو حَنِيفَةَ بِمَتَاعٍ إِلَى شَرِيكِهِ فِي التَّجَارَةِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَعْلَمَهُ أَنْ فِي ثَوْبٍ مِنْهُ عَيْبٌ وَاسْتَوْفَى الثَّمَنَ كَامِلًا لِثَوْبٍ غَيْرِ كَامِلٍ وَقِيلَ ثَمَنُ الْمَتَاعِ الَّذِي بِيْعَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا أَوْ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا فَأَبَى أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ لِشَرِيكِهِ فِي التَّجَارَةِ يُكَلِّفُهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُشْتَرِي وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْهُ بَعْدَ الْبَحْثِ عَنْهُ .

فَأَبَى أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْفِصَالَ مَنْ شَرِيكِهِ وَتَتَارَكَ بَلْ أَبَى أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ يُضِيفَ الثَّمَنَ إِلَى حُرِّ مَالِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كَامِلًا مِنْ شِدَّةِ الْوَرَعِ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ حُلَلٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَثْمَانِ ضَرْبُ قِيَمَةٍ كُلُّ حُلَّةٍ مِنْهُ أَرْبَعُمِائَةٍ وَضَرْبُ كُلِّ حُلَّةٍ قِيَمَتُهَا مَائَتَانِ فَمَرَّ إِلَى الصَّلَاةِ وَخَلَّفَ ابْنَ أَخِيهِ فِي الدُّكَّانِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبَعُمِائَةٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الْمَائَتَيْنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا وَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ .

فَاسْتَقْبَلَهُ يُونُسُ فَعَرَفَ حُلَّتَهُ فَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ بِكُمْ اشْتَرَيْتَ فَقَالَ بِأَرْبَعُمِائَةٍ

فَقَالَ لَا تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ مَائَتَيْنِ فَارْجِعْ حَتَّى تَرُدَّهَا فَقَالَ هَذِهِ تُسَاوِي فِي بَلَدِنَا خَمْسُمِائَةٍ وَأَنَا ارْتَضَيْتُهَا فَقَالَ يُونُسُ أَنْصَرِفْ فَإِنَّ النَّصْحَ فِي الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَانِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَتِي دِرْهَمٍ وَخَاصَمَ ابْنُ أَخِيهِ فِي ذَلِكَ
وَقَالَ أَمَا اسْتَحَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبِحُ مِثْلَ ثَمَنِهَا وَتَتْرُكُ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ
وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا قَالَ فَهَلْ رَضِيتَ لَهُ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ .

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ أَنَّ غُلَامَهُ بَاعَ لِأَعْرَابِيٍّ فِي غَيْبَتِهِ مِنْ
الْخَمْسِيَّاتِ بَعْشَرَةً فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيَّ طُولَ النَّهَارِ لِيُرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةٌ
حَتَّى وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْغُلَامَ قَدْ غَلِطَ فَبَاعَكَ مَا يُسَاوِي خَمْسَةً بَعْشَرَةً .

فَقَالَ يَا هَذَا قَدْ رَضِيتُ فَقَالَ وَإِنْ رَضِيتَ فَإِنَّا لَا نَرْضَى لَكَ إِلَّا مَا تَرْضَاهُ
لأنفسنا وَرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةً ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ يُوجَدُ مِنَ الْوَرَعِيِّينَ النَّاصِحِينَ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ لِأَخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُكْثِرَ أَمْثَالَهُمْ وَأَنْ
يُقَلِّلَ الْغَشَّاشِينَ السَّرَاقِينَ الْمُنَافِقِينَ الْكَذَّابِينَ ، أَيْنَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَائِمٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَحِنُّونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ حَنِينَ الْأَلْفِ فَارَقَهُ الْأَلْفُ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَطِيبُ لَهُمْ مَجْلِسٌ إِلَّا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ
وَسَائِرِ السُّنَنِ أَوْ مَا أُخِذَ مِنْهَا أَوْ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا .

أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا فَاتَهُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ جَلَسُوا يَتَكُونُ عَلَى مَا فَاتَ .

أَيْنَ الَّذِينَ دَرَسُوا سِيرَةَ الْمُصْطَفَى وَأَصْحَابِهِ فَكَانَتْهُمْ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ قَبْلَ الْوَقْتِ وَيُسَبِّحُونَ وَيُهَلِّلُونَ
مَاتَ هَؤُلَاءِ وَبَلِيَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْبَلَاءِ أَنْ نَقْقَدَ هَذَا الطَّرَازَ فَهَلْ لَكَ يَا أَخِي أَنْ
تَسْلُكَ سَبِيلَ هَؤُلَاءِ لِتَكُونَ قُدْوَةً وَمَثَلًا لِلْعَامِلِينَ .

وَتَفُوزَ بِرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَحْظِيَ بِالْفَوْزِ بِسُكْنَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَالْفَوَاكِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ رَغِبْتَ فِي ذَلِكَ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْسِينِ عَمَلِكَ الَّذِي هُوَ الْمَهْرُ لِذَلِكَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

فَإِنْ كُنْتَ لِلْمَهْرِ الَّذِي عَزَّ قَادِرًا وَإِنْ كُنْتَ مِثْلِي عَاجِزًا فَارْضَ بِالذُّنَا رَعَى اللَّهُ مَنْ أَصْحَى وَأَمْسَى مُشْمِرًا إِلَى أَنْ عَلَا فَوْقَ الْمَقَامَاتِ فِي الْعُلَا آخِر :

اعْلَمْ بِأَنْ طَرِيقَ الْحَقِّ مُتَفَرِّدٌ لَا يُطْلَبُونَ وَلَا تُطْلَبَ مَسَاعِيهِمْ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قَصَدُوا وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَادٌ فَجُلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنْنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الزَّوَاجَ هُوَ أَهَمُّ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ وَالْمُتَمِّمُ لِلْوُضَائِفِ الْحَيَوِيَّةِ وَالْحَافِظُ لِلْجَامِعَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الانْقِرَاضِ وَالزَّوَالِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَسَاسٌ لِتَقْدِيرِ الْمَرْءِ فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ .

وَقُورَامُهُ وَجُودُ الْإِلْفَةِ وَالتَّحَابُّبُ وَالْإِحْتِرَامُ وَالتَّوْقِيرُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَبِهِ
يَحْصُلُ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُذُ وَالتَّالْفُ وَالتَّأَزُّرُ بَيْنَ الْأَسْرِ الْمُتَنَاسِبَةِ بِسَبَبِ مَا تَمَّ
بَيْنَهَا مِنَ الْمُصَاهَرَةِ الْمُقَرَّبَةِ لِلْبَعِيدِ وَالْمُحَبَّةِ لِلْقَرِيبِ وَالْمُدْنِيَةِ لِلْأَجْنَبِيِّ .

وَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ إِلَى الزَّوْاجِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ » وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى « فَانكِحُوا مَا طَابَ
لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » وَقَالَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » وَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » .

وَلِهَذَا خَاطَبَ النَّبِيُّ ﷺ الشَّبَابَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الزَّوْاجِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ مَتَى
كَانَ قَادِرًا عَلَى مُؤْنِ الزَّوْاجِ وَنَفَقَاتِهِ وَكَانَ بِهِ تَوَقَّانُ إِلَى النِّسَاءِ حَتَّى لَا تَزُلَّ بِهِ
الْقَدَمُ فِي مَهَوَاتِ الْمَعَاصِي فَتَقُودَهُ نَفْسُهُ وَيُغْرِيه شَيْطَانُهُ فَيَقَعُ فِيَمَا لَا يَجِلُّ مِنْ
الْمُوبِقَاتِ وَالذُّنُوبِ الْمُهِلِكَاتِ فَإِنَّ لِلشَّبَابِ قُوَّةً وَنَزْوَةً تَدْفَعُ الشَّابَّ إِلَى إِطَاعَةِ
شَهْوَتِهِ وَتَقْهَرُهُ عَلَى إِرْضَائِهَا بِدُونِ أَنْ يُبَالِيَ بِسُوءِ مَغَبَّةٍ أَوْ حُسْنِهَا .

وَكَمْ مِنْ شَابٍّ أَغْرَتْهُ شَهْوَتُهُ وَاسْتَعْبَدَتْهُ لَذَّتُهُ فَآتَى نَفْسَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي
حَظًّا وَأَرَوَى مِنَ الْمُوبِقَاتِ غَلَّتْهَا .

فَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ ضَيَاعَ الثَّرْوَةِ وَالْإِفْتِقَارَ بَعْدَ الْيُسْرِ وَالْمَالَ الْعَرِيضَ
وَالذَّلَّةَ بَعْدَ الْجَاهِ وَالْعِزَّةِ ، وَالضَّعْفَ بَعْدَ الْقُوَّةِ وَالصَّحَّةَ الشَّامِلَةَ وَانْتَابَتْهُ بَعْدَ
نَضَارَةِ شَبَابِهِ الْعِلَلُ وَالْأَسْقَامُ وَصَارَ حَلِيفَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالسُّهَادِ يَنَامُ عَلَى مِثْلِ
شَوْكِ الْقَتَادِ قَدْ أَقْضَى مَضْجَعَهُ وَذَبَلَتْ نَضْرَتُهُ وَتَنَكَّرَتْ لَهُ الْحَيَاةُ بَعْدَ إِقْبَالِهَا
وَكَشَّرَتْ لَهُ الْأَيَّامُ بَعْدَ ابْتِسَامِهَا أَنْيَابُهَا وَذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَنْفُرُونَ عَنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ قُرَّةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَوْضِعَ الْغُبْطَةِ
وَالسُّرُورِ وَلَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ حِكْمَةَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الزَّوْاجِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ
وَالِاسْتِطَاعَةِ بِأَنَّهَا تُحَصِّنُ الْفَرْجَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَمَلَابَسَةِ مَا يُغْضِبُ
فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَيُزِيرِي بِالشَّرَفِ وَالْكَرَامَاتِ .

وَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ تَدْعُو إِلَى الْعِفَّةِ وَغَضِّ الْبَصَرِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ أَضِيفَ إِلَى
ذَلِكَ أَنَّ الْمُبَادَرَةَ فِي الزَّوْاجِ تُمَكِّنُ الْمَرْءَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا مِنْ
تَرْبِيَّتِهِمْ وَالْقِيَامِ بِشُؤُونِهِمْ وَإِعْدَادِهِمْ لِمُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِمْ وَجَعَلَهُمْ رِجَالًا
صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ يَنْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأُمَّتَهُمْ وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ عِمَادًا لَهَا وَقُوَّةً يُرْهَبُ
بِهِمْ جَنَابُهَا وَتَقْوَى شَوْكَتُهَا وَتُحْفَظُ هَيْبَتُهَا وَكَرَامَتُهَا وَيُدْفَعُ مَنْ يُرِيدُ إِذْلَالَهَا
وَاسْتِعْبَادَهَا .

تَأَمَّلْ فِي حَيَاةِ الْمُتَزَوِّجِ عِنْدَمَا يُفَاجِئُهُ مَرَضٌ أَوْ تَتَابُهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَهُ زَوْجَةٌ
صَالِحَةٌ كَيْفَ يَكُونُ مُحَاطًا بِعُطْفِهَا وَقِيَامَهَا بِخِدْمَتِهِ نَائِمًا عَلَى فِرَاشِ الرَّاحَةِ
وَتُسْلِيهِ وَتُؤْنِسُهُ وَتَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَتُضْمِرُ الْخَيْرَ لَهُ .

وَارْجِعْ بِنَظَرِكَ إِلَى الْعَزَبِ فِي حَالَةِ مَرَضٍ فِي حَالَةِ يَأْسٍ وَقُنُوطٍ وَنَدَمٍ
عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ لِعَدَمِ اقْتِرَانِهِ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ وَقَرِينَةٍ نَاصِحَةٍ تَكُونُ لَهُ خَيْرَ مُعِينَةٍ
وَأَفْضَلِ مُسَاعِدَةٍ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأَنْكَادِهِ فَقَدْ فَقَدَ الْعَزَبُ الْعُطْفَ وَالرَّأْفَةَ بِهِ
وَالرَّاحَةَ وَالْقِيَامَ بِتَمْرِئِيضِهِ وَخَوَائِجِهِ الْكَثِيرَةِ فِي أَشَدِّ الْأَوْقَاتِ وَأَحْرَجَهَا وَأَضْيَقَ
السَّاعَاتِ وَكَانَ فِي حَالَتِهِ الْمُحْزَنَةِ كَالْغَرِيبِ النَّائِي عَنْ وَطَنِهِ وَأَقْرَبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ
يَتَمَنَّى وَيَتَلَهَّفُ عَلَى أَحَدٍ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِشَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ نَحْوِهَا .

وَأَمَّا الْإِبْطَاءُ عَنِ الزَّوْاجِ حَتَّى يَتَقَدَّمَ فِي الْعُمْرِ فَصَاحِبُهُ عَلَى خَطَرٍ فَقَدْ لَا
يَسْتَطِيعُ تَرْبِيَةَ أَوْلَادِهِ لِضَعْفِ قُوَّتِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ تَحْصِيلِ مَا بِهِ حَيَاتُهُمْ وَتَوْفِيرِ
أَسْبَابِ السَّعَادَةِ لَهُمْ .

وَرُبَّمَا اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ فَيَتْرُكُهُمْ كَزُغْبِ الْقَطَا مَهِيضِي الْجَنَاحِ أَيْتَامٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الْأَكْذَارِ وَالْأَنْكَادِ زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِبْطَاءَ فِي الزَّوْاجِ يَزِيدُ كَثْرَةَ الْفَتَيَاتِ الْعَانِسَاتِ وَيُفَوِّتَ عَلَيْهِنَّ زَمَنَ نَضْرَتِهِنَّ وَجَنِي ثَمَارِهِنَّ وَلَيْسَ لَهُنَّ قُوَّةٌ عَلَى دَفْعِ الشَّهْوَةِ كَالرِّجَالِ فَرُبَّمَا تَطْغَى عَلَيْهِنَّ وَيَسْلُكْنَ طُرُقَ الْغَوَايَةِ وَالْفَسَادِ .

وَهُنَاكَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ وَأَنْتِهَاكِ حُرْمَةِ الْأَعْرَاضِ وَتَمْزِيقِ ثَوْبِ الْحَيَاءِ وَالْإِسْتِهْتَارِ بِمَا يُزِيلُ الْكَرَامَةَ وَيُذِلُّ الشَّرَفَ وَالْعِزَّةَ وَيَقْضِي عَلَى الْإِبَاءِ وَالْمُرُوءَةِ وَالنَّخْوَةِ .

وَإِنَّ مِمَّا يُؤَسَفُ لَهُ أَشَدُّ الْأَسَفِ مِنْ إِنْصِرَافِ الشَّبَابِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ الزَّوْاجِ إِعْرَاضاً تَاماً ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّ حَيَاةَ الْعُزُوبَةِ أَلَدُّ وَأَهْنَأُ وَأَهْوَنُ حِمَلاً وَأَخَفُ كُفْلَةً مِنَ الزَّوْاجِ مَعَ أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِي عَمَلِهِمْ شَادُونَ فِي رَأْيِهِمْ ضَالُّونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ تَائِهُونَ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ .

لَأَنَّ التَّزْوُجَ سُنَّةُ الْمُرْسَلِينَ وَالنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنِ التَّبْتُلِ نَهْياً شَدِيداً وَرَوِيَ لَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ وَالصَّرُورَةُ الَّتِي لَمْ يَتَزَوَّجْ .

وَقَالَ أَحْمَدُ لَيْسَ الْعُزُوبَةُ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَقَالَ مَنْ دَعَاكَ إِلَى غَيْرِ التَّزْوُجِ فَقَدْ دَعَاكَ إِلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِرَجُلٍ تَزَوَّجَ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَثِّ عَلَى الزَّوْاجِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْعُزْبَةِ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً لَكَفَى وَشَفَى .

وإن صافيت أو خاللت خلاً ففي الرحمن فاجعل من ثواخي
ولا تعدل بتقوى الله شيئاً ودع عنك الضلالة والتراخي
فكيف تنال في الدنيا سروراً وأيام الحياة إلى انسلاخ
وإن سرورها فيما عهدنا مشوب بالبكاء وبالصراخ
فقد عمى ابن آدم لا يراها عمى أفضى إلى صمم الصماخ

اللهم وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن
سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

(فصل)

وقال رحمه الله من تزوج فقد استكمل نصف دينه فليتي الله في النصف
الباقى رواه الطبراني في الأوسط وقال رحمه الله من أحب فطرتي فليستن بسنتي
ومن سنتي النكاح رواه البيهقي في السنن الكبرى وقال رحمه الله أيما رجل تزوج
في حداثة سنه عجب شيطانه يا ويله عصم دينه رواه أبو يعلى في مسنده .

وقال رحمه الله ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب
الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف رواه الترمذي والنسائي وغيرهما
باسناد صحيح .

وقال رحمه الله لعكاف بن وداعة الهلالي ألك زوجة يا عكاف قال لا قال ولا
جارية قال ولا جارية قال وأنت مؤسر قال وأنا مؤسر بخير قال أنت إذا من
إخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم إن سنتنا شراركم
عزائبكم وأراذل موتاكم عزائبكم أبا الشيطان تمرسون ما للشيطان سلاح أبلغ
في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرؤون من الخنا
ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكرفس .

قَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ عَطِيَّةَ مَنْ كُرِّفُسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ثَلَاثِمِائَةَ عَامٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَيَحْكُ يَا عَكَافُ تَزَوَّجْ وَإِلَّا فَأَنْتَ مِنَ الْمُدْبِرِينَ قَالَ زَوْجَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ زَوْجَتُكَ كَرِيمَةٌ بِنْتُ كُلْثُومِ الْجَمِيرِيِّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ .

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا عَشْرَةٌ أَيَّامٍ أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ حَتَّى لَا أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا وَتَزَوَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ وَفَاةِ امْرَأَتِهِ وَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ أُبَيِّتَ عَزَبًا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا بَرَّتْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي لأُكْرَهُ نَفْسِي عَلَى الْجَمَاعِ رَجَاءً أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ نَسَمَةً تُسَبِّحُهُ وَتَذْكُرُهُ وَقَالَ عليه السلام دَعُوا الْحَسَنَاءَ الْعَاقِرَ وَتَزَوَّجُوا السَّوْدَاءَ الْوَلُودَ فَإِنِّي أَكْثَرُ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْأَمْرُ لِلنَّدْبِ .

وَقَالَ عُمَرُ تَكَثَّرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بِمَنْ تُرْزَقُونَ وَقَالَ عليه السلام تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ عليه السلام لَا تُطَلِّقُ النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِيْبَةٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ وَلَا الذَّوَاقَاتِ « وَالذَّوَاقُ الْكَثِيرُ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقُ مِنْ دُونِ عُدْرِ شَرْعِيٍّ وَالذَّوَاقَةُ الَّتِي كُلُّ مَنْ أَخَذَهَا تَتَسَبَّبُ لِفِرَاقِهِ لِأَجْلِ التَّزَوُّجِ بغيرِهِ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَعْنَاهُمَا .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ لِتَوَقُّفِ كَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ عَنِ الزَّوَاجِ ثِقَلُ الْمُهُورِ

وَالْتَبَذِيرِ السَّخِيفِ فِي الطَّرْقِ الَّتِي غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ وَسَبَبُ ذَلِكَ مُوَافَقَةُ سُخْفَاءِ
العقول في تصرفاتهم .

فَالْعَاقِلُ إِذَا جَاءَهُ مَنْ يَرْضَى دِينَهُ وَعَقْلَهُ مَا يَغْتَرُّ بِالزَّخَارِفِ وَيَتَّخِذُ
بِالْبَهَارِجِ الْكَاذِبَةِ وَيَتَّخِذُ حِذَاءَ الْمُسْرِفِينَ بَلْ يَتَّقَادُ لِعَقْلِهِ الرَّاجِحِ وَدِينِهِ الْحَقِّ
وَتَعَالِيهِ السَّامِيَةِ وَيَرْضَى بِالْمَيْسُورِ إِذَا كَانَ لَهُ السُّلْطَةُ التَّامَّةُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَإِنْ
كَانَ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فَيُحَاوِلُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِنْ عَجَزَ فَلَيْسَ لَهُ وَاللَّهِ إِلَّا
الصَّبْرُ وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي انْحَطَّ أَهْلُهُ وَسَيَّطَرَتْ
فِيهِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ وَصَارَ الْأَكْثَرُ مِنَ الرِّجَالِ عِنْدَ أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِمَنْزِلَةِ
الْخَادِمِ الْحَقِيرِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ حَارِسٌ وَخَادِمٌ مَحْقُورٌ وَمُحَامِيٌّ لِلْأَمْوَالِ الَّتِي
سَتَوَلَّى إِلَيْهِمْ وَلَا شُكْرَ مِنْهُمْ وَلَا ثَنَاءَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ
آمِنِينَ ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَضْلٌ)

وَإِلَيْكَ قِصَّةُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ

قَالَ أَبُو وَدَاعَةَ كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَفَقَدَنِي أَيَّامًا فَلَمَّا جِئْتُهُ
قَالَ أَيْنَ كُنْتَ قُلْتُ تُوَفِّيتُ زَوْجَتِي فَاشْتَغَلْتُ بِهَا فَقَالَ هَلَّا أَخْبَرْتَنَا فَشَهِدْنَاهَا
فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ قَالَ هَلْ أَحْدَثْتَ امْرَأَةً غَيْرَهَا فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَمَنْ

يَزُوجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ إِنْ فَعَلْتَ تَفْعَلُ قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ
وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَزَوَّجَنِي ابْنَتَهُ عَلَى دِرْهَمَيْنِ .

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِذَا بِالْبَابِ يُقْرَعُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ سَعِيدٌ
فَفَكَّرْتُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ أَعْرِفُهُ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْمُدْ
أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا مَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ فَقُمْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا سَعِيدُ بْنُ
الْمُسَيَّبِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَدَأَ لَهُ فَقُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي قَالَ رَأَيْتَكَ رَجُلًا عَزَبًا فَكَرِهْتُ أَنْ
تَبِيتَ اللَّيْلَةَ وَحَدَكَ وَهَذِهِ زَوْجَتُكَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ خَلْفَهُ فِي طَوِيلِهِ ثُمَّ دَفَعَهَا وَرَدَّ
الْبَابَ .

وَيَقُلُّ الْمُهُورُ يَنْشَأُ عَنْهُ التَّرْوُجُ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَضْرَارِ عَلَى
الْأُمَّةِ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ لِكَسَادِ بَنَاتِ الْوَطَنِ لِأَنَّهُ يُكْسِدُ وَاحِدَةً وَيَأْتِي بِأُخْرَى
تَحْمِلُهُ فِي كُلِّ زِيَارَةٍ مَهْرًا جَدِيدًا وَيَبْعُدُ أَنْ تَتَّفِقَ الطَّبَاعُ بَيْنَهُمَا وَإِنْ حَصَلَ أَوْلَادُ
ثُمَّ فِرَاقٌ فَأَعْظَمُ بِهِ مِنْ ضَرَرٍ .

وَأَكْثَرُ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ الْأَغْبِيَاءُ قُصَارُ النَّظَرِ الَّذِينَ لَا يَحْسِبُونَ
لِلْمُسْتَقْبَلِ حِسَابًا وَلَا يُفَكِّرُونَ وَلَا يَفْرَضُونَ وَيَقْدَرُونَ أَهْلُ ظَوَاهِرٍ فَقَطْ عُقُولُهُمْ
ضَعِيفَةٌ وَنَظَرُهُمْ قَاصِرٌ .

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ
تَبْدُو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ مَعَانِي
فَهُمُ الْقُشُورُ وَبِالْقُشُورِ قِوَامُهُمْ
وَاللُّبُّ مِنْهُ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْغَالِبَ فِي الْأَجْنَبِيَّاتِ السُّفُورُ وَالِاسْتِهَانَةُ بِالْأَزْوَاجِ وَكَثْرَةُ

الخُرُوجُ وَاسْتِطَالَةُ اللِّسَانِ عَلَى الزَّوْجِ وَضَعْفُ الدِّينِ أَوْ عَدَمُهُ وَالْغِلْظَةُ عَلَى
الْأَوْلَادِ وَتَكْلِيفُ الزَّوْجِ بِالْمَصَارِيفِ الْبَاهِضَةِ حَتَّى تُجْلِسَهُ عَلَى بِسَاطِ الْفَقْرِ
هَذَا فِي الْغَالِبِ وَلِهَذَا نَسْمَعُ أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ اغْتَرُّوا وَتَزَوَّجُوا بِهِنَّ يَشُنُّونَ
وَيَتَمَنُّونَ الْخَلَاصَ وَهَيْهَاتَ الْخَلَاصُ بَعْدَ مَا امْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ .
وَلِذَلِكَ تَجِدُهُمْ يَتَضَجَّرُونَ وَيَتَشَكُّونَ بَعْدَ مَا تَوَرَّطُوا .

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ اضْطُرَّ إِلَى مُصَادَقَةِ زَوْجَتِهِ لِأَجْلِ الْأَوْلَادِ وَبِالْعَكْسِ فَكَمْ
مِنْ زَوْجَةٍ اضْطُرَّتْ إِلَى مُجَامَلَةِ زَوْجِهَا وَالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِهِ لِأَجْلِ أَوْلَادِهَا قَالَ
بَعْضُهُمْ وَأُظْنُهُ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِزَوْجَةٍ يُبْغِضُهَا وَلَكِنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى الْمُجَامَلَةِ
وَالصَّدَاقَةِ .

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى مَوْتِ زَوْجَتِي
وَلَكِنْ قَرِينُ السُّوءِ بَاقٍ مُعَمَّرُ
فَيَا لَيْتَهَا فِي الْقَبْرِ أَمْسَتْ ضَجِيعَةً
يُعَذِّبُهَا فِيهِ نَكِيرٌ وَمُنْكَرُ

وَكَمْ مِنْ زَعِيمٍ اضْطُرَّ إِلَى مُصَادَقَةِ زَعِيمٍ وَكَمْ مِنْ مَرُؤَسٍ اضْطُرَّ إِلَى
مُصَادَقَةِ رَئِيسٍ وَصَبَرَ عَلَى النُّكْدِ وَالضَّرَرِ وَهَذَا مِنْ أَثْقَلِ مَا يَكُونُ عَلَى
النُّفُوسِ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

آخِرُ : مُحَذَّرًا عَمَّنْ لَا تَصْلُحُ وَحَاتًّا عَلَى الَّتِي تَصْلُحُ :

وَإِيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةَ دِمْنَةٍ
سَتَرَجُعُ عَنْ قُرْبٍ إِلَى أَصْلِهَا الرَّدِّي
وَحَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظَرًا
وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَدٍ
قَصِيرَةٌ أَلْفَاظٍ قَصِيرَةٌ بِبَيْتِهَا
قَصِيرَةٌ طَرْفِ الْعَيْنِ عَنْ كُلِّ أَبْعَدٍ
حَسْبِيَّةٌ أَصْلٍ مِنْ كِرَامٍ تَفْرُ إِذَا
بُولَدٍ كِرَامٍ وَالْبَكَارَةَ فَاقْصُدِ
وَوَاحِدَةً أُذْنِي إِلَى الْعَدْلِ فَاقْتَنِعِ
وَإِنْ شِئْتَ فَابْلُغِ أَرْبَعًا لَا تَزِيدِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ
وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

« اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُنَزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ لِمَا تُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِنُورِ
وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ
وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ
تُبَدِّلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَّقْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ يُسْنُّ لِمَنْ أَرَادَ النِّكَاحَ

أَنْ يَتَخَيَّرَ ذَاتَ الدِّينِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا
وَلِجَمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَأَنْ
تَكُونَ ذَاتَ عَقْلٍ لَا حَمَقَى جَاهِلَةً لِأَنَّ النِّكَاحَ يُرَادُّ لِلْعِشْرَةِ الْحَسَنَةِ وَلَا تَصْلُحُ
الْعِشْرَةُ مَعَ الْحَمَقَاءِ وَلَا يَطِيبُ مَعَهَا عَيْشٌ وَرُبَّمَا تَعْدَى ذَلِكَ إِلَى وَلَدِهَا وَقَدْ قِيلَ
اجْتَنِبُوا الْحَمَقَاءَ فَإِنَّ وَلَدَهَا ضَيَاعٌ وَصُحْبَتُهَا بَلَاءٌ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الْعِلَاجُ وَقَدِْيمًا
قِيلَ :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ
إِلَّا الْحَمَاقَةَ أُعِيتَ مَنْ يُدَاوِيهَا

وَأَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةَ مِنْ بَيْتٍ مَعْرُوفٍ بِالقَنَاعَةِ لِأَنَّهُ مَظَنَّةٌ دِينِهَا وَقَنَاعَتِهَا
وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ جَمِيلَةً لِأَنَّهُ أَسْكَنُ لِنَفْسِهِ وَأَغْضُ لِبَصَرِهِ وَأَكْمَلُ لِمَوَدَّتِهِ
وَلِذَلِكَ جَازَ النَّظَرُ إِلَيْهَا قَبْلَ النِّكَاحِ .

وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ
أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا أَبُو دَاوُدَ وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَقَدِرْ أَنْ يَرَى مِنْهَا بَعْضَ مَا يَدْعُو إِلَى
نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا

لِخُطْبَةٍ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا أُلْقِيَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خُطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ
مَاجَةَ .

وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ نَظْرُهُ إِلَيْهَا بِلا خَلْوَةٍ لِحَدِيثٍ لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا
وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا بَعَثَ امْرَأَةً ثِقَةً تَتَأَمَّلُهَا لَهُ وَتَصِفُهَا لِأَنَّهُ
ﷺ بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَى امْرَأَةٍ وَقَالَ انْظُرِي عِرْقُوبَهَا وَشُمِّي عَوَارِضَهَا رَوَاهُ
الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْعِرْقُوبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ طَوِيلًا فَهُوَ أَحْسَنُ بَأَنْ يَكُونَ مُسَاوِي
لِلسَّاقِ ، وَكَانُوا يَذْمُونَ الَّتِي عِرْقُوبُهَا طَوِيلٌ قَالَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ مِنَ الْمُتَثَاقِلِينَ
لِلصِّيَامِ .

أُنِيتُ أَنْ فَتَاءَ كُنْتُ أَخْطُبُهَا
عِرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ بِالطُّوْلِ

وَالْعَوَارِضُ الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي عَرْضِ الْفَمِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الشَّيَا
وَالْأَضْرَاسِ وَذَلِكَ لاختِيارِ النِّكْهَةِ فَإِنْ لَمْ تُعْجِبْهُ سَكَتَ وَلَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا لَا
يَقُولُ لَا أُرِيدُهَا لَأَنَّ فِي ذَلِكَ إِذَاءً .

وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِي تَسْرُهُ
إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ رَوَاهُ
أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَعَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ خَيْرُ فَائِدَةٍ أَفَادَهَا
الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا تَسْرُهُ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا
وَتَحْفَظُهُ فِي غَيْبَتِهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا رَوَاهُ سَعِيدٌ .

وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَحَبَّهَا وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِهَا وَهِيَ ذَاتُ دِينٍ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ
جَمِيلَةً فَقَدْ لَا يُحِبُّ الْجَمِيلَةَ فَالْأَحْسَنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَنْ يُحِبُّ فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ
يُؤَدَمَ بَيْنَهُمَا وَقَدْ قِيلَ :

وَرُبَّ مَلِيحٍ لَا يُحِبُّ وَضِئَهُ
يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْفَمُ
هُوَ الْجَدُّ خُذْهُ إِنْ أَرَدْتَ مُسَلِّمًا
وَلَا تَطْلُبِ التَّغْلِيلَ فَالْأَمْرُ مِنْهُمْ
وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَمَا الْحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلَا مِنْ مَلَاخَةٍ
وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوحُ تُكَلِّفُ
آخَرُ : كَلِفْتُ بِهَا شَمْطَاءَ شَابٍ وَلَيْدَهَا
وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعَشُقُونَ مَذَاهِبُ

وَيُسْنُ أَنْ تَكُونَ وَلُودًا لِحَدِيثِ أَنَسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ تَزَوَّجُوا
الْوَدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ سَعِيدٌ .

وَيُعَرَفُ كَوْنُ الْبِكْرِ وَلُودًا بِكَوْنِهَا مِنْ نِسَاءٍ يُعَرَفْنَ بِكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ فَإِذَا كَانَتْ
أُمُّهَا وَأَخْتُهَا وَخَالَتُهَا وَعَمَّتُهَا وَالْقَرِيبَاتُ لَهَا مِنَ النِّسَاءِ وَلُودَاتٍ فَالْغَالِبُ وَالْعِلْمُ
لِلَّهِ أَنَّهَا تَكُونُ مِثْلُهُنَّ وَيَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

وَلِيَحْذِرَ الْإِنْسَانُ مِنْ خَضِرَاءِ الدَّمَنِ فِيهِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الدَّارُ قُطَيْبِيُّ
فِي الْأَفْرَادِ وَالْعَسْكَرِيُّ فِي الْأَمْثَالِ إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ قَالُوا وَمَا خَضِرَاءُ
الدَّمَنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ مِنَ الْمُنْتَبِتِ السُّوءِ ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ
يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأُصُولِ فِيمَنْ يُخَالِطُهُ وَيُعَاشِرُهُ وَيُشَارِكُهُ وَيُصَادِقُهُ
وَيُزَوِّجُهُ أَوْ يَتَزَوَّجَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْظُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الصُّورِ .

قَالَ أَمَّا الْأُصُولُ فَإِنَّ الشَّيْءَ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ وَبَعِيدٌ مِمَّنْ لَا أَصْلَ لَهُ أَنْ

يَكُونُ فِيهِ مَعْنَى حَسَنٍ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءُ إِذَا كَانَتْ مِنْ بَيْتٍ رَدِيٍّ فَقَلَّ أَنْ
تَكُونَ أَمِينَةً وَكَذَا أَيْضاً الْمُخَالِطُ وَالصَّدِيقُ وَالْمَبَاضِيعُ وَالْمُعَاشِرُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَالِطَ
إِلَّا مَنْ لَهُ أَصْلٌ يَخَافُ عَلَيْهِ الدَّنَسُ فَالْغَالِبُ السَّلَامَةُ وَإِنْ وَقَعَ خِلَافُ ذَلِكَ كَانَ
نَادِراً أ . هـ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ :

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ الْمُعَذِّبِ بِالْأُولَى
جُرِّدَنَ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ أَحْسَانٍ
لَا تَسْبِيْنَكَ صُورَةٌ مَنْ تَحْتَهَا الدِّ
دَاءُ الدَّفِينُ تَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ
قُبِحَتْ خِلَائِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا
شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَذَالِ هُمْ
أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْأَحْسَانِ
مَا تَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا
خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ
تَرَكَتُهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاطِ فَمَا لَهَا
بِوَفَاءِ حَقِّ الزَّوْجِ قَطُّ يَدَانِ
إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ
قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ

أُورَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ
تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ وَالنُّقْصَانِ
أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكِيدِ الَّذِي
قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ
فَجَمَالَهَا قِشْرُ رَقِيقٍ تَحْتَهُ
مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ
نَقْدُ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ
فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعَمِيَانِ
أَمَّا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا
تُ بُعُولَهُنَّ وَهُنَّ لِلْأَخْدَانِ
وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النُّسَوَانِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرَشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ
وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ
وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ كَانَ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ عَادَةً شَائِعَةً فِي الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا
يَتَّقِدُونَ فِيهِ بِعَدَدٍ وَلَا يُرَاعُونَ عَدْلًا بَيْنَ الزَّوْجَاتِ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَصْلَحَهُ

الإِسْلَامُ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مَنَعًا بَاتًا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَرَجِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ فَوْضَى كَمَا كَانَ بَلْ أَبَاحَهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَشَرَطَ لِلْحِلِّ شَرْطًا وَثِيقًا وَهُوَ الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ فِي الْمُعَامَلَةِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً » فَتَرَاهُ قَدْ شَرَطَ إِبَاحَةَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ بِالْعَدْلِ كَمَا جَعَلَ مُجَرَّدَ خَوْفِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ سَبَبًا كَافِيًا فِي تَحْرِيمِ التَّعَدُّدِ فَمَنْ لَمْ يَأْنَسْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ لَا يُتَاحَ لَهُ التَّعَدُّدُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى وَاحِدَةٍ .

نَعَمْ الْأَصْلُ فِي التَّزْوِجِ التَّوْحُدُ فِيهِ يَتِمُّ السُّكُونُ لِكُلِّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ إِلَى الْآخِرِ وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمَا وَيَهْنَأُ عَيْشُهُمَا وَتَسْعَدُ أَوْلَادُهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ قَدْ تَدْعُو الْحَاجَةُ أَوْ الضَّرُورَةُ إِلَى التَّعَدُّدِ وَتَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ لِمَسَائِلَ كَثِيرَةٍ كَمَا إِذَا لَمْ تَرْغَبْ أُمُّ أَوْلَادِهِ فِي مُضَاجَعَتِهِ وَالِاتِّصَالِ بِهِ وَكَمَا لَوْ كَانَ بِهَا مَرَضٌ لَا يُرْجَى بُرُؤُهُ أَوْ مَاتَ أَوْلَادُهَا وَوَقَفَتْ عَنِ الْحَمْلِ أَوْ يَكُونُ بِهِ شَبَقٌ وَلَا يَكْتَفِي بِوَاحِدَةٍ لِمَا يَتَعَرَّضُهَا مِنْ حَيْضٍ أَوْ اسْتِحَاضَةٍ أَوْ نِفَاسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

فَإِذَا تَزَوَّجَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ فَيَبِيتُ عِنْدَ أَحَدَاهُنَّ كَمَا يَبِيتُ عِنْدَ الْآخَرَى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَلْبَسِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النُّفَقَةِ إِنْ كُنَّ فِي الْغِنَى مُتَسَاوِيَاتٍ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ

وَجُرَتْ مَعَ إِحْدَاهُمَا فَأَنْتَ فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ .

وَلَا تَظَنَّ الْأَمْرَ فِي هَذَا بَسِيطًا هَيِّنًا لَا بَلْ إِعْلَمْ أَنَّهُ عَظِيمٌ مَنْ أُخِلَّ بِهِ جَاءَ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَقُّهُ سَاقِطٌ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَهُوَ جَزَاءٌ يُنَاسِبُ جُرْمَهُ
لَأَنَّهُ أَسْقَطَ نَاحِيَةَ الْمَظْلُومَةِ بِإِخْلَالِهِ الذَّمِيمِ .

وَيَا لَيْتَ الْأَمْرَ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلْ وَرَاءَهُ النَّارُ دَارُ الْمُذْنِبِينَ وَلِذَلِكَ
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ
وَالْحَرَامِ ، كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَشْرَبْ مِنْ بَيْتِ
الْأُخْرَى الْمَاءَ ، مَعْنَاهُ أَنَّهُ مِنْ وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنَ الْمَيْلِ إِلَى إِحْدَاهُمَا إِذَا كَانَتْ
النُّوبَةُ لِوَاحِدَةٍ وَقَرَّ يَوْمُهَا وَلَيْلَتُهَا عَلَيْهَا فَلَوْ مَرَّ فِي يَوْمِهَا فِي بَيْتِ ضَرَّتِهَا وَهُوَ
عَطْشَانٌ لَمْ يَشْرَبْ مِنْ عِنْدِهَا حَتَّى يَأْتِيَ بَيْتَ الْيَوْمِ يَوْمُهَا .

هَذَا الْعَدْلُ أَصْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ الَّذِينَ اخْتَارُوا التَّعَدُّدَ نَادِرَ الْوُجُودِ يَتْرُكُ
أَحَدُهُمْ زَوْجَتَهُ الَّتِي لَا يُحِبُّهَا مُدَّةً طَوِيلَةً تُقَاسِي مِنْ آلامِ الْجَوْرِ وَالْغَيْرَةِ مَا
تُقَاسِي وَهُوَ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ أَوْ صَاحِبَةِ الْمَالِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ كَأَنَّهُ لَا عَنَ تِلْكَ
الْمَبْغُوضَةِ فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ أَبَدَ الْآبِدِينَ .

وَتَجِدُهُ إِذَا دَعَاهُ إِنْسَانٌ جَعَلَهُ فِي لَيْلَةِ الْمَبْغُوضَةِ وَيَوْمِهَا وَالْمَفْرُوضِ أَنْ
يَسْتَعْمِلَ الْقُرْعَةَ وَإِذَا قَدِمَ أَتَى إِلَى الْمَحْبُوبَةِ وَيَخْتَارُ لَهَا الْمَسْكَنَ الطَّيِّبَ وَكَذَلِكَ
الصُّوْغَ وَالثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْأَطْيَابَ وَالْفَوَاكِهَ وَيُودِّهِ لَوْ اسْتَرَاحَ وَطَلَّقَ الْمَبْغُوضَةَ
وَلَكِنَّهُ يَخْشَى أَنْ تَتْرُكَ الْأَوْلَادَ وَتَذْهَبَ أَوْ تَسْحَبَ مَا لَهَا عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالٍ فَلِهَذَا
يُجَامِلُهَا مَعَ الْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ وَيَنْطَلِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ الْمَتْنِيِّ :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ
وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَذَا الْجَائِرُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَهُ وَلَا مِثَالَهُ بِالْمِرْصَادِ وَلِيَعْلَمَ

أَنَّ حَيْنَ الزَّوْجَةِ إِلَى زَوْجِهَا يَزِيدُ بَعْدَ زَوَاجِهِ عَلَيْهَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَاتٍ وَقَدْ
كَانَتْ قَبْلَ زَوَاجِهِ لَا تَصْبِرُ عَنْهُ سَاعَةً فَكَيْفَ تَصْبِرُ بَعْدَ الزَّوْاجِ شُهُورًا أَوْ
سَنَوَاتٍ فَأُطْلِ التَّفَكُّرَ فِي هَذَا لِتَعْلَمَ كَيْفَ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ لَعَلَّكَ تَسْلُكُ طَرِيقَ
الْعَدْلِ وَتُبْعِدُ عَنِ الْجَوْرِ وَالْجَائِرِينَ .

فِي الْحَدِيثِ إِذَا كَانَتْ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْإِسْتِقَامَةِ وَالْعَدْلِ فِيمَا وَلَّيْتَنَا عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ
دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَنَعُوذُ مِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَمَاتِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ
يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيُنَبِّغِي أَنْ يَتَخَيَّرَ الدِّينَةَ حَسَنَةً السَّيْرَةَ رَاجِحَةَ الْعَقْلِ الْمُحْسِنَةَ لِلتَّدْبِيرِ
وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الْخَرْقَاءِ وَالْبَخِيلَةِ فَكِلَاهُمَا مَا يُفْسِدَانِهِ أَكْثَرُ مِمَّا
يُصْلِحَانِهِ إِنْ حَصَلَ صَلاَحٌ وَفِيمَا قِيلَ قَدِيمًا :

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ قَهْرْمَانَةٌ فَذَلِكَ بَيْتٌ لَا أَبَا لَكَ ضَائِعٌ

آخِر :

« وَدُونَكَ بَيْتًا قَدْ تَحَلَّى بِهِ النَّهْيُ كَمَا يَتَحَلَّى مِعْصَمٌ بِسِوَارِهِ »
« إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ تُدَبِّرُهُ ضَاعَتْ مَصَالِحُ دَارِهِ »

آخر :

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُخْتَرَ لِنَفْسِكَ حُرَّةٌ
وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ الدَّنِيَّ فَرُبَّمَا
وَفِيهِنَّ مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مُعْسِرٌ
وَفِيهِنَّ مَنْ تَأْتِيهِ وَهُوَ مُيسِرٌ
وَفِيهِنَّ مَنْ لَا بَيَّضَ لِلَّهِ وَجْهَهَا
عَلَيْكَ بَيْتِ الْجُودِ خُذْ مِنْ خِيَارِهِ
تُعَارُ بِطُولٍ فِي الزَّمَانِ بَعَارِهِ
فَيُصْبِحُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي وَسْطِ دَارِهِ
فَيُصْبِحُ لَا يَمْلِكُ عَلَيْكَ حِمَارِهِ
إِذَا غَابَ عَنْهَا الزَّوْجُ طَلَّتْ لِحَارِهِ

وَوَرَدَ أَنَّ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ كَالْغُرَابِ الْأَعْصَمِ وَهُوَ أَبْيَضُ الْجَنَاحَيْنِ فَلَا
يَكَادُ يُوجَدُ إِلَّا الْقَلِيلُ وَمِنَ الصَّالِحَاتِ مَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرَجَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ
النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَدَوْدُ
وَلُودُ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ هَذِهِ يَدَيَّ فِي يَدِكَ لَا
أُكْتَحِلُ بِغَمَضٍ حَتَّى تَرْضَى » الْمَعْنَى أَنَّهَا تُرَضِّيهِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَقَدْ وَرَدَ مَا فِيهِ بَشَارَةٌ بِعَظِيمِ أَجْرِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ الْقَانِتَةِ وَنَجَاتِهَا فَمِنْهَا
مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا
وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ .

وَنَحْوُ هَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ حَبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ
أَيْمَنُ امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ وَقَالَ ﷺ مُحَذِّرًا لَهُنَّ عَمَّا فِيهِ
ضَرَرٌ عَلَيْهِنَّ أَيْمَنُ امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا كَانَتْ فِي سَخَطِ
اللَّهِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهَا أَوْ يَرْضَى عَنْهَا زَوْجُهَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ عَنْ أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ .

وقال ﷺ « إِنِّي لَا أَبْغِضُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا تَجُرُّ ذَيْلَهَا تَشْكُو زَوْجَهَا

رواه الطبراني وقال عليه السلام أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعْتَ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ .

وَقَالَ عليه السلام أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا خَرَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا سِتْرَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ .

وَأَنْ تَكُونَ طَيِّبَةً الْأَصْلَ حَسِبَةٌ لِيَكُونَ الْوَلَدُ بِإِذْنِ اللَّهِ نَجِيًّا فَانْهَ أَشْبَهَ أَهْلَهَا فَجَذَّبُوهُ بِالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ وَفِي الْخَبَرِ انْظُرْ فِي أَيِّ شَيْءٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ وَقَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ تَخَيَّرُوا لَطْفَكُمْ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَلِدْنَ أَشْبَاهَ إِخْوَانِهِنَّ وَأَخَوَاتِهِنَّ رَوَاهُ ابْنُ عَدِي وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَأَنْ تَكُونَ بَكْرًا لَمَّا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَلَّا بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ وَلِقَوْلِهِ فَهَلَّا بَكْرًا تَعُضُّهَا وَتَعُضُّكَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَاسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَعَذِبُ أَفْوَاهًا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَغَيْرُهُ وَفِي رَوَايَةٍ عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَطْيَبُ أَفْوَاهًا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الْجَمَاعِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ نِكَاحِ الْبَكْرِ أَنَّهَا تُحِبُّ الزَّوْجَ الْأَوَّلَ وَتَأْلِفُهُ فَإِنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْأَنْسِ بِأَوَّلِ مَا لَوْفٍ وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

نَقْلُ فَوَائِدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْهَوَى	مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى	وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

آخِرُ :

كَذَبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا فِي قَوْلِهِم	مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
الْحُبُّ لِلْمَحْبُوبِ سَاعَةً وَضَلِيلِهِ	مَا الْحُبُّ فِيهِ لِآخِرٍ وَلَا أَوَّلِ
مَا أَنْ أَحْنُ إِلَى خَرَابٍ مُقْفَرٍ	دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنْ لَمْ يُوهَلِ

مِقْتِي لِمَنْزِلِي الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ أَمَّا الَّذِي وَلَّى فَلَيْسَ بِمَنْزِلٍ
لَا شَكَّ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَاقَ الْبَرِيَّةَ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ
آخِر : أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَا فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْعَرَبِ « لَا تَنْسَى الشَّيْبَاءُ أَبَا عُدْرَهَا وَلَا قَاتِلَ بَكْرَهَا » .
الْمَعْنَى أَنَّهَا لَا تَنْسَى الَّذِي افْتَضَّ بَكَارَتَهَا وَلَا الَّذِي يَقْتُلُ أَوَّلَ أَوْلَادِهَا
وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمُ النِّسَاءُ ثَلَاثُ وَاحِدَةٍ لَكَ وَوَاحِدَةٌ عَلَيْكَ وَوَاحِدَةٌ لَا لَكَ
وَلَا عَلَيْكَ .

فَأَمَّا الَّتِي لَكَ فَالْبَكْرُ الَّتِي لَمْ تَرَ غَيْرَكَ إِنْ رَأَتْ خَيْرًا حَمَدَتْ اللَّهَ وَإِنْ
رَأَتْ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَتْ هَكَذَا الرَّجَالُ أَجْمَعُ .

وَأَمَّا الَّتِي لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ غَالِبًا فَالشَّيْبُ إِنْ رَأَتْ خَيْرًا قَالَتْ هَكَذَا
يَجْمُلُ بِي وَإِنْ رَأَتْ شَرًّا حَنَّتْ إِلَى الْأَوَّلِ وَلَوْ أَنَّهُ مُسِيءٌ فِيهَا وَهَذَا إِذَا كُنْتَ
أَنْتَ وَزَوْجُهَا الْأَوَّلُ مُتَقَارِبِينَ فِي السِّنِّ وَالْكَرَمِ وَالْغِنَى وَالْعَفَافِ وَإِنْ كُنْتَ
دُونَهُ سَمِعْتَ مَا يَسُوكُ وَيُؤْلِكُ وَرَأَيْتَ مَا يُحْزِنُكَ وَيُقْلِقُكَ مِنْ ذِكْرِ زَوْجِهَا
الْأَوَّلِ وَأَفْعَالِهِ لَمَزًا وَهَزَبًا وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ مُحَذِّرًا عَنْهَا :

وَلَا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيَّمَا مُجَرَّبَةً قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتْ

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ قَدْ كَرِهْتَ امْرَأَتَكَ شَيْبَتَكَ فَقَالَ إِنَّمَا مَالَتْ إِلَى الْأَبْدَالِ
لِقَلَّةِ الْمَالِ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي سِنِّ نُوحٍ وَشَيْبَةِ إِبْلِيسَ وَخِلْقَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَمَعِيَ
مَالٌ لَكُنْتُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ مُقْتَرِزٍ فِي جِهَالِ يُوسُفَ وَخُلُقِ دَاوُدَ وَسِنِّ عِيسَى
وَجُودِ حَاتِمٍ وَجِلْمِ أَحْنَفٍ .

يُرْدَنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرَحَ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ
آخِر : فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَهَا بِتَمَلُّقٍ وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بَأَنْ لَا تَفْعَلِي

ويقول القحطاني :

عَانِقُ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ فُتْيَةٍ أَنْفَاسُهَا كَرَاوِاحِ الرِّيحَانِ
أَحْذَرُكَ عَنْ نَفْسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا فَهُمَا لِحِجْمِ ضَجِيعِهَا سَقَمَانِ
وقال بعضُ العلماءِ يُكْرَهُ نِكَاحُ الْحَنَانَةِ وَالْمَنَانَةِ وَالْأَنَانَةِ وَالْحَدَّاقَةِ
وَالْبَرَّاقَةِ وَالْمَرَّاضِ .

فَالْحَنَانَةُ الَّتِي لَهَا وَلَدٌ تُحْنُ إِلَيْهِ أَوْ زَوْجٌ تُحِبُّهُ مِنْ قَبْلِكَ .
وَالْمَنَانَةُ الَّتِي تَمْنُو عَلَى زَوْجِهَا بِمَا تَفْعَلُهُ أَوْ تَبْذُلُهُ .
وَالْأَنَانَةُ كَثِيرَةُ الْأَنِينِ الْكَسْلَانَةُ .
وَالْحَدَّاقَةُ الَّتِي تَسْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ بِحَدَقَتِهَا الَّتِي تُحِبُّ أَنْ تَطْلُعَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ وَتُكَلِّفُ زَوْجَهَا .

وَالْبَرَّاقَةُ الَّتِي تَشْتَغِلُ بِتَبْرِيقِ وَجْهِهَا وَيَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا مِنْ تَحْمِيرٍ وَتَبْيِضٍ
وَتَنْمِيقٍ وَتَحْسِينٍ وَقِيلَ أَنَّهَا الَّتِي تَغْضَبُ عِنْدَ الطَّعَامِ وَلَا تَأْكُلُ إِلَّا وَحْدَهَا .
وَالشَّرَّاقَةُ كَثِيرَةُ الْكَلَامِ قَلِيلَةُ الصَّمْتِ .
وَالْمَرَّاضُ الَّتِي تَتَمَارَضُ غَالِبَ أَوْقَاتِهَا وَلَيْسَ فِيهَا مَرَضٌ إِنَّمَا تَهَرَّبُ مِنَ
الْعَمَلِ أَوْ الِاسْتِمْتَاعِ بِهَا فَهِيَ دَائِمًا تُعْبَسُ بِوَجْهِهَا مُقْطَبَةً دَائِمًا كَسْلَانَهُ تُحِبُّ
النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ .

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ
سَبِيلَ الرِّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ ﴾ وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾
وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٠﴾ وَيَقُولُ ﷺ تَرَكْتُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا لَا يَرِنُ عَنْهَا بَعْدِي هَالِكٌ وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿١١﴾ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٢﴾ وَيَقُولُ ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿١٤﴾ .

وَبِذَلِكَ قَدْ وَضَحَ الْأَمْرُ وَتَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ حُجَّةٌ لَطَالِبِ الرُّشْدِ وَلَا عُذْرٌ لِمَنْ وَقَعَ فِي الْغَوَايَةِ وَلَكِنَّ فَرِيقًا مِنَ النَّاسِ وَضَعُوا عُقُولَهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَلَمْ يُبَالُوا بِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَاتَّبَعُوا شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ فَعَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ وَاسْقَطُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ الَّذِي أَعَدَّهُمُ اللَّهُ لَهُ .

وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَعَوْا بِمَا يَضُرُّ نَفُوسَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَهُوَ شُرْبُهُمْ لِأَبِي الْخَبَائِثِ الدُّخَانِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ عَالَمٌ بِتَحْرِيمِهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ طَبِيبٌ بِمَضَرَّتِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ إِلَّا الْآيَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِأَنَّ شَارِبَهُ يَسْعَى فِي اضْغَافِ جِسْمِهِ وَالْقَضَاءِ عَلَى حَيَاتِهِ وَتَبْذِيرِ مَالِهِ وَالْمُبْدِرِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ إِسْرَافٌ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦﴾ .

وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ وَلَا يَمْتَرِي عَاقِلٌ فَضْلًا عَنْ الْعَالِمِ أَنَّهُ مِنْ قِسْمِ الْخَبَائِثِ وَلَهُ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْأَضْرَارِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ وَإِلَيْكَ تَعَدَّادُ بَعْضِ مَضَارِّهِ وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ .

١ - فَمِنْ مَضَارِّهِ الدِّينِيَّةِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ .

٢ - وَمِنْهَا أَنَّهُ تَبْذِيرٌ وَالْمُبْدِرِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ .

- ٣ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُعَدِّي أَوْلَادَهُ فَيَقْلُدُونَهُ بِشَرْبِهِ .
- ٤ - أَنَّهُ يُثْقَلُ عَلَى الْعَبْدِ الْعِبَادَاتِ وَيُبَغِّضُهَا عِنْدَهُ .
- ٥ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُبَغِّضُ إِلَيْهِ الْمُكُثَّ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْمَسْجِدِ .
- ٦ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُكْرَهُ الصِّيَامَ لِشَارِبِهِ .
- ٧ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى مُخَالَطَةِ الْأَنْذَالِ وَالسُّفْلِ .
- ٨ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُزَهِّدُ فِي مُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ .
- ٩ - وَمِنْهَا اقْتِطَاعُ جُزْءٍ مِنَ الْعُمْرِ كَبِيرٍ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ وَذَلِكَ وَقْتُ شَرْبِهِ وَشِرَائِهِ .

- ١٠ - وَمِنْهَا إِذَاءُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ فِي رَائِحَتِهِ الْكَرِيهَةِ .
- ١١ - وَمِنْهَا إِذَاءُ الْمُعَقَّبَاتِ كَذَلِكَ .
- ١٢ - وَمِنْهَا تَوْسِيخُ مَوْضِعِ قِرَاءَةِ كَلَامِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ لِأَنَّ مَحَلَّ التِّلَاوَةِ اللِّسَانَ وَالْحَلْقَ وَالصَّدْرَ وَالْذُّخَانَ يُلَوِّثُهُ .
- ١٣ - وَمِنْهَا إِذَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَالِسِينَ وَالْمَاشِينَ مَعَهُ .
- ١٤ - وَمِنْ مَضَارِّهِ الْبَدَنِيَّةِ احْتِوَاؤُهُ عَلَى مَادَةِ النِّكُوتَيْنِ السَّامَةِ وَأَنَّهُ سَبَبُ لَارْتِفَاعِ ضَغْطِ الدَّمِ .

- ١٥ - وَمِنْ مَضَارِّهِ أَنَّ شَارِبَهُ يَتَعَرَّضُ لَأَمْرَاضٍ خَطِرَةٍ كَثِيرَةٍ فِي بَدَنِهِ مِنْ ذَلِكَ تَعْسِيرُ هَضْمِ الطَّعَامِ وَإِفْسَادُ مَجَارِي الْبَوْلِ .
- ١٦ - وَمِنْهَا إِحْدَاثُ الْتِهَابِ فِي الرِّئَتَيْنِ .
- ١٧ - وَمِنْهَا إِحْدَاثُ السُّعَالِ وَكَثْرَةُ الْمُخَاطِ .
- ١٨ - وَمِنْهَا تَعْطِيلُ الشَّرَائِبِ الصَّدْرِيَّةِ وَأَوَّلُهُ تَضْيِيقُهَا .
- ١٩ - وَمِنْهَا مَا يَحْدُثُ مِنْ عُسْرِ التَّنَفُّسِ .
- ٢٠ - وَمِنْهَا التَّأْثِيرُ عَلَى الْقَلْبِ بِتَشْوِيشِ انْتِظَامِ دَقَّاتِهِ .

- ٢١ - وَمِنْهَا أَنْ شَارِبُهُ يُعَيِّنُ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ .
- ٢٢ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ الْبَصَرِ وَأَوَّلُهُ إِثَارَةُ إِفْرَازِ الدَّمُوعِ .
- ٢٣ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ شَهِيَّةِ الطَّعَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا .
- ٢٤ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ شَهْوَةِ الْجَنَاحِ أَوْ قَطْعُهَا مُفَاجَأَةً .
- ٢٥ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ السَّمْعِ .
- ٢٦ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ الْعَقْلِ إِذِ الْعَقْلُ يَضْعَفُ تَبَعُ الْجِسْمِ .
- ٢٧ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُحْدِثُ الْخَفَقَانَ فِي الْقَلْبِ .
- ٢٨ - وَمِنْهَا إِضْعَافُ الْفِكْرِ وَالْحِفْظِ فَتَضَعُفُ الذَّاكِرَةُ .
- ٢٩ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُورِثُ الْحُمُقَ وَسُرْعَةَ الْغَضَبِ .
- ٣٠ - وَمِنْهَا إِحْدَاثُهُ لِلْجُنُونِ التُّوتُونِيِّ كَمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْجُنُونُ فُنُونٌ وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَتَى بِأَلْفٍ مِنَ الرِّيَالَاتِ وَحَرَّقَهَا أَمَامَ النَّاسِ لَقَالُوا مَجْنُونٌ وَلَمْ يَشْكُوكَ وَشَارِبُ الدُّخَانِ يُحَرِّقُ آلَافًا فِي جَوْفِهِ لَا فِي الْفَضَاءِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَاَنْظُرْ وَفَكِّرْ وَاحْكُمْ أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِاطْلَاقِ الْجُنُونِ عَلَيْهِ الَّذِي يُحَرِّقُ مَالَهُ فِي الْفَضَاءِ أَمْ الَّذِي يُحَرِّقُ بِهِ بَدَنَهُ وَيُعَذِّبُ بِهِ نَفْسَهُ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ وَاتَّبَاعِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ .
- ٣١ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُخَرِّبُ كُرَيَاتِ الدَّمِ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَكْرُوبَاتِ عَنِ الْجِسْمِ .
- ٣٢ - وَمِنْهَا إِنْحِطَاطُ الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ .
- ٣٣ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مَرَضِ السَّلِّ الرَّئُويِّ .
- ٣٤ - وَمِنْهَا الْمَوْتُ بِالسَّكْنَةِ الْقَلْبِيَّةِ .
- ٣٥ - وَمِنْهَا تَقَلُّصُ الْأَوْعِيَةِ الدَّمَوِيَّةِ بِالْأَطْرَافِ .

- ٣٦ - وَمِنْهَا أَثَرُهُ الْمَحْسُوسُ فِي مَرْنِ السَّرَطَانِ .
- ٣٧ - وَمِنْهَا تَسْوِيْدُهُ الْفَمَ وَالشَّفَتَيْنِ وَالْحَلْقَ .
- ٣٨ - وَمِنْهَا تَسْوِيْدُ الْأَسْنَانِ وَسُرْعَةُ بَلَائِهَا وَتَحْطُمُهَا وَتَأْكُلُهَا بِالسُّوسِ وَذَهَابُ نَظَرِهَا وَتَكَرُّيْهَا لِنَظَرِهَا .
- ٣٩ - وَمِنْهَا انْهِيَارُ الْفَمِ وَالْبُلْعُومِ وَرُبَّمَا حَدَثَ سَرَطَانٌ فِي الْحَلْقِ بِسَبَبِهِ أَوْ شَلْلٌ فِي الْأَعْضَاءِ .
- ٤٠ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُكْرَهُ شَارِبُهُ عِنْدَ زَوْجَتِهِ وَأَهْلِهِ لِمَا يُحْدِثُهُ مِنَ الْبَخْرِ لِأَنَّهُ يُخَيِّسُ الْفَمَ وَالْأَنْفَ .
- ٤١ - وَمِنْهَا أَنَّ ضَرَرَهُ يَتَعَدَّى إِلَى الْمُجْتَمَعِ دِينِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا .
- ٤٢ - وَمِنْهَا أَنَّهُ يُحْدِثُ الْأَرْقَ وَهُوَ السَّهَرُ وَعَدَمُ النَّوْمِ فَيَتَضَرَّرُ بِهِ .
- ٤٣ - وَمِنْهَا إِضْعَافُهُ حَاسَةَ الشَّمِّ وَرَبَّمَا تَعَطَّلَتْ كُلِّيًّا بِسَبَبِهِ .
- ٤٤ - وَمِنْهَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحَرَائِقِ تَحْدُثُ بِسَبَبِهِ .
- ٤٥ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهُ يُوَلِّدُ الْبَاسُورَ وَيَزْدَادُ نَعَهُ إِنْ كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلِ شُرْبِهِ .
- ٤٦ - وَمِنْهَا أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ لَا يَقْبَلُ شَهَادَتَهُ لِأَنَّهُ يَعْتَبِرُهُ فَاسِقًا بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .
- ٤٧ - وَمِنْهَا أَنَّهَا لَا تَصِحُّ إِمَامَتُهُ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ .
- ٤٨ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْأَطْبَاءِ مِنْ أَنَّهُ يُحْدِثُ تَيُّسًا فِي الْكَبِدِ وَأَنَّهُ مِنْ أَهَمِّ الْمُسَبِّبَاتِ لِلْقَرْحَةِ الْمِعْوِيَّةِ .
- ٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهُ يُحْدِثُ الْفَالِجَ .

٥٠ - وَمِنْهَا أَنَّ شَارِبَهُ يُجْلَدُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ
كَالْخَمْرِ وَفِيهِ مَضَارٌّ أُخْرَى ذَكَرَهَا الْأَطْبَاءُ تَرْكُهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ .

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَنْ شُرْبِهِ قَبْلَ أَنْ
يَمُوتَ بِسَبَبِهِ فَيَكُونُ قَدْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ ، يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ مَنْ
دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلِّ مِنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مَنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا
جَمِيعَ الزَّلَّاتِ ، وَاسْتَرْعِلْنَا كُلَّ الْخَطِيئَاتِ وَسَامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ
وَالْمُنَاقَشَاتِ ، وَانْفَعْنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْزَلْتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ

(فَضْلٌ)

وَمِمَّا لَا يُسْتَهَانُ بِهِ وَيَحْرَصُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةُ ذَاتُ دِينٍ شَرِيفَةٍ فَإِنَّ
الشَّرِيفَةَ غَالِبًا تُحَافِظُ عَلَى شَرَفِهَا وَسُمْعَتِهَا وَتُبْعِدُ عَمَّا يَدْنُسُ الشَّرَفَ وَقَدْ قَالَ
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِرَجُلٍ أَشْرَ عَلَيَّ فِيمَنْ أَسْتَعْمِلُ فَقَالَ أَمَّا أَرْبَابُ الدِّينِ فَلَا
يُرِيدُونَكَ وَأَمَّا أَرْبَابُ الدُّنْيَا فَلَا تُرِيدُهُمْ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْأَشْرَافِ فَإِنَّهُمْ يَصُونُونَ
شَرَفَهُمْ عَمَّا لَا يَصْلَحُ .

وَرَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ دَعَانِي الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ الْحَمَامَ
ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَا بِي وَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ إِنْ
أَخِي الْمَأْمُونُ اصْطَنَعَ فَأَنْجَبُوا وَاصْطَنَعْتُ أَنَا مِثْلَهُمْ فَلَمْ يُنْجِبُوا قُلْتُ وَمَنْهُمْ قَالَ
اصْطَنَعَ طَاهِرَ وَابْنَهُ وَإِسْحَاقَ وَآلَ سَهْلٍ فَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ هُمْ وَاصْطَنَعْتُ أَنَا
الْأَفْئِسِينَ فَقَدْ رَأَيْتَ إِلَى مَا آلَ أَمْرُهُ وَأَسَاسُ فَلَمْ أَجِدْهُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ أَنْبَاخَ
وَوَصِيفَ .

قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَهُنَا جَوَابٌ عَلَى أَمَانٍ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ لَكَ ذَلِكَ

قُلْتُ نَظَرَ أَخُوكَ إِلَى الْأُصُولِ فَاسْتَعْمَلَهَا فَانْجَبَتْ فُرُوعُهَا وَاسْتَعْمَلَتْ فُرُوعاً لَا
أُصُولَ لَهَا فَلَمْ تُنْجِبْ فَقَالَ يَا أَبَا اسْحَاقَ مُقَاسَاةُ مَا مَرَّبِي هَذِهِ الْمُدَّةُ أَهْوَنُ عَلَيَّ
مِنْ هَذَا الْجَوَابِ أ هـ .

وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ عَابَ يَوْمًا عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا
كَمَا يُحِبُّ فَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرَ إِنَّكَ عَمَدْتَ إِلَى فَاسِقِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ
فَأَوْعَيْتَ فِيهِمْ بَضْعَكَ ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ يُنْجِبُوا وَإِنَّمَا نَحْنُ لِصَاحِبَاتِ الْحِجَارِ هَلَّا
فَعَلْتَ فِي وَلَدِكَ مَا فَعَلَ أَبُوكَ فِيكَ حِينَ اخْتَارَ لَكَ عَقِيلَةَ قَوْمِهَا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ خَوْفًا مِنْ عَدَمِ الْعَدْلِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ
تَعْدِلُوا بَيْنَ وَلَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمعلقة﴾ .

وَلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمُلْكِ الْيَمِينِ فَلَهُ أَنْ
يَتَسَرَّى بِمَا شَاءَ مِنَ الْإِنَاءِ وَإِنْ أَرَادَ اصْطِحَابَ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فِي سَفَرِهِ أَقْرَعَ
بَيْنَهُنَّ وَمَدَحَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ زَوْجَتَهُ وَبَالِغَ فِي مَدْحِهَا فَقَالَ :

مُكَمَّلَةُ الْأَوْصَافِ خُلُقًا وَخِلَقَةً
فَأَهْلًا بِهَا أَهْلًا وَسَهْلًا بِهَا سَهْلًا
وَدُودٌ وَلُودٌ حُرَّةٌ قُرَشِيَّةٌ
مُخَدَّرَةٌ مَعَ حُسْنِهَا تُكْرِمُ الْبَعْلًا
وَبَاذِلَةٌ نَظِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ
مِنْ أَظْرَفِ إِنْسَانٍ وَأَحْسَنِهِمْ شَكْلًا
شُكُورٌ صُبُورٌ حُلُوءَةٌ وَفَصِيحَةٌ
وَمُتَّقِنَةٌ تُتْقِنُ الْفُؤُولَ وَالْفِعْلًا

تَغَارُ مِنْ أَسْبَابِ النَّقَائِصِ كُلِّهَا
وَتَحْفَظُ مَالَ الزَّوْجِ وَالنَّفْسَ وَالْأَهْلَ
حَصَانُ رَزَانُ لَيْسَ فِيهَا تَكَبُّرُ
قُنُوعٌ فَلَا شَرِبُ يَدُومُ وَلَا أَكْلَ
مُطَاوَعَةٍ لِلْبَعْلِ يَقْضِي أُدْيِيَّةُ
مُوَافَقَةٌ قَوْلًا وَفِعْلًا فَمَا أَعْلَا
صَغِيرَةٌ سِنَّ فِي الْكَلَامِ كَبِيرَةٌ
نُهَاهَا يُرَى مُمْتَازٌ أَكْرَمُ بِهِ عَقْلًا
يُشِيرُ عَلَيْهَا بِالتَّفَرُّجِ مَرَّةً
فَتَأْتِي وَقَعْرُ الْبَيْتِ فِي عَيْنِهَا أَحْلَا
مُدَارِيَّةٌ لِلْأَهْلِ إِنْ عَتَبَتْ وَإِنْ
أَحَبَّتْ فَلَا حِقْدٌ لَدَيْهَا وَلَا زِلَا
رَقِيقَةٌ قَلْبٍ مَعَ سَلَامَةٍ دِينِهَا
فَلَسَتْ تَرَى شِبْهًا لَهَا فِي النِّسَاءِ أَضْلَا
خَدُومٌ بِقَلْبٍ فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا
مُبَاشِرَةٌ لِلْكُلِّ مَا دَقَّ أَوْ جَلَا
مُلَازِمَةٌ لِلشُّغْلِ فِي الْبَيْتِ دَائِمًا
عَلَى صِغَرٍ مِنْ سِنَّهَا لَا تَنِي فِعْلًا
مُطَرِّزَةٌ خِيَاطَةً ذَهَبِيَّةُ
مُفَصِّلَةٌ خَطَّاطَةٌ تُحْكِمُ الْغَزْلَا
تَنْقُلُ فِي الْأَشْغَالِ مِنْ ذَا لِدَا وَذَا
وَتَفْعَلُ حَتَّى الْكَنْسَ وَالطَّبْخَ وَالْغَسْلَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ عُدْمٍ فَلَمْ يَخُلْ بَيْتُهَا
مِنْ امْرَأَةٍ تَكْفِي إِذَا شَاءَتِ الْفِعْلَا
وَلَكِنَّهَا اعْتَادَتْ نَظَافَةً شُغْلَهَا
فَعَافَتْ فِعَالِ الْكُلِّ وَاحْتَمَلَتْ فِعْلَا
خَفِيفَةً رُوحٍ مَعَ وَقَارٍ ذَكِيَّةٍ
فَتَفَهُمُ مَا يُلْقَى لَدَيْهَا وَمَا يُتْلَى
لَهَا هِمَّةٌ عَلِيًّا تَطُولُ شُرُوحَهَا
عَلَى صَعَبِ الْأَشْغَالِ تَتْرُكُهُ سَهْلَا
مُرَبِّيَّةٌ حَنَانَةٌ ذَاتُ رَحْمَةٍ
وَكُلُّ يَتِيمٍ وَاحِدٍ عِنْدَهَا فَضْلَا
نُفُورٌ إِذَا ارْتَابَتْ أُلُوفٌ لِأَهْلِهَا
فَمَهْلًا إِذَا قِيسَ النِّسَاءُ بِهَا مَهْلَا
عَدِيمَةٌ لَفْظٍ وَالتِّفَاتِ إِذَا مَشَتْ
صُمُوتٌ فَلَا قَطْعًا تَرُدُّ وَلَا وَضْلَا
وَلَمْ يَنْكَشِفْ مِنْهَا بَنَانٌ يَحَارُ مَنْ
مَشَى مَعَهَا فِي حِفْظِهَا يَدَهَا قَبْلَا
يَعِزُّ عَلَى مَنْ يَطْرُقُ الْبَابَ لَفْظُهَا
جَوَابًا فَلَا عَقْدًا تَرَاهُ وَلَا حَلًّا
يُطِيلُ وَقُوفًا لَا يُجَابُ مُحَرَّمٌ
عَلَيْهَا كَلَامُ الْأَجْنَبِيِّ وَإِنْ قَلَّا
وَحَافِظَةٌ لِلْغَيْبِ صَالِحَةٌ أَتَتْ
لِحَقٍّ إِذَا كَانَتْ مَنَاقِبُهَا تُتْلَا

وَقَانِنَتُهُ صَوَامَةً وَمُذِلَّةُ

بِعَقْلِ وَتَذْيِيرِ تَرَاهُ الْعِدَا بُخْلًا
تَجْمَعُ فِيهَا عِفَّةٌ وَنَزَاهَةٌ .
وَعِزَّةُ نَفْسٍ فِيهَا تَكْلًا وَلَا تُقْلًا

قُلْتُ مَا أَظُنُّ مِثْلَ هَذِهِ وَجِدْتُ وَلَا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ أَوِ الْخَامِسِ فَضْلًا
عَمَّا بَعْدَهُمَا وَخُصُوصًا فِي زَمَنِنَا الَّذِي اسْتَطَالَتْ فِيهِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ بَعْدَ
مُخَالَطَةِ الْأَجَانِبِ الْخَاضِعِينَ لَهُنَّ وَاسْتَعْمَرَ النِّسَاءُ الرِّجَالَ اسْتِعْمَارًا مَا بَعْدَهُ
اسْتِعْمَارٌ وَصَارَ الزَّوْجُ بِالنِّسْبَةِ لِشُؤْنِ الْأَوْلَادِ وَالْبَيْتِ وَالذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ مُسِيرًا
لَا مُخِيرًا كَالسِّيَّارَةِ بِيَدِ السَّائِقِ وَالْمَلْعَقَةِ بِيَدِ الْآكِلِ وَالْقَلَمِ بِيَدِ الْكَاتِبِ هِيَ
الَّتِي تَدِيرُهُ وَتُصَرِّفُهُ كَالصَّبِيِّ الْخَادِمِ .

وإن وُجِدَ أَحَدٌ خِلَافَ مَا ذَكَرْنَا فَهُوَ مِنَ النَّادِرِ وَالشَّاذِ وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ فِي
ذَلِكَ هُوَ تَقْلِيدُنَا لِلْأَجَانِبِ الَّذِينَ هُمْ فِي أَيْدِي نِسَائِهِمْ كَالْخَاتَمِ تُصَرِّفُهُ كَيْفَ
شَاءَتْ يَتَّبِعُهَا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ سَارَ خَلْفَهَا حَامِلًا لَوْلَدِهَا قَدْ نَبَذَ الْحَيَاءَ كَمَا نَبَذَتْهُ
هِيَ بِدُونِ مَبَالَيْتٍ وَلَا خَجَلٍ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .
اللَّهُمَّ اأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ طَغَتْ شَهْوَةُ الْفَرْجِ الْيَوْمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ طُغْيَانًا لَيْسَ
فَوْقَهُ طُغْيَانٌ وَأَصْبَحَ سُلْطَانُهَا عَلَى أَفْرَادِهِ شَيْبًا وَشُبَّانًا لَا يُدَانِيهِ سُلْطَانٌ حَتَّى إِنَّهُ
لَيُخَيِّلُ إِلَى بَعْضِهِمْ أَنَّ فَاحِشَةَ الزِّنَا بَسِيطَةٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ وَأَنَّ مُغَازَلَةَ النِّسَاءِ
وَالْخُلُوعَ بِهِنَّ مُبَاحَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

يَذُكُّكَ عَلَى ذَلِكَ مَا تَشَاهِدُهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَتَرَى الرِّجَالَ فِي تَأْنِقِ
بَدِيعٍ فِي لِبَاسِهِمْ قَدْ حَلَقُوا لِحَاهُمْ وَأَلْهَبُوا الْأَصْبَاغُ فِي وَجَنَاتِهِمْ وَذَكَّتْ
رَوَائِحُهُمْ وَرَجَّلُوا شَعْرَ رُؤُوسِهِمْ وَتَعَرَّضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ قَدْ خَلَعُوا سِرْبَالَ
الْحَيَاءِ .

وَتَرَى النِّسَاءَ تَسْتَعِدُّ اسْتِعْدَادًا تَامًا إِذَا أَرَادَتِ الْخُرُوجَ مِنْ بَيْتِهَا فَتَتَزَيَّنُ
بِأَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ مِنْ لِبَاسٍ بَرَّاقٍ وَشَفَّافٍ وَمِنْ حُلِيِّ يَلْمَعُ لَمَعَانًا يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ
وَمِنْ تَعَطُّرٍ بِمَا تَهْزَأُ رَائِحَتُهُ بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ وَمِنْ أَدْهَانٍ تَدْهُنُ بِهِ وَجْهَهَا وَأَطْرَافَهَا
وَحَاجِبَتَهَا وَشَفَتَيْهَا وَمِنْ آلَةٍ تَفَرِّقُ بَيْنَ رَأْسِهَا وَجُفُونِهَا لِيَصِيرَ نَاعِمًا لَامِعًا كَثِيرًا
وَبِذَلِكَ تَنْقَلِبُ فِتْنَةً لِلنَّاظِرِينَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَشُقُّ عَلَى الْعُيُونِ رُؤْيُهَا
وَعَلَى الْأَذَانِ سَمَاعُ صَوْتِهَا وَيُفَرُّ مِنْ شَهَابَتِهَا وَقُبْحِهَا وَهَيْئَتِهَا الَّتِي كَانَتْ تَتَقَدَّمُ
بِهَا لِرُؤُوسِهَا فِي الْبَيْتِ كُلِّ ذَلِكَ سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ الْأَجْنَبِيَّاتِ أَبْعَدُهُنَّ اللَّهُ .

فَمَا ظَنُّكَ إِذَا التَّقَا هُوَ لَا إِنْهَا لِمَصَائِبُ تَجْرَحُ قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ غَيُورٍ
لِدِينِهِ يَمُوتُ كَمَدًا مِنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَشْبَاهِهَا قَالَ ﷺ مُحَذِّرًا عَنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ
« اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ إِبْلِيسَ طَلَّاعَ رَصَادٍ وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُخُوحِهِ
بِأَوْثَقٍ لِمَصِيدِهِ فِي الْأَتْقِيَاءِ مِنَ النِّسَاءِ » .

وَخَصَّ الْأَتْقِيَاءَ لِمَا لَهُمْ مِنَ الشُّهْرَةِ عَلَى قَهْرِ الشَّيْطَانِ وَرَدَّ كَيْدِهِ فَمَا
ظَنُّكَ بِغَيْرِ الْأَتْقِيَاءِ فَهُوَ مَا يَثِقُ بِصَيْدِهِ الْأَتْقِيَاءَ بِشَيْءٍ مِنْ آلَاتِ الصَّيْدِ وَثُوقُهُ
بِالنِّسَاءِ وَكَوْنِهِنَّ مِنْ فُخُوحِهِ فَلَأَنَّهُ جَعَلَهُنَّ مَصِيدَةً لَا تُفْلِتُ يُزَيِّنُهُنَّ فِي قُلُوبِ
الرِّجَالِ وَيُغْرِيهُمْ بِهِنَّ فَيُورِطُهُمْ فِي الزَّانَا كَصَائِدٍ يَنْصِبُ شَبَكَةً لِيَصْطَادَ بِهَا
وَيُغْرِى الصَّيْدَ عَلَيْهَا لِيَقَعَ فِي حَبَائِلِهَا .

قَالَ ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزَّيْنَةِ وَالتَّبَخُّرِ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبَسَ نِسَاؤُهُمُ الزَّيْنَةَ وَتَبَخَّرَنَ فِي الْمَسَاجِدِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَيُنَادِي مَلَكَانِ وَبَلٌّ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُذْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ قَالَ أَبُو حَمْزَةَ الْخُرَاسَانِيُّ النَّظَرُ رَسُولُ الْبَلَايَا وَسِهَامُ الْمَنَايَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلُهُ افْتَضَحَ وَمَنْ غَضَّ طَرْفَهُ اسْتَرَاخَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا شَيْءَ أَشَدَّ مِنْ تَرْكِ الشَّهْوَةِ لِأَنَّ تَحْرِيكَ السَّاكِنِ أَيْسَرُ مِنْ تَسْكِينِ الْمُتَحَرِّكِ .

وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِّ قَالَ صَاحِبُ الْأَنْوَارِ احْذَرُوا الْاِغْتِرَارَ بِالنِّسَاءِ وَإِنْ كُنَّ نُسَاكًا عُبَادًا فَإِنَّهُنَّ يَرْكَنْنَ إِلَى كُلِّ بَلِيَّةٍ وَلَا يَسْتَوْحِشْنَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ مَا أَيْسَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِنْسَانٍ قَطُّ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ لِأَنَّ حَبْسَ النَّفْسِ مُمَكِّنٌ لِأَهْلِ الْكَمَالِ إِلَّا عَنْ النِّسَاءِ لِأَنَّهُنَّ مِنْ ذَوَاتِ الرِّجَالِ وَشَقَائِقِهِمْ وَلَسْنَ غَيْرًا حَتَّى يُمَكِّنُ التَّبَاعُدُ عَنْهُ وَالتَّحَرُّرُ عَنْهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا »
وَمَا عَدَاهُنَّ فَاتَّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ فِيهِ آيَةٌ تَكْذِيبِ الرَّحْمَنِ وَعَلَامَةٌ الاسْتِرْسَالِ مَعَ
الشَّيْطَانِ وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا يُزَيِّنُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ .

وَلِذَا نَرَى الْحَازِمَ اللَّيِّبَ الْكَامِلَ مُنْقَادًا مُسْتَرْسِلَ الزَّمَامِ لِيَتْلِكَ
النَّاقِصَاتِ دِينًا وَعَقْلًا مَقْهُورًا تَحْتَ حُكْمِهِنَّ قَالَ جَرِير :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَا يُحْيِينَا قَتْلَانَا
يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ
وَهُنَّ أضعْفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا

فَالنِّسَاءُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِلرِّجَالِ فَالَّذِي يَقْوَى عَلَى قَهْرِ نَفْسِهِ عَنْ هَوَاهَا أَمَامَ
هَذِهِ الشَّهْوَةِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُلْزِمُهَا الصَّبْرَ وَعَدَمَ التَّسَخُّطِ عِنْدَ فَادِحَاتِ
الْمَصَائِبِ رِضًى بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ وَأَجْرَاهُ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ إِيْمَانِهِ بِخِلَافِ الْمُتَّبِعِ
لِهَوَاهُ عَادِمِ الصَّبْرِ وَالْاِحْتِسَابِ وَهَذَا هُوَ الْمِيزَانُ عِنْدَ الْاِخْتِبَارِ .

قال بعضهم :

وَعَبْدُ الْهَوَى يَمْتَنَزُّ مِنْ عَبْدٍ رَبِّهِ
لَدَى شَهْوَةٍ أَوْ عِنْدَ صَدْمٍ بَلِيَّةٍ
يَكْبُرُ الْبَلَاءُ يَبْدُو مِنَ التَّبَرُّ حُسْنُهُ
وَيَبْدُو نُحَاسُ النُّحْسِ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ
خَلَا مِنْ حُلَى قَوْمٍ كِرَامٍ تَذَرُّعُوا
دُرُوعَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ فِي كُلِّ شِدَّةٍ

وَلَا قُوا طِعَانَ النَّفْسِ فِي مَعْرِكِ الْهَوَى
وَرَاحُوا وَقَدْ أَرَزُوا مَوَاضِي الْأَسِنَّةِ
وَسَاقُوا جِيَادَ الْجِدِّ عِنْدَ اشْتِيَاقِهِمْ
وَأَرْخَوْ لَهَا نَحْوَ الْعُلَا لِإِلَاعِنَةِ
سَمَوَا فَاغْتَلَوْا بِبُضِّ الْمَعَالِي عَوَالِيَا
بِبُضِّ الْعَوَالِي فِي الْقُصُورِ الْعَلِيَّةِ
مَقَامَاتِ قَوْمٍ اتَّعَبُوا النَّفْسَ فِي السَّرَى
وَفَارَزُوا بِمَا نَالُوهُ فَوْقَ الْأَسِرَّةِ
بِذُلِّ أُيْلُوا الْعِزِّ وَالْجُهْدِ رَاحَةً
وَفَقْرٍ غِنَى وَالْحُزْنَ كُلَّ مَسْرَةٍ
وَطَيِّبَ عَيْشٍ بِالطُّوَى ثُمَّ بِالظُّمَّا
شَرَابَ كُؤُوسِ حَالِيَاتِ هَنِيئةِ
بِجَنَاتِ عَدْنٍ فِي رِيَاضِ أَيْقَةِ
لَهُمْ ذُلَّتْ مِنْهَا قُطُوفٌ تَذَلَّتْ
جَنَوا مِنْ جَنَاهَا زَاكِيَا لَا يَذُوقُهُ
مِنْ الْخَلْقِ إِلَّا كُلُّ نَفْسٍ زَكِيَّةِ
تَسَلَّتْ عَنِ الدُّنْيَا وَمَاتَتْ عَنِ الْهَوَى
وَعَسَّلَهَا فِي مَوْتِهَا مَاءُ دَمْعَةٍ
وَصَلَّتْ عَلَيْهَا صَالِحَاتُ فِعَالِهَا
وَقَدْ كُفِّنَتْ فِي بَيْضِ أَثْوَابِ تَوْبَةٍ
وَنَالَتْ مِنْهَا السَّعَادَاتِ كُلَّهَا
فَيَا سَعْدَ نَفْسٍ أَدْرَكْتُ مَا تَمَنَّتْ

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاحْرَصْ كُلَّ الْجَرْمِ عَلَى صِيَانَةِ أَهْلِكَ فِي هَذَا الزَّمَنِ
وَأَمَّا فِي الْبُيُوتِ فَمُتَمَرِّدَاتٌ عَلَى الرِّجَالِ لَا يَهْدَأْنَ لَيْلاً وَلَا نَهَاراً مِنْ
الْمُشَاغِبَاتِ وَالتَّدْخُلِ فِيمَا لَا يَغْنِي حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَكْرَهُ دُخُولَ بَيْتِهِ لِأَنَّهَا مِنْ
الْمُؤْذِيَّاتِ لَا يَنْتَهِي ذَلِكَ الشَّغْبُ فِي يَوْمٍ وَلَا أُسْبُوعٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا سَنَةٍ .

كُلَّ يَوْمٍ تَجَدَّدُ مُحَاضِرَاتُ الْمُشَاغِبَةِ فَقَاتِلَهُنَّ اللَّهُ مَا لِلْوَثَمِ مَعَ
الرِّجَالِ حَدٌّ تَقِفُ عِنْدَهُ أُولَئِكَ اللَّيِّمَاتِ وَصَارَ الرَّجُلُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهَا مِنْ
الْخُرُوجِ إِلَى الْأَسْوَاقِ وَلَا مِنَ الْجُلُوسِ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ الَّذِي حَطَّمَ
الْأَخْلَاقَ وَالْعَقَائِدَ وَالْأَدْيَانَ وَقَتَلَ الْغَيْرَةَ الدِّينِيَّةَ وَالْمَرْوَةَ وَسَبَّبَ الْإِنْجِلَالَ
وَالْتُمِيعَ فِي الْعَائِلَاتِ وَخَدَّرَ أَغْصَابَ الْأَبَوَيْنِ وَانْتَزَعَ السُّلْطَةَ مِنْهُمَا وَسَبَّبَ
نُشُوزَ الزَّوْجَةِ عَنْ زَوْجِهَا وَالزَّوْجَ عَنْ زَوْجَتِهِ وَدَلَّ النَّاسَ عَلَى طُرُقِ الْمَكْرِ
وَالْحِيلِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى النَّاسِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ احْتِقَارِ
الْمُسْلِمِينَ وَخُصُوصاً عُلَمَاؤَهُمْ وَأَبْطَالَهُمْ وَتَعْظِيمِ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالنَّظَرِ
إِلَى الْأَجْنَبِيَّاتِ وَنَزَعَ الْحَيَاءَ وَالْعِفَّةَ وَالتَّشَبُّهَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَالسَّيْرِ فِي رِكَابِهِمْ
وَضِيَاعِ الْأَوْقَاتِ فِيمَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَضَارِّ الَّتِي فِيمَا أَظُنُّ
تَزِيدُ عَلَى الْمَائَتَيْنِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

شعراً :

أَلَا أَتَيْنَ أَرْيَابُ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى	أَلَا قِفْ بَدَارِ الْمُتَوَفِينَ وَقُلْ لَهُمْ
وَمَنْ عَانَقَ الْبَيْضَ الرَّعَائِبَ كَالدُّمَى	وَأَيْنَ الْمُلُوكُ النَّاعِمُونَ بِغُبَطَةٍ
لَكَ الْخَيْرُ صَارُوا لِلتُّرَابِ وَلِلْبَلَى	فَلَوْ نَطَقَتْ دَارٌ لَقَالَتْ دِيَارَهُمْ
فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَيَّامِ كَهْلٌ وَلَا فَتَى	وَأَفْنَاهُمْ كَرُّ النَّهَارِ وَلَيْلُهُ

آخر :

بِضَاعَةِ الْعُمْرِ الْمَاضِي يُفُوزُ بِهَا
يَا نَفْسُ ضَيِّعِي رَأْسَ الْمَالِ فِي غَلَطٍ
يَا ضَيِّعَتِ الْعُمْرَ مَاضٍ مَا تَنْفَعُ بِهِ
مَنْ يَقْطَعُ الدَّهْرَ فِي عَزْمٍ وَتَشْمِيرٍ
فَمَرَّ عُمْرُكَ فِي سَهْوٍ وَتَبْذِيرٍ
وَلَا حَصَلَتْ عَلَى الْبَاقِي بِتَذِيرٍ

آخر :

وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ
لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

آخر :

وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ
وَلَكِنَّهَا مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ أَقْحَطَتْ
سَحَائِبُهَا بِالذَّمِّ دِيمًا وَهَاطَلَا
فَيَا ضَيِّعَتِ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلًا

آخر :

فَيَا أَسَفَا يَا حَسْرَتَا يَا مُصِيبَتَا
وَيَا ضَيِّعَةَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ الْمَنَاقِرِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاحْمِئْنَا مِنَ الْفِتَنِ وَالطُّغْيَانِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ يُلْزَمُ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مُعَاشَرَةَ الْآخَرِ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الصُّحْبَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَكَفَّ

الأذى ، وأن لا يَمْطُلُهُ بِحَقِّهِ ، مَعَ قُدْرَتِهِ ، وَلَا يُظْهِرُ الْكَرَاهَةَ لِبَذْلِهِ ، بَلْ يَبْشُرُ
وطلاقة ، وَطِيبَ نَفْسٍ ، وَلَا يُتْبِعُهُ مَنَّةً ، وَلَا أذى ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْمَعْرُوفِ
المأمور به .

لِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » وَقَوْلُهُ « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ » قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أُتَزَّيْنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَّيَّنَ
لِي ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ » .

وَحَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّهَا عَلَيْهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى
« وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » .

وَلِقَوْلِهِ ﷺ لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ
لِأَزْوَاجِهِنَّ ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا . لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى
تُصْبِحَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ
فَلَمْ تَأْتِهِ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ .

وَفِي لَفْظٍ قَبَاتَ وَهُوَ عَلَيْهَا غَضَبَانُ ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ ،
وَلَفْظُ الصَّحِيحِينَ أَيْضاً إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ
الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا زَوْجُهَا .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً
وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةُ الْعَبْدِ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ فَيَضَعُ يَدَهُ
فِي أَيْدِيهِمْ وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا ، وَالسَّكَرَانُ حَتَّى

يَصْحُوا .

وَقَالَ ﷺ لَا تُؤْذِيْ إِمْرَأَةً زَوْجَهَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلَكَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ قَالَ زَوْجُهَا قُلْتُ فَأَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الرَّجُلِ قَالَ أُمُّهُ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالْحَاكِمُ .

وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ حَدَّثَنِي مِنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ ، أَوَّلُ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ الْمَرْأَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَنْ صَلَاتِهَا وَعَنْ بَعْلِهَا .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ ، فَإِنِّي امْرَأَةٌ أَيْمٌ فَإِنْ اسْتَطَعْتُ وَالَا جَلَسْتُ أَيْمًا قَالَ إِنَّ حَقَّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ إِنْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ أَنْ لَا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا .

وَمِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَا تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلَتْ جَاعَتْ وَعَطِشَتْ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ، وَلَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلَتْ لَعَنَتْهَا مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، حَتَّى تَرْجِعَ ، قَالَتْ لَا جَرَمَ وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ ، مَا رَوَاهُ الْبَزَّازُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَافِدَةٌ

النِّسَاءِ إِلَيْكَ ، هَذَا الْجِهَادُ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى الرِّجَالِ ، فَإِنْ أَصِيبُوا أُجِرُوا ، وَإِنْ قُتِلُوا كَانُوا أَحْيَاءَ عِنْدَ اللَّهِ يُرْزَقُونَ .

وَنَحْنُ مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، نَقُومُ عَلَيْهِمْ فَمَا لَنَا مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلَّغِي مَنْ لَقِيتِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ وَاعْتِرَافًا بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ وَقَلِيلٌ مِنْكُمْ مَنْ يَفْعَلُهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ ، حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى رَجُلٌ بِابْنَتِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّ ابْنَتِي هَذِهِ أَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطِيعِي أَبَاكَ فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ قَالَ حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ لَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا ، أَوْ تَنَثَّرَ مَنْجَرَاهُ صَدِيدًا وَدَمًا ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ ، مَا أَدَتْ حَقَّهُ ، قَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا تُنكِحُوهُنَّ إِلَّا بِإِذْنِهِنَّ رَوَاهُ الْبَزَارُ وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَقَالَتْ عَمَّةُ حُصَيْنِ بْنِ مُحْصَنِ وَذَكَرَتْ زَوْجَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ انْظُرِي مِنْ أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ جَنَّتُكَ وَنَارُكَ أَخْرَجَهُ النِّسَائِي .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ لَوْ تَعْلَمْنَ بِحَقِّ أَزْوَاجِكُنَّ عَلَيْكُنَّ لَجَعَلْتُ الْمَرْأَةَ مِنْكُمْ تَمْسَحُ الْعُبَارَ عَنْ قَدَمَيْ زَوْجِهَا بِخَدِ وَجْهِهَا .

وَقَالَ ﷺ نِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوُدُودُ الَّتِي إِذَا أُوْذِيَتْ أَوْ آذَتْ أَتَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَضَعَ يَدَهَا فِي كَفِّهِ فَتَقُولُ لَا أَذُوقُ غَمَضًا حَتَّى تَرْضَى .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ زَوْجَهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ .

وجاء عنه عليه السلام أنه قال إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب .

وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة لا تؤدي حق زوجها كله ولو سألها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها رواه الطبراني باسناد جيد .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤسهما عبد أبى من مواليه حتى يرجع وامرأة عصت زوجها حتى ترجع .

وعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه ، غير الجن والإنس ، حتى ترجع رواه الطبراني في الأوسط .

وعن طلح بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنوير رواه الترمذي وقال حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا قال يا رسول الله قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك .

قال فلا تفعل فإنني لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

وقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت

الْمَرْأَةُ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا وَلَا تَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ .
 وَقَالَ ﷺ لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ تَأْذَنَ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ كَارِهِ وَلَا تَخْرُجَ وَهُوَ كَارِهِ وَلَا تُطِيعُ فِيهِ أَحَدًا وَلَا تَعْرِزَ فِرَاشَهُ وَلَا تَضْرِبَهُ فَإِنْ كَانَ هُوَ أَظْلَمَ فَلَتَاتِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهَا فِيهَا وَنِعَمْتَ وَقَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهَا وَأَفْلَحَ حُجَّتُهَا وَلَا إِثْمَ عَلَيْهَا وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْضَ فَقَدْ أَبْلَغْتَ عِنْدَ اللَّهِ عُذْرَهَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

إِذَا عَلِمَ مَا سَبَقَ فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَطْلُبَ رِضَا زَوْجِهَا وَتَجْتَنِبَ سُخْطَهُ وَلَا تَمْتَنِعَ مِنْهُ مَتَى أَرَادَهَا وَهِيَ طَاهِرَةٌ وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَدِّرَ كَائِنًا كَمَمْلُوكَةٍ لِلزَّوْجِ فَلَا تَتَصَرَّفَ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

وَتُقَدِّمُ حَقَّهُ عَلَى حَقِّهَا وَحُقُوقَ أَقَارِبِهِ عَلَى حُقُوقِ أَقَارِبِهَا وَتَكُونُ مُسْتَعِدَّةً لِتَمَتُّعِهِ بِهَا بِجَمِيعِ أَسْبَابِ النِّظَافَةِ وَلَا تَفْتَخِرُ عَلَيْهِ وَلَا تَتَطَاوَلُ عَلَيْهِ بِرَفْعِ صَوْتِهَا كَمَا تَفْعَلُهُ ضَعِيفَاتِ الدِّينِ سَخِيفَاتِ الْعُقُولِ الْمُلْسِنَاتِ الْفَاهِرَاتِ اللَّاتِي يَحْمِلُ أَرْوَاجَهُنَّ هَمًّا عَظِيمًا إِذَا أَرَادَ دُخُولَ بَيْتِهِ خَوْفًا مِنْ شُرُورِهِنَّ وَالسِّيْتِهِنَّ وَمَا أَكْثَرُخَنَ فِي الزَّمَنِ .

وَيَجِبُ عَلَيْهَا أَيْضاً دَوَامُ الْحَيَاءِ مِنْ زَوْجِهَا وَغَضُّ طَرْفِهَا قَدَامِهِ وَلَا تَفْعَلْ
قَدَامَهُ مَا يُكْرَهُهَا عِنْدَهُ وَلَا تُسْمِعْهُ مَا يُنْغِصُ عَلَيْهِ عَيْشَهُ وَيُكَدِّرُ خَاطِرَهُ وَتُطِيعْهُ إِذَا
أَمَرَهَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

وَتَسْكُتُ عِنْدَ كَلَامِهِ وَلَا تُنَازِعُهُ الْقَوْلَ وَلَا تَتَدَخَّلُ فِيْمَا لَا يَعْنِيْهَا لِئَلَّا
يَحْصُلَ فِرَاقٌ وَتَبْتَعِدُ عَنْ كُلِّ مَا يُسْخِطُهُ وَتَقُومُ مَعَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ .

وَتَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ عِنْدَ النَّوْمِ وَتَتَجَنَّبُ خِيَانَتَهُ فِي غَيْبَتِهِ وَفِي حُضُورِهِ
فِي فِرَاشِهِ وَمَالِهِ وَبَيْتِهِ وَتُطِيبُ رَائِحَتَهَا .

وَتَتَعَاهَدُ فَمَهَا بِالسَّوَالِكِ وَبِالْمِسْكِ وَالطَّيِّبِ وَدَوَامِ الزَّيْنَةِ بِحَضْرَتِهِ وَتَتْرُكُهَا
فِي غَيْبَتِهِ وَتَحْرِصُ عَلَى كُلِّ مَا يُسَلِّكُهَا عِنْدَهُ وَتُكْرِمُ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ وَتَرَى الْقَلِيلَ
مِنْهُمْ كَثِيراً وَهَذَا إِذَا كَانَ مُسْتَقِيماً فِي أَعْمَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ يُخَاطِبُ زَوْجَتَهُ :
خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِينِي مَوَدَّتِي
وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوَرَتِي جِئِنِ أَغْضَبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي انْصَدْرِ وَالْأَذَى
إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

وَمِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَا تَأْلُوْ جُهْداً فِيمَا يُحِبُّهَا إِلَيْهِ ، قَالَتْ
أَسْمَاءُ بِنْتُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ لَا بُنْتَهَا عِنْدَ الزَّفَافِ يَا بُنَيَّةُ إِنَّكَ خَرَجْتَ مِنَ الْعِشِّ
الَّذِي دَرَجْتَ فِيهِ فَصِرْتَ إِلَى فِرَاشٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ وَقَرِينٍ لَمْ تَأْلَفِيهِ .

فَكُونِي لَهُ أَرْضاً يَكُنْ لَكَ سَمَاءٌ وَكُونِي لَهُ مِهَاداً يَكُنْ لَكَ عِمَاداً وَكُونِي لَهُ
أُمَّةً يَكُنْ لَكَ عَبْدٌ لَا تُلْجِفِي فَيْقْلَاكِ « الْمَعْنَى لَا تُلْحِي عَلَيْهِ فَيُبْغِضَكَ » وَلَا

تَبَاعَدِي عَنْهُ فَيُنْسَاكِ إِنَّ دَنَا مِنْكَ فَأَقْرَبِي مِنْهُ وَاحْفَظِي أَنْفَهُ وَسَمْعَهُ وَعَيْنَهُ فَلَا
يَشُمُّ مِنْكَ إِلَّا طِيبًا وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا حَسَنًا وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا جَمِيلًا .

وَهَكَذَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ الْمُؤَدَّبَةُ النَّاجِحَةُ فِي امْتِلَاكِ قَلْبِ زَوْجِهَا لَا كَالَّتِي
إِذَا أَتَتْ لِزَوْجِهَا اسْتَقْبَلَتْهُ بِثِيَابِ الْمَطْبَخِ وَالْمَلَابِيسِ الْوَسِخَةِ شَهْبَاءَ الْوَجْهِ
غَبْرَاءَ الْجِلْدِ شَعْنَاءَ الشَّعْرِ طَوِيلَةَ اللِّسَانِ جَاحِدَةً الْإِحْسَانَ كَأَنَّ زَوْجَهَا عِنْدَهَا
خَادِمٌ حَقِيرٌ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا لَا تُقِيمُ لَهُ وَزْنَ وَلَا تُبَالِي فِيهِ وَلَا تَهْتَمُّ مِنْهُ .

وَمِنْ حُقُوقِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا أَنْ تَتْرَكَ لَهُ وَقْتًا يَتَفَرَّغُ فِيهِ لِنَفْسِهِ وَلِفِكْرِهِ فَإِنْ
كَانَ عَابِدًا تَرَكْتَ لَهُ وَقْتًا تَطْمَئِنُّ فِيهِ نَفْسُهُ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ
وَحُضُورٍ وَقَلْبٍ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا تَرَكْتَ لَهُ وَقْتًا يُطَالِعُ فِيهِ وَيَقْرَأُ الْكُتُبَ أَوْ يُؤَلِّفُ أَوْ
يُفَكِّرُ .

فَاللَّذَّةُ الَّتِي يَجِدُهَا الْعَالِمُ فِي قِرَاءَتِهِ وَالْعَابِدُ فِي خَلَوَتِهِ لَا تَعْدِلُهَا لِلَّذَّةِ فِي
الْحَيَاةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ « لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَ
عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ » وَقَدْ لَا تَشْعُرُ الْمَرْأَةُ بِهَذِهِ اللَّذَّةِ فَلَا تَفْهَمُ لَهَا مَعْنَى وَقَدْ تَتَأَلَّمُ
مِنْهَا عَلَى مَعْنَى الْكُرْهِ وَالْبُعْدِ عَنْهَا وَهِيَ فِي ذَلِكَ مُتَجَنِّةٌ عَلَى زَوْجِهَا وَنَفْسِهَا
وَرُبَّمَا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنَنَّا مِنَ الْكَذِبِ وَأَعِينْنَا
مِنَ الْخِيَانَةِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قُلُوبَنَا وَيَقِينًا صَادِقًا حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ لَا
يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبْتَ لَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَأْمُورَةً بِطَاعَةِ زَوْجِهَا وَيَطْلَبُ رِضَاهُ فَالزَّوْجُ أَيْضًا مَأْمُورٌ

بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا وَاللُّطْفِ بِهَا وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْهَا مِنْ سُوءِ خُلُقٍ وَغَيْرِهِ
وَإِصَالِهَا حَقَّهَا مِنَ النَّفَقَةِ .

وَالكِسْوَةُ وَالْعِشْرَةُ الْجَمِيلَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

وَلِقَوْلِهِ ﷺ أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ
تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ
فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ (أَيْ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ) فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا .

أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ
لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ إِلَّا وَحَقُّهُنَّ
عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ .

وَقَالَ ﷺ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا
كَرِيمٌ وَلَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَيْثٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ
إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرًاكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ مِنْ أَكْمَلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَالْأَطْفُفُهُمْ بِأَهْلِهِ .

وَقَالَ ﷺ إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا فَذَارَهَا تَعِشْ بِهَا
رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ
ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتُهُ وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ

لمسلم إن المرأة خلقت من ضلعٍ لن تستقيم لك على طريقَةٍ فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر رواه مسلم .

ففي هذا الحديث إرشاد منه ﷺ للزوج في معاشرته زوجته وهذا الإرشاد من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة واستدامتها فقد نهى ﷺ عن سوء العشرة .

ومفهوم الحديث الحث على حسن العشرة وأمره ﷺ الزوج أن ينظر إلى المحاسن والمساوي ويجعل ما كره في مقابلة ما رضي منها فإنه إذا تأمل بانصاف الأخلاق الجميلة والأخلاق التي يكرهها تبين له في الغالب أنها أقل من الأخلاق الفاضلة بكثير .

فإذا كان صاحب انصاف وعدل ورأى رجحان المحاسن على المساوي غرض عن المساوي طرفه لاضمحلالها في المحاسن .

واسمع ما يلي روي أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو زوجته من جهة سوء خلقها معه فوقف باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فقيع الرجل وانصرف راجعاً قائلاً في نفسه إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع شدته وصلابته وحزمه فكيف حالي أنا مع ضعفي فخرج عمر قبل أن يبعد الرجل فرأى الرجل مديراً مولياً عن بابه .

فناداه عمر وقال له ما حاجتك يا رجل فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو

إِلَيْكَ سُوءُ خُلُقِ زَوْجَتِي وَاسْتِطَالَتُهَا عَلَيَّ فَلَمَّا سَمِعْتُ زَوْجَتَكَ كَذَلِكَ رَجَعْتُ
وَقُلْتُ إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ زَوْجَتِهِ فَكَيْفَ حَالِي .

فَقَالَ عُمَرُ يَا أَخِي إِنِّي احْتَمِلْتُهَا لِحُقُوقِ لَهَا عَلَيَّ إِنَّهَا طَبَّاحَةٌ لِبَطْعَامِي
خَبَّازَةٌ لِحُبْزِي غَسَّالَةٌ لِثِيَابِي مُرْضِعَةٌ لَوْلَدِي وَلَيْسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِوَاجِبٍ عَلَيْهَا
وَيَسْكُنُ بِهَا قَلْبِي عَنِ الْحَرَامِ فَأَنَا احْتَمِلْتُهَا لِذَلِكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَكَذَلِكَ زَوْجَتِي .

قَالَ عُمَرُ فَاحْتَمِلْتُهَا يَا أَخِي فَإِنَّمَا هِيَ مُدَّةٌ يَسِيرَةٌ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا
الْإِنْصَافِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لَأَحْظَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَحَاسِنِ وَغَضُّ عَنِ
الْمَسَاوِي بِالْكُلِّيَّةِ وَتَنَاسَاهَا .

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ أَثَرَتْ سِيرَتُهُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ لِيَشْكُو
امْرَأَتَهُ وَرَجَعَ قَانِعاً رَاضِياً وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فصل)

وَمِنْ حُقُوقِ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يَغَارَ عَلَيْهَا فَلَا يُعَرِّضُهَا لِلشُّبْهَةِ وَلَا
يَتَسَاهَلُ مَعَهَا فِي مَا يُؤْذِي الشَّرَفَ وَالْمُرُوءَةَ وَلَا يُعَرِّضُهَا لِلْأَلْسِنَةِ السُّوءِ
وَالْتَسَاهُلِ فِي هَذَا قَبِيحٌ يُعَدُّ مِنْ سَفَسَافِ الْأَخْلَاقِ لِمَا يَجْرُهُ مِنَ الشَّقَاءِ لَهَا
وَالْأُسْرَةِ وَلِزَوْجِهَا .

وَمَا زَالَ النَّاسُ تَتَأَثَّرُ سَمْعَتُهُمْ وَكِرَامَتُهُمْ بِسُلُوكِ الزَّوْجَاتِ فَمَنْ أَغْضَى
عَنْ زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَوْ أَغْضَى عَنْ بَنَاتِهِ أَوْ أَخَوَاتِهِ أَوْ أَيَّ أَثْنَى مِنْ قَرَابَاتِهِ
فَقَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ زُمرَةِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَهُمْ حُرْمَةٌ وَشَرَفٌ فِي النُّفُوسِ وَمَنْزِلَةٌ
عِنْدَ اللَّهِ عَلَى أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ مِنْهُ تَسَامُحاً رَبِّمَا أزدادت توسعاً فِيمَا هَمَّتْ بِهِ أَوْ
دَخَلَتْ فِيهِ .

فَالْمَرْأَةُ شَدِيدَةُ التَّأَثُّرِ بِسُلُوكِ زَوْجِهَا الدِّينِيِّ فَإِنْ رَأَتْ مِنْهُ حِرْصاً عَلَى التَّسْتَرِّ وَالْعِفَّةِ وَالنِّزَاهَةِ وَالْعِبَادَةِ أَقْتَدَتْ بِهِ وَبَادَرَتْ إِلَى ذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِعَاطِفَتِهِ وَارْضَاءً لِرِزْوَانِهَا وَإِنْ رَأَتْ مِنْهُ تَشْجِيعاً عَلَى الإِهْمَالِ وَالْإِنْفِلَاتِ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ وَآدَبِ الْأُسْرَةِ لَمْ تَجِدْ بُدّاً آخِرَ الْأَمْرِ مِنْ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَهُ وَتَفْعَلَ مَا يُرْضِيهِ .

هَذَا فِي الْغَالِبِ وَقَلٌّ أَنْ تَجِدَ مَنْ تَبْتَعِدُ عَنْهُ إِذَا رَأَتْهُ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ وَكَمْ مِنْ زَوَاجَاتٍ خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِ آبَائِهِنَّ عَفِيفَاتٍ قَانِتَاتٍ يَصُمْنَ أَيَّامَ الْبَيْضِ وَيَقُمْنَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ فَمَا مَكَّشْنَ غَيْرَ زَمَنِ يَسِيرٍ حَتَّى انْحَرَفْنَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِتَأَثُّرِ الزَّوْجِ وَانْحِرَافِهِ وَجَهْلِهِ وَتَوَجُّهِهَا تِلْكَ الْفَاسِدَةِ وَتَعْلِيمِهِ لَهَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ نَسَأُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .

وَأَقَلُّ النَّاسِ إِيمَاناً وَتَوْفِيقاً وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مَنْ أَهْدَرَ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا وَلَوْ كَانَتْ تَرْبُو بِكَثِيرٍ عَلَى الْمَسَاوِي .

وَجَعَلَ الْمَسَاوِي نَصَبَ عَيْنَيْهِ وَرُبَّمَا مَدَّهَا وَبَسَطَهَا وَطَوَّلَهَا وَالْحَقَّ بِهَا غَيْرَهَا وَكَرَّرَهَا وَأَعَادَهَا وَفَسَّرَهَا بِظُنُونِهِ السَّيِّئَةِ وَتَأْوِيلَاتِهِ الْفَاسِدَةِ .

وَأَضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْكَذِبِ وَالْبَهْتِ مَا تَسْتَعِثُّ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ بِالْمَعَاصِي وَالْفِتَنِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالظُّلْمِ .

وَبَعْضُ يُلَاحِظُ الْمَحَاسِنَ وَالْمَسَاوِي وَيُوزِنُ بَيْنَهُمَا وَيُعَامِلُ الزَّوْجَةَ بِمَا يَرَى أَنَّهُ مُقْتَضَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَهَذَا مُنْصِفٌ وَلَكِنْ الْكَمَالُ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى وَقَدْ حُرِّمَهُ وَلَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ :

إِذَا قُيِّسَ إِحْسَانُ امْرِئٍ بِإِسَاءَةٍ
فَأَرْبَى عَلَيْهَا فَلِلْإِسَاءَةِ تَغْفَرُ

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْمَرْأَةِ الْمُطَاوَعَةِ لِزَوْجِهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ نَذَكُرُ بَعْضَهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَحَسَنَهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ
خَمْسَهَا وَخَصَّنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ
رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَسْتَغْفِرُ لِلْمَرْأَةِ الْمُطِيعَةِ لِزَوْجِهَا الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ
وَالْحَيْتَانُ فِي الْمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَا دَامَتْ فِي رِضَا
زَوْجِهَا .

وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ عَصَتْ زَوْجَهَا فَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ كَلَحَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَهِيَ فِي سَخَطِ اللَّهِ إِلَى أَنْ تُضَاحِكَهُ
وَتُسْتَرْهَبِيهِ وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ دَارِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى
تَرْجِعَ .

تَنْبِيْهِ : الْمُرَادُ بِطَاعَةِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا إِنَّمَا هِيَ فِي حُدُودِ الشَّرِيعَةِ قَالَ ﷺ
لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ فَلَوْ أَمَرَهَا زَوْجُهَا بِمَعْصِيَةٍ كَاتِبَانِهَا فِي
الدُّبْرِ أَوْ فِي الْمَحِيضِ فَلَا يَجُوزُ لَهَا الْمُوَافَقَةُ وَيَحْرُمُ عَلَيْهَا ذَلِكَ .

وَكَذَا لَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ صِيَامِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ أَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ الزَّكَاةِ فَلَا

يَجُوزُ لَهَا طَاعَتُهُ وَكَذَا لَوْ أَرَادَ جَمَاعَهَا وَهِيَ حَائِضٌ حَرَمٌ عَلَيْهَا طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ
وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ .

لِكُلِّ تَفَرُّقٍ الدُّنْيَا اجْتِمَاعٌ فَمَا بَعْدَ الْمُنُونِ مِنَ اجْتِمَاعِ
فِرَاقٍ فَاصِلٍ وَتَوَيٍّ شَطُونٍ وَشُغْلٍ لَا يُلَبِّثُ لِلْوَدَاعِ
وَكَلِّ أُخُوَّةٍ لَا بُدَّ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الْوِصَالُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَإِنْ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ فَمَا يُجِدِي الْقَلِيلُ مِنَ الْمَتَاعِ
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
(فَضْلٌ)

أَعْلَمُ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ يَقَعُ مَشَاكِلُ كَثِيرَةٌ بَيْنَ
الزَّوْجَيْنِ تَحْتَاجُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا لِتُجْتَنَّبَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَشَاكِلِ الْعَائِلِيَّةِ سُوءُ خُلُقِ
أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ وَكَوْنُهُ يَثُورُ لِأَذْنَى سَبَبٍ وَيَغْضَبُ لِأَقْلَى كَلِمَةٍ وَلَوْ كَانَتْ خَارِجَةً
سَهْوًا فَكَمْ ثَارَتْ فِي الْبُيُوتِ مَشَاكِلُ مِنْ أَسْبَابٍ فَيَسِيْقِ الصَّدْرِ وَسُوءِ الْخُلُقِ .

وَكَمْ إِنْتَهَارَتْ بُيُوتٌ فَتَفَرَّقُوا مِنْ أَجْلِ ضَيْقِ الصَّدْرِ وَالْحُمُقِ مِنَ الزَّوْجِ أَوْ
الزَّوْجَةِ وَالْغَالِبُ أَنَّ الزَّوْجَ أَكْثَرُ تَجَنُّبًا مِنَ الزَّوْجَةِ فَالْمَرْأَةُ تَتَحَمَّلُ مِنَ الزَّوْجِ
غَالِبًا أَكْثَرِمَا يَتَحَمَّلُ زَوْجُهَا مِنْهَا لِغُرُورِهِ هَذَا فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ أَمَّا الْآنَ فَالنِّسَاءُ
أَكْثَرُهُنَّ عَلَى الْعَكْسِ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ فِي زَمَانِنَا صَارَ لَهَا الْكَلَامُ وَسَيَّطَرَتْ عَلَى
الرِّجَالِ فِي الْغَالِبِ بِأَسْبَابٍ مُخَالَطَةِ الْأَجَانِبِ لِأَنَّهُمْ يَخْضَعُونَ لَهُنَّ وَيُقَدِّمُونَهُنَّ
فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْ رَأْيِهِنَّ أَبَدًا .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْمَشَاكِلِ الْعَائِلِيَّةِ سُوءُ الظَّنِّ مِنْ أَحَدِهِمَا وَغَضَبُهُ قَبْلَ
التَّذْكَرِ وَالتَّثَبُّتِ فَيَقَعُ النِّزَاعُ وَرُبَّمَا حَصَلَ فِرَاقٌ ثُمَّ تَبَيَّنَ الْأَمْرُ خِلَافَ الظَّنِّ .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْمَشَاكِِلِ الْعَائِلِيَّةِ تَدْخُلُ الزَّوْجُ فِي الشُّنُونِ الْبَيْتِيَّةِ أَكْثَرُ مِمَّا تَدْعُو الْحَاجَةُ أَوْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ فَارِغٍ مِنَ الْعَمَلِ يَقِفُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي الْمَطْبَخِ وَيَعْتَرِضُ اعْتِرَاضَاتٍ تَافِهَةً وَاقْتِرَاحَاتٍ يُرِيدُ بِهَا التَّحْدِي والتَّعْجِيزَ وَهَذَا تَضِيقُ زَوْجَتَهُ بِفُضُولِهِ فَمَا تَلَبَّثُ أَنْ تَنْفَجِرُ وَتُثَوِّرَ وَيَقَعُ الْخِصَامُ وَاللَّجَاجُ .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْمَشَاكِِلِ سُوءُ فَهْمِ كُلِّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لِطَبَاعِ الْآخَرِ فَقَدْ يَكُونُ الزَّوْجُ حَادًّا الْمِزَاجِ شَدِيدَ الْإِحْسَاسِ يَتَأَثَّرُ لِأَقْلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَرَاهَا مُخَالَفَةً لِدَوْقِهِ فَلَا تُرَاعِي زَوْجَتَهُ فِيهِ هَذَا فَمَثَلًا تَتْرُكُهُ وَهُوَ يُوجِّهُ إِلَيْهَا الْكَلَامَ وَتَمَزُّحُ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي الْجِدَّ وَتَضْحَكُ وَهُوَ غَضْبَانٌ وَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ .

فَتُقَابِلُهُ بِعِشْرَيْنِ كَلِمَةٍ فَقَلَّ أَنْ تَطُولَ الْمُدَّةُ قَبْلَ الْانْفِجَارِ وَقَدْ يُجْبِرُهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ لُبْسَهُ أَوْ يُسْكِنُهَا بِمَا لَا يَصْلَحُ لِمِثْلِهَا فَمَا تَلَبَّثُ الزَّوْجَةُ أَنْ تُحَسَّ بِضِيقِ الصَّدْرِ وَالْانْقِبَاضِ ثُمَّ يَنْقَلِبُ الْانْقِبَاضُ إِلَى تَبَرُّمٍ ثُمَّ يُؤَدِّي إِلَى الشَّقَاقِ لِأَقْلِ سَبَبٍ وَرَبَّمَا أَمْرُهَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ بِقِصِّ رَأْسِهَا أَوْ عَلَى أَنْ تَحْضُرَ عِنْدَ «الْمَلَاهِي» .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ التَّدْخُلُ فِيمَا لَا يَعْنِي إِمَّا مِنْهَا أَوْ مِنْهُ وَأَكْثَرُ الْمَشَاكِِلِ تَقَعُ مِنْ هَذَا السَّبَبِ وَلِهَذَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ مِيلَانُ أَحَدِهِمَا إِلَى أَحَدِ الْأَوْلَادِ وَتَخْصِيصُهُ بِالْمَالِ أَوْ الْحُنُوِّ وَالشَّفَقَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ عَدَمُ رِضَا أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ رِضًى صَحِيحٌ وَقَبُولٌ وَانْقِيَادٌ عِنْدَ عَقْدِ النِّكَاحِ بَلْ إِكْرَاهٍ أَوْ مُجَامَلَةٍ فَهَذَا لَا يَلَبَّثُ إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ ثُمَّ يَقَعُ الْخِصَامُ وَالْفِرَاقُ وَالِدَّعَاوِي وَالْمُطَالَبَاتُ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ تَدْخُلُ أَحَدِ الْأَبَوَيْنِ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ فَتَقَعُ الْمَشَاكِِلُ

بَيْنَهُمَا وَيَطُولُ النِّزَاعُ وَقَدْ تَقَعُ الْفُرْقَةُ مِنْ ذَلِكَ السَّبَبِ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ خُرُوجُ الْمَرْأَةِ مِنْ بَيْتِهَا مِنْ غَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا وَقَدْ كَثُرَ هَذَا فِي زَمَانِنَا بِسَبَبِ مُحَالَظَةِ الْأَجَانِبِ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ عَنَّا .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ خُلُوعُ الزَّوْجَةِ مَعَ أَقَارِبِ الزَّوْجِ الَّذِينَ لَيْسُوا مَحَارِمَ لَهَا وَلِهَذَا قَالَ ﷺ الْحُمُ الْمَوْتُ .

وَمِنْ الْأَسْبَابِ إِذَا كَانَ لَهُ زَوْجَتَانِ فَأَكْثَرُ مِثْلُهُ إِلَى إِحْدَى الزَّوْجَاتِ فَتَجِدُ بَعْضَ مَنْ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ زَوْجَةٍ يَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مَوَاعِيدَ الدَّعْوَةِ لَطَعَامٍ أَوْ غَيْرِهِ فِي لَيْلَةٍ الَّتِي يَكْرَهُهَا أَوْ أَقَلَّ مَحَبَّةً مِنَ الْأُخْرَى وَيَأْتِي فِي لَيْلَةٍ الَّتِي يُحِبُّهَا مِنْ حِينَ يُصَلِّي الْعِشَاءَ إِنْ كَانَ مِمَّنْ يَشْهَدُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ ، وَبَعْضُهُمْ يَأْتِي رَاجِعَةً الْمَحَبَّةَ فِي لَيْلَةِ الْمَرْجُوحَةِ بِغَيْرِ رِضَاهَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَأَمَّا الْعَادِلُ فَيَنْظُرُ إِلَى السَّاعَةِ وَيَضَعُ قُرْعَةً لِلدَّعْوَةِ فَأَيُّتَهُنَّ خَرَجَتْ فِي لَيْلَتِهَا عَمِلَ بِذَلِكَ ، هَذِهِ هِيَ مُعْظَمُ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَشَاكِلُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُلَاحِظَهَا وَيَجْعَلَهَا عَلَى بَالِهِ دَائِمًا لِيَتَجَنَّبَهَا وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَكْمَلَ عَقْلاً مِنْهَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْمَعَ الزَّالَاتِ الْبَسِيطَةِ لِتَدُومَ الْعِشْرَةُ وَتَسُودَ الْمَحَبَّةُ وَعَلَيْهَا هِيَ أَيْضًا أَنْ تَحْرِصَ كُلُّ الْجَرِصِ عَلَى طَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شعراً :

أَلَا يَا غَوَائِي مَنْ أَرَادَتْ سَعَادَةً
وَتَوَقَّى عَذَاباً بِالنِّسَاءِ صَارَ مُحْدِقًا

فَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ هُنَّ حَقِيقَةٌ
رَوَيْنَا حَدِيثًا فِيهِ صِدْقًا مُصَدَّقًا
تُخْلِي التَّبَاهِي تَبْدُلُ اللَّهُو بِالْبُكَ
وَتَبْدُلُ كُلَّ الْجَهْدِ بِالزُّهْدِ وَالتَّقَى
وَتَعْتَاظُ عَنْ لَيْنٍ بِدُنْيَا خُشُونَةٍ
وَعَنْ يَاسٍ فِي الدِّينِ أَخْضَرَ مُورِقًا
رَعَى اللَّهُ نِسُونًا تَبَيَّتْ قَوَانِتًا
وَيُصْبِحُ مِنْهَا الْقَلْبُ بِالْخَوْفِ مُحْرِقًا
تَظَلُّ عَنِ الْمَرْغَى الْخَصِيبِ صَوَائِمًا
وَيُمِيسِي سَمِينُ الْبَطْنِ بِالظُّهْرِ مُلْصَقًا
تَرَى بَيْنَ عَيْنٍ وَالسَّهَادِ تَوَاصُلًا
وَبَيْنَ الْكَرَى وَالْعَيْنِ مِنْهَا تَفَرُّقًا
وَبَيْنَ مَعَاءٍ وَالْغِذَاءِ تَقَاطُعًا
وَبَيْنَ خُلُوفِ الْمِسْكِ وَالشَّعْرِ مُلْتَقَى
تَرَى نَاجِلَاتٍ قَارِئَاتٍ مَصَاحِفًا
وَلَوْ لَوْ بَحْرِ الدُّرِّ فِي الْوَرْدِ مُشْرِقًا
فَدَتْهَا مِنَ الْآفَاتِ كُلِّ نَفُوسٍ مَنْ
يُخَالِفُهَا فِي الْوَصْفِ غَرْبًا وَمَشْرِقًا
خَلِيلِي إِنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
وَبَيْنَ الْأَحْبَابِ لَا يَزَالُ مُفَرَّقًا
فَجُدًّا لِذَا لَا يَزُولُ نَعِيمُهَا
بِهَا الْحُسْنُ وَاللَّذَاتُ وَالْمُلْكُ وَالْبَقَا

وَلُقْيَا حِسَانٍ نَاعِمَاتٍ مُنْعَمٌ
 بِهِنَّ سَعِيدٌ سَعْدَ ذَلِكَ مَنْ لَقَا
 كَوَاعِبَ أَتْرَابٍ زَهَتْ فِي خِيَامِهَا
 بِظِلِّ نَعِيمٍ قَطُّ مَا مَسَّهَا شَقَا
 كَدْرٌ وَيَأْقُوتٌ وَبَيْضٌ نَعَامَةٌ
 كَسَاهَا الْبَهَا وَالنُّورُ وَالْحُسْنُ رَوْنَقَا
 تُغْنِي بِمَا لَمْ تَسْمَعْ الْخَلْقُ مِثْلَهُ
 وَقَدْ حَبَّرَتْ صَوْتًا رَحِيمًا مُشَوِّقَا
 غِنَاهُنَّ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَقَطُّ مَا
 نَبِيدُ وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا شَقَا
 وَلَا سَخَطٌ وَالرَّاضِيَاتُ بِنَا الْمُنَى
 فَطُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ مِنْ أُولَى التُّقَى
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل

« فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »
 « وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ فِي سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ
 وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَخَطَرُ مَنْ كَانَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ وَأَعْظَمُ
 مِنْ ذَلِكَ الْأَخْطَارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعَرْضِ
 عَلَى الْجَبَّارِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَنَصْبِ الْمِيزَانِ لِمَعْرِفَةِ الْمَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَّازُ الصِّرَاطِ مَعَ دَقَّتِهِ وَحَدَّتِهِ ثُمَّ انْتَبَظَ النَّدَاءَ عِنْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا
بِالْإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالْإِشْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالُ وَأَهْوَالُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الْإِيمَانُ بِهَا
عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصَدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي مِقْدَارُهُ
خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ
وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَبْلُغُ الْأَمْرُ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالذُّهْشَةِ وَالْاضْطِرَابِ وَالذُّهُولِ
أَنْ تَذْهَلَ الْمُرْضِعَةُ عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي فَمُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ
بِالذُّهُولِ عَمَّا سِوَاهُ وَتَسْقِطُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْفَرْعِ وَالرُّعْبِ وَالرُّوعِ مَا فِي بُطُونِهَا
مِنَ الْأَجِنَّةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ وَالْفَرْعِ
وَالْخَوْفِ الَّذِي صَيَّرَ مَنْ رَأَاهُمْ يُشَبِّهُهُمْ بِالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السُّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا
الرَّادِفَةُ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ تَكْفَأُ
بَأَهْلِهَا .

فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقُطُونَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَيُلْوِغُهُ أَقْصَى
الْغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلَ الْعُقُولَ وَأَذْهَبَ التَّمْيِيزَ وَالْفِكْرَ وَالصَّحْوَ إِنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ .

إِنَّهَا لَهَزَّةٌ عَنِيفَةٌ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الْأَرْضُ الثَّابِتَةُ ارْتِجَافاً
وَتَزَلْزَلُ زِلْزَالاً وَتَنْفُضُ مَا فِي جُوفِهَا نَفْضاً وَتُخْرِجُ مَا يُثْقَلُهَا مِنْ أَجْسَادٍ وَنُقُودٍ
وغيرها مما حملته طويلاً وهو مشهد يهز كل شيء ثابت والأرض تهتز والسماء
تمور .

إِنَّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ الْقُلُوبَ يَرَى الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْهَدُ
وَيُواجِهُهُ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لَا يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلَا السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ مَا الَّذِي يُزَلْزِلُهَا هَكَذَا وَيَرْجُّهَا رَجًّا .

وَكأنَّهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَائِلُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَيَتَشَبَّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ
يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لِأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُورُ مَوْرًا شَدِيدًا قَدْ اِمْتَلَأَ مِنَ الرُّعْبِ
وَالْفَزَعِ وَالذَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ .

يَرَى الْجِبَالَ وَهِيَ تَسِيرُ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيرَتْ ، هَذِهِ الْجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ
وَبُسَّتْ وَرَاءَهَا ذُرَاتٍ فِي الْهَوَاءِ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا .

هَذِهِ تُصْرِّحُ وَتُسِيرُ إِلَى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَزَلْزَلُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً
يَتَلَاشَى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُهَا وَاسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا وَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلَا يَكَادُ يَلْتَقِطُ
أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ .

هُنَا يُشَاهِدُ وَيُواجِهُهُ الْحَشَرُ وَالْحِسَابَ وَالْوَزْنَ وَالْجَزَاءَ وَيَقِفُ جَبْرِئُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ

النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

وَمَوْقِفٌ هَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ صَامِتِينَ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ
« وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » وَغَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِ
الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا » .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذَا صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِي فِي
النَّفْسِ الرَّهْبَةَ وَالرُّعْبَ وَالْفَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ
مَسْتُورٍ وَيُعْلِمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُولٍ .

وَتَقِفُ فِيهِ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرَتْ مِنَ الرَّصِيدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ
وَالْحِسَابِ « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ » « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا » يَوْمَ يَنْظُرُ
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ « يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ » .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ التَّغْيِيرُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُودَاتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ وَالسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ وَالْوُحُوشُ النَّافِرَةُ
مَحْشُورَةٌ وَالْأَنْعَامُ وَالطُّيُورُ وَالْعِشَارُ مُعْطَلَةٌ « فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ
وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ » « إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ
وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ » « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ
الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا » « فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ » .

هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ الْهَائِلِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ وَلَا
يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ حَادِثٌ عَظِيمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ

بِالْخَلْقِ الضَّعَافِ الْمَهَازِلِ الَّذِينَ تَهْزُهُمُ الصَّوَاعِقُ هَزًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خَلْعًا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلِ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ .

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهُولِ وَالْإِنْقِلَابِ يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ الْمَذْعُورُ الْمَرْعُوبُ أَيْنَ الْمَفَرُّ وَيَبْدُو ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُودٌ دُونَهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَنَفَذَ وَلَا وَقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ وَأَخْذِهِ وَالرَّجْعَةِ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ .

فَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الْخَلَائِقِ وَضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَفُؤْدُ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿إِنَّكُمْ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ﴾ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

فَلَا مَجَالَ لِهَرَبِ أَحَدٍ وَلَا نِسْيَانٍ لِأَحَدٍ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكُلِّ فَرْدٍ يَقُومُ وَحِيدًا لَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ فَإِذَا هُوَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ أَمَامَ الدِّيَانِ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ﴾ .

مَشْهَدُ الْمَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالْصَّقِيهِمْ بِهِ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ تَرْتَبِطُهُمْ بِهِ وَشَائِجُ وَرَوَابِطُ لَا تَنْفَصِمُ وَلَكِنْ الصَّاحَةُ وَالطَّامَةُ تُمَزَّقُ

هَذِهِ الرِّوَابِطُ وَتُقَطَّعُ الْوَشَائِجُ وَالصَّلَاتُ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

فَالْهَوَلُ يُفْرِغُ النَّفْسَ وَيُقْلِقُهَا وَيُفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَاداً
فِلْكَلِّ نَفْسٍ وَشَأْنُهُ وَلَدَيْهِ الْكِفَايَةُ مِنَ الْهَمِّ الْخَاصِّ بِهِ الَّذِي لَا يَدْعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ
وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَاطْمِينَ .

فَهَا هِيَ ذِي السَّاعَةِ الَّتِي يَغْفُلُ عَنْهَا الْغَافِلُونَ وَيَلْهُوَا عَنْهَا اللَّاهُونَ
وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مُسْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَلْبِسُ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ .

وَهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ حَائِرِينَ يَائِسِينَ لَا أَمَلَ فِي النَّجَاةِ وَلَا رَجَاءَ وَلَا
خَلَاصَ بَلْ قَدْ أَيْقَنُوا فِي الْعَطَبِ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُوهَا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ . رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ .

هُنَا يَعْتَرِفُونَ بِالْخَطِيئَةِ وَيُقَرُّونَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَحَدُوهُ بِالدُّنْيَا وَيُغْلِنُونَ
الْيَقِينَ بِمَا شَكُّوا فِيهِ وَيَطْلُبُونَ الْعَوْدَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِإِصْلَاحِ مَا فَاتَ فِي الدُّنْيَا
وَمَنْظَرُهُمْ إِذْ ذَاكَ مُفْرِغٌ مُخِيفٌ وَهُمْ نَاكِسُوا الرُّؤُوسِ خَجَلًا وَخِزْيًا .

فَالْأَمْرُ أَمْرٌ فَطِيعٌ وَالْحَالُ مُزْعِجَةٌ أَقْوَاماً حَاسِرِينَ مَكْرُوبِينَ وَسُؤَالَ غَيْرِ

مُجَابَ لِفَوَاتٍ وَقْتِ الْإِمْهَالِ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ﴾ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ وَاسْتَذِرْكُوا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ وَاحْذَرُوا
الْإِنْهَمَاكَ فِي دَارِ الْغُرُورِ فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لَكُمْ إِنْ أَذْرَكَكُمْ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ ، زَيَّنْتُمْ الْفُلُلَ وَالْقُصُورَ وَنَسِيتُمْ الْقُبُورَ ، اذْكُرُوا الْقَبْرَ وَظُلُمَتَهُ
وَوَحْشَتَهُ وَالْمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ وَالْمِيزَانَ وَخِفَّتَهُ أَوْ رَجَحَتَهُ وَالْكِتَابَ وَأَخَذَتَهُ
وَالصِّرَاطَ وَدِقَّتَهُ ، وَالْمَوْتَ ، سَكْرَةً فِي سَكْرَةٍ وَخَيْرَةً فِي خَيْرَةٍ وَجَذْبَةً يَا لَهَا مِنْ
جَذْبَةٍ وَكُرْبَةً يَا لَهَا مِنْ كُرْبَةٍ فَالْمِسْكِينُ يُكَابِدُ غُصَصَ الْمَنُونِ دَاهِشَ الْعَقْلِ
كَالْمَحْزُونِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ أَفِيقُوا مِنْ سَكْرَاتِكُمْ وَانْتَبَهُوا مِنْ نَوْمَاتِكُمْ وَاسْتَيْقِظُوا
مِنْ غَفَلَاتِكُمْ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ الْمَنِيَّةِ وَحُلُولِ الرِّزْيَةِ وَوُقُوعِ الْبَلِيَّةِ حَيْثُ لَا مَالَ وَلَا
وَلَدَ نَافِعٍ وَلَا حَمِيمٍ شَافِعٍ وَلَا فَرَحَ وَاقِعٍ وَلَا رَجَاءَ طَامِعٍ وَلَا حَسَنَةَ تُزَادُ وَلَا سَيِّئَةً
تُحْذَفُ وَلَا حَيَاةَ تُعَادُ وَيُزَوِّدُكَ أَحْبَابُكَ بِالْحَزَنِ عَلَيْكَ وَالْبُكَاءِ فَلَا عَثْرَةَ تُقَالُ وَلَا
رَجْعَةَ تُنَالُ .

شعرا :

أَلَا إِنَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مَرَاجِلُ
طَرِيقُ الْفَتَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ سَاجِلُ
يُسْرُ بِمَا يَمْضِي لِمَا هُوَ أَمِلُ
وَيَأْتِي الرَّدَى مِنْ دُونِ مَا هُوَ أَمِلُ
وَمَا يَوْمُهُ إِلَّا غَرِيمٌ مُحَكَّمُ
إِذَا مَا اقْتَضَاهُ نَفْسُهُ لَا يُمَاطِلُ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي السَّلَامَةَ جَاهِدًا
وَمَرُّ اللَّيَالِي كُلُّهُنَّ غَوَائِلُ
وَنَحْنُ بَنُو الْأَيَّامِ نَظْلِمُ نَفُوسَنَا
وَنَرْجِعُ وَهِيَ الْقَاتِلَاتُ الثَّوَائِلُ

اللَّهُمَّ أَقِمَّ عِلْمَ الْجِهَادِ وَوَفَّقْنَا لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالرَّشَادِ ، وَأَقْمَعَ أَهْلَ
الْكُفْرِ وَالزَّيْغِ وَالشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، وَأَنْصُرْ دِينَكَ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ مِنَ الْعِبَادِ ،
وَتَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا ، يَا كَرِيمُ يَا جَوَادَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَتَفَكَّرْ فِي حَالَتِهِمْ فِي الْمَحْشَرِ تَجِدُ مَشْهَدَ مَكْرُوبٍ ذَلِيلٍ يُثِيرُ الْفَزَعَ
وَالْخَوْفَ « فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ
هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ » .

هَذِهِ أَبْصَارُهُمْ لَا تَطْرُقُ مِنَ الْهَوْلِ الَّذِي فُوجِئُوا بِهِ يَقُولُونَ يَا وَيْلَنَا وَهُوَ
تَفْجُّعٌ وَتَوَجُّعٌ الْمَفْجُوءُ الَّذِي تَنْكَشِفُ لَهُ الْحَقِيقَةُ الْمُرَوَّعَةُ بَغْتَةً فَيَذْهَلُ
وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلَا يَطْرُقُ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ وَيَعْتَرِفُ وَيَنْدِمُ وَلَكِنْ بَعْدَ
فَوَاتِ الْأَوَانِ .

إِنَّهَا مَشَاهِدُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَجْرِي فِيهِ مِنْ تَغْيِرَاتٍ كَوْنِيَّةٍ وَمِنْ
اضْطِرَابَاتٍ نَفْسِيَّةٍ وَمِنْ حَيْرَةٍ وَتَحَسُّرٍ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَحْدَاثِ الْغَالِبَةِ حَيْثُ يَتَجَلَّى

الهُولُ فِي صَمِيمِ الْكَوْنِ وَفِي اغْتِرَارِ النَّفْسِ وَهِيَ تَرُوعُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ .

« فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ يَوْمَ
يَخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » .

وَكَذَلِكَ خُرُوجُهُمْ مِنَ الْقُبُورِ يُنبِئُ أَنَّهُمْ فِي كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَأَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ غَيْرُ
مُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْاسْتِعْصَاءِ عَلَى الدَّاعِي إِذْ هُمْ يُهْرَوُلُونَ مَقْهُورِينَ مَعَ خُشُوعِ
أَبْصَارِهِمْ وَذِلَّتِهَا لِهَوْلٍ مَا تَحَقَّقُوا مِنَ الْعَذَابِ .

قَدْ مَلَكَ الْقَلَقُ وَالْخَوْفُ قُلُوبَهُمْ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَفئِدَتِهِمْ وَسَكَنَ حَرَكَاتِهِمْ
وَقَطَعَ أَصْوَاتَهُمْ تَعَلُّوْا وَجُوهَهُمْ الْقَتَرَةُ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزَنِ وَالْهَمِّ
الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُرْجَى لَهُ فَرَجٌ « تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ
بِهِمْ » « وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِي » .

إِنَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الطُّغَاةَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُتَكَبِّرِينَ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ
الذُّلُّ وَالصَّغَارُ هُوَ مَظْهَرُهُمُ الْبَارِزُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ
فَعِنْدَ مَا يُشَاهَدُونَ الْحَقَائِقَ وَيَرَوْنَ الْعَذَابَ تَتَهَاوَى كِبْرِيَائُهُمْ وَعَظَمَتُهُمْ
وَيَتَسَاءَلُونَ فِي ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَخَوْفٍ « هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ » .

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْهَا الْيَأْسُ مَعَ التَّلَهُّفِ وَالْإِنْهِيَارِ مَعَ التَّطَلُّعِ
إِلَى أَيِّ بَارِقَةٍ لِلْخَلَاصِ وَيُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ خَاشِعِينَ لَا مِنْ وَرَعٍ وَلَا تَقْوَى
وَلَا مِنْ حَيَاءٍ وَخَجَلٍ وَلَكِنْ مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ مُنْكَسِبِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الذُّلِّ وَالْعَارِ
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِي .

إِنَّهُ لَمَنْظَرٌ وَمَرَأٌ فَظِيْعاً صَعْباً شَنِيعاً مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ يُزْعِجُ وَيُقْلِقُ حَيْثُ يَظْهَرُ
مِنْهُ النَّدَمُ الْعَظِيمُ وَالْحُزْنُ الطَّوِيلُ وَالْأَسْفُ الشَّدِيدُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنَ
الْإِهْمَالِ وَالتَّفْرِيطِ وَالتَّضْيِيعِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ تَلَافِيَهُ .

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ السَّاهِي الْمُهْمِلُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَمِثْلُ نَفْسِكَ فِي هَذَا
الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْجَامِعِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَيَا لِعَظَمِ يَوْمٍ يُوجَّهُ السُّؤَالُ فِيهِ
لِمَنْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي حَقِّهِمْ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَإِذَا قَالَ اللَّهُ يَا
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ يُنَادُونَ الْخَلَائِقَ وَاحِداً وَاحِداً يَا فُلَانُ هَلُمَّ إِلَى
الْعَرْصِ وَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْخَلِيعُ الْقُلُوبُ وَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ وَتَضْطَرِبُ الْجَوَارِحُ
وَتَنْبَهَتُ الْعُقُولُ وَتَتَحَيَّرُ وَيَبْسُ اللِّسَانُ وَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَيُقَادُ وَفُؤَادُهُ مُضْطَرِبٌ وَلَبُّهُ طَائِرٌ وَفَرَائِصُهُ
تَرْتَعِدُ وَجَوَارِحُهُ تَنْتَفِضُ وَلَوْنُهُ مُتَغَيِّرٌ وَلِسَانُهُ وَشَفَتَاهُ قَدْ نَشَفَ مَا بِهِمَا مِنْ رُطُوبَةٍ
وَقَدْ عَضَّ عَلَى يَدَيْهِ وَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ وَلَمْ يَنْمَ وَلَمْ يَسْتَرِحْ وَلَمْ يَحْلِسْ
وَلَمْ يَرْكَبْ .

وَالْعَالَمُ وَالْجَوْ عَلَيْهِ مُظْلِمٌ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَصَارَتْ الدُّنْيَا عِنْدَهُ
أَضْيَقَ مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَجَلِ مِنْ عَلَامِ الْغُيُوبِ وَالْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَتَى يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَيَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ
يُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْفَرَسُ الْمَجْنُوبُ وَقَدْ رَفَعَ الْخَلَائِقُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ حَتَّى انْتَهَى
بِهِ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ فَرَمُوهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ .

وَنَادَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِدَنِي بِقَلْبٍ مَحْزُونٍ خَائِفٍ وَجِلٍ وَطَرْفٍ خَاشِعٍ ذَلِيلٍ وَفُؤَادُهُ مُتَحَطِّمٌ مُتَكَسِّرٌ وَأُعْطِيَ كِتَابَهُ الَّذِي لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

فَكَمْ مِنْ فَاحِشَةٍ نَسِيَهَا فَتَذَكَّرَهَا وَكَمْ مِنْ سَاعَةٍ قَتَلَهَا عِنْدَ مُنْكَرٍ وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَضَاعَهَا عِنْدَ مَلْهَى وَكَمْ مِنْ فُلُوسٍ أَنْفَقَهَا فِي الْمَعَاصِي وَكَمْ مِنْ صَلَاةٍ ضَيَّعَهَا وَكَمْ مِنْ زَكَاةٍ تَهَاوَنَ بِهَا وَكَمْ مِنْ صِيَامٍ فِي الْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ خَرَّقَهُ وَكَمْ مِنْ أَغْرَاضٍ انْتَهَكَهَا وَجُلُودٍ مَزَقَهَا وَكَمْ مِنْ جِيرَانٍ تَأَذُّوا بِمُجَاوَرَتِهِ وَكَمْ مِنْ بَرِيءٍ قَذَفَهُ بِالزُّنَا وَاللُّوَاطِ وَكَمْ مِنْ مُحْصَنَةٍ قَذَفَهَا وَاتَّهَمَهَا وَكَمْ مِنْ مُحْصَنَةٍ حَاوَلَهَا لِلْفَسَادِ وَكَمْ مِنْ مُخَالِطٍ لَهُ أَوْقَعَهُ فِي الْمَعَاصِي وَكَمْ مِنْ أَرْحَامٍ قَطَعَهُمْ وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ غَشَّاهُ وَكَمْ مِنْ سَاعَةٍ قَتَلَهَا فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ حَوْلَ الْمُنْكَرَاتِ وَكَمْ مِنْ زَكَاةٍ تَنَاسَاهَا وَكَمْ مِنْ صَلَاةٍ أَضَاعَهَا وَأَفْسَدَهَا .

وَكََمْ مِنْ حُقُوقٍ لِيَخْلُقَ اللَّهُ نَسِيَهَا أَوْ تَنَاسَاهَا وَكَمْ مِنْ أَسْرَارٍ تَسْمَعُهَا لَمْ يُؤْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ وَكَمْ مِنْ مُحَرَّمٍ نَظَرَ إِلَيْهِ وَمُسْلِمٍ جَسَّ عَلَيْهِ وَأَوْقَعَهُ فَأَفْزَعَهُ وَأُزْعَجَ أَوْلَادَهُ وَأَحْبَاءَهُ وَآثَرُ بِهِ الْفَرْعُ وَالْهَمُّ إِلَى أَنْ أَبَادَهُ وَكَمْ مِنْ رِحْلَةٍ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ أَقَامَهَا وَأَنْفَقَ فِيهَا الْأَمْوَالَ فِي الْمَعَاصِي .

وَكََمْ مِنْ أَعْدَاءٍ لِلَّهِ جَالَسَهُمْ وَمَازَحَهُمْ وَشَارَكَهُمْ وَوَلَاهُمْ وَدَاهَنَهُمْ وَكَمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ لِلَّهِ عَادَاهُمْ وَانْتَهَكَ أَغْرَاضَهُمْ وَكَمْ مِنْ كُفَّارٍ وَالَاهُمْ وَصَادَقَهُمْ وَمَدَحَهُمْ وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ بِالرِّيَاءِ أَفْسَدَهُ ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ ﴿ .

فَلَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ قَدَمٍ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ وَبَأَيِّ لِسَانٍ يُجِيبُ وَبَأَيِّ قَلْبٍ

يَعْقِلُ مَا يَقُولُ وَبِأَيِّ يَدٍ يَتَنَاوَلُ وَبِأَيِّ عَيْنٍ يَنْظُرُ وَبِذِيْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمَامَهُ
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

إِذَا فَهِمْتَ مَا سَبَقَ مِنْ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَدِلَّتِهِ فَأَعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ خَلْقِ اللَّهِ
لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ سُوءِذَاءِ أَفْئِدَتِهِمْ .

وَيَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ اسْتِعْدَادُهُمْ لِبَرْدِ الشِّتَاءِ وَحَرِّ الصَّيْفِ وَتَهَاوُنُهُمْ بِجَهَنَّمَ
وَزَمْهَرِيرِهَا وَزُقُومِهَا وَحَمِيمِهَا وَوَيْلِهَا وَغَسَاقِهَا مَعَ مَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَائِدِ
وَالْأَهْوَالِ وَالْكَرُوبِ وَالْقَلَاقِلِ وَالْمُرْجَبَاتِ .

وَلَوْ كَانُوا مُصَدِّقِينَ مَا كَانُوا بِهَذِهِ الْحَالِ ، اللِّسَانُ يُصَدِّقُ وَالْعَمَلُ
يُكَذِّبُ إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ نَطَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَغَفَلَتْ عَنْهُ قُلُوبُهُمْ .

وَمَنْ قُدِّمَ لَهُ طَعَامٌ وَأُخْبِرَ أَنَّهُ مَسْمُومٌ فَقَالَ لِلَّذِي أُخْبِرَهُ صَدَقْتَ فِيهِ سُمٌّ ثُمَّ
مَدَّ يَدَهُ يَتَنَاوَلُهُ لِيَأْكُلَ كَانَ مُصَدِّقًا بِلِسَانِهِ وَمُكَذِّبًا بِفِعْلِهِ وَتَكْذِيبُ الْعَمَلِ أُبْلَغُ مِنْ
تَكْذِيبِ اللِّسَانِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
يَشِيدُ وَيَبْنِي دَائِمًا وَيُحَصِّنُ
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ
وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ
عَيَانٌ كَانْكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عِلْمُهُ
بِمَذْهَبِهِ فِي كُلِّ مَا يُتَيَقَّنُ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْعِيْلَةِ وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالشَّقَاقِ وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَنَسَأُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةِ
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ كَانَتْ الْحَالُ
عِنْدَهُ فَوْضَى فَلَا تَضَعُ زَوْجَتُهُ وَلَا بَنَاتُهُ أَيْدِيَهُمْ فِي دَقِيقٍ وَلَا جَلِيلٍ مِنْ أَعْمَالِ
الْبَيْتِ فَيَجِيءُ لَهُنَّ بِخَدَّامِينَ وَسَوَاقِينِ وَطَبَّاخِينَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي طُولِ النَّخْلَةِ
فِي مُنْتَهَى الْعَافِيَةِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ يُعْجِبُونَ النِّسَاءَ جَمَالًا
وَرُبَّمَا خَلَوْا فِي النِّسَاءِ وَصَاحِبُ الْبَيْتِ مِنْ زَوْجٍ أَوْ غَيْرِهِ لَاهٍ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ أَوْ فِي
عَمَلِهِ لَا يُفَكِّرُ فِيمَا تُفَكِّرُ فِيهِ النِّسَاءُ وَلَا فِيمَا يُفَكِّرُ فِيهِ الْخَادِمُ أَوْ السَّائِقُ وَكَأَنَّ
نِسَاءَهُ فِي اعْتِقَادِهِ مَعْصُومَاتٍ وَلَا يَذَرِي أَنَّهُ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَثَالِثُهُمَا
الشَّيْطَانُ وَأَنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَأَنَّهُنَّ مِنْ أَضَرِّ مَا عَلَى الرَّجُلِ وَأَنَّ لَذَّةَ
الرَّجُلِ عِنْدَهُنَّ وَلِذَاتُهُنَّ عِنْدَهُ لَا يُخَالِفُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا مَعْتُوهُ أَوْ نَحْوُهُ
فَإِذَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ شَابًا وَلَا ثَالِثَ لَهُمَا فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَدْعُوهُ لِذَلِكَ فَمَا مَوْقِفُ هَذَا
الْمُغْفَلِ أَمَامَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ .

وَلَعَلَّ جَوَابَ هَذَا الْجَاهِلِ أَنَّهُ لَا يَدُورُ فِي خَلْدِهِ أَنَّ امْرَأَتَهُ تُقَدِّمُ عَلَى
مِثْلِ هَذَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُ مَعْصُومَةٌ قُولُوا لَهُ أَمَا سَمِعْتَ بِقِصَّةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ اقْرَأَهَا
لَعَلَّكَ تَأْخُذُ حِذْرَكَ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ فِتْنَتِهِنَّ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ .

قُولُوا لَهُ تَأَمَّلِ الْقِصَّةَ لَعَلَّكَ أَنْ تَفْهَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَذْكُرْهَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا لِيُعْتَبَرَ أُولُو الْأَبْصَارِ فَيَحْتَرِسَ الرِّجَالُ عَلَى نِسَائِهِمْ مِنَ الْخَدَمِ وَنَحْوِهِمْ .

إِنَّ إِمْرَأَةَ الْعَزِيزِ كَانَتْ ذَاتَ مَرَكَزٍ عَظِيمٍ فِي مِصْرَ وَكَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَيْتِهَا كَخَادِمٍ لَهَا وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَسْأَلْ عَنْ شَرَفِهَا وَكَرَامَتِهَا وَلَا شَرَفِ زَوْجِهَا بَلْ دَاسَتْهُمَا بِنَعْلِ الشَّهْوَةِ دَوْسًا وَلَمْ تَتَوَقَّفْ فِي بَذْلِ كُلِّ مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ قُوَّةٍ وَحِيلَةٍ لَاخْضَاعِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ وَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ لَوَصَلَتْ إِلَى مَا تُرِيدُ قَالَ تَعَالَى « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ » .

وَالْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّكَ تَجِدُ آخَرَ يَأْتِي بِخَدَّامَةٍ وَيَتَخَيَّرُ الْقَوِيَّةَ الْجَمِيلَةَ وَبَيْتَهُ الْوَاسِعُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْعُزَّابِ أَوْلَادٍ وَإِخْوَانٍ وَرُبَّمَا خَلَوْ بِهَا وَهُوَ أَيْضًا رُبَّمَا خَلَا بِهَا وَرُبَّمَا تَكُونُ أَجْمَلُ مِنْ زَوْجَتِهِ أَوْ أَشَبُّ مِنْهَا وَمَعَ هَذَا فَلَا يُفَكِّرُ فِي الْخَطَرِ مِنْ زَوْجَتِهِ أَوْ أَوْلَادِهِ فَلَا تَهْمُهُ تِلْكَ النَّاحِيَةُ وَإِنَّمَا تَهْمُهُ النَّاحِيَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا عَنْ بَعْضِ النِّسَاءِ الْفَاسِقَاتِ وَيَسْتَبْعِدُ ذَلِكَ مِنْ نِسَائِهِ وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ عِنْدَهُ فَتَنْبَهُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ وَلَا تَسْتَخْدِمُوا الشَّبَابَ وَلَا الشَّابَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَإِلَّا فَقَدْ عَرَّضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لِلْفِتَنِ وَالْمَشَاكِلِ وَالْعُقُوبَاتِ . وَاحْذَرُوا إِسْتِخْدَامَ الْكَافِرِينَ وَالْكَافِرَاتِ .

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاسْتَخْدِمُوا الرِّجَالَ خَارِجَ الْبُيُوتِ وَاحْذَرُوا مِنْ اتِّصَالِهِمْ بِنِسَائِكُمْ وَأَمَّا الْخَدَّامَاتِ فَاحْرِصُوا عَلَى كَبِيرَةِ السِّنِّ الْمُتَدَيِّنَةِ غَيْرِ الْجَمِيلَةِ لِيَتَبَعَدُوا عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَتُطْمَئِنُّوا عَلَى مَا يَأْتِيكُمْ مِنْ أَوْلَادٍ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالضَّرَرُ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ دُنْيَا وَآخِرَى .

بَذَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللّٰوَا
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

اللهم احْمِنَا عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَيَسِّرْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَّاتِ
الصَّالِحَاتِ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ، وَكُلِّلْ أَعْمَالَنَا بِالنَّجَاحِ وَالسَّادِدِ ، وَأَدْخِلْنَا
الْجَنَّةَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ خَيْرَةِ الْعِبَادِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْأَخْيَارِ الْأَمْجَادِ .

(فصل)

وَقِسْمٌ مِنَ النَّاسِ وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ أَنْكُرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَتَاتًا مُّسْتَبْعِدِينَ
وَمُسْتَفْهِمِينَ اسْتَفْهَامَ انْكَارٍ وَتَهَكُّمٍ ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ بَعِيدٌ﴾ ﴿وَضَرَبَ
لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ فَأَوْضَحَ جَلٌّ وَعَلَا وَبَيَّنَّ
أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ .

بَلِ الْإِعَادَةُ أَهْوَنُ فِي نَظَرِ النَّاسِ وَحُدُودِ قُدْرَتِهِمْ مِنَ الْإِبْدَاعِ فَالَّذِي
يَعْتَرِفُ وَيُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَتَحَتَّمُ أَنْ يُسَلِّمَ
بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ .

وَذَكَرَ جَلٌّ وَعَلَا الْبَدَأَ دَلِيلًا عَلَى الْإِعَادَةِ فَقَالَ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا قَامَتْ
لِسُوفٍ أَخْرَجَ حَيًّا أَوْ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ
شَيْئًا وَذَكَرَ جَلٌّ وَعَلَا فِي سُورَةِ الرُّومِ أَنَّ إِعَادَةَ الْخَلْقِ أَهْوَنُ مِنْ ابْتِدَائِهِ فَقَالَ
جَلٌّ وَعَلَا ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ دَلَالَةٌ قَاطِعَةٌ بِمُجَرَّدِ نَظَرِ الْعَاقِلِ إِلَيْهَا يَسْتَدِلُّ بِهَا اسْتِدْلَالًا لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ وَالشُّبْهَةَ بِوُقُوعِ مَا خَبَّرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الْبَعْثِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى عِظَمِهِمَا فَكُلُّ مَنْصِفٍ يَعْلَمُ بِالْبِدَاهَةِ الْحِسِّيَّةِ أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فِي ابْتِدَائِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ .

وَوَرَدَ بَعْدَهُ آيَاتُ الاسْتِدْلَالِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى قَالَ تَعَالَى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وقال تعالى ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بهذه الآية أَكَّدَ جَلَّ وَعَلَا صَحَّةَ الْبَعْثِ ، الْمَعْنَى أَنَّ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ لَمْ يُعْجِزِ اللَّهَ وَالْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْكُلُّ عَلَى اللَّهِ هَيْئٌ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، فَلَا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِي الْإِعَادَةِ عِنْدَ مَنْ يُقَرُّ فِي الْإِبْتِدَاءِ .

وقال جَلَّ وَعَلَا مُخْبِرًا عَمَّا قَالَهُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يَسْتَبْعِدُونَ الْبَعْثَ وَرَادًا عَلَيْهِمْ ﴿أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ .

وقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُجِيبَهُمْ وَيُعَرِّفَهُمْ قُدْرَتَهُ عَلَى بَعْثِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ وَأَنْشَأَهُ لَهُمْ كَمَا كَانُوا قَبْلَ بَلَائِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا عِظَامًا أَوْ رُفَاتًا أَوْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يُسْتَبْعَدُ عِنْدَكُمْ قَبُولُهُ لِلْحَيَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُعْجِزُهُ إِعَادَتُكُمْ مَهْمَا تَحَوَّلْتُمْ وَتَمَزَّقْتُمْ وَتَفَرَّقْتُمْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عِنْدَمَا يُقِيمُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ عَلَى الْبَعْثِ يَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا أَيُّ مَنْ يُعِيدُنَا وَنَحْنُ بِهَذِهِ الْحَالِ : فَقُلْ تَحْقِيقًا لِلْحَقِّ وَإِزَاحَةً لِلْاِسْتِغْثَادِ وَارْشَادًا إِلَى طَرِيقِ الْاِسْتِدْلَالِ ، الَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ هُوَ الْقَدِيرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ .

الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ يُحْتَذَى وَلَا مِنْهَاجٍ مُعَيَّنٍ يُنْتَحَى وَكُنْتُمْ تُرَابًا لَمْ يَشْمُ رَائِحَةُ الْحَيَاةِ أَلَيْسَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ مَا تَفَرَّقَ وَيُفِيضُ الْحَيَاةَ عَلَيْهِ وَيُعِيدُهُ كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلَى إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مَا يَفْعَلُونَهُ حِينَ مَا يَسْمَعُوا الْجَوَابَ « فَسَيُنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ » أَيُّ مَتَى هَذَا الْبَعْثُ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ وَحَالٍ يُعِيدُنَا خَلْقًا جَدِيدًا كَمَا كُنَّا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَمَقْصِدُهُمْ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ اسْتِغْثَادُ حُصُولِهِ .

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » قَالَ تَعَالَى « قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا » أَيُّ فَاحْذَرُوا فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْكُمْ وَسَيَأْتِي لَا مَحَالَةَ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ وَكُلُّ مَا هُوَ مُحَقَّقٌ الْحُصُولِ قَرِيبٌ .

وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ فِي نَظَرِ الْعِبَادِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَدًا لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا « يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ » أَيُّ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فَتَسْتَجِيبُونَ لَهُ مِنْ قُبُورِكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ وَتَظُنُّونَ حِينَ تَقُومُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَقَوْلُهُ « كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » .

وَنَحْنُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى « كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » وَقَوْلُهُ « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » وَقَوْلُهُ « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ » وَقَوْلُهُ « إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا » .

شعرا :

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ
وَلَيْسَ لَنَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ
وَلَا بُدَّ مِنْ كَأْسِ الْجِمَامِ ضُرُورَةٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ لَيْسَ يَشْرَبُ
وَمَا يَعْمُرُ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ حَازِمُ
إِذَا كَانَ فِيهَا عَامِرُ الْعُمَرِ يَخْرَبُ
وَإِنْ عَلِيًّا ذَمَّهَا فِي كَلَامِهِ
وَطَلَّقَهَا وَالْجَاهِلُ الْغِرُّ يَخْطُبُ
أَلَا إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ فِيهِ مَوَاعِظُ
لِمُتَعِظٍ مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ يَهْرَبُ
فَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَأْسِ صَارَتْ عِظَامُهُ
أَوَانٍ وَمِنْهَا الْمَاءُ يَا قَوْمُ يُشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى
فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَى يَتَغَرَّبُ

اللَّهُمَّ قَوْمَنَا إِذَا اغْوَجَجْنَا وَأَعِنَّا إِذَا اسْتَقَمْنَا وَكُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا وَأَحِينَا
فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ مُخْلِصِينَ وَاجْعَلْنَا عِنْدَ السُّؤَالِ

ثَابِتِينَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْآمِنِينَ
وَمَتُّعَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَمِنْ تَوْهُمَاتِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ أَنَّ مَنْ يَمُوتُ يَضِلُّ رُفَاتُهُ فِي الْأَرْضِ
فَتَذْهَبُ صُورَتُهُ وَصِفَاتُهُ فَكَيْفَ يُرْجَعُ اللَّهُ هَذِهِ الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَكَيْفَ يَجْمَعُ
هَذِهِ الذَّرَّاتِ الْمُتَفَتِّتَةَ مِنْ عِظَامِهِمْ وَأَثَرُ هَذَا التَّوْهُمِ الْفَاسِدِ يَظْهَرُ فِي تَوْهُمِهِمْ أَنَّ
عِلْمَ اللَّهِ غَيْرُ مُحِيطٍ بِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ أَعْدَادِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرُ
مُحِيطٍ بِصِفَاتِهِمْ وَأَوْضَاعِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَقَالَتَهُمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّوْهُمِ مِنْ
تَوْهُمَاتِهِمْ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ « وَقَالُوا أَيُّدَ ظَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ » وَهَؤُلَاءِ قَاسُوا قُدْرَةَ الْخَالِقِ الَّذِي بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى قُدْرَةِ الْمَخْلُوقِ
الْعَاجِزِ ..

وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْقُدْرَتَيْنِ « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »
« فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ » .

ثُمَّ زَادَ فِي النَّعْيِ عَلَيْهِمْ وَالْإِنْكَارِ لَأَرَائِهِمْ بِقَوْلِهِ « بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
كَافِرُونَ » أَيْ تَعَدَّوْا ذَلِكَ إِلَى الْجُحُودِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَقَالَتَهُمْ
هَذِهِ فِي سُورَةِ سَبَأٍ وَهُمْ أَتَوْا بِهَا عَلَى وَجْهِ الاسْتِهْزَاءِ وَالتَّهْكُمِ وَالتَّكْذِيبِ
وَالاسْتِبْعَادِ وَالْإِنْكَارِ .

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ أَلَا تَأْتِيهِم بُلُوكُم مِّنْ أَهْلِ الْبَلَدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ تَارِكٍ لِّالْحَدِيثِ إِنَّهُمْ ذُرِّيَةُ خَلْقٍ جَدِيدٍ » أَيُّ إِنَّهُ يَقُولُ إِذَا أَكَلْتُمْ الْأَرْضَ وَصِرْتُمْ رُفَاتًا وَعِظَامًا وَقَطَّعْتُمْ السَّبَّاعَ وَالطَّيْرَ سَتَحْيَوْنَ وَتُبْعَثُونَ ثُمَّ تُحَاسَبُونَ عَلَىٰ مَا قَرِطَ مِنْكُمْ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ وَسَيِّئِهِ .

وَإِنَّ أَمْرَهُ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْتَرِيًّا عَلَى اللَّهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَجْنُونًا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَقَالَاتِهِمْ وَاثْبَتَ لَهُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ وَأَنْكَى فَقَالَ « بَلْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ .

بَلْ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَهُمْ فِي شِقَاءٍ عَذَابٍ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ دَاخِلٍ نَفُوسِهِمْ كُفْرٌ وَشُكُوكٌ وَأَوْهَامٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِذَا بُعِثُوا ذَاقُوا أَلْوَانَ الْعَذَابِ لِأَنَّهُمْ مُّجْرِمُونَ مُتَمَرِّدُونَ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ فِي الضَّلَالِ الْبَعِيدِ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَفِي سُلُوكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .

ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِمَا يُعَايِنُونَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ مِنَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الدَّالِّ عَلَى عَدَمِ اسْتِيعَادِ الْبَعْثِ وَهُوَ أَنَّهُمْ لَوْ نَظَرُوا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرَأَوْا مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمَا مَا يَبْهَرُ الْعُقُولَ وَمِنْ عَظَمَتِهِ مَا يُذْهِلُ الْعُلَمَاءَ الْفُحُولَ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَكَأَيُّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » وَقَالَ عَمَّا قَالَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ « قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَوَاطِنَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ » .

وَفِي الْكَوْنِ مِنْ سِرِّ الْوُجُودِ عَجَائِبُ
أَطْلُ عَلَيْهَا الْعَارِفُونَ وَأَشْرَفُوا

آخِرُ : فَيَا عَجَباً مِمَّنْ يُضَيِّعُ حَيَاتَهُ
عَلَى حِفْظِ مَالٍ وَهُوَ لِلْغَيْرِ يَدْخَرُ
وَمَنْ تُتَوَفَّى نَفْسُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ
وَتَرْجِعُ فِيهِ كَيْفَ لِلْبَعْثِ يُنْكِرُ
بَلَى قَادِرٌ أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَى رَدِّ رُوحٍ مِنْهُ فِي الْجِسْمِ أَقْدَرُ
آخِرُ : تَأْمَلْ سَطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا
مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ خَطَّهَا
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

وَفِي سُورَةِ قَ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ اسْتَبَعَدُوا الْبَعْثَ وَتَعَجَّبُوا قَالَ تَعَالَى
حِكَايَةً عَمَّا قَالُوا « وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ » .

فَعُقُولُ هَؤُلَاءِ سَخِيفَةٌ حَيْثُ قَاسَتْ قُدْرَةَ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ الْكَامِلُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ بِقُدْرَةِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ مِنْ
جَمِيعِ الْوُجُوهِ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ .

فَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا مُشِيرًا إِلَى دَلِيلِ جَوَازِ الْبَعْثِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَمُؤَكِّدًا عِلْمَهُ
بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ « قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ » حَافِظٌ
لِتَفَاصِيلِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مَحْفُوظٌ عَنِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ بِكُلِّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي
حَيَاتِهِمْ أَوْ مَمَاتِهِمْ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حَالَ مُنْكَرِي الْبَعْثِ لَفَتْ أَنْظَارَهُمْ إِلَى الدَّلِيلِ الَّذِي
يَدْخُضُ كَلَامَهُمْ أَلَا وَهُوَ النَّظَرُ فِي آيَاتِهِ الْأَفَاقِيَّةِ كَيْ يَعْتَبِرُوا وَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى
مَا جُعِلَتْ أُدْلَةٌ عَلَيْهِ .

فَإِنَّ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَزَيَّنَهَا بِالكَوَاكِبِ وَأَحْكَمَهَا وَبَسَطَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتَ فِيهَا صُنُوفَ النَّبَاتِ صُنُوفًا وَغَيْرَ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
وَيَتَفَاضَلُ فِي الْأَكْلِ .

وَجَعَلَ ذَلِكَ تَبَصُّرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ خُضْرَ
الْجَنَانِ وَالزَّرْعِ الْمُخْتَلَفِ الْأَصْنَافِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالنَّخْلَ الْبَاسِقِ ذَا
الْطَّلَعِ الْمُتَرَائِمِ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَا الْأَرْضَ الْمَوَاتِ .

أَفَلَا يَسْتَطِيعُ مَنْ هَذِهِ قُدْرَتُهُ وَهَذَا شَأْنُهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ
بَلَائِهِمْ وَبَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا وَيُنْشِئُهُمْ خَلْقًا آخَرَ فِي حَيَاةٍ أُخْرَى وَعَالَمٍ
غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ أَحَاطَ عِلْمًا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ السَّفَارِينِي :

وَأَجْزَمَ بِأَمْرِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ
وَالْحَشْرِ حَزْمًا بَعْدَ تَفْخِ الصُّورِ
كَذَا وَقُوفِ الْخَلْقِ لِلْجِسَابِ
وَالصُّحُفِ وَالْمِيزَانِ لِلثَّوَابِ
كَذَا الصِّرَاطِ ثُمَّ حَوْظِ الْمُصْطَفَى
فِيَا هَذَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشِّفَا

عَنْهُ يُذَادُ الْمُفْتَرِي كَمَا وَرَدَ
وَمَنْ نَحَا سُبُلَ السَّلَامَةِ لَمْ يُرِدْ
وَكُنْ مُطِيعاً وَأَقْفُ أَهْلِ الطَّاعَةِ
فِي الْحَوْضِ وَالْكُوْثَرِ وَالشَّفَاعَةِ
فَانَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى
كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ الْوَفَا
مِنْ عَالِمٍ كَالرُّسُلِ وَالْأَبْرَارِ
سِوَى الَّتِي خُصَّتْ بِذِي الْأَنْوَارِ

اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وسوء
المنظر في الأهل والمال والولد اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا
وَكَرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ واجعلنا من الراشدين واغفر لنا ولوالدينا
وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

إِنَّ جَفَافَ الزَّرْعِ وَيُبْسَ الشَّجَرِ وَانْقِطَاعَ تَغْذِيَّتِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَحَصَادُهُ
وَتَحْطُّمُهُ يُشْبِهُ حَالَةَ الْمَوْتِ فِي الْأَحْيَاءِ .

ثُمَّ إِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ الدَّائِمَةَ الظَّاهِرَةَ الْمُشَاهِدَةَ فِي عَمَلِيَّةِ انْشِقَاقِ

الْحُبُوبِ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ وَنَبَاتِهَا بَعْدَ مَا سَبَقَ مِنْ حَالِهَا الَّتِي تُشَبِّهُ حَالَةَ الْمَوْتِ
وَعَوْدَتَهَا إِلَى الْحَيَاةِ .

وَالنَّظَرَةَ كَرَّةً أُخْرَى ذَلِكَ عِنْدَ وُجُودِهَا فِي الْبَيْئَةِ الْمَلَأْتِمَهُ مِنْ مَاءٍ مُمْتَزَجٍ
بِالْتُّرَابِ الصَّالِحِ لِتُعْطِيَ تَقْرِيْباً حَسِياً مُشَاهِداً بِاسْتِمْرَارٍ فِي الظَّوَاهِرِ الْكُوْنِيَّةِ
لِقِصَّةِ بَعْثِ الْحَيَاةِ وَتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا فِي تُّرَابِ الْأَرْضِ .

وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى هَذَا الشَّاهِدِ الْكُوْنِيِّ الَّذِي يُقَرِّبُ إِلَى تَصَوُّرِ
أَصْحَابِ هَذَا التَّوْهِمِ إِمْكَانَ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى وَأَنَّهَا تُشَبِّهُ عَوْدَةَ الْحَيَاةِ إِلَى الزَّرْعِ
وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَفَافِهَا وَمَا يُشَبِّهُ حَالَةَ الْمَوَاتِ فِيهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وَقَالَ فِي سُورَةِ ق ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ
الْخُرُوجُ﴾ جَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَبَقَ دَلِيلاً عَلَى الْبَعْثِ لِأَنَّهُ شَبَّهَ بِهِ .

وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ بِالْأَحْيَاءِ وَعَنِ احْيَاءِ الْمَوْتَى
بِالْخُرُوجِ تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ الْإِنْبَاتِ وَتَهْوِينٌ لِأَمْرِ الْبَعْثِ وَتَحْقِيقٌ لِلْمُمَآثَلَةِ بَيْنَ
إِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِتَوْضِيحِ مِنْهَا جِ الْقِيَاسِ وَتَقْرِيْبِهِ لِأَفْهَامِ النَّاسِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا
أَقْلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ .

فَفِي إِحْيَاءِ الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ وَاضِحٌ
عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى فَكَمَا أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا يُحْيِي الْأَجْسَادَ وَيُعِيدُ إِلَيْهَا
أَرْوَاحَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ أَصْدَقُ
قَائِلٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ فَتُمْطَرُ الْأَرْضُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَتَنْبُتُ مِنْهُ
الْأَجْسَادُ فِي قُبُورِهِمْ كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ
تعالى :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ اخْرَاجَ الْوَرَى
بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى مَعَادٍ ثَانِي
أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا
وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانٍ
مَطَرًا غَلِيظًا أَيْضًا مُتَابِعًا
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ
فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى
وَلُحُومُهُمْ كَمَنْابِتِ الرِّيحَانِ
حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ خَانَ وَلَادُهَا
وَتَمَخَّضَتْ فَنَفَاسُهَا مُتَدَانِ
أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ فَتَشَقَّقَتْ
فَبَذَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ الشُّبَانِ

وَتَخَلَّتِ الْأُمُّ الْوَلُودَ وَأُخْرِجَتْ
أُثْقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانٍ
وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ
أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ
هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْ
هَادِي بِهِ فَاحْرَضَ عَلَى الْإِيمَانِ

يُضَافُ إِلَى هَذِهِ الْأَدِلَّةِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَيْضاً مِثْلَ قِصَّةِ إِحْيَاءِ قَتِيلِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِسُؤَالِهِ عَنِ الْقَاتِلِ وَهَذِهِ الْقِصَّةُ أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهَا فِي أَوَائِلِ سُورَةِ
الْبَقَرَةِ وَمُلَخَّصُهَا فِيمَا ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْخٌ مُوسِرٌ لَهُ ابْنٌ وَاحِدٌ قَتَلَهُ
ابْنُ عَمِّهِ طَمَعاً فِي مِيرَاثِهِ .

ثُمَّ جَاءَ يُطَالِبُ بِدَمِهِ قَوْماً آخَرِينَ فَأَنْكَرُ الْمُتَّهَمُونَ قَتْلَهُ وَتَرَاَفَعُوا إِلَى
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدْفَعُ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً وَذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْقَاتِلُ الْحَقِيقِيُّ فَقَالُوا أَتَهْزَأُ بِنَا قَالَ
مُوسَى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فَسَأَلُوهُ عَنْ مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ
الْأَوْصَافِ وَشَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَثَرُوا عَلَيْهَا وَذَبَحُوهَا وَمَا
كَادُوا يَفْعَلُونَ ثُمَّ ضَرَبُوا جَسَدَ الْقَتِيلِ بِبَعْضِ الْبَقَرَةِ الَّتِي ذَبَحُوهَا فَأَحْيَا اللَّهُ
الْقَتِيلَ وَأَخْبَرَ بِالْقَاتِلِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ ثَلَاثَةَ
قُرُونٍ وَتَزِيدُ تِسْعَ سِنِينَ وَحَفِظَ أَجْسَامَهُمْ مِنَ الْبَلَى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ وَثِيَابَهُمْ مِنَ
الْعَفْنِ وَالْبَلَى وَأَعَثَّرَ عَلَيْهِمُ الْفَرِيقَ الْآخَرَ الَّذِينَ كَانُوا فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ
عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَفِي مِرْيَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ أَجْسَامٍ خَلَقَهُ كَهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ قَبْضِهِمْ بَعْدَ

الْبَلَى لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَيُوقِنُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا فَبِذَلِكَ
عِبْرَةٌ وَلَدَلِيلٌ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ
اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ثُمَّ بَعَثَ فِي هَذِهِ الْأَمَاتَةِ أَحْيَاءَهُمْ فِيهَا أَيْضًا عِبْرَةٌ وَلَدَلِيلٌ قَاطِعٌ
عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ الْجَسْمَانِيِّ وَأَنَّهُ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الَّذِي مَرَّ عَلَى
قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا فَقَالَ مُسْتَبْعِدًا لِعَوْدَةِ عِمَارَتِهَا وَإِحْيَاءِ أَهْلِهَا أَنِّي
يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَاتَهُ فِي
أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَحْيَاهُ بَعْدَ الْمِائَةِ آخِرَ النَّهَارِ .

وَقِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَوَّلَ شَيْءٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ فِيهِ عَيْنِيهِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ
وَصُنْعِهِ كَيْفَ يُحْيِي بَدَنَهُ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ سَوِيًّا قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ قِيلَ
كَانَ مَعَهُ عِنَبٌ وَتَيْنٌ وَعَصِيرٌ فَوَجَدَهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَاَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ كَيْفَ يُحْيِيهِ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ « وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ » أَي دَلِيلًا عَلَى الْمَعَادِ حَيْثُ أَحْيَاهُ اللَّهُ بَعْدَ
إِمَاتَتِهِ وَأَحْيَا حِمَارَهُ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ إِحْيَاءُ الطُّيُورِ الْأَرْبَعَةِ لَمَّا طَلَبَ أَبِينَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
اللَّهِ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطُّيْرِ
فَيَقْطَعُهُنَّ أَجْزَاءً ثُمَّ يُفَرِّقُهَا عَلَى عِدَّةِ جِبَالٍ حَوْلَهُ ثُمَّ يَدْعُوَهَا ففَعَلَ وَدَعَاَهَا
بِأَسْمَائِهِنَّ فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ سَرِيعَاتٍ تَطِيرُ وَالطُّيْرُ أَشَدُّ الْحَيَوَانِ نُفُورًا مِنَ الْإِنْسَانِ
غَالِبًا فَهَذَا أَكْبَرُ بَرْهَانٍ عَلَى كَمَالِ عِزَّةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ
وَالْمَعَادِ وَالْجِزَاءِ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ مَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ مَعَ فِرْعَوْنَ فِي قَلْبِ عَصِيِّ مُوسَى حَيَّةٌ تَسْعَى تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى الْبَعْثِ وَذَلِكَ أَنَّهَا صَارَتْ تَنِينًا عَظِيمًا هَائِلًا ذَا قَوَائِمَ وَعُنُقٍ وَرَأْسٍ وَأَضْرَاسٍ فَجَعَلَتْ تَبْتَلِعُ تِلْكَ الْحِبَالَ وَالْعُصِيَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا ابْتَلَعَتْهُ وَالسَّحَرَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى ذَلِكَ عِيَانًا جَهْرَةً نَهَارًا ضَحْوَةً .

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِأَنْ يَأْخُذَهَا قَالَ لَهُ ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ فَلَمَّا أَمَرَهُ بِأَخْذِهَا لَفَّ طَرْفَ الْمِدْرَعَةِ عَلَى يَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَلَكٌ أَرَأَيْتَ يَا مُوسَى لَوْ أَدِنَ اللَّهُ بِمَا تُحَازِرُ أَكَانَتْ الْمِدْرَعَةُ تُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا قَالَ لَا وَلَكِنِّي ضَعِيفٌ وَمِنْ ضَعْفٍ خُلِقْتُ فَكَشَفَ عَنْ يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي فَمِ الْحَيَّةِ حَتَّى سَمِعَ جِسَّ الْأَضْرَاسِ وَالْأَنْيَابِ ثُمَّ قَبَضَ فَإِذَا هِيَ عَصَاهُ الَّتِي عَاهَدَهَا وَإِذَا يَدُهُ فِي مَوْضِعِهَا إِذَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا بَيْنَ الشُّعْبَتَيْنِ فِيهَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى بَعْثِ الْأَجْسَادِ لِمَنْ بَصَرَهُ اللَّهُ وَنَوَّرَ عَقْلَهُ .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ مَا أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ فِيهِ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فَكَانَ يُصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ شَكْلَ طَيْرٍ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا فَيَطِيرُ عِيَانًا بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْبَرَاهِينِ عَلَى بَعْثِ الْأَجْسَادِ وَكَذَلِكَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى « وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ » فَهَذَا بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَى بَعْثِ الْأَجْسَادِ لَا رَيْبَ فِيهِ لِيَذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُيقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ

التي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« هَذِهِ آيَاتٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ قَصِيدَةِ لِبَعْضٍ »

« الْعُلَمَاءِ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ بِالطَّبِيعَةِ »

وَاهَا لِدُنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتُ قَتَلْتُ
وَشَوُطُ إِقْبَالِهَا فَوْتُ وَإِدْبَارُ
دَسْتُ لَكَ السُّمَّ فِي حَلْوَى زَخَارِفِهَا
وَزَيَّنْتُ لَكَ مَا عُقْبَاهُ أَضْرَارُ
وَعِشْتَ دَهْرًا مِنَ الْأَعْوَامِ مُتَظَرًّا
فِي مَلْعَبِ كُلِّ جُرْمٍ وَإِضْرَارُ
حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْمَقْتِ وَانْتَشَبْتُ
يَا لَاهِيًا لِلْمَنَايَا فِيكَ أَظْفَارُ
خَابَتْ ظُنُونُكَ فِي دُنْيَا مُخَادِعَةٍ
أَلَوْتُ عِنَانَكَ عَمَّا كُنْتَ تَخْتَارُ
يَا ذَا الْوَجَاهَةِ وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ لَقَدْ
خَانَتْ عُهُودَكَ أَعْوَانُ وَأَنْصَارُ
أَلْقَوْكَ فِي حُفْرَةٍ هَالَتْكَ وَحَشَتْهَا
كَأَنَّهَا مِخْدَعٌ يُغْلَى بِهِ الْقَارُ
وَعَادَرُوكَ وَمَا فِي الْحَيِّ مِنْ حَكَمٍ
تَشْكُو إِلَيْهِ وَمَا فِي الدَّارِ دِيَارُ
يَا رَاقِدًا وَمَضِيقُ الْقَبْرِ مَضْجَعُهُ
أَمْلَكَ الْقِطْرُ أَمْ ضَاقَتْ بِكَ الدَّارُ

أَبْعَدَ مَا فِي مَغَانِي الْحَيِّ مِنْ سَعَةٍ
تُغْنِي الضَّجِيعَ عَنِ الْأُمِّيَالِ أَشْبَارُ
خَلَوْتَ وَحْدَكَ لَا خِلَ وَلَا خَدَمَ
فَهَلْ تُنَاجِيكَ بِالْإِصْلَاحِ أَفْكَارُ
أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يَرَوْنَ الْمَوْتَ رَاحَتَهُمُ
يَا حَبَّذَ الْمَوْتِ لَوْلَا الْحَشْرُ وَالنَّارُ
وَالْقَبْرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ مُنْغَصَّةُ
حَاكَتْ زَوَايَاهُ رَوْضاً فِيهِ أَزْهَارُ
لَكِنَّهُ وَظْلَامُ الزَّيْغِ يُوحِشُهُ
سِجْنٌ لَهُ مِنْ ذَوَاتِ النَّهْشِ عُمَارُ
فَهَلْ يُحَايِي قُبُورَ الْقَوْمِ مَضْجَعُكُمْ
أَمْ زَاخَمَتِكَ ظَلَامَاتٌ وَأَصَارُ
بِالْأَمْسِ صَدْرًا أَخَا كِبَرٍ وَغَطْرَسَةٍ
وَمَا سِوَى الصَّدْرِ نَهَاؤُ وَأَمَارُ
وَالْيَوْمَ بَيْنَ هَوَامِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعُ
فِي مَضْجَعٍ مَا بِهِ جَارٌ وَسُمَارُ
وَاهَا لِدُنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتُ قَتَلْتُ
وَشَوِطُ أَقْبَالِهَا فَوْتُ وَإِدْبَارُ
تَمُرُّ بِالْمَرَّةِ مَرٌّ الطَّيْفِ بِاسِمَةٍ
وَخَلْفُهَا مِنْ جُيُوشِ الْحُزَنِ جَرَارُ
إِذَا سَقَتْ كَأْسَ إِيْنَاسٍ أَخَا سَفَهٍ
تَجَرَّعَ السُّمَّ مِنْهُ وَهُوَ مُخْتَارُ

وَمَا السُّمُومُ سِوَى لِدَاتِهَا وَبِهَا
كَمْ أَهْلَكْتُ أُمَمًا فِي الْقَبْرِ قَدَمَا رُؤَا
تَزْهُو لِأَهْلِ الْهَوَى حَتَّى إِذَا ابْتَهَجُوا
جَاءَتْ بِمَا فِيهِ أَرْزَاءُ وَأَكْدَارُ
يَا وَيْحَ مَنْ أَخَذَتْ يَوْمًا بِمِخْنَقِهِ
إِلَى طَرِيقِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي الْعَارُ
وَيَا نَدَامَةً مَنْ لَمْ يَبْكْ إِنْ ضَحِكْتَ
فَضَحِكُهَا لِذَوِي اللَّذَاتِ إِنْذَارُ
وَيَا خَسَارَةً مَنْ أَنْسَتْهُ مَبْدَأُهُ
وَمُنْتَهَاهُ وَلَمْ يُوقِظْهُ تَذْكَارُ
كَالشَّابِّ تُنْسِيهِ عَصَرَ الشَّيْبِ غُرَّتُهُ
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِالْأُزْرِ أَوْزَارُ
فَرَّ الشَّبَابُ وَظَلَّ الشَّيْبُ هَازِمُهُ
إِنَّ الشَّبَابَ أَمَامَ الشَّيْبِ فَرَارُ
فَهَلْ لِيذِي الْجَاهِ أَنْ يَنْسَى مَنِيَّتَهُ
وَالْمَوْتُ فِي رَأْسِ رَبِّ الْجَاهِ مِعْثَارُ
وَكَمْ وَجِيهِ تَعَامَى عَنْ عَوَاقِبِهِ
إِذْهَابُهُ خَشْيَةً عَمُرُو وَعَمَّارُ
وَظَلٌّ فِي زُخْرُفِ التَّضْلِيلِ مُتَجِرًّا
وَالنَّاسُ مِنْهُ بِسُوقِ الزَّيْغِ تُمْتَارُ
حَتَّى إِذَا مَا الرَّدَى لِلْمَوْتِ أَضْجَعَهُ
أَضْحَى كَأُضْحِيَةٍ مِنْ حَوْلِهَا دَارُوا

وَمَاتَ وَالْخَوْفُ حَيٌّ بَيْنَ أَضْلُعِهِ
وَلِلْمَخَازِي بِتِلْكَ الدَّارِ أَدْوَارُ
أَفَّ لِمُقْبِلَةٍ مَرَّتْ عَلَى عَجَلٍ
كَأَنَّهَا الْفَجْرُ لَمْ يُمِهِلْهُ إِسْفَارُ
كَأَنَّمَا أَنْتَ وَالْدُّنْيَا وَمَا صَنَعْتَ
الْعُوبَةَ بَاعَهَا الصَّبِيَانِ مِهْزَارُ
الْهَتْمُوا بُرْهَةً حَتَّى إِذَا تَلِفَتْ
وَفَاتَهُمْ فِي الْمَسَادِفِ وَمِزْمَارُ
لَمْ يَلْبَثُوا فِي الْمَلَاهِي غَيْرَ سَاعَتِهِمْ
وَقَدْ دَهَتْهُمْ مُلِمَّاتٌ وَأَكْدَارُ
وَهَكَذَا كُلُّ حَالٍ لَا نَقَاءَ لَهَا
وَكُلُّنَا فِي الْجَنَى لِلْمَوْتِ أَثْمَارُ
وَكُلُّ مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ مَرْكَبَهُ
فَكُلُّ أَوْقَاتِهِ ظَعْنٌ وَأَسْفَارُ
تَبَّاءُ لِدَارٍ أَرْتَنَا مِنْ مَلَاعِبِهَا
عَجَائِبًا مَا أَتَاهَا الدَّهْرُ سَحَارُ
فَيَا أَخَا الْعِلْمِ لَا يُنْجِيكَ عِلْمُكَ إِنْ
فَاتَتْكَ خَشْيَةُ رَبِّ اسْمُهُ الْبَارُ
وَيَا أَخَا الْمَالِ لَا تَرْكَنْ لِكَثْرَتِهِ
فَالْمَالُ كَالْمَاءِ كَرَّارٌ وَفَرَّارُ
وَالجَاهُ ضَيْفٌ وَعُقْبَى الضَّيْفِ رِحْلَتُهُ
وَإِنْ دَعَتْهُ لِطَوْلِ الْمُكْثِ أَوْطَارُ

واضرع إلى الله يا من بات في سعة
من نعمة الله إن الدهر دوار
ونعمة الله تأتي طي رحمة
كماطر غيثه الهطال مذار
لكنما الغي والطغيان ينقصها
فما تهنى بها في الكون كفار
وإن تقل إن أهل البغي في نعم
فركبهم في طريق الغم سيار
والغافلون لهم في القبر مزرعة
وبعد فصل القضا عقباهم النار

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان واشرح صدورنا واستر عيوبنا وأمن خوفنا
ووفقنا لاستغراق أوقاتنا في الباقيات الصالحات واجعلنا من عبادك الصالحين
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الرحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

قال ابن القيم رحمه الله :

طبقات المكلفين في الآخرة ثمانية عشر طبقة أعلاها مرتبة الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم وهم ثلاث طبقات أعلاهم أولو العزم الخمسة ثم
من عداهم من الرسل ثم الأنبياء الذين لم يرسلوا إلى الأمم .

الرَّابِعَةُ : الصَّادِقُونَ وَرَثَةُ الرُّسُلِ الْقَائِمُونَ بِمَا بُعِثُوا بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا
وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَلَى طَرِيقِهِمْ .

الخَامِسَةُ : أئِمَّةُ الْعَدْلِ وَوُلَاتُهُ .

السادسة : الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

السَّابِعَةُ : أَهْلُ الْإِثَارِ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ .

الثَّامِنَةُ : مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ الْقَاصِرِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِهَا .

التَّاسِعَةُ : طَبَقَةُ أَهْلِ النَّجَاةِ وَهُمْ مَنْ يُؤَدِّي فَرَائِضَ اللَّهِ وَيَجْتَنِبُ
مَحَارِمَهُ .

العَاشِرَةُ : طَبَقَةُ قَوْمٍ أُسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَغَشَوْا كَبَائِرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ
وَلَكِنْ رَزَقَهُمُ اللَّهُ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ قَبْلَ الْمَوْتِ فَمَاتُوا عَلَى تَوْبَةٍ صَحِيحَةٍ .

الحَادِيَةَ عَشْرُ : طَبَقَةُ أَقْوَامٍ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَلَقُوا اللَّهَ
مُصِرِّينَ غَيْرَ تَائِبِينَ لَكِنْ حَسَنَاتُهُمْ أَغْلَبُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا وُزِنَتْ بِهَا رَجَحَتْ
كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ فَهَؤُلَاءِ أَيْضًا نَاجِحُونَ فَائِزُونَ .

الثَّانِيَةَ عَشْرُ : قَوْمٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَكِنْ مَالَهُمْ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ .

الثَّالِثَ عَشْرُ : طَبَقَةُ أَهْلِ الْبَلِيَّةِ وَالْمِحْنَةِ وَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُمْ وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَتْ فِيهِمْ
الْأَحَادِيثُ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَيَكُونُونَ فِيهَا عَلَى مِقْدَارِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُونَ

مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ وَبِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

الرَّابِعَةُ عَشْرَ : قَوْمٌ لَا طَاعَةَ لَهُمْ وَلَا مَعْصِيَةَ وَلَا كُفْرَ وَلَا إِيمَانَ وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُمْ الدَّعْوَةُ بِحَالٍ وَمِنْهُمْ الْمَجْنُونُ الَّذِي لَا يَعْقِلُ وَمِنْهُمْ الْأَصَمُّ الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئًا أَبَدًا وَمِنْهُمْ أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُمَيِّزُوا شَيْئًا فَاخْتَلَفَتِ الْأَئِمَّةُ فِيهِمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ مَذَاهِبٍ أَرْجَحُهَا أَنََّّهُمْ يُمْتَحِنُونَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ هُنَاكَ رَسُولٌ فَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .

وبهذا تتفق الأحاديثُ وتوافقُ الحِكْمَةُ والعَدْلُ .

الطَّبَقَةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَ : طَبَقَةُ الزَّنَادِقَةِ وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ وَهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

الطَّبَقَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَ : رُؤُسَاءُ الْكُفْرِ وَأَئِمَّتُهُ وَدُعَاتُهُ وَيَتَغَلَّظُ الْكُفْرُ بِغِلْظِ الْعَقِيدَةِ وَبِالْعِنَادِ وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى الْبَاطِلِ .

الطَّبَقَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَ : طَبَقَةُ الْمُقَلِّدِينَ وَجُهَاْلُ الْكُفْرِ وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنََّّهُمْ كُفَّارٌ .

الثَّامِنَةُ عَشْرَ : طَبَقَةُ الْجِنِّ وَهُمْ مُكَلَّفُونَ مُثَابُونَ وَمُعَاقِبُونَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

وَقَالَ الْإِنَابَةُ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَانْصِرَافُ دَوَاعِي الْقَلْبِ وَجَوَادِبِهِ إِلَيْهِ وَهِيَ تَتَضَمَّنُ الْمَحَبَّةَ وَالْخَشْيَةَ وَالنَّاسُ فِي إِنْابَتِهِمْ دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ فَمِنْهُمْ الْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْحَامِلُ الْخَوْفُ وَالْعِلْمُ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَنِيبُ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فَهُوَ سَاعٍ بِجُهِدِهِ وَمَصْدَرُهَا
الرَّجَاءُ وَمَطَالَعَةُ الْوَعْدِ وَالثَّوَابِ وَهَؤُلَاءِ أَبْسَطُ نَفُوساً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَكُلٌّ مِنْهُمَا
مُتَنِيبٌ بِالْأَمْرَيْنِ وَلَكِنْ يَغْلِبُ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْخَوْفُ وَيَغْلِبُ الرَّجَاءُ عَلَى
الْآخِرِينَ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَنِيبُ إِلَيْهِ بِالتَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ وَكَثْرَةِ الْاِفْتِقَارِ وَسُؤَالِ الْحَاجَاتِ
كُلَّهَا مَعَ قِيَامِهِمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ . وَمِنْهُمْ الْمُتَنِيبُ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَقَطُّ إِنَابَةٌ
الْمُضْطَرُّ لَا إِنَابَةٌ اخْتِيَارٌ .

وَأَعْلَى أَنْوَاعِ الْإِنَابَاتِ إِنَابَةُ الرُّوحِ بِجُمْلَتِهَا إِلَيْهِ لِشِدَّةِ الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ
الْمُغْنِيَةِ لَهُمْ عَمَّا سِوَى مَحْبُوبِهِمْ وَحِينَ أَنْابَتْ إِلَيْهِ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ شَيْءٌ عَنِ
الْإِنَابَةِ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا رَعِيَّتُهَا وَأَدَّتْ وَظَائِفُهَا كَامِلَةً فَسَاعَةٌ مِنْ إِنَابَةِ هَذَا
أَعْظَمُ مِنْ إِنَابَةِ سِنِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ أَنْتَهَى .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي عَصْرِ بَارِكَ اللَّهُ فِيهِ بَرَكَةٌ عَمَّتِ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ
وَكُلَّ مَا لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءٍ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلَى مَا
أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ أَسْرَارٍ تَفُوتُ الْأَحْصَاءَ وَيَسِّرَ لَهُمُ السَّبِيلَ فَوَصِّلُوا مِنْ
التَّرَاقِي فِي الْاِخْتِرَاعِ وَالْاِطْلَاعِ إِلَى مَا يُدْهِشُ الْأَفْكَارَ وَتَزْدَادُ بِهِ عَقِيدَةُ
الْمُؤْمِنِ قُوَّةً فَلَا يَعْتَرِيهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ
الْمَسَافَةِ وَيُسَافِرُونَ بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُونَ بِالْمَرَائِبِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ فِي مُدَّةٍ
يَسِيرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ الْمَرَائِبُ الَّتِي خَلَقَهَا

اللَّهُ لَنَا مِنَ الْأَثْقَالِ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الْأَلْبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوا مُسَابَقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوهُ بِالطَّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وَانْظُرْ إِلَى الْكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ بِأَنْوَارِهِ وَكَأَنَّهُ نَهَارٌ وَمَا فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنَا أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ وَهَآ أَنْتَ لَا تَمْشِي شَرْقًا وَلَا غَرْبًا إِلَّا وَأَنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْأَسْرَارِ مَا تَحَارُ بِهِ الْأَفْكَارُ فَنَحْنُ الْيَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الْأَعْصَارِ حَتَّى إِنَّكَ تَرَى حَيَوَانَ هَذَا الْعَصْرِ فِي رَاحَةٍ وَإِكْرَامٍ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِهَا بَنُو الْعُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إِنَّ حَقًّا عَلَيْنَا إِزَاءَ كُلِّ هَذَا أَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ الْأَجْيَالِ فِي مِيدَانِ شُكْرِ اللَّهِ لِيُبْرِهِنَ كُلُّ مَنَّا أَنَّهُ يُحْسِنُ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ مَوْلَاهُ أ - هـ .

وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرَاضِيهِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوها وَازْدِيَادِهَا الْجَمَادَاتُ .

فَيَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرْحًا يُوشِكُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى الْقَبْرِ اللَّهُمَّ وَفَّقْ وَلَاتَنَا لِإِزَالَةِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ وَلِتَأْيِيدِ الْإِسْلَامِ .

وَالْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَوَفَّقَهُمْ لِلرَّفَقِ فِي رَعَايَاهُمْ وَالنُّصْحِ لَهُمْ
وَسَدَّدَ خُطَاهُمْ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنْ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ
مَاجَةَ .

لَقَدْ صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ فَإِنَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ يُهْمِلُ وَاجِبَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ النِّعَمَ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الشُّكْرِ
وَلَا يُحَاوِلُ اسْتِيقَاءَهَا بِأَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا بَلْ يُعْرِضُ عَنْ اللَّهِ وَيَتَأَيَّ بِجَانِبِهِ وَلَا
يَذْكُرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَظِيمِهَا إِلَّا جِئْنَ يَعْدُو عَلَيْهَا الْمَرَضُ فَيُذِلُّ
نَضْرَةَ الْعَافِيَةِ وَيَخْطُو بِقُوَّةِ الشَّبَابِ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ إِلَى ضَعْفِ الشَّيْخُوخَةِ .

أَمَّا جِئْنَ يَنْعَمُ الْإِنْسَانُ بِسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ وَقُوَّةِ بُنْيَتِهِ وَجِئْنَ يُحَسُّ الْحَيَوِيَّةَ
تَسْرِي فِي عُرْوَقِهِ فَهُوَ يَنْطَلِقُ فِي شَهَوَاتِهِ خَاضِعًا لَهَا ، وَهُوَ يَظُنُّ نَفْسَهُ الْأَمْرَ
النَّاهِي ، وَخَاسِرًا بِهَا وَهُوَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ قَدْ رَبِحَ كُلَّ شَيْءٍ .

وَتَمْضِي بِهِ أَيَّامُهُ وَلَيَالِيهِ وَهُوَ يَرْتَعُ كَالْحَيَوَانِ فِي مَلَذَّاتِهِ مِنْ مَأْكُولَاتٍ
وَمَشْرُوبَاتٍ دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمِنْ غَيْرِ تَمْيِيزِ بَيْنِ طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ
فَيُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَبْخُسُهَا حَقَّهَا إِذْ يُضَيِّعُ طَاقَتَهَا عَلَى الْعَمَلِ النَّافِعِ وَعَلَى
الطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ فِي اللَّهِ وَاللَّعِبِ .

وَبَلَا شَكٍّ أَنَّ الصَّحَّةَ عَرَضٌ لَا يَدُومُ بَلْ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وَأَنَّ الْمَرَضَ
يُفْقِدُ الْإِنْسَانَ مُعْظَمَ طَاقَتِهِ عَلَى الْعَمَلِ بَلْ رُبَّمَا فَقَدَهَا كُلَّهَا وَعَجَزَ فَمِنْ السَّفَهَةِ
وَالْحُمُقِ إِذَا أُنْ لَا يَغْتَنِمُ الْإِنْسَانُ فُرْصَةَ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاحِ مِنَ الشَّوَاغِلِ لِلطَّاعَةِ
وَالْعِبَادَةِ .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ بِهِ الزَّمَنُ يَقْصُرُ عُمُرُهُ وَمَقْدِيرَتُهُ عَلَى
الْعَمَلِ تَضَعُفُ كُلَّمَا خَطَا بِهِ الزَّمَنُ وَمَحْصُولُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَقِلُّ كُلَّمَا
أَقْعَدَهُ الْمَرَضُ أَوْ أَثْقَلَتْهُ السُّنُونُ فَالْعَاقِلُ الْيَقِظُ يُحَافِظُ عَلَى وَقْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ
مُحَافَظَتِهِ عَلَى مَالِهِ وَلَا يُضَيِّعُ مِنْهُ شَيْئًا بَلْ يَسْتَعْمِلُهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَالْدارِ
الْآخِرَةِ أَوْ مَا هُوَ سَبَبٌ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ فَاتَهُ شَيْءٌ أَوْ نَسِيَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ بِاللَّيْلِ
قَضَاهُ بِالنَّهَارِ وَبِالْعَكْسِ .

وَلِلَّهِ آيَاتٌ كَوْنِيَّةٌ وَآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ يَتَمَشَّى الْمُسْلِمُ النَّشِيطُ الْمُتَبَعِدُ عَنْ
الْكَسَلِ وَالْعَجْزِ عَلَى ضَوْئِهَا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ
هَذِهِ عَبَثًا فَالذَّاهِلُونَ عَنْ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، الْهَائِمُونَ وَرَاءَ مَنَافِعِهِمُ الْمُعْجِلَةُ
حُمُقَى لَا يَنْتَصِحُونَ مِنْ حِكْمَةٍ وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ دَرْسٍ تَجِدُهُمْ لَا يُبَالُونَ
بِأَضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ وَرُبَّمَا أَضَاعُوهَا فِي الْمَعَاصِي .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْ إِيمَانَنَا وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ
السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَاعْمُرْ أَوْقَاتَنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَارْزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِلْوَالدِّينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
شعرا - قال بعضهم :

« إِذَا شَغَلَ الضِّيَاعُ آلَاتِ لَهْوِهِمْ
وَطَابَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَلَاهِي مَحْفَلُ »
« وَسُرُّوا بِمَا فِيهِ هَلَاكُ نَفْسِهِمْ
وَدَيْنُهُمْ وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ أَوَّلُ »
« فَقُمْ وَتَوَضَّأْ وَأَقْصِدْ الْمَاجِدَ الَّذِي
إِذَا مَا مَضَى الثُّلَاثَانِ لِلَّيْلِ يَنْزِلُ »
« يَقُولُ أَلَا مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ
وَمُسْتَعْفِرٍ يُعْفَرُ لَهُ مَا يُؤْمَلُ »
« وَمِنْ مُذْنِبٍ مِمَّا جَنَى جَاءَ تَائِبًا
إِلَى غَافِرٍ لِلذَّنْبِ لِلتَّوْبِ يَقْبَلُ »
« وَكَرَّرَ سُؤَالَ وَالِدْعَا بِتَضَرُّعٍ
لَعَلَّكَ تُحْظَى بِالْفَلَاحِ فَتُقْبَلُ »
« وَقُلْ عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا
وَيَرْجُوكَ تَوْفِيقًا وَلِلْعَفْوِ يَأْمَلُ »
« فَجُدْ وَتَجَاوَزْ يَا جَوَادُ لِمَنْ أَتَى
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا رَجَاؤُكَ مَوْئِلُ »

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الضِّيَاعِ لِلْوَقْتِ الَّذِينَ كَانَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا وَأَعْمَارُهُمْ
سَبْهَلًا لَا يُفَيِّقُونَ مِنْ قَتْلِ أَوْقَاتِهِمْ فِي الْبَطَالَةِ وَعِنْدَ الْمُتَكَرِّرَاتِ مِنْ كُورَةٍ وَفُذْيَةٍ
وَتِلْفَازِيُونَ وَمِذْيَاعٍ وَسَيْنَمًا وَوَرَقٍ وَغَيْبَةً وَنَمِيمَةً وَتَجَسُّسًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ

رُبَّمَا أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ الْجِنَايَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الْآخَرِينَ فَشَغَلُوهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ بِشُتُونِ تَافِهَةٍ أَوْ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِم بِالْخُسْرَانِ فَهُؤُلَاءِ أَسَاؤُهَا مِنْ جِهَتَيْنِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ يُمَضُّونَ أَيَّامَهُمْ فِي غَيْرِ عَمَلٍ وَعَلَى غَيْرِهِمْ حَيْثُ شَغَلُوهُمْ عَنْ الْعَمَلِ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَادُوا قَتْلَ الْوَقْتِ إِذَا مَا تَبَيَّنَ فَشْلُهُمْ فِي نَوْبَةٍ يَقْظَةٍ رَاحُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ سِرِّ هَذَا الْفَشْلِ وَيَتَهَمُّونَ الْأَيَّامَ تَارَةً وَالْحَظَّ تَارَةً أُخْرَى ، كَانَهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَطْبُوعُونَ عَلَى النَّجَاحِ دُونَ عَمَلٍ وَأَنْ يَجْنُوا ثَمَارَ مَوَاهِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا هَذِهِ الْمَوَاهِبَ .

أَمَّا السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ لِفَشْلِهِمْ فَهُوَ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ بِأَلٍ وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ وَذَلِكَ لِضَعْفِ عُقُولِهِمْ .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكُسَالَى كُلَّ الْبُعْدِ لِئَلَّا يُؤْثَرُوا عَلَيْهِ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ ضِيَاعِ الْعُمْرِ سُدىً وَيَجْتَهِدَ فِي صُحْبَتِهِ ضِدَّ هَؤُلَاءِ أَنْاسٍ أَتَقِيَاءَ مُحَافِظِينَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ لَا يُمَضُّونَهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

فَصَاحِبُ تَقِيٍّ عَالِمًا تَتَفَعُّ بِهِ
 فَصُحْبَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ تُرْجَى وَتُطْلَبُ
 وَإِيَّاكَ وَالْفُسَّاقَ لَا تَصْحَبْنَهُمْ
 فَقُرْبُهُمْ يُعْدِي وَهَذَا مُجَرَّبُ
 فَإِنَّا رَأَيْنَا الْمَرْءَ يَسْرِقُ طَبْعُهُ
 مِنْ الْإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ
 وَجَانِبُ ذَوِي الْأَوْزَارِ لَا تَقْرَبْنَهُمْ
 فَقُرْبُهُمْ يُرْدِي وَلِلْعَرَضِ يَثْلُبُ

وبالتالي فالذي يُرشدنا إليه النبي ﷺ في هذا الحديث أنه يُقرر أولاً أن
صحة البدن نعمة من أعظم نعم الله علينا ليُرَبِّي فينا الوعي بقيمة الطاقة
الإنسانية التي خلقها الله فينا . فنستغلها فيما يعود علينا أفراداً وجماعة بالخير
والنفع .

ويقرر لنا ﷺ ثانياً أن الوقت هو الحياة ، وأن ما نحسبه فراغاً فنتفنن في
وسائل قتله هو الطريق إلى التقدم فالحقيقة أن الحي الذي يُقدر حياته ببخل
في الوقت أن يكون فيه فراغاً ويجهد فيه في العمل الذي يقربه إلى الله وإلى
مرضاياته من صلاة وصدقة وتهليل وتسبيح وتكبير وتحميد .

ومن استغلال الوقت بأنفع الوسائل المداومة على العمل وإن كان
قليلاً . وذلك أن استدامة العمل القليل على توالي الزمان واستمراره يكون
من القليل كثيراً من حيث لا يجد الإنسان مشقة ولا ضجراً .

وفي الحديث إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل وفي الحديث
الآخر إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا
واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد .

فقد ختم ﷺ هذا الحديث بوصية خفيفة على النفوس ، نافعة تُرشد
إلى المحافظة على الوقت ، حيث حث فيها على التبكير ورغب أن يبدأ
المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم فإن الحرص على
الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في أن لا يضيع سائرته سدى .

فهذه الأوقات الثلاثة المذكورة في الحديث ، كما أنها السبب الوحيد
لقطع المسافات القريبة والبعيدة في الأسفار الحسية مع راحة المسافرين وراحة

رَاحِلَتِهِ وَوُضُولِهِ بِرَاحَةٍ وَسُهُولَةٍ فَهِيَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِقَطْعِ السَّفَرِ الْآخِرِيِّ
وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ سَيْرًا جَمِيلًا .

فَمَتَى أَخَذَ الْعَامِلُ نَفْسَهُ وَشَغَلَهَا بِالْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُنَاسِبَةِ
لِوَقْتِهِ أَوَّلَ نَهَارِهِ وَآخِرَ نَهَارِهِ وَشَيْئًا مِنْ لَيْلِهِ وَخُصُوصًا آخِرَ اللَّيْلِ حَصَلَ لَهُ مِنْ
الْخَيْرِ وَمِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ أَكْمَلُ حَظٍّ وَأَوْفَرُ نَصِيبٍ وَنَالَ السَّعَادَةَ وَالْفَوْزَ
وَالْفَلَاحَ وَتَمَّ لَهُ النَّجَاحُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ مَعَ حُصُولِ مَقْصِدِهِ
الدُّنْيَوِيِّ وَأَغْرَاضِهِ النَّفْسِيَّةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ
وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ
مَوْتِكَ .

وَقَالَ ﷺ مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا
إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ وَرُويَ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَرَّبِي رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَصَبِّحَةٌ فَحَرَّكَنِي بِرَجْلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّةُ قَوْمِي أَشْهَدِي رِزْقَ
رَبِّكَ وَلَا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ « إِذْ أَنَّ الْجَادِينَ أَوْ الْكُسَالَى يَتَمَيِّزُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ
فَيُعْطَى كُلُّ أَمْرٍ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَحَتَامًا فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَرَاغَ وَقْتِهِ
بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَتَّقَ بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيمَةً
صِحَّتِهِ ، وَيَجْعَلَ الْعَمَلَ فُرْصَةً فَرَاغِهِ . فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدًّا وَلَا مَا فَاتَ
مُسْتَذْرَكًا .

قَالَ بَعْضُهُمْ فَوْتُ الْوَقْتِ أَشَدُّ مِنْ فَوْتِ الرُّوحِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ
لَأَنَّ فَوْتَ الرُّوحِ انْقِطَاعٌ عَنِ الْخَلْقِ وَفَوْتُ الْوَقْتِ انْقِطَاعٌ عَنِ الْحَقِّ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرَّاحَةُ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ وَلِلنِّسَاءِ غِلْمَةٌ فَالْفَرَاغُ
مُفْسِدَةٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُمْضِ يَوْمَكَ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا تُضِعْ مَا لَكَ فِي غَيْرِ
الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ الْمَنَافِعِ كَمَا قِيلَ :

أَذَانُ الْمَرْءِ حِينَ الطُّفْلِ يَأْتِي
وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ
دَلِيلٌ أَنَّ مَحْيَاهُ قَلِيلٌ
كَمَا بَيْنَ الْأَذَانِ إِلَى الصَّلَاةِ

وَالْمَالُ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ وَالْعَاقِلِ أَجَلٌ وَأَكْيَسُ مِنْ
أَنْ يُفْنِيَ أَيَّامَهُ فِيمَا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ وَيُنْفِقُ أَمْوَالَهُ فِيمَا لَا يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ
وَأَجْرُهُ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْبَرُّ ثَلَاثَةُ الْمَنْطِقِ
وَالنَّظَرُ وَالصَّمْتُ فَمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ
اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

وَمِمَّا يَحْفِزُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ تَذَكُّرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَحَالَةِ السَّبْقِ لِلْمُجَدِّينَ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَضَتْ الْأَوْقَاتُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ
وَلَمْ تَكُ مَحْزُونًا فَذَا أَعْظَمُ الْخَطْبِ

عَلَامَةُ مَوْتِ الْقَلْبِ أَنْ لَا تَرَى بِهِ
حَرَكَاتًا إِلَى التَّقْوَى وَمَيْلًا عَنِ الذَّنْبِ

وقال الآخر :

وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَصْلِ فَرْدًا
وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا
عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْنَا
فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبَادِرُ أَيَّامَ الصُّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَلَا يُفَوِّتُ مِنْهَا شَيْئًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

قال الأعشى :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمِثْلِهِ
وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

شعرا :

تَغْنَمُ سُكُونُ الْحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا
وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ تَحْرُكُ
وَبَادِرْ بِأَوْقَاتِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا
رِهَانٌ وَهْلٌ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَثْرَكُ

نَسْأَلُ أَنْ يُوفِّقَنَا لِتَدْبِيرِ آيَاتِهِ وَفَهْمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْعَمَلِ بِهِمَا وَأَنْ يَرْزُقَنَا
الْإِنْتِفَاعَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ عَلَى خَيْرِ وَجْهِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ وَآتِنَا أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَفِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ الْمُوقِّي بْنِ قَدَامَةَ مَا لَفْظُهُ : فَاغْتَنِمَ رَحِمَكَ اللَّهُ
حَيَاتَكَ النَّفِيسَةَ وَاحْتَفِظْ بِأَوْقَاتِكَ الْعَزِيزَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ مُدَّةَ حَيَاتِكَ مَحْدُودَةٌ
وَأَنْفَاسَكَ مَعْدُودَةٌ فَكُلْ نَفْسٍ يَنْقُصُ بِهِ جُزْءٌ مِنْكَ وَالْعُمُرُ كُلُّهُ قَصِيرٌ وَالْبَاقِي مِنْهُ
هُوَ الْيَسِيرُ وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا عِدْلَ لَهَا وَالْبَاقِي مِنْهُ هُوَ الْيَسِيرُ وَكُلُّ
جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا عِدْلَ لَهَا وَلَا خَلْفَ مِنْهَا فَإِنَّ بِهِذِهِ الْحَيَاةَ الْيَسِيرَةَ خُلُودُ
الْأَبَدِ فِي النَّعِيمِ أَوْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

وَإِذَا عَادَلْتَ هَذِهِ الْحَيَاةَ بِخُلُودِ الْأَبَدِ عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ يُعَادِلُ أَكْثَرَ مِنْ
أَلْفِ أَلْفِ عَامٍ فِي نَعِيمٍ لَا خَطَرَ لَهُ أَوْ خِلَافَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ هَكَذَا فَلَا قِيَمَةَ لَهُ
فَلَا تُضَيِّعْ جَوَاهِرَ عُمْرِكَ النَّفِيسَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلَا تُذْهِبْهَا بِغَيْرِ عَوْضٍ وَاجْتَهِدْ أَنْ
لَا يَخْلُو نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِكَ إِلَّا فِي عَمَلٍ طَاعَةٍ أَوْ قُرْبَةٍ تُقَرِّبُ بِهَا فَإِنَّكَ لَوْ كَانَ
مَعَكَ جَوْهَرَةٌ مِنْ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا لَسَاءَكَ ذَهَابُهَا فَكَيْفَ تُفَرِّطُ فِي سَاعَاتِكَ وَكَيْفَ
لَا تَحْزَنُ عَلَى عُمْرِكَ الذَّاهِبِ بِغَيْرِ عَوْضٍ انْتَهَى .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي هَذَا
الَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فَإِنَّ الْمَغْبُوتَ مَنْ غِبْنَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْمَحْرُومَ مَنْ حُرِمَ
خَيْرَهُمَا ، إِنَّمَا جُعِلَ سَبِيلًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ ؛ وَوَبَالاً عَلَى الْآخِرِينَ
لِلْغَفْلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَأَحْيُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ ، فَإِنَّمَا تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ .

كَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ جَلٌّ وَعَلَا فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ

حُفْرَتِهِ وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمَتِهِ عِنْدَمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِلْعَابِدِينَ غَدًا فَأُغْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَدَاوِمُوا شُكْرَهُ .

قال مُحَمَّد بنُ عَلِي الترمذي اجْعَلْ مُرَاقِبَتَكَ لِمَنْ لَا تَغِيبُ عَنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ واجْعَلْ شُكْرَكَ لِمَنْ لَا تَنْقُطُ نِعْمَتُهُ عَنْكَ واجْعَلْ خُضُوعَكَ لِمَنْ لَا تَخْرُجُ عَنْ مُلْكِهِ .

وقال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : العَبْدُ مِنْ حِينَ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ ، وَمُدَّةُ سَفَرِهِ عُمُرُهُ وَلَأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَرَاجِلُ فَلَا يَزَالُ يَطْوِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّفَرُ ، فَالْكَيْسُ لَا يَزَالُ مُهْتَمًّا بِقَطْعِ الْمَرَاجِلِ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ لِيَجِدَ مَا قَدَّمَ مُحَضَّرًا ثُمَّ النَّاسُ مُنْقَسِمُونَ إِلَى أَقْسَامٍ ، مِنْهُمْ مَنْ قَطَعَهَا مَتَزَوِّدًا بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَهَا سَائِرًا فِيهَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : سَابِقُونَ أَدَّوْا الْفَرَائِضَ وَأَكْثَرُوا مِنَ النَّوَافِلِ بِأَنْوَاعِهَا ، وَتَرَكَوْا الْمَحَارِمَ ، وَالْمَكْرُوهَاتِ وَفُضِّلُوا الْمُبَاحَاتِ ، وَمُقْتَصِدُونَ أَدَّوْا الْفَرَائِضَ وَتَرَكَوْا الْمَحَارِمَ ، وَمِنْهُمْ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَرَجَاتٍ يَتَفَاوَتُونَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا أ هـ .

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : النَّاسُ مِنْذُ خُلِقُوا لَمْ يَزَالُوا مُسَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ حَظٌّ عَنْ رِحَالِهِمْ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ وَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ السَّفَرَ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ وَمِنَ الْمُحَالِ عَادَةٌ أَنْ يُطْلَبَ فِيهِ نَعِيمٌ ، وَلَذَّةٌ وَرَاحَةٌ إِنَّمَا ذَلِكَ بَعْدَ انْتِهَاءِ السَّفَرِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ وَطْأَةٍ قَدَمٍ أَوْ كُلِّ آنٍ مِنْ آنَاتِ السَّفَرِ غَيْرَ وَاقِفَةٍ وَلَا الْمُكَلَّفُ وَاقِفٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ سَافِرٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يُحِبُّ أَنْ

يَكُونُ الْمُسَافِرُ مِنْ تَهَيَّئَةِ الزَّادِ الْمُوَصِّلِ وَإِذَا نَزَلَ أَوْ نَامَ أَوْ اسْتَرَحَ فَعَلَى
استعداد .

شعراً :

أَنْتَ الْمُسَافِرُ وَالْدُنْيَا الطَّرِيقُ وَأَنْ
فَاسُ خُطَاكَ وَرَأْسُ الْمَرْءِ إِيمَانُ
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ تَقْوَى اللَّهِ مَذْرَجَةً
فَلِلْأَسَاءَاتِ قُطَّاعٌ وَأَعْوَانُ
يَا قَوْمُ دُنْيَاكُمْوَا دَارُ مَزْوَقَةٍ
لَكِنْ لَهَا وَضِعَتْ فِي الرَّمْلِ أَرْكَانُ
لَهَا سُقُوفٌ بِلَا أَسٍ مُزْخَرَفَةٌ
وَكَيْفَ يُبْنِي بِغَيْرِ الْأَسِّ بُنْيَانُ
كَمْ فَاتِحٍ عَيْنُهُ فِيهَا تَخَطَّفَةٌ
أَيْدِي الرَّدَى قَبْلَ أَنْ تَنْضَمَّ أَجْفَانُ
هِيَ السَّرَابُ وَمَاءُ الْوَجْهِ تُهْرِقُهُ
وَلَا يَرَى فِيهِ وَجْهَ الْمَاءِ غُطَّشَانُ
رَحَى يَدُورُ دَقِيقُ شَأْنُهُ عَجَبُ
غَدَا لِكُلِّ خَلِيلٍ وَهُوَ طَحَّانُ
يَسُرُّ كُلُّ فَتًى طُولُ الزَّمَانِ بِهِ
وَلِلْفَتَى حَاصِلُ الْأَزْمَانِ إِزْمَانُ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَعِمَارَةُ الْوَقْتِ الْاِسْتِغَالُ فِي جَمِيعِ آثَانِهِ بِمَا
يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ أَوْ يُعَيَّنُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ أَوْ مَنْكَحٍ أَوْ مَنْامٍ أَوْ رَاحَةٍ

فَإِنَّهُ مَتَى أَخَذَهَا بِنِيَّةِ الْقُوَّةِ عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَتَجَنَّبَ مَا يُسْخِطُهُ كَانَتْ مِنْ عِمَارَةِ
الْوَقْتِ وَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا أَتَمُّ لَذَّةٍ فَلَا تَحْسَبْ عِمَارَةَ الْوَقْتِ بِهَجْرِ اللَّذَاتِ
وَالطَّيِّبَاتِ فَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ رَبَّمَا كَانَ سَيْرُهُ الْقَلْبِي فِي حَالِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ
وَجَمَاعِ أَهْلِهِ وَرَاحَتِهِ أَقْوَى مِنْ سَيْرِهِ الْبَدَنِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَبْدُ إِذَا عَزَمَ عَلَى فِعْلٍ أَمَرَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَوَّلًا هَلْ
هُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ أَمْ لَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ طَاعَةً فَلَا يَفْعَلْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبَاحًا يَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى الطَّاعَةِ وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ طَاعَةً فَإِذَا بَانَ لَهُ أَنَّهُ طَاعَةٌ فَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ
هَلْ هُوَ مُعَانٌ عَلَيْهِ أَمْ لَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعَانًا عَلَيْهِ فَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ فَيَذِلَّ نَفْسَهُ وَإِنْ
كَانَ مُعَانًا عَلَيْهِ بَقِيَ عَلَيْهِ نَظَرٌ وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ بَابِهِ فَإِنْ أَتَاهُ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ أَضَاعَهُ أَوْ
فَرَطَ فِيهِ أَوْ أَفْسَدَ مِنْهُ شَيْئًا فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ : الطَّاعَةُ وَالْإِعَانَةُ وَالْهِدَايَةُ أَصْلُ
سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَفَلَاحِهِ .

وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَاسْعَدُ الْخَلْقِ أَهْلُ
هَذِهِ الْعِبَادَةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ وَالْهِدَايَةِ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَأَشْقَاهُمْ مَنْ عَدِمَ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَنَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مَعْدُومٌ أَوْ
ضَعِيفٌ فَهَذَا مَخْذُولٌ مَهِينٌ مَحْزُونٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
قَوِيًّا وَنَصِيبُهُ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ضَعِيفًا أَوْ مَفْقُودًا فَهَذَا لَهُ نُفُوذٌ وَتَسَلُّطٌ وَقُوَّةٌ وَلَكِنْ لَا
عَاقِبَةَ لَهُ بَلْ عَاقِبَتُهُ أَسْوَأُ عَاقِبَةٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَلَكِنْ نَصِيبُهُ مِنَ
الْهِدَايَةِ إِلَى الْمَقْصُودِ ضَعِيفٌ جِدًّا كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ الَّذِينَ قَلَّ
عِلْمُهُمْ بِحَقَائِقِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالتَّقَى .

اللهم اجعل إيماننا بك عميقاً وسهلاً لنا إلى ما يرضيك طريقاً والطف بنا يا مولانا ووفّقنا للباقيات الصالحات توفيقاً واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

وقال رحمه الله :

أقام الله سبحانه هذا الخلق بين الأمر والنهي والعطاء والمنع فافترقوا فرقتين ، فرقة قابلت أمره بالتترك ، ونهيه بالارتكاب ، وعطاءه بالغفلة ، عن الشكر ومنعه بالسخط وهؤلاء أعداؤه ، وفيهم من العداوة بحسب ما فيهم من ذلك .

وقسم قالوا إنما نحن عبيدك ، فإن أمرتنا سارعنا إلى الإجابة ، وإن نهيتنا أمسكنا نفوسنا وكففتنا عما نهيتنا عنه وإن أعطيتنا حمدناك وشكرناك ، وإن منعنا تضرعنا إليك وذكرناك ، فليس بين هؤلاء وبين الجنة إلا ستر الحياة الدنيا ، فإذا مرقه عليهم الموت ، صاروا إلى النعيم المقيم وقرّة العين ، كما أن أولئك ليس بينهم وبين النار إلا ستر الحياة ، فإذا مرقه الموت صاروا إلى الحسرة والألم .

فإذا تصادمت جيوش الدنيا والآخرة في قلبك وأردت أن تعلم من أي الفريقين أنت ، فانظر مع من تميل منهما ، ومع من تقايل ، إذ لا يمكنك الوقوف بين الجيشين ، فأنت مع أحدهما لا محالة .

ففرق منهم استغشوا الهوى فخالفوه ، واستنصحووا العقل فشاوره ، وفرغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له ، وجوارحهم للعمل بما أمروا به ،

وَأَوْقَاتِهِمْ لِعِمَارَتِهَا بِمَا يَعْمُرُ مَنَازِلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَاسْتَظْهَرُوا عَلَى سُرْعَةِ
الْعَمَلِ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ ، وَسَكَنُوا الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ مُسَافِرَةٌ عَنْهَا ،
وَاسْتَوْطَنُوا الْآخِرَةَ قَبْلَ انْتِقَالِهِمْ إِلَيْهَا .

وَاهْتَمُّوا بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَزَوَّدُوا لِلْآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ
مَقَامِهِمْ فِيهَا ، فَجَعَلَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَرَوْحَهَا أَنْ أَنْسَهُمْ بِنَفْسِهِ ،
وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَهَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَشَوَّقَهُمْ إِلَى لِقَائِهِ وَنَعْمَتِهِمْ
بِقُرْبِهِ ، وَفَرَّغَ قُلُوبَهُمْ مِمَّا مَلَأَ قُلُوبَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا ، وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ
عَلَى فَوْتِهَا ، وَالْغَمِّ مِنْ خَوْفِ ذَهَابِهَا ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرْفُونَ ،
وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ وَالْمَلَأَ الْأَعْلَا
بَارَوَاجِهِمْ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَصَاحِبُوهَا بِأَبْدَانٍ قُلُوبُهُمْ

طَيْرٌ لَهَا فِي ضِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ

فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدُ عَمَلِهِ وَطَرِيقُهُ الَّذِي يَعُدُّ سُلُوكَهُ إِلَى اللَّهِ
طَرِيقَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ قَدْ وَفَّرَ عَلَيْهِ زَمَانُهُ مُبْتَغِيًا بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ
عَاكِفًا عَلَى طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ حَتَّى يَصِلَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ وَيَفْتَحَ لَهُ
فِيهَا الْفَتْحَ الْخَاصَّ أَوْ يَمُوتَ فِي طَرِيقِ طَلَبِهِ فَيُرْجَى لَهُ الْوُصُولُ إِلَى مَطْلَبِهِ بَعْدَ
مَمَاتِهِ قَالَ تَعَالَى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ وَهُوَ حَرِيصٌ طَالِبٌ
لِلْقُرْآنِ أَنَّهُ رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأُخْبِرَ أَنَّهُ فِي تَكْمِيلِ مَطْلُوبِهِ وَأَنَّهُ يَتَعَلَّمُ فِي الْبَرَزَخِ
فَإِنَّ الْعَبْدَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدُ عَمَلِهِ الذِّكْرُ وَقَدْ جَعَلَهُ زَادَهُ لِمَعَادِهِ وَرَأْسَ مَالِهِ لِمَالِهِ فَمَتَى فَرَّ عَنْهُ أَوْ قَصَرَ رَأْيَ أَنَّهُ قَدْ غُبِنَ وَخَسِرَ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدُ عَمَلِهِ وَطَرِيقُهُ الصَّلَاةُ فَمَتَى قَصَرَ فِي وَرْدِهِ مِنْهَا أَوْ مَضَى عَلَيْهِ وَقْتُ وَهُوَ غَيْرُ مَشْغُولٍ بِهَا أَوْ مُسْتَعِدٌّ لَهَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتُهِ وَضَاقَ صَدْرُهُ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الْإِحْسَانُ وَالنَّفْعُ الْمُتَعَدِّي كَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَاتِ وَأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ قَدْ فُتِحَ لَهُ فِي هَذَا وَسَلَّكَ مِنْهُ طَرِيقًا إِلَى رَبِّهِ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الصَّوْمُ فَهُوَ مَتَى أَفْطَرَ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَسَاءَتْ حَالُهُ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَهِيَ الْغَالِبُ عَلَى أَوْقَاتِهِ وَهِيَ أَكْثَرُ أَوْرَادِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ وَنَفَذَ مِنْهُ إِلَى رَبِّهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ الَّذِي نَفَذَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْإِعْتِمَارُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ طَرِيقُهُ قَطْعُ الْعَلَائِقِ وَتَجْرِيدُ الْهِمَّةِ وَدَوَامُ الْمُرَاقَبَةِ وَمُرَاعَاةُ الْخَوَاطِرِ وَحِفْظُ الْأَوْقَاتِ أَنْ تَذْهَبَ ضَائِعَةً .

وَمِنْهُمْ جَامِعُ الْمَنْفَذِ السَّالِكِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ وَادٍ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ فَهُوَ جَعَلَ وَطَائِفَ عِبُودِيَّتِهِ قِبْلَةً قَلْبِهِ وَنَصَبَ عَيْنَهُ يَوْمُهَا أَيْنَ كَانَتْ وَيَسِيرُ

مَعَهَا حَيْثُ سَارَتْ قَدْ ضَرَبَ مَعَ كُلِّ فَرِيقٍ بِسَهْمٍ فَأَيْنَ كَانَتْ الْعُبُودِيَّةُ وَجَدَتْهُ هُنَاكَ إِنْ كَانَ عِلْمٌ وَجَدَتْهُ مَعَ أَهْلِهِ أَوْ جِهَادٌ وَجَدَتْهُ فِي صَفِّ الْمُجَاهِدِينَ أَوْ صَلَاةٌ وَجَدَتْهُ فِي الْقَائِمِينَ أَوْ ذِكْرٌ وَجَدَتْهُ فِي الذَّاكِرِينَ أَوْ إِحْسَانٌ وَنَفْعٌ وَجَدَتْهُ فِي زُمْرَةِ الْمُحْسِنِينَ أَوْ مَحَبَّةٌ وَمُرَاقَبَةٌ وَإِنَابَةٌ إِلَى اللَّهِ وَجَدَتْهُ فِي زُمْرَةِ الْمُحِبِّينَ الْمُنِيِّينَ .

يَدِينُ بِدِينِ الْعُبُودِيَّةِ أَنِّي اسْتَقَلْتُ رَكَائِبُهَا وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا حَيْثُ اسْتَقَرْتُ مَضَارِبُهَا لَوْ قِيلَ لَهُ : مَا تُرِيدُ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟ لَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أَنْفِذَ أَوْامِرَ رَبِّي حَيْثُ كَانَتْ وَأَيْنَ كَانَتْ جَالِبَةً مَا جَلَبْتُ مُقْتَضِيَةَ مَا اقْتَضَتْ جَمْعَتْنِي أَوْ فَرَّقَتْنِي .

لَيْسَ لِي مُرَادٌ إِلَّا تَنْفِيزُهَا وَالْقِيَامُ بِأَدَائِهَا مُرَاقِبًا لَهُ فِيهَا عَاكِفًا عَلَيْهِ بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالسَّرِّ قَدْ سَلَّمْتُ إِلَيْهِ الْمَبِيعَ مُنْتَظِرًا مِنْهُ تَسْلِيمَ الثَّمَنِ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ السَّالِكُ إِلَى رَبِّهِ النَّافِذُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً .

وَمَعْنَى النُّفُودِ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ قَلْبُهُ وَيَعْلِقَ بِهِ تَعَلُّقُ الْمُحِبِّ التَّامِ الْمَحَبَّةَ بِمَحْبُوبِهِ فَيَسْأَلُوا بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْمَطَالِبِ سِوَاهُ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ إِلَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ وَأَمْرُهُ وَطَلَبُ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ) وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَصْلٌ) فَإِذَا سَلَكَ الْعَبْدُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ عَطَفَ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَقَرَّبَهُ وَاصْطَفَاهُ وَأَخَذَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ وَتَوَلَّاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ فِي مَعَاشِهِ وَدِينِهِ وَتَوَلَّى تَرْبِيَّتَهُ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ مِمَّا يُرَبِّي الْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَلَدَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْقَيُّومُ الْمُقِيمُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ طَائِعَهَا وَعَاصِيَهَا .

فَكَيْفَ تَكُونُ قِيُومِيَّتُهُ بِمَنْ أَحَبَّهُ وَتَوَلَّاهُ وَآثَرَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ وَرَضِيَ بِهِ مِنْ

النَّاسِ حَبِيباً وَرَبّاً وَوَكَيْلاً وَنَاصِراً وَمُعِيناً وَهَادِياً فَلَوْ كَشَفَ الْغِطَاءُ عَنْ الطَّافِ
وَبِرِّهِ وَصُنْعِهِ لَهُ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَذَابَ قَلْبُهُ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقاً إِلَيْهِ
وَتَقَطَعَ شُكْرًا لَهُ .

وَلَكِنْ حَجَبَ الْقُلُوبَ عَنْ مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ إِخْلَادُهَا إِلَى عَالَمِ الشَّهَوَاتِ
وَالْتَّعَلُّقِ بِالْأَسْبَابِ فَصَدَّتْ عَنْ كَمَالِ نَعِيمِهَا وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَإِلَّا
فَأَيُّ قَلْبٍ يَذُوقُ حَلَاوَةَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ ثُمَّ يَرْكُنُ إِلَى غَيْرِهِ وَيَسْكُنُ إِلَى مَا
سِوَاهُ هَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَداً .

وَمَنْ ذَاقَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ وَعَرَفَ طَرِيقاً مُوصِلةً إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَرَكَهَا وَأَقْبَلَ
عَلَى إِرَادَتِهِ وَرَاحَاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَلَذَّاتِهِ وَقَعَ فِي آثَارِ الْمَعَاطِبِ وَأُودِعَ قَلْبُهُ سُجُونَ
الْمَضَايِقِ وَعُذِّبَ فِي حَيَاتِهِ عَذَاباً لَمْ يُعَذِّبْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَحَيَاتُهُ عَجْزٌ
وَغَمٌّ وَحَزَنٌ وَمَوْتُهُ كَدْرٌ وَحَسْرَةٌ وَمَعَادُهُ أَسْفٌ وَنَدَامَةٌ قَدْ فَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَشُتَّتْ
عَلَيْهِ شَمْلُهُ وَأَخْضَرَ نَفْسَهُ الْغُمُومَ وَالْأَحْزَانَ .

فَلَا لَذَّةَ الْجَاهِلِينَ وَلَا رَاحَةَ الْعَارِفِينَ يَسْتَعِثُّ فَلَا يُغَاثُ وَيَشْتَكِي فَلَا
يُشْكِي فَقَدْ تَرَحَّلَتْ أَفْرَاحُهُ وَسُرُورُهُ مُدْبِرَةٌ وَأَقْبَلَتْ آلامُهُ وَأَحْزَانُهُ وَحَسْرَاتُهُ فَقَدْ
أُبْدِلَ بَأْنِسِهِ وَخَشَّةٌ وَبِعِزِّهِ ذُلٌّ وَبِغِنَاهُ فَقْرٌ وَبِجَمْعِيَّتِهِ تَشْتِيتٌ وَأَبْعَدُوهُ فَلَمْ يَظْفُرْ
بِقُرْبِهِمْ وَأَبْدَلُوهُ مَكَانَ الْأَنْسِ إِيحَاشاً .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَرَفَ طَرِيقَهُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَرَكَهَا نَاكِباً عَنْهَا مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ
فَأَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ وَعَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ وَأَقْبَلَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَدُعِيَ فَمَا أَجَابَ وَفُتِحَ لَهُ فَوَلَّى
ظَهْرَهُ الْبَابَ قَدْ تَرَكَ طَرِيقَ مَوْلَاهُ وَأَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى هَوَاهُ .

فَلَوْ نَالَ بَعْضَ حُطُوطِهِ وَتَلَذَّذَ بِرَاحَاتِهِ وَشُؤُونِهِ فَهُوَ مُقَيَّدُ الْقَلْبِ عَنْ

انطلاقه في فسيح التوحيد وميادين الأنس ورياض المحبة وموائد القرب قد
أنحط بسبب إغراضه عن إلهه الحق إلى أسفل سافلين وحصل في عداد
الهاكين فنار الحجاب تطلع كل وقت على فؤاده وإغراض الكون عنه - إذ
أعرض عن ربه - حائل بينه وبين مراده .

فهو قَبْرٌ يمشي على وجه الأرض وروحُه في وحشة من جسمه وقلبه في
ملال من حياته يتمنى الموت ويستهيئه ولو كان فيه ما فيه حتى إذا جاءه الموت
على تلك الحال والعياذ بالله فلا تسأل عما يحلُّ به من العذاب الأليم بسبب
وقوع الحجاب بينه وبين مولاه الحق وإحراقه بنار البعد من قربه والإغراض
عنه وقد حيل بينه وبين سعادته وأمنيته .

فلو تَوَهَّم العبد المسكين هذه الحال وصورتها له نفسه وأرته إيّاها على
حقيقتها لتقطع والله قلبه ولم يلتذ بطعام ولا شراب ولخرج إلى الصعدات
يجأ إلى الله ويستغيث به ويستغيثه في زمن الاستغاث هذا مع أنه إذا أثر
شهواته ولذاته الفانية التي هي كخيال طيف أو مُرْنة صيفٍ نغصت عليه لذتها
أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها أقدر ما كان عليها وتلك سنة الله في خلقه
كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ
قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وهذا هو غيب إغراضه وإيثار شهواته على مرضاة ربه يعوق القدر عليه
أسباب مراده فيخسر الأمرين جميعاً فيكون مُعَذَّباً في الدنيا بتنغيص شهواته
وشدة اهتمامه بطلب ما لم يقسم له وإن قسم له منه شيء فحشوه الخوف
والحزن والنكد والألم فهم لا ينقطع وحسرة لا تنقضي وحرص لا ينفد وذلك لا

يَنْتَهِي وَطَمَعٌ لَا يُقْلَعُ وَهَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ .

وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ فَأَضْعَافُ أَضْعَافِ ذَلِكَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِي
وَفَاتَهُ مَا كَانَ يَتَمَنَّاهُ مِنْ قُرْبِ رَبِّهِ وَكَرَامَتِهِ وَنَيْلِ ثَوَابِهِ وَأُحْضِرَ جَمِيعُ غُموِمِهِ
وَأَحْزَانِهِ ، وَأَمَّا فِي دَارِ الْجَزَاءِ فَسِجْنُ أَمْثَالِهِ مِنَ الْمُبْعِدِينَ الْمَطْرُودِينَ فَوَاغُوْثَاهُ
ثُمَّ وَاغُوْثَاهُ بِغِيَاثِ الْمُسْتَغِيثِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَمَنْ أَعْرَضَ اللَّهُ
عَنْهُ لَزِمَهُ الشَّقَاءُ وَالْبُؤْسُ وَالْبَخْسُ فِي أَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَقَارَنَهُ سُوءُ الْحَالِ وَفَسَادُ
فِي دِينِهِ وَمَالِهِ فَإِنَّ الرَّبَّ إِذَا أَعْرَضَ عَنْ جِهَةٍ دَارَتْ بِهَا النُّحُوسُ وَأُظْلِمَتْ
أَرْجَاؤُهَا وَانْكَسَفَ أَنْوَارُهَا وَظَهَرَ عَلَيْهَا وَحْشَةُ الْإِعْرَاضِ وَصَارَتْ مَأْوَى
لِلشَّيَاطِينِ وَهَدَفًا لِلشُّرُورِ وَمَصْبَأً لِلْبَلَاءِ .

فَالْمَحْرُومُ كُلُّ الْمَحْرُومِ مَنْ عَرَفَ طَرِيقاً إِلَيْهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا أَوْ وَجَدَ
بَارِقَةً مِنْ حُبِّهِ ثُمَّ سَلَبَهَا لَمْ يَنْفُذْ إِلَى رَبِّهِ مِنْهَا خُصُوصاً إِذَا مَالَ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ إِلَى
شَيْءٍ مِنَ اللَّذَاتِ وَانْصَرَفَ بِجُمْلَتِهِ إِلَى تَحْصِيلِ الْأَغْرَاضِ وَالشَّهَوَاتِ عَاكِفاً
عَلَى ذَلِكَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَغُدُوِّهِ وَرَوَاجِحِهِ هَابِطاً مِنَ الْأَوْجِ الْأَعْلَى إِلَى
الْحَضِيضِ الْأَدْنَى .

قَدْ مَضَتْ عَلَيْهِ بُرْهَةٌ مِنْ أَوْقَاتِهِ وَكَانَ هَمُّهُ اللَّهُ وَبُغْيَتُهُ قُرْبُهُ وَرِضَاهُ وَإِثَارُهُ
عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ عَلَى ذَلِكَ يُصْبِحُ وَيُمْسِي وَيَظَلُّ وَيُضْحِي وَكَانَ اللَّهُ فِي تِلْكَ
الْحَالِ وَلِيَّهُ لِأَنَّهُ وَلِيُّ مَنْ تَوَلَّاهُ وَحَبِيبُ مَنْ أَحَبَّهُ وَوَالَاهُ .

فَأَصْبَحَ فِي سِجْنِ الْهَوَى ثَاوِياً وَفِي أَسْرِ الْعَدُوِّ مُقَيِّماً وَفِي بَثْرِ الْمَعْصِيَةِ
سَاقِطاً وَفِي أَوْدِيَةِ الْحَيْرَةِ وَالتَّفْرِقَةِ هَائِماً مُعْرِضاً عَنِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ إِلَى

الأغراضِ الخسيسةِ الفانيةِ كَانَ قَلْبُهُ يَحُومُ حَوْلَ العَرْشِ فَأَصْبَحَ مَحْبُوساً فِي
أَسْفَلِ الحُشِّ :

فَأَصْبَحَ كَالْبَازِ الْمُتَفِّ رِيشُهُ
يَرَى حَسْرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا
عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ
إِذَا هُوَ مَقْصُوصُ الجُنَاحَيْنِ حَاسِرُ

فَيَا مَنْ ذَاقَ شَيْئًا مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا وَاسْتَبَدَلَ بِغَيْرِهَا
مِنْهَا يَا عَجَبًا لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ تَعَوَّضَ وَكَيْفَ قَرَّرَ قَرَارَهُ فَمَا طَلَبَ الرُّجُوعَ إِلَى أَحْنِيَّتِهِ
وَمَا تَعَرَّضَ وَكَيْفَ اتَّخَذَ سِوَى أَحْنِيَّتِهِ سَكَنًا وَجَعَلَ قَلْبُهُ لِمَنْ عَادَاهُ مَوْلَاهُ مِنْ
أَجْلِهِ وَطَنًا أَمْ كَيْفَ طَاوَعَهُ قَلْبُهُ عَلَى الاِصْطِبَارِ وَوَافَقَهُ عَلَى مُسَاكَنَةِ الأَغْيَارِ .
فَيَا مُعْرِضًا عَنْ حَيَاتِهِ الدَّائِمَةِ وَنَعِيمِهِ الْمُقِيمِ وَيَا بَائِعًا سَعَادَتَهُ الْعُظْمَى
بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَيَا مُسْخِطًا مَنْ حَيَاتِهِ وَرَاحَتِهِ وَفَوْزَهُ فِي رِضَاهُ وَطَالِبًا رِضَى مَنْ
سَعَادَتُهُ فِي إِرْضَاءِ سِوَاهِهَا إِنَّمَا هِيَ لَذَّةُ فَانِيَةٍ وَشَهْوَةٌ مُنْقِضِيَّةٌ تَذْهَبُ لِدَائِهَا وَتَبْقَى
تَبِعَاتُهَا فَرَحٌ سَاعَةٌ لَا شَهْرٌ وَغَمٌ سَنَةٌ بَلْ دَهْرٌ طَعَامٌ لَذِيذٌ مُسْمُومٌ أَوَّلُهُ لَذَّةٌ وَآخِرُهُ
هَلَاكٌ .

فَالْعَامِلُ عَلَيْهَا وَالسَّاعِي فِي تَوْصِيلِهَا كَدُودَةُ الْقَرْيِ يَسُدُّ عَلَى نَفْسِهِ
الْمَذَاهِبَ بِمَا نَسَجَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَعَاطِبِ فَيَنْدُمُ حِينَ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ وَيَسْتَقِيلُ
حِينَ لَا تُقْبَلُ الاِسْتِقَالَةُ فَطُوبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّيَّتِهِ وَعَكَفَ عَلَيْهِ بِإِرَادَتِهِ
وَمَحَبَّتِهِ .

فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِتَوَلَّيِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعَظْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِذَا
أَقْبَلَ عَلَى عَبْدٍ اسْتَنَارَتْ جِهَاتُهُ وَأَشْرَقَتْ سَاحَاتُهَا وَتَنَوَّرَتْ ظُلُمَاتُهَا وَظَهَرَ عَلَيْهِ
آثَارُ إِقْبَالِهِ مِنْ بَهْجَةِ الْجَلَالِ وَآثَارِ الْجَمَالِ .

وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَالَاةِ لِأَنَّهُمْ تَبَعَ لِمَوْلَاهُمْ فَإِذَا
أَحَبَّ عَبْدًا أَحْبَبُوهُ وَإِذَا وَالَى وَلِيًّا وَالَوْهُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى يَا جِبْرَائِيلُ إِنِّي
أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُنَادِي جِبْرَائِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ
أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ .

فَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ بَيْنَهُمْ وَيَجْعَلُ اللَّهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ تَفْدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ
وَالرَّحْمَةِ وَنَاهِيكَ مَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَالِكُ الْمُلِكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِمَحَبَّتِهِ
وَيُقْبَلُ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ كَرَامَتِهِ وَيُلْحِظُهُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَأَهْلُ الْأَرْضِ بِالتَّبَجُّيلِ
وَالتَّكْرِيمِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وصلی الله علی محمد وآله وصحبه أجمعین

(فصل) (قاعدة) السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم
سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين - قوة علمية - وقوة عملية - فبالقوة
العلمية يُبَصِّرُ مَنَازِلَ الطَّرِيقِ وَمَوَاضِعَ السُّلُوكِ فَيَقْصِدُهَا سَائِرًا فِيهَا وَيَجْتَنِبُ
أَسْبَابَ الْهَلَاكِ وَمَوَاضِعَ الْعَطَبِ وَطُرُقَ الْمَهَالِكِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ الطَّرِيقِ
الْمَوْصِلِ .

فَقُوَّتُهُ الْعِلْمِيَّةُ كُنُورٌ عَظِيمٌ بِيَدِهِ يَمْشِي فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ مُظْلِمَةٍ شَدِيدَةٍ
الظُّلْمَةِ فَهُوَ يُبَصِّرُ بِذَلِكَ النُّورِ مَا يَقَعُ الْمَاشِي فِي الظُّلْمَةِ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْوَهَادِ
وَالْمَتَالِفِ وَيَعْتَرُّ بِهِ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالشُّوكِ وَغَيْرِهِ وَيُبَصِّرُ بِذَلِكَ النُّورِ أَيْضًا أَعْلَامَ
الطَّرِيقِ وَأَدَاتِهَا الْمَنْصُوبَةَ عَلَيْهَا فَلَا يَضِلُّ عَنْهَا فَيَكْشِفُ لَهُ النُّورُ عَنِ الْأَمْرَيْنِ

أَعْلَامِ الطَّرِيقِ وَمَعَاطِبِهَا .

وَبِالْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ يَسِيرُ حَقِيقَةً بَلِ السَّيْرُ هُوَ حَقِيقَةُ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْرَ هُوَ عَمَلُ الْمُسَافِرِ وَكَذَلِكَ السَّائِرُ إِلَى رَبِّهِ إِذَا أَبْصَرَ الطَّرِيقَ وَأَعْلَامَهَا وَأَبْصَرَ الْمَغَايِرَ وَالْوَهَادَ وَالطُّرُقَ النَّائِكَةَ عَنْهَا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ شَطْرُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ الشَّطْرُ الْآخَرُ وَهُوَ أَنْ يَضَعَ عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَيُسَمِّرَ مُسَافِرًا فِي الطَّرِيقِ قَاطِعًا مَنَازِلَهَا مَنَزِلَةً بَعْدَ مَنَزِلَةٍ فَكُلَّمَا قَطَعَ مَرَحَلَةً اسْتَعَدَّ لِقَطْعِ الْآخَرَى وَاسْتَشَعَرَ الْقُرْبَ مِنَ الْمَنْزِلِ فَهَانَ عَلَيْهِ مَشَقَّةُ السَّفَرِ .

وَكُلَّمَا سَكَنَتْ نَفْسُهُ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ وَمُواصَلَةِ الشَّدِّ وَالرَّجِيلِ وَعَدَهَا قُرْبُ التَّلَاقِ وَبَرْدُ الْعَيْشِ عِنْدَ الْوُصُولِ فَيُحَدِّثُ لَهَا ذَلِكَ نَشَاطًا وَفَرَحًا وَهِمَّةً فَهُوَ يَقُولُ : يَا نَفْسُ أَبْشِرِي فَقَدْ قُرْبَ الْمَنْزِلِ وَدَنَا التَّلَاقِ فَلَا تَنْقُطِعِي فِي الطَّرِيقِ دُونَ الْوُصُولِ فَيُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنَازِلِ الْأَجِبَةِ .

فَإِنْ صَبَرْتَ وَوَاصَلْتَ الْمَسْرَى وَصَلْتَ حَمِيدَةً مَسْرُورَةً جَذَلَةً وَتَلَقَّتْكَ الْأَجِبَةُ بِأَنْوَاعِ التُّحَفِ وَالْكَرَامَاتِ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا صَبْرُ سَاعَةٍ فَإِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا كَسَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْآخِرَةِ وَعُمْرُكَ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجِ تِلْكَ السَّاعَةِ فَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْقُطِعِي فِي الْمَفَازَةِ فَهُوَ وَاللَّهُ الْهَلَاكُ وَالْعَطْبُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِينَ .

فَإِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ فَلْيَذْكُرْهَا مَا أَمَامَهَا مِنْ أَحْبَابِهَا وَمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ وَمَا خَلْفَهَا مِنْ أَعْدَائِهَا وَمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْعَذَابِ وَأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ فَإِنْ رَجَعْتَ فَإِلَى أَعْدَائِهَا رُجُوعَهَا وَإِنْ تَقَدَّمْتَ فَإِلَى أَحْبَابِهَا مَصِيرُهَا وَإِنْ وَقَفْتَ فِي طَرِيقِهَا أَدْرَكَهَا أَعْدَاؤُهَا فَإِنَّهُمْ وَرَاءَهَا فِي الطَّلَبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فَلْتَخْتَرْ أَيُّهَا شَاءَتْ أَنْتَ .

شعرا :

تَراهُمُ وَأَمْلَأكُ الرِّضَا يَقْدُ مُونِهِمُ
إِلَى جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا
يَسِيرُونَ فِي أَمْنٍ إِذَا الْخَلْقُ فُزِعُ
وَقَدْ بَرَزَتْ نَارٌ وَشَبَّ جَحِيمُهَا
آخر : فَلِلَّهِ كَمٌ مِنْ خَيْرٍ قَدْ تَهَيَّئْتُ
لِقَوْمٍ عَلَى الْأَقْدَامِ بِاللَّيْلِ قَوْمٌ
يُنَاجُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِلَهُهُمْ
فَتَسْرِي هُمُومُ الْقَوْمِ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
آخر : وَلِلَّهِ أَلْطَافٌ بَطِيٌّ قَضَائِهِ
أَخُو الْفَهْمِ فِي أَسْرَارِهَا يَتَفَهَّمُ
فَمُوسَى بِقَذْفِ أَلِيمٍ تَمَّ عُلوُّهُ
تَرَقَّى إِلَى أَعْلَى الذَّرَى وَهُوَ مُكْرَمٌ
وَيُوسُفُ بَعْدَ الْجُبِّ وَالسَّجْنِ حُقْبَةً
حَوَى الْمُلْكَ وَهُوَ الْمُسْتَفَادُ الْمُعْظَمُ
وَبِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى تُنَالُ هِبَاتُهُ
وَأَتَقَى الْوَرَى عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ أَكْرَمُ

وقال رحمه الله :

السَّنةُ شَجَرَةٌ وَالشُّهُورُ فُرُوعُهَا وَالْأَيَّامُ أَغْصَانُهَا وَالسَّاعَاتُ أَوْرَاقُهَا
وَالْأَنْفَاسُ ثَمَرُهَا فَمَنْ كَانَتْ أَنْفَاسُهُ فِي طَاعَةٍ فَثَمَرَةُ شَجَرَتِهِ طَيِّبَةٌ وَمَنْ كَانَتْ فِي
مَعْصِيَةٍ فَثَمَرَتُهُ حَنْظَلٌ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْجَدَادُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ حُلُوُّ

الثَّمارِ مِنْ مُرِّهَا .

والإخلاصُ والتَّوْحِيدُ شَجَرَةٌ فِي الْقَلْبِ فُرُوعُهَا الْأَعْمَالُ وَثَمَرُهُ طِيبُ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي الْآخِرَةِ وَكَمَا أَنَّ ثَمَارَ الْجَنَّةِ لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً فَثَمَرُهُ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ .

وَالشَّرُّ وَالْكَذِبُ وَالرِّيَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْقَلْبِ ثَمَرُهَا فِي الدُّنْيَا الْخَوْفُ وَالْهَمُّ وَالْغَمُّ وَضِيقُ الصَّدْرِ وَظُلْمَةُ الْقَلْبِ وَثَمَرُهَا فِي الْآخِرَةِ الرِّقُومُ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ الْمُقِيمُ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اشْتَرِ نَفْسَكَ فَالْسُّوقُ قَائِمَةٌ وَالثَّمَنُ مَوْجُودٌ وَلَا بُدَّ مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَرُقَادِ الْهَوَى وَلَكِنْ كُنْ خَفِيفَ النَّوْمِ فَحِرَّاسُ الْبَلَدِ يَصْحُوحُونَ دَنَا الصَّبَاحُ نُورُ الْعَقْلِ يُضِيءُ فِي لَيْلِ الْهَوَى فَتَلُوحُ جَادَةُ الصَّوَابِ فَيَتَلَمَّحُ الْبَصِيرُ فِي ذَلِكَ النُّورِ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ أُخْرِجَ بِالْعَزْمِ مِنْ هَذَا الْفِنَاءِ الضِّيقِ الْمَحْشُوبِ بِالْآفَاتِ إِلَى ذَلِكَ الْفِنَاءِ الرَّحْبِ الَّذِي فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

فَهُنَاكَ لَا يَتَعَذَّرُ مَطْلُوبٌ وَلَا يُفْقَدُ مُحْبُوبٌ يَا بَائِعًا نَفْسَهُ بِهَوَى مَنْ حُبَّهُ ضَنَا وَوَصْلُهُ أذى وَحُسْنُهُ إِلَى فَنَاءٍ لَقَدْ بَعْتَ أَنْفَسَ الْأَشْيَاءِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ السِّلْعَةِ حَتَّى إِذَا قَدَمْتَ يَوْمَ التَّغَابُنِ تَبَيَّنَ لَكَ الْغَبْنُ فِي عَقْدِ التَّبَايُعِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سِلْعَةُ اللَّهِ مُشْتَرِيهَا ، وَثَمَنُهَا الْجَنَّةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

شعراً :

كَرِهْتُ وَعَلَامِ الْغُيُوبِ حَيَاتِي
وَأُصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
فَشَا السُّوءُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْوَرَى
وَنَحَاضُوا بِحَارِ اللَّهْوِ وَالشَّهَوَاتِ
وَضَاعَتْ لَدَيْهِمْ حُرْمَةُ الدِّينِ وَاعْتَدَتْ
نُفُوسُهُمْ فِي الْفِسْقِ مُنْغِمَسَاتِ
وَقَدْ فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ
وَأُضْحَتْ خِلَالُ الْخِزْيِ مُتَشِيرَاتِ
وَسَارَ الْخَنَا فِيهِمْ فَلَسْتُ أَرَى سِوَى
كِتَابِ فُسَاقٍ وَجَمْعِ طِفَاةٍ
فَمِنْهُمْ كَذُوبٌ فِي الْوِدَادِ مُخَادِعُ
أَرَاهُ صَدِيقِي وَهُوَ رَأْسُ عُدَاتِي
يُقَابِلُنِي بِالْبُشْرِ وَاللُّطْفِ عِنْدَمَا
يَرَانِي وَيَدْعُو لِي بِطُولِ حَيَاتِي
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ سَبَّني وَأَهَانَنِي
وَعَدَّ عُيُوبِي لِلْوَرَى وَهَنَاتِي
وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ هَمُّهُ الْفِسْقُ وَالزِّنَا
وَلَوْ كَانَ عُقْبَاهُ إِلَى الْهَلَكَاتِ
تُلَاقِيهِ يَجْرِي خَلْفَ مُسْلِمَةٍ بِلَا
حَيَاءٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الْعَنَاتِ

كَأَنَّ لَمْ بُفَكَّرَ أَنَّ تِلْكَ كَأَخْتِهِ
فَيَغْمِزُهَا لِلْحَظِّ وَالْغَمَزَاتِ
وَيُبْدِي لَهَا الْإِعْجَابَ غِشًّا وَخِدْعَةً
وَلَمْ يَرْعَ حَقَّ اللَّهِ فِي الْحُرْمَاتِ
وَأَخْرُ أُمْسَى لِلْعُقَارِ مُعَاقِرًا
وَأَصْبَحَ فِي خَبَلٍ وَفِي سَكَرَاتِ
تَرَاهُ إِذَا مَا أَسْدَلَ اللَّيْلُ سِتْرَهُ
عَلَيْهِ وَوَافِي بَادِي الظُّلُمَاتِ
يُدِيرُ ابْنَةَ الْعُنُقُودِ بَيْنَ صَحَابِهِ
وَيَطْرُبُ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالنَّغَمَاتِ
وَقَدْ أَغْفَلَ الْمُسْكِينُ ذِكْرَ مَمَاتِهِ
وَمَا سِيْلَاقِي مِنْ جَوَى النَّزَعَاتِ
يَتِيَّهُ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ بِعُجْبِهِ
وَيَخْتَالُ كِبْرًا نَاسِيًا لِفَقْدَاةِ
غَدَاةِ يُوَارَى فِي التُّرَابِ وَيَغْتَدِي
طَعَامًا لِدُودِ الْقَبْرِ وَالْحَشَرَاتِ
وَأَخْرُ مَغْرُورٌ بِكَثْرَةِ مَالِهِ
وَمَا عِنْدَهُ فِي الْبَنكِ مِنْ سَنَدَاتِ
يُفَاخِرُ خَلْقَ اللَّهِ بِالْجَاهِ وَالْغِنَى
وَبِالْمَالِ لَا بِالْفَضْلِ وَالْحَسَنَاتِ
وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الْمَالَ فَاِنٍ وَأَنَّهُ
يَزُولُ كَسُحْبِ الصَّيْفِ مُنْقَشَعَاتِ

وَذَا شَاهِدٌ بِالزُّورِ إِنَّ يَسْتَعِينَ بِهِ
أَخُو شِقْوَةٍ يَشْهَدُ بِكُلِّ ثَبَاتٍ
وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا قَدْ أَعَدَّ لِمَوْقِفٍ
بِهِ يَقِفُ الْعَاصِي بِغَيْرِ حُمَاةٍ
وَذَا آكِلٌ مَالِ الْيَتِيمِ وَلَمْ يَدْعُ
لَهُ عِنْدَ رَدِّ الْحَقِّ غَيْرَ فُتَاتٍ
وَفِي بَطْنِهِ قَدْ أَدْخَلَ النَّارَ عَامِداً
وَأَصْبَحَ مَحْرُوماً مِنَ النَّفَحَاتِ
وَذَلِكَ مُغْتَابٌ وَهَذَا مُنَافِقٌ
لِحِطَّتِهِ قَدْ عُذَّ فِي النِّكَرَاتِ
وَهَذَا يَغُشُّ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَا
وَأَرْبَاحُهُ مَنْزُوعَةٌ الْبَرَكَاتِ
وَهَذَا حَوَى كُلَّ الْخَنَا وَصِفَاتُهُ
مَعَ الْخَلْقِ وَالْخَلَاقِ شَرُّ صِفَاتٍ
وَكَمْ مُعْلِنٍ لِلْفِطْرِ وَالنَّاسِ صُومٌ
يُجَاهِرُ فِي الْإِفْطَارِ فِي الطَّرِيقَاتِ
وَلَيْسَ يُيَالِي بِانْتِقَامِ إِلَهِهِ
وَتَعْذِيبِهِ لِأَنْفُسِ النَّجَسَاتِ
وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ مُسْتَطِيعٍ تَرَاهُ لَا
يُبَادِرُ بِحَجِّ الْبَيْتِ قَبْلَ فَوَاتٍ
فَيَسْعَى بِنَفْسٍ مِلْؤُهَا الْبِرُّ وَالتَّقَى
لِتَلْبِيَةِ الرَّحْمَنِ فِي عَرَفَاتٍ

وَلَمْ أَرَ إِلَّا النَّزْرَ فِيهِمْ مُسَارِعاً
لِإِحْيَاءِ دِينِ اللَّهِ بِالصَّلَوَاتِ
وَمَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ إِلَّا وَسَائِلُ
عَلَى الْمُتَّقِي تَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَاتِ
وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ الَّذِي
يَزُجُّ بِمَنْ يَأْتِيهِ فِي الْكُرْبَاتِ
وَيَسْدُرُ أَنْ أَلْقَى غَنِيّاً بِمَالِهِ
يَجُودُ لِذِي جُوعٍ وَذَاتِ عُرَاةٍ
فَمَا اثْتَمَرُوا بِالْأَمْرِ كَلّاً وَلَا انْتَهَوْا
عَنِ النَّهْيِ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ
وَعَاثُوا فَسَاداً فِي الْبِلَادِ فَأُصْبَحُوا
بِعِصْيَانِهِمْ فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ
خَلَائِقُ يَأْبَاهَا الرَّشِيدُ لِقُبْحِهَا
وَلَا يَرْضَاهَا غَيْرُ أَحْمَقَ عَاتِي
وَيُنْكِرُهَا ذُو الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِجَا
وَيَخْجَلُ مِنْهَا صَادِقُ الْعَزَمَاتِ
وَمَنْ يَتَّخِذْهَا مَنَهْجاً خَابَ سَعْيُهُ
وَلَا يَقْتَنِي مِنْهَا سِوَى الْحَسَرَاتِ
إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّيْفِ شَدَّ رِحَالَهُ
إِلَى الْغَرْبِ يَلْهُو وَالشَّبَابُ مُوَاتِي
كَأَنَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي عَصْرِنَا غَدَوَا
لِهَدمِ عِلا الْإِسْلَامِ شَرُّ دُعَاةٍ

فَتُوبُوا عِبَادَ اللَّهِ لِلَّهِ وَارْجِعُوا
إِلَيْهِ تَنَالُوا مُنْتَهَى الرُّغَبَاتِ
وَلَا تَقْرَبُوا مَا لَا يَحِلُّ وَأَبْعِدُوا
نُفُوسَكُمْ حَتَّى عَنْ الشُّبُهَاتِ
وَأَدُّوا حُقُوقَ اللَّهِ وَارْعَوْا حُدُودَهُ
كَمَا يَنْبَغِي فِي الْجَهْرِ وَالْخُلُوتِ
وَلَا تَهِنُوا يَوْمًا وَلَا تَحْزَنُوا لِمَا
يُصِيبُكُمْ فِي الْحَقِّ مِنْ عَقَبَاتِ
تَفُوزُوا بِرِضْوَانِ الْإِلَهِ وَلُطْفِهِ
وَيُغْدِقَ عَلَيْكُمْ أَنْعَمًا وَهِبَاتِ
وَيَفْتَحَ لَكُمْ بَابَ الْقَبُولِ وَيَسْتَجِبْ
إِذَا مَا دَعَوْتُمْ صَالِحَ الدَّعَوَاتِ
وَيَجْعَلَ لَكُمْ فِي النَّسْلِ قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَيَرْزُقْكُمْ مِنْ أَطْيَبِ الثَّمَرَاتِ
وَيُمِدِّدْكُمْ بِالنَّصْرِ حَتَّى إِذَا طَغَى
عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ رَدَّهُ بِشَتَاتِ
فَمَا حَلَّ هَذَا الْحَالُ إِلَّا لِنَبَذِكُمْ
تَعَالِيمَ دِينِ اللَّهِ نَبْذَ نَوَاةٍ
وَمَا سَلَّطَ اللَّهُ الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ
فَلَمْ يَبْقَ فِيكُمْ غَيْرُ بَعْضِ رُفَاتِ
سِوَى بُعْدِكُمْ عَنْ دِينِهِ وَلَأَنَّكُمْ
قَنِعْتُمْ عَنِ الْأَعْمَالِ بِالْكَلِمَاتِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْفَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورُنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ
وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمُ وَيَا كَرِيمُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال ابن القيم رحمه الله :

الْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَحَدُهَا أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ لَهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ
شَقِيتُ فِي الدَّارَيْنِ الثَّانِيَةِ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ
الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا الثَّالِثَةُ أَنْ يُجَاهِدَ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ
وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى
وَالْبَيِّنَاتِ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

الرَّابِعَةُ : أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى
الْخَلْقِ وَيَتَحَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ
الرَّبَّانِيِّينَ فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى
يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَعْلَمَهُ .

فَمَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاءِ وَأَمَّا جِهَادُ
الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ
الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ .

الثانية : جهاده على دفع ما يلقيه من الإرادات والشهوات فالجهاد الأول يكون بعهده اليقين والثاني بعهده الصبر قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والإرادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب الأولى باليد إذا قدر فإن عجز انتقل إلى اللسان فإن عجز جاهد بقلبه فهذه ثلاثة عشرة مرتبة من الجهاد ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان .

والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

وكما أن الإيمان فرض على كل أحد ففرض عليه هجرتان في كل وقت هجرة إلى الله عز وجل بالتوحيد والإخلاص والإنابة والتوكل والخوف والرجاء والمحبة والتوبة وهجرة إلى رسوله بالمتابعة والانقياد لأمره والتصديق بخبره وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره .

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وفرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه فهذا كله فرض

عَيْنٍ لَا يَنْوِبُ فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَقَدْ يُكْتَفَى فِيهِ بِبَعْضِ الْأُمَّةِ إِذَا حَصَلَ مِنْهُمْ مَقْصُودٌ .

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ أَكْمَلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ كُلِّهَا ، وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَفَاوُتُهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْجِهَادِ وَلِهَذَا كَانَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ خَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّهُ كَمَّلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَشَرَعَ فِي الْجِهَادِ مِنْ حِينَ بُعِثَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الدَّعْوَةِ وَقَامَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَتَمَّ قِيَامٍ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَجَهْرًا فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ صَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَا تَمِ فَدَعَا إِلَى اللَّهِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْأَحْمَرَ وَالْأَسْوَدَ وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ .

وَلَمَّا صَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَصَرَّحَ لِقَوْمِهِ بِالدَّعْوَةِ وَنَادَاهُمْ بِسَبِّ آلِهِتِهِمْ وَعَيْبِ دِينِهِمْ اشْتَدَّ آذَاهُمْ لَهُ وَلِمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَالُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَقَالَ : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ .

فَعَزَّى سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ وَأَنَّ لَهُ أَسْوَةً بِمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَعَزَّى أَتْبَاعَهُ بِقَوْلِهِ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا أَنْ نَصُرَ اللَّهَ قَرِيبٌ﴾ .

وَقَوْلِهِ ﴿وَأَلَمْ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ، أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿ فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَبْدُ سِيَاقَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْعِبَرِ وَكُنُوزِ الْحِكْمِ فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ آمَنَّا ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَقُولَ ذَلِكَ بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْكُفْرِ .

فَمَنْ قَالَ آمَنَّا . امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وَابْتَلَاهُ وَفَتَنَهُ وَالفِتْنَةُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْاِخْتِبَارُ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ . وَمَنْ لَمْ يَقُلْ آمَنَّا فَلَا يَحْسَبُ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللَّهَ وَيَفُوتُهُ وَيَسْبِقُهُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَطْوِي الْمَرَاجِلَ فِي يَدَيْهِ .

وَكَيْفَ يَفِرُّ الْمَرْءُ عَنْهُ بِذَنْبِهِ

إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْهِ الْمَرَاجِلَ

فَمَنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَأَطَاعَهُمْ عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وَأَذَوُهُ فَاِئْتَلَى بِمَا يُؤْلِمُهُ ،

وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة فحصل له ما يؤلمه وكان هذا المؤلم أعظم وأدوم من ألم إبتاعهم فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان لكن المؤمن يحصل له الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والمعرض عن الإيمان يحصل له لذة ابتداء ثم يصير في الألم الدائم صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل » وسئل الشافعي رحمه الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى فقال لا يمكن حتى يبتلى والله تعالى ابتلى أولوا العزم من الرسل فلما صبروا مكنتهم .

فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة وإنما تفاوت أهل الآلام في العقول فأعقلهم من باع ألماً مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير وأشقاها من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر . فإن قيل كيف يختار العقل لهذا ؟ قيل الحامل له على هذا النقد والنسيئة والنفس موكلة بالعاجل (كلا بل تحبون العاجلة - أي الدنيا) وتذرون الآخرة ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ وهذا يحصل لكل أحد فإن الإنسان مدني بالطبع لا بد له أن يعيش مع الناس .

والناس لهم إرادات وتصورات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب تارة منهم ، وتارة من غيرهم كمن عنده دين وتقى حل بين قوم فجار ظلمة ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم وسكوتهم فإن وافقهم أو سكوت عنهم سلم من شرهم في الابتداء ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف

مَا كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءً لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ وَإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَلَا بُدَّ أَنْ يُهَانَ
وَيُعَاقَبَ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ .

فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ فِي الْأَخْذِ بِمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لِمُعَاوِيَةَ : مَنْ
أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ
اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً .

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ رَأَى هَذَا كَثِيراً فَيَمُنُّ يُعِينُ الرُّؤْسَاءَ عَلَى
أَغْرَاضِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَيَمُنُّ يُعِينُ أَهْلَ الْبَدْعِ عَلَى بَدْعِهِمْ هَرَباً مِنْ عُقُوبَتِهِمْ
فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَالْهَمَّهُ رُشْدُهُ وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ امْتَنَعَ مِنَ الْمُوَافَقَةِ عَلَى فِعْلِ
الْمُحَرَّمِ وَصَبَرَ عَلَى عِدَاوَتِهِمْ ثُمَّ يَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ
لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ كَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ ابْتَلَى مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ
وَصَالِحِي الْوَلَاةِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ وَلَمَّا كَانَ الْأَلَمُ لَا مَحِيصَ مِنْهُ الْبَتَّةَ عَزَى
سُبْحَانَهُ مَنْ اخْتَارَ الْأَلَمَ الْيَسِيرَ الْمُنْقَطِعَ عَلَى الْأَلَمِ الْعَظِيمِ الْمُسْتَمِرِّ بِقَوْلِهِ
﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

فَضَرَبَ لِمُدَّةِ هَذَا الْأَلَمِ أَجَلاً لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَهُوَ يَوْمُ لِقَائِهِ فَيَلْتَذُّ الْعَبْدُ
أَعْظَمَ اللَّذَّةِ بِمَا تَحْمِلُ مِنَ الْأَلَمِ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ وَأَكَّدَ هَذَا الْعَزَاءَ وَالتَّسْلِيَةَ بِرَجَاءِ
لِقَائِهِ لِيَحْمِلَ الْعَبْدُ اشْتِيَاقَهُ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ وَوَلِيَّهِ عَلَى تَحْمِلِ مَشَقَّةِ الْأَلَمِ
الْعَاجِلِ بَلْ رُبَّمَا غَيَّبَهُ الشُّوقُ إِلَى لِقَائِهِ عَنْ شُهُودِ الْأَلَمِ وَالْإِحْسَاسِ بِهِ وَلِهَذَا
سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ الشُّوقُ إِلَى لِقَائِهِ فَقَالَ فِي الدُّعَاءِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ
حِبَّانَ :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي إِذَا

كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .

فَالشَّوْقُ يَحْمِلُ الْمُشْتَاقَ عَلَى الْجِدِّ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ وَيَطْوِي لَهُ الْبَعِيدَ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْأَلَامَ وَالْمَشَاقَّ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عَبْدِهِ وَلَكِنْ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ هُمَا السَّبَبُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ سَمِيعٌ لِتِلْكَ الْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلَحُ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ .

فَإِذَا فَاتَتِ الْعَبْدَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى نَفْسِهِ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ثُمَّ عَزَاهُمْ تَعَالَى بِعَزَاءٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ جِهَادَهُمْ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِهِمْ وَثَمَرَتُهُ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَمَصْلَحَةُ هَذَا الْجِهَادِ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ لَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُدْخِلُهُمْ بِجِهَادِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ الدَّاخِلِ فِي الْإِيمَانِ بِلَا بَصِيرَةٍ وَأَنَّهُ إِذَا أُوْذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ لَهُ كَعَذَابِ اللَّهِ .

وَهِيَ أَذَاهُمْ لَهُ وَنَيْلُهُمْ إِيَّاهُ بِالْمَكْرُوهِ وَالْأَلَمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ الرُّسُلُ وَاتَّبَاعُهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ جَعَلَ ذَلِكَ الَّذِي نَالَهُ مِنْهُمْ كَعَذَابِ اللَّهِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرُّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللَّهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَحَمَّلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ الزَّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِيبٍ .

وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ
وَمُتَابَعَتِهِمْ فَفَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إِلَى أَلَمِ عَذَابِ اللَّهِ فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةِ النَّاسِ فِي
الْفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ أَلَمِ عَذَابِ اللَّهِ وَغَيَّنَ كُلَّ الْغَبْنِ إِذْ اسْتَجَارَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
وَفَرَّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةِ إِلَى أَلَمِ الْأَبَدِ وَإِذَا نَصَرَ اللَّهُ جُنْدَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ إِنِّي مَعَكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنَ النِّفَاقِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّفُوسَ
وَيَبْتَلِيَهَا فَيُظْهِرُ بِالْامْتِحَانِ طَيِّبَهَا مِنْ خُبِيثِهَا وَمَنْ يَصْلُحْ لِمُؤَالَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَمَنْ لَا
يَصْلُحْ وَلِيُمَحِّصَ النَّفُوسَ الَّتِي تَصْلُحُ لَهُ وَيُخَلِّصَهَا بِكَيْرِ الْامْتِحَانِ كَالذَّهَبِ لَا
يُخَلِّصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غَشِّهِ إِلَّا بِالْامْتِحَانِ إِذِ النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ
وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ مِنَ الْخُبْثِ مَا يَحْتَاجُ خُرُوجَهُ إِلَى السَّبْكِ
والتَّصْفِيَةِ فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَإِلَّا فَفِي كَيْرِ جَهَنَّمَ فَإِذَا هُذَّبَ الْعَبْدُ وَنُقِيَ
أُذِنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

قال الناظم رحمه الله :

وَإِنَّ جِهَادَ الْكُفْرِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ
وَيَفْضُلُ بَعْدَ الْفَرَضِ كُلُّ تَعَبُدٍ
لَأَنَّ بِهِ تَخْصِيْنَ مِلَّةِ أَحْمَدٍ
وَفَضْلُ عُمُومِ النَّفْعِ فَوْقَ الْمُقَيَّدِ
فَلِلَّهِ مَنْ قَدْ بَاعَ لِلَّهِ نَفْسَهُ
وَجُودُ الْفَتَى فِي النَّفْسِ أَقْصَى التَّجَوُّدِ
وَمَنْ يَغْزُ إِنْ يَسْلَمْ فَأَجْرٌ وَمَغْنَمٌ
وَإِنْ يَرُدَّ يَظْفَرُ بِالنَّعِيمِ الْمُخَلَّدِ

وَمَا مُحْسِنٌ يُبْغِي إِذَا مَاتَ رَجْعَةً
سِوَى الشُّهَدَا كَيْ يَجْهَدُوا فِي التَّرَوُّدِ
لِفَضْلِ الَّذِي أُعْطُوا وَنَالُوا مِنَ الرُّضَى
يَفُوقُ الْأَمَانِي فِي النَّعِيمِ الْمُسْرَمَدِي
كَفَى أَنَّهُمْ أَحْيَا لَدَى اللَّهِ رُوحَهُمْ
تَرْوُحُ بَجَنَاتِ النَّعِيمِ وَتَغْتَدِي
وَعُدْوَةَ غَازٍ أَوْ رَوَاحٍ مُجَاهِدٍ
فَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ
يُكْفَرُ عَنْ مُسْتَشْهَدِ الْبَرِّ مَا عَدَا
حُقُوقَ الْوَرَى وَالْكُلِّ فِي الْبَحْرِ فَاجْهَدِ
وَقَدْ سُئِلَ الْمُخْتَارُ عَنْ حَرِّ قَتْلِهِمْ
فَقَالَ يَرَاهُ مِثْلَ قَرْصَةِ مُفْرَدٍ
كُلُّهُمْ غُرَاقَةُ اللَّهِ أَلْوَانُ نَزْفِهَا
دَمٌ وَكَمِيسُكَ عَرْفُهَا فَاحَ فِي غَدٍ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ فِي مَنْخِرِ الْمَرْءِ يَا فَتَى
غُبَارُ جِهَادٍ مَعَ دُخَانٍ لَطَى أَشْهَدِ
كَمَنْ صَامَ لَمْ يُفْطِرْ وَقَامَ فَلَمْ يَنْمِ
جِهَادُ الْفَتَى فِي الْفَضْلِ عِنْدَ التَّعَدُّدِ
لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الضَّجِيعِ بِفُرْشِهِ
وَسَاهِرِ طَرْفٍ لَيْلَةً تَحْتَ أَجْرَدِ
يُدَافِعُ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى وَحَرِيمِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْيَدِ

وَمَنْ قَاتَلَ الْأَعْدَاءَ لِإِعْلَاءِ دِينِنَا
فَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا غَيْرُ قَيْدٍ
وَيَحْسَنُ تَشْيِيعُ الْغُرَاةِ لِرَاجِلٍ
وَحَلَّ بَلَاءُ كُرِهِ تَلْقِيَهُمْ أَشْهَدُ
وَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسُ إِنْ تَشَاءُ أُغْزُهُمْ
بِغَيْرِ دُعَاءٍ إِذْ بِإِبْلَاغِهِمْ بُدِي
وَيُغْزَوْنَ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُسَلَّمُوا
صَغَاراً إِلَيْنَا جِزْيَةَ الذَّلِّ عَنْ يَدٍ
وَعَبْرَةً أُولَى فَلْيُدْعَ قَبْلَ قِتَالِهِ
إِلَى أَشْرَفِ الْأَدْيَانِ دِينِ مُحَمَّدٍ
وَعَرَّفُهُ بِالْبُرْهَانِ حَتْمَ اتِّبَاعِهِ
وَلَا تَقْبَلَنَّ مِنْهُ سِوَاهُ بِأَوْطَدٍ
وَلَنْ رِبَاطَ الْمَرْءِ أَجْرٌ مُعَظَّمٌ
مُلَازِمٌ تُغَرِّ لِقَا بِالْتَّعَدُّدِ
وَيَجْرِي عَلَى مَيِّتٍ بِهِ أَجْرٌ فِعْلُهُ
كَحَيٍّ وَيُؤْمَنُ بِأَفِيتَانِ بِمَلْحَدٍ
وَلَا حَدٌّ فِي أَدْنَاهُ بَلْ أَرْبَعُونَ فِي التَّ
تَمَامٍ وَيُعْطَى أَجْرُ كُلِّ مُزَيَّدٍ
وَأَفْضَلُهُ مَا كَانَ أَخَوْفَ مَرْكَزاً
وَأَقْرَبَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ الْمُنَكِدِ
وَذَلِكَ أَثْنَى مِنْ مَقَامٍ بِمَكَّةِ
وَفِي مَكَّةِ فَضْلُ الصَّلَاةِ فَزَيَّدِ

وَمَنْ لَمْ يُطِقْ فِي أَرْضٍ كُلِّ ضَلَالَةٍ
قِيَاماً وَإِظْهَاراً لِدَيْنِ مُحَمَّدٍ
فَحَتَمَ عَلَيْهِ هِجْرَةٌ مَعَ أَمْنِهِ الْـ
هَلَاكَ وَلَوْ فَرِداً وَذَاتَ تَعَدُّدٍ
بِلاَ مَحْرَمٍ مَشِياً وَلَوْ بَعْدُ الْمَدَى

لِفِعْلِ الصَّحَابِيَّاتِ مَعَ كُلِّ مُهْتَدٍ
اللَّهُمَّ أَهْمُنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ
وَاعْفُ رَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . فائدة جلييلة
وَقَالَ إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَأَمْسَى وَلَيْسَ هَمُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمُّهُ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ وَلِسَانَهُ لِذِكْرِهِ
وَجَوَارِحَهُ لِمَطَاعَتِهِ وَإِنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالْدُنْيَا هَمُّهُ حَمَلَهُ اللَّهُ هُمُومَهَا وَغُمُومَهَا
وَأَنْكَادَهَا وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحَبَّتَهُ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ
وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ بِخِدْمَتِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ .

فَهُوَ يَكْدَجُ كَدْحَ الْوَحْشِ فِي خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفَخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ
أَضْلَاعَهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبُودِيَّةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ بُلِيَ
بِعِبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ وَمَحَبَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نُقِضَ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » أ هـ .

شعرا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي قَدْ بَلَغْتُ مَدَى عُمْرِي
وَأُنْكَرْتُ مَا قَدْ كُنْتُ أُعْرِفُ مِنْ دَهْرِي

وَطَالَبَنِي مَنْ لَا أَقُومُ بِدَفْعِهِ
 وَحَوَّلْتُ مِنْ دَارِي إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ
 وَفَازَ بِمِيرَاثِي أَنَاسٌ فَشَتَّتُوا
 بِإِفْسَادِهِمْ مَا كُنْتُ أَجْمَعُ فِي عُمْرِي
 وَأَهْمَلَنِي مَنْ كَانَ يُّبْدِي مَحَبَّتِي
 وَأَخْلَصُهُ وَدِّي وَيَغْمِرُهُ بِرِّي
 وَلَمْ يَسْخُ لِي مِنْهُمْ صَدِيقٌ بِدَعْوَةٍ
 إِذَا مَا جَرَى يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ ذِكْرِي
 وَأَضْحَى لِبَيْتِي سَاكِنٌ مُبْهَجٌ بِهِ
 وَفِي اللَّحْدِ بَيْتِي لَا أَقُومُ إِلَى الْحَشْرِ
 فَيَا شِقُوتِي إِنْ لَمْ يَجِدْ بِنَجَاتِهِ
 إِلَهِي وَلَمْ يَجْبُرْ بِرَحْمَتِهِ فَقْرِي
 فَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي ذُنُوبٌ لَوْ أَنَّهَا
 عَلَى ظَهْرِ طُورٍ أَثْقَلَتْهُ مِنَ الْوِزْرِ

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مَضَى رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ الْعَارِفِينَ
 الْمَوْقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ مَوْزُونَةً بِمَا لِلشَّرْعِ مِنْ مَوَازِينَ كَانُوا
 يَزِنُونَ كَلَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُوقِنُونَ أَنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وَشَهِدَ عَلَيْهَا
 وَهُوَ تَعَالَى خَيْرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِبِهِمْ بَاكِينَ مُتَضَرِّعِينَ لَهُمْ أُنِينَ
 كَانِينَ الْمَرْضَى وَلَهُمْ حَنِينٌ كَحَنِينِ الثُّكْلَى وَكَانُوا رَبَّمَا مَرُّوا بِالْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

فَجَعَلُوا يُرَدُّدُونَهَا بِقَلْبٍ حَزِينٍ فَأَثَرَتْ عَلَيْهِمْ وَمَرَضُوا بِعَدَهَا مَاتَ أَوْلَئِكَ السَّلَفُ
الصَّالِحُ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا .

وَمَاتَتْ تِلْكَ الْخَشِيَّةُ وَأَعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتْ الْعِبَادَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَصَارُوا
يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا يَذَرُونَ دُونَ سُؤَالٍ عَنْ سَخَطِ اللَّهِ وَرِضَاهُ .

وَعَدَتْ جَوَارِحُهُمْ مُطْلَقَةً فِي كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ وَصَارَتْ أَعْمَالُهُمْ فَوْضَى
لَيْسَ لَهَا ظَوَابِطٌ وَلَا قِيُودٌ الْعَيْنُ تَجُولُ فِي الْمَنَاطِرِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ
إِلَى سِينَمَاءٍ إِلَى تَلْفِزِيُونٍ إِلَى الْفِذْيُو مُعَلِّمِ الْفَسَادِ إِلَى كُورَةٍ إِلَى مَجَلَلَةٍ فِي
طَيِّهَا الشُّرُورُ إِلَى صُورَةٍ مُجَسَّدَةٍ وَغَيْرِ مُجَسَّدَةٍ إِلَى كُتُبٍ هَدَامَةٍ لِلْأَخْلَاقِ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي تَجْرَحُ الْقُلُوبَ .

وَالْفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إِلَى الْفَوَاحِشِ الدِّينُ ضَعِيفٌ وَالْخُلُقُ فَاسِدٌ
وَالْأَذُنُ لَا تَسْبَعُ مِنْ سَمَاعٍ مَا يُسَخِطُ رَبَّهَا وَالْبَطْنُ يَسْتَرِيدُ مِنْ سُحْتِ
الْأَقْوَابِ .

وَأَمَّا الْيَدُ فَحَدَّثَتْ وَلَا حَرَجَ فِي تَعَدِّي الْحُدُودِ وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
يَتَحَرَّكُ وَيَتَقَلَّبُ فِي مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَزُورِهِ وَلَا كَانَ رَبُّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيمُ
مَوْجُودٌ وَتَرَاهُ يَطْعَنُ فِي أَغْرَاضِ الْغَوَافِلِ وَيُمَزِّقُ جُلُودَهُمْ فِي السَّبِّ وَالْغِيبَةِ
وَالْبَهْتِ وَالْكَذِبِ وَلَا يَعِفُّ عَنْ عَرَضِ أَيِّ بَشَرٍ .

وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ وَلَا يَهْمُهُ أَبْرٌ فِي يَمِينِهِ أَمْ فَجَرَ
وَأَمَّا وَعُودُهُ وَعَهْودُهُ وَعُقُودُهُ فَتُهْمَلُ وَلَا كَأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِاخْتِرَامِهَا فَهَذَا وَأُمثَالُهُ قَدْ
أَنهَمَكُوا فِي الْمَعَاصِي وَتَوَغَّلُوا فِيهَا وَصَارَتْ عِنْدَهُمْ عَادَاتٌ وَشَيْءٌ طَبِيعِيٌّ
مَأْلُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ
 الْأَغَانِي وَالرَّقْصِ وَالْمُطَرِّبِينَ وَالسَّبَبِ وَاللَّعْنِ وَالْقَذْفِ وَالْاسْتِهْزَاءِ بِالَّذِينَ
 وَأَخَذْتَ فِي الْعَجَبِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ فِي أَوْقَاتِ التَّجَلِّيَاتِ فِي
 حَنَادِسِ الظُّلَمِ يُنَاجُونَ رَبَّهُمْ رَاغِبِينَ فِي رِضْوَانِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ خَائِفِينَ مِنْ
 سَخَطِ الْمُنتَقِمِ الْقَهَّارِ مُتَفَكِّرِينَ فِي سُرْعَةِ حُلُولِ الْمَنَآيَا الَّتِي تُسَارِعُ الْأَيَّامُ
 وَاللَّيَالِي فِي اقْتِرَابِهَا وَمُوقِنِينَ بِأَنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَى الْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ
 عَالِمِينَ بِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ بِوَاجِبَاتِ عِبُودِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالْقَلِيلِ مِنْهَا وَهُمْ عَنْهَا
 مَسْئُولُونَ وَعَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ قَادِمُونَ .

وَهَلْ حَالُ هَؤُلَاءِ السُّعْدَاءِ فِي جَانِبِ أُولَئِكَ التُّعْسَاءِ الْأَشْقِيَاءِ إِلَّا كَحَالِ
 الْمُصَابِ بِالْجُنُونِ فِي جَانِبِ أَوْفَرِ النَّاسِ عَقْلًا وَأَكْمَلِهِمْ وَقَارًا فَأَكْثَرِيَا أَخِي مِنْ
 قَوْلِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ يِعَافِيهِمْ وَلَا يَبْلَانَا قَالَ تَعَالَى « قُلْ
 إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
 الْمُبِينُ »

وَكُلْ كَسِرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ
 وَمَا لِكَسِرٍ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فَتَنَّبَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا تَعْمَلُ لَا مُهْمَلٌ
 كَالْأَنْعَامِ فَانْهَجْ نَهْجَ الْإِسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ فِي مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفَ عِنْدَ
 الْحُدُودِ قَالَ بَعْضُ الْمُرْشِدِينَ إِلَى مَعَالِمِ الرُّشْدِ ضَارِبًا لِذَلِكَ مَثَلًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي تَقْلِبِهِ فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيبٍ أَلْقَتْ بِهِ
 الْمَقَادِيرُ إِلَى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وَتَكْرِيمٍ وَكَانَ ذَلِكَ النَّازِلُ فَاقِدَ الْقُوَى غَيْرِ
 عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الشُّؤْنِ وَلَا يَذَرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلَا إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ .

فَقَامَ الْقَوْمُ بِوَاجِبَاتِ خِدْمَتِهِ وَإِكْرَامِهِ حَتَّى قَوِيَتْ حَوَاشُهُ وَجَوَارِحُهُ
وَمَدَارِكُهُ وَأَخَذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ الْقَوْمُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عُقَلَائِهِمْ قَائِلًا يَا هَذَا إِنَّ
هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي تَوَطَّنَهَا مُكْرِمُوكَ مَا هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ وَلَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُمْ أَمْثَالُكَ نُزَلَاءَ مَنْ كَانُوا يَعْمُرُونَ هَذِهِ الدَّارَ قَبْلَهُمْ ثُمَّ رَحَلُوا
وَتَرَكُوهَا وَمَا كَانَ رَحِيلُهُمْ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِلَى سِجْنٍ ضَيِّقٍ وَمَكَانٍ
مُظْلِمٍ لَوْ أُرْسِلْتَ بِبَصَرِكَ لَرَأَيْتَهُ وَقَدْ فَقَدُوا تِلْكَ الْقُوَى وَتَنَاسَوْا ذَلِكَ النَّعِيمَ .

ثُمَّ أَخَذَ يَبْدِيهِ إِلَى مَكَانٍ قَفْرٍ وَأَعْنِي بِهِ الْمَقْبَرَةَ وَقَالَ لَهُ هَذَا مُرَاحُ الْقَوْمِ
وَمَسْقَطُ رُؤُسِهِمْ وَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي
سَلَكَهَا مُكْرِمُوكَ وَإِنَّهَا لَطَّرِيقُ ذَاتِ عَقَبَاتٍ مُهْلِكَةٍ وَلَهَا أُوحَالٌ مَنْ تَوَرَّطَهَا هَلَكَ
وَلَا مَخْلَصَ مِنْ تِلْكَ الْأُوحَالِ إِلَّا بِتَجَنُّبِ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْوًا .

فَإِنْ رُمْتَ السَّلَامَةَ فَسِرْ فَرِيداً مُتَحَفِّظاً مِنْ تَخَاصُمِ الْقَوْمِ وَتَنَازُعِهِمْ وَمِنْ
مَلَاهِيهِمْ وَالْعَابِيهِمْ وَلَا تُصْغِ لِمَنْ يُنَادِيكَ مِنْ خَلْفِكَ فَإِنَّ الَّذِي يُنَادِيكَ مِنْ
خَلْفِكَ فِي طَرِيقِ النِّجَاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا وَلَا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِنَ الْأَمَامِ
فَإِنَّهُمْ أَذْرَى مِنْكَ بِمَفَاوِزِ الطَّرِيقِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ وَأَصْوَاتُ الْمُنَادِينَ فَإِنَّ طَرِيقَ السَّلَامَةِ لَهَا
أَعْلَامٌ وَمَصَابِيحُ نِيرَةٌ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاجِلِهَا وَأَمَّا بَاقِي الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا
مُظْلِمَةٌ مُوَحِّشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا ذَاتُ شُعْبٍ وَمَسَارِبٍ
كَثِيرَةٍ .

فَاخْذَرْ أَنْ تَتَهَاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهَاوَنَ الْقَوْمُ بِنَفْسِهِمْ فَهَلَكُوا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ فَإِنْ كَانَ النَّازِلُ الْغَرِيبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِيَتَعَقَّلَ النَّصَائِحَ وَذَا قَابِلِيَّةٍ تَقْبَلُ

الارشادَ وَقَفَ عَلَى أَفْوَاهِ الطَّرِيقِ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَاسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وَتَبَصَّرَ فِي أَمْرِهِ
وَتَدَبَّرَ عَوَاقِبَ مَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ بِأَحْوَطِ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى السَّلَامَةِ
وَجَعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إِلَى مَنَازِلِ الرَّاحِلِينَ الَّتِي لَا أُنَيْسَ بِهَا وَلَا جَلِيسَ .

وَتَأَمَّلَ سُرْعَةَ الرَّحِيلِ وَقَصَرَ أَوقَاتِ الْأَقَامَةِ وَتَجَنَّبَ الْأَلْعَابَ وَالْمَلَاهِي
وَسَلَكَ سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقَ الْحَضِيرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيفَ الْهِمَّةِ
ضَائِعَ الْعَقْلِ سَيِّئَ التَّصَوُّرِ فَاقْدِ الْفِكْرَ خَبِيثَ الْأَسْتِعْدَادِ لَيْثِمَ الطَّبَعِ لَا يَجْدُ
بُدْأً مِنْ مُنَازَعَةِ اللَّاعِبِينَ وَمُسَابَقَةِ اللَّاهِيْنَ وَتَغَافَلَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَصِيرِهِ
وَتَبَاعَدَ عَنْ صِيَاحِ النَّاصِحِينَ وَأَصْغَى إِلَى مُدَاهَنَةِ الْغَاوِينَ أَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِلَّا لِتَعْلَمَ أَنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيبُ الَّذِي نَزَلْتَ يَوْمَ
وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بِقَوْمِكَ وَأَنْتَ ضَعِيفُ الْقُوَى لَا تَعْلَمُ شَيْئاً كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فَفَرِحَ بِكَ قَوْمُكَ وَأَكْرَمُوكَ إِلَى أَنْ قَوِيَتْ الْآثُ
أَعْمَالِكَ وَصِرَتْ تُحْسِنُ الرَّحِيلَ وَحَدَكَ .

وَنُرِيدُ بِالرَّحِيلِ هُنَا سُلوَكَ إِحْدَى الطَّرِيقَيْنِ إِمَّا طَرِيقَ الْكَمَالَاتِ وَإِمَّا
طَرِيقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهُمَا مَسَارِبَ الْمَكْلِفِينَ الَّذِينَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّيْرِ فِيهَا
لِلْوُصُولِ إِلَى أَحَدِ الْغَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ طَرِيقٍ إِلَّا وَلَهَا غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَسِيرُ
سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيدُ بِالرَّجُلِ الْعَاقِلِ الْمُرْشِدِ إِلَّا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَوْ النَّائِبِ عَنْهُ فِي تَبْلِيغِهَا وَمَا نُرِيدُ بِمَنْ يُنَادِيكَ مِنَ الْأَمَامِ إِلَّا السَّلَفُ

الصَّالِحُ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَبَيَّنُّوا لَنَا طَرِيقَ النِّجَاةِ أَوْ الْآتِقِيَاءِ الْمُقْتَفُونَ
لَأَثَارِهِمُ الَّذِينَ ثَبَتَ اسْتِقَامَتُهُمْ .

وَمَا نُرِيدُ بِالَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ خَلْفِكَ إِلَّا الَّذِينَ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ
النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ بَلْ اعْتَمَدُوا فِي ارشَادِهِمْ عَلَى مَقَالٍ لَا حَالَ
مَعَهُ وَلَا عَمَلَ وَهَذَا لَا تَصْلُحُ مُتَابَعَتُهُ لَأَنَّهُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ بِطَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الْاسْتِقَامَةِ إِلَّا الَّذِينَ رَاقَبُوا قُلُوبَهُمْ وَأَمْسَكُوا أَلْسِنَتَهُمْ وَطَهَّرُوا
أَقْلَامَهُمْ فَلَا عَزَمَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْمُوَاسَاةِ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا الْحَقَّ
الْمُنْجِي وَلَا يَكْتُبُونَ إِلَّا مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَحْسَنُوا الْإِجَابَةَ وَالَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالْبَكَاءُ وَنَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
الْمُقْتَفُونَ لَأَثَارِهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

شعرا :

نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ فَادِنٌ وَاقْتَبَسَ
وَاحِدُ الرُّكَّابِ لَهُ نَحْوُ الرُّضَا النَّدَسِ
مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرُ
يَجْلُو بِنُورِ هُدَاهُ كُلُّ مُلْتَبِسِ
نُورٍ لِمُقْتَبَسٍ خَيْرٌ لِمُلْتَبِسِ
جَمِيٌّ لِمُحْتَبَسٍ نَعْمَى لِمُبْتَسِ
فَاعْكُفْ بِبَايِهِمَا عَلَى طِلَابِهِمَا
تَمْحُو الْعَمَى بِهِمَا عَنْ كُلِّ مُلْتَبَسِ

وَرَدَّ بِقَلْبِكَ عَذْباً مِنْ حِيَاضِهِمَا
 تَغْسِلُ بِمَائِهِمَا مَا فِيهِ مِنْ دَنْسٍ
 وَاقِفُ النَّبِيِّ وَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَكُنْ
 مِنْ هَدْيِهِمْ أَبَداً تَذْنُو إِلَى قَبَسٍ
 وَالزَّمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ
 وَأَنْدُبِ مَدَارِسَهُمْ بِالْأَرْبَعِ الدُّرُسِ
 وَاسْلُكْ طَرِيقَهُمْ وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْ
 تَكُنْ رَفِيقَهُمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ
 تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلِمَّ بِسَاحَتِهَا
 فَحُطَّ رَحْلُكَ قَدْ عُوِفْتَ مِنْ تَعَسٍ

وَمَا نُرِيدُ بِمَرَاكِجِ حَيَاتِكَ إِلَّا الْأَطْوَارَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ بِكَ فِيهَا الشَّمْسُ كُلَّمَا
 غَرَبَتْ أَوْ أَشْرَقَتْ وَتَتَقَلَّبُ بِكَ إِلَيْهَا اللَّيَالِي وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ فَمَا أَسْرَعَ مُرُورُ
 الشَّمْسِ بِكَ إِلَى نِهَايَةِ أَجَلِكَ وَمَا أَغْفَلَكَ عَنْ عَمَلِهَا فِيكَ .

وَمَا نُرِيدُ بِأَوْحَالِ حَيَاتِكَ إِلَّا مُتَابَعَةَ شَهَوَاتِكَ عِنْدَ بُلُوغِ الْحُلُمِ فَإِنَّ لَطَوْرَ
 الشُّبُوبِ أَوْحَالَ مُهْلِكَةٌ وَهِيَ الشَّهَوَاتُ الْبَهِيمِيَّةُ الَّتِي تَضْطَرُّ الشَّبَابَ الَّذِي
 غَلَبَتْ شَهَوَتُهُ عَقْلَهُ إِلَى مُغَارَلَةِ الْغَايِبَاتِ وَمُعَانَقَةِ الْمَلَاهِي وَتَعَاطِيِ الْمُحَرَّمَاتِ
 فَيَصِيرُ فِي أَوْحَالٍ تُنَاسِبُهُ .

وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ تَجَنُّبَ تِلْكَ الْأَوْحَالِ إِلَّا الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ فَتَبَاعَدَ عَنْ
 ظُلُمَاتِ الزَّيْغِ وَتَنَوَّرَ بِنُورِ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الَّذِي عَلَّمَهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ لِرَسُولِهِ ﷺ
 وَأَمْرَهُ بِتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ الَّذِي عَلِمَ الدَّاءَ وَدَبَّرَ

الدَّوَاءُ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ انتهى بتصرف
يسير .

شعرا :

مَثَلُ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَضْعِفَتْ
حَرًّا عَلَى رُؤُسِ الْعِبَادِ تَفُورُ
وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأُصُولِهَا
فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَائَرَتْ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كَدُورُ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ أَحْضِرَتْ
وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ أَئِنَّ نَسِيرُ
فَيُقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحاً
وَعَجَائِباً قَدْ أَحْضِرَتْ وَأُمُورُ
وَإِذَا الْجَنِينُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقُ
خَوْفِ الْحِسَابِ وَقَلْبِهِ مَذْعُورُ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
كَيْفَ الْمُقِيمُ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا
لِطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

« نَخْتُمُ هَذَا الْجُزْءَ فِي فَصْلٍ يَحْتَوِي عَلَى نُبْذَةِ يَسِيرَةِ »

« عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ »

« وَنُمُودَجٍ عَنْ حِلْمِهِ وَوَفَائِهِ »

هُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ
قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ
بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ هَذَا
مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ .

وَلَا خِلَافَ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ هُوَ الذَّبِيحُ
عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحِ وَالْقَوْلُ بَأَنَّهُ اسْحَقُ بَاطِلٌ وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ وَلَدَ بِمَكَّةَ
عَامَ الْفِيلِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِثَمَانَ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَقِيلَ لِعَشْرِ مِنْهُ وَقِيلَ
لَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ سَنَةُ ٥٧١ م .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ أَحْسَنَ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
وَأَعَفَّهُمْ وَكَانَ أَبُوهُ يُحِبُّهُ وَالْأَكْثَرُ يَقُولُونَ أَنَّهُ تُوَفِّيَ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَمْلٌ وَقِيلَ أَنَّهُ مَاتَ
وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهْرَانِ وَجَمِيعُ مَا خَلَفَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ خَمْسَةُ أَجْمَالٍ وَجَارِيَةٌ

حَبَشِيَّةُ اسْمُهَا بَرَكَهٌ وَكُنِيَّتُهَا أُمُّ أَيَّمَنَ وَهِيَ حَاضِنَتُهُ ﷺ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّهُ ﷺ وَلِدَ مَخْتُونًا وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ
الْلَّيْلَةُ الَّتِي وَلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَجَّ إِيوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشَرَ
شَرْفَةً وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ
سَاوَةَ .

وإلى هذا أشار الشاعرُ في قوله :

نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْسَلَهُ هُدًى
لِلنَّاسِ فَازْدَهَرَ الزَّمَانُ وَأَيْنَعَا
دَعَّ عَنْكَ إِيوَانًا لِكِسْرَى عِنْدَمَا
هَتَفُوا بِمَوْلِدِهِ هَوًى وَتَصَدَّعَا
وَأَذْكُرُهُ كَيْفَ أَتَى شُعُوبًا فُرِّقَتْ
أَهْوَاءُهَا كُلُّ يَصْحَحُ مَا ادَّعَا
فَهَدَاهُمْ لِلْحَقِّ حَتَّى أَصْبَحُوا
فِي اللَّهِ إِخْوَانًا تَرَاهُمْ رُكَّعَا
أَبْنَاءَ أَخْيَافٍ تَجْمَعُ شَمْلُهُمْ
وَعَدُوا بِسَيِّدِ اللَّهِ شِعْبًا أُمْنَعَا
فَتَحُوا لَهُ الدُّنْيَا فَسَارَ مُظْفَرًا
وَبَنَوْا لَهُ حِصْنًا أَشَمَّ مُمْنَعَا
بَذَلُوا النُّفُوسَ رَخِيصَةً فِي نَصْرِهِ
فَتَسْنُمُوهَا مِ السَّلَامِ الْأَرْفَعَا

لَهْفِي عَلَى مَاضِي الْحَنِيفَةِ إِنَّهُ
 مَاضٍ تَأَلَّقَ زَاهِيًا وَتَضَوَّعًا
 أَيَّامَ كَانَ الدِّينُ تُشْرِقُ شَمْسُهُ
 فَيَرَى الْغَوَاةَ السَّادِرُونَ الْمَهْيَعَا
 يَا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ هَذَا مَجْدُكُمْ
 إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَضِلَّ مُضِيْعَا

سِيرُوا عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ وَجَنَّبُوا
 زَيْفَ الْحَضَارَةِ عَنْكُمْ أَنْ يَخْدَعَا
 وَخُذُوا لَكُمْ مِنْ سُنَّةِ الْهَادِي هُدًى

فَهُوَ الْمَنَارُ إِذَا الضَّلَامُ تَجَمَّعَا
 وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ الْعِرْبَابِ بْنِ سَارِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ
 إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُجَنَّدَلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَوْفَ
 أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةُ عِيسَى قَوْمُهُ وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي
 رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ .

قَالَ فِي اللَّطَائِفِ وَخُرُوجُ هَذَا النُّورِ عِنْدَ وَضْعِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَجِيءُ بِهِ
 مِنَ النُّورِ الَّذِي اهْتَدَى بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَزَالَتْ بِهِ ظُلْمَةُ الشُّرْكِ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى قَدْ «جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
 سُبُلَ السَّلَامِ» .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَنَبِّهْنَا لَا غِتْنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
 تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَبَعْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ بِنُ مَنَافٍ بِنُ زُهْرَةَ بِنِ
كُلَّابٍ ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ﷺ ثُوبِيَّةُ عَتِيقَةُ أَبِي لَهَبٍ أَعْتَقَهَا حِينَ بَشَّرَتْهُ بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ
ﷺ ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ .

قَالَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَقُومَ بِإِرْضَاعِهِ قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ
تِسْعِ نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بَنِ بَكْرِ نَلْتَمِسُ الرِّضَاعَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ عَلَى أَتَانٍ
لِي وَمَعِيَ صَبِيٌّ لَنَا وَقَدْ عُرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مِنَّا فَأَبَيْنَ أَنْ
يَرْضِعَنَّهُ حِينَمَا عَلِمْنَ أَنَّهُ يَتِيمُ الْأَبِ .

وَذَلِكَ أَنَّا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ فَكُنَّا نَقُولُ إِنَّهُ يَتِيمٌ مَا
عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ
صَوَاحِبِي امْرَأَةً إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيعًا فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قُلْتُ لِزَوْجِي وَهُوَ
الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَيْسَ
مَعِيَ رَضِيعٌ لَأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ وَلَا أَخَذَنَّهُ .

قَالَ لَا ضَرَرَ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي . عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَهً
فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَخَذْتُهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُدْيِي بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى
رَوِيَ وَشَرِبَ ابْنِي حَتَّى شَبِعَ فَوَدَّعَتِ النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا .

ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخَذْتُ مُحَمَّدًا بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ مَشَتْ أَتَانِي حَتَّى سَبَقَتْ
دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ وَصَارُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنِّي ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَنَازِلِ
بَنِي سَعْدٍ وَلَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ
عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ كَثِيرَةً اللَّبَنِ فَتَحْلِبُ وَنَشْرَبُ .

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ ذُكِرَ أَنَّ مَلَكََيْنِ شَقَا بَطْنَهُ وَاسْتَخْرَجَا قَلْبَهُ
وَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ ثُمَّ غَسَلَا قَلْبَهُ وَبَطْنَهُ بِالثَّلْجِ وَقَالَ أَحَدُهُمَا
زَنَّهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَهُ ثُمَّ مَا زَالَ يَزِيدُ حَتَّى بَلَغَ الْأَلْفَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتُهُ
بَأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا .

وَمَاتَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ سِنِينَ حِينَ انْصَرَفَتْ
مِنْ زِيَارَاتِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَارِ وَكَانَتْ خَرَجَتْ بِهِ مَعَهَا وَمَعَهُ دَايَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ
قَدِمَتْ بِهِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِهَا .

فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَرَقَّ عَلَيْهِ رِقَّةً لَمْ يَرِقَّهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ
فَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ وَمَا يَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِهِ إِجْلَالًا لَهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَقَدِمَ مَكَّةَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ مِنَ الْقَافَةِ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَالُوا لِجَدِّهِ
اِحْتَفِظْ بِهِ فَلَمْ نَجِدْ قَدَمًا أَشْبَهَ بِالْقَدَمِ الَّذِي فِي الْمَقَامِ مِنْ قَدَمِهِ فَقَالَ لِأَبِي
طَالِبٍ اسْمَعْ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ وَاحْتَفِظْ بِهِ .

وَتُوفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ وَأَوْصَى بِهِ
إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ شَقِيقِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ فَكَفَلَهُ وَأَحْسَنَ كِفَالَتَهُ قَالَ الْوَاقِدِيُّ
أَقَامَ أَبُو طَالِبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ
النُّبُوَّةِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَحُوطُهُ وَيَقُومُ بِأَمْرِهِ وَيَذُبُّ عَنْهُ وَيَلْطَفُ بِهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ أَثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى بَلَغَ
بُصْرَى فَرَأَاهُ بُحَيْرُ الرَّاهِبِ وَاسْمُهُ جَرَجِيسُ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ
هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ هَذَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقَالَ وَمَا عَلِمْتُكَ بِذَلِكَ فَقَالَ
إِنَّكُمْ حِينَ أُشْرِفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَخَرَّ سَاجِدًا وَلَا

تَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيِّ وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتِمِ النُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلِ غُضْرُوفٍ كَتِفِهِ مِثْلُ
التُّفَاحَةِ وَإِنَّا نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا .

وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ الْحَدِيثَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي
شَيْبَةَ وَفِيهِ إِنَّهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ . ثُمَّ خَرَجَ ﷺ
مَرَّةً أُخْرَى وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ غُلَامٌ خَدِيجَةٌ فِي تِجَارَةٍ لَهَا حَتَّى بَلَغَ سُوقُ بُصْرَى وَلَهُ
إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً .

فَنَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبِ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ
الشَّجَرَةِ إِلَّا نَبِيٌّ وَكَانَ مَيْسِرَةٌ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ مَلَكََيْنِ يُظَلِّلَانِهِ مِنَ الشَّمْسِ .
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ سَاعَةَ الظُّهَيْرَةِ وَخَدِيجَةٌ فِي عِلْيَةٍ لَهَا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ وَمَلَكَانِ يُظَلِّلَانِهِ ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

اللَّهُمَّ عَمِّقْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدِّ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَدِيجَةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي إِهَابَةَ بْنِ
زُرَّارَةَ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بْنُ عَائِدِ الْمَخْزُومِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدًا وَكَانَ لَهَا
حِينَ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بَنَيْنَ وَبَنَاتٍ وَكُلُّ أَوْلَادِهِ مِنْهَا حَاشَا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَةِ الْقُبْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا
لَهُ الْمُقَوْقِسُ صَاحِبُ مِصْرَ .

فَالذُّكُورُ مِنْ وَلَدِهِ الْقَاسِمُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ عَاشٍ أَيَّامًا

يَسِيرَةً وَلَدَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَوُلِدَ لَهُ غَيْرُ إِبْرَاهِيمَ وَالْقَاسِمَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ الْمُسَمَّى
بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ لِأَنَّهُ وَلَدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَوُلِدَ لَهُ بِالمَدِينَةِ وَعَاشَ
عَامَيْنِ غَيْرَ شَهْرَيْنِ وَمَاتَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ يَوْمَ كُسُوفٍ .

وَأَمَّا بَنَاتُهُ ﷺ فَأَرْبَعُ زَيْنَبُ تَحْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ
خَدِيجَةَ خَالَتَهُ وَالثَّانِيَةُ رُقِيَّةُ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَمَاتَتْ بَعْدَ بَذْرِ بِنَحْوِ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَزَيْنَبُ مَاتَتْ فِي حَيَاةِ أَبِيهَا ﷺ وَالثَّالِثَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ
كَانَتْ مُمْلَكَةً بَعُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَطَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

الرَّابِعَةُ فَاطِمَةُ تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ وَزَيْنَبَ وَأُمُّ كُلْثُومٍ وَابْنَا مَاتَ صَغِيرًا اسْمُهُ الْمُحْسِنُ وَمَاتَتْ فَاطِمَةُ
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسِتَّةِ شُهُورٍ ، وَخَدِيجَةُ أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَ بِهَا وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ
مَاتَتْ مِنْ نِسَائِهِ وَأَمْرُهُ جَبْرِيلُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا .

وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ آمَنَتْ بِهِ وَعَاظَدَتْهُ وَنَاصَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ
الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ كُتُبِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيَايَكَ فِي
قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَلَمْ يَرِثِ ﷺ مِنْ وَالِدِهِ شَيْئًا بَلْ وُلِدَ يَتِيمًا عَائِلًا فَاسْتَرْضَعَ فِي بَنِي سَعْدِ وَلَمَّا بَلَغَ مَبْلَغًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا كَانَ ﷺ يَرْعَى الْغَنَمَ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الرِّضَاعِ فِي الْبَادِيَةِ وَكَذَلِكَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ يَرْعَاهَا لِأَهْلِهَا عَلَى قَرَارِيطٍ كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ .

وَلَمَّا شَبَّ ﷺ كَانَ يَتَجَرُّ وَكَانَ شَرِيكُهُ السَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ وَذَهَبَ بِالتَّجَارَةِ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى الشَّامِ عَلَى جُعْلٍ يَأْخُذُهُ وَلَمَّا شَرَفَتْ خَدِيجَةُ بِزَوْاجِهِ وَكَانَتْ ذَاتَ يَسَارٍ عَمِلَ فِي مَالِهَا وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ نَتِيجَةِ عَمَلِهِ وَحَقَّقَ اللَّهُ مَا أَمَنَّ عَلَيْهِ بِهِ فِي سُورَةِ الضُّحَى بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » بِالْإِيوَاءِ وَالْإِغْنَاءِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَالْهِدَايَةِ بِالنُّبُوَّةِ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْكِتَابِ وَالْإِيمَانِ وَدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَكُنْ يَذَرِي قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحْسَنَ قَوْمِهِ خُلُقًا وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدْنِسُ الرِّجَالَ حَتَّى كَانَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً وَأَكْرَمَهُمْ مُخَالَطَةً وَخَيْرَهُمْ جَوَارًا وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا

وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا فَسَمَّوْهُ الْأَمِينُ .

لَمَّا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ الْحَمِيدَةِ وَالْفِعَالِ السَّيِّدَةِ مِنَ
الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالْعَدْلِ وَالتَّوَّاضُعِ وَالْعِفَّةِ وَالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْحَيَاءِ
حَتَّى شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَلَدُّ أَعْدَائِهِ النَّظْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ حَيْثُ
يَقُولُ قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَّثَنَا أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا
وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغِيهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ قُلْتُمْ
سَاجِرٌ لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاجِرٍ .

قَالَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الْإِتِّفَاقِ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ
الْمَوْسِمَ حَتَّى يَكُونُوا مُتَّفِقِينَ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ وَلَمَّا سَأَلَ هِرْقُلُ مَلِكَ الرُّومِ أَبَا
سُفْيَانَ قَائِلًا هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قَالَ لَا فَقَالَ هِرْقُلُ
مَا كَانَ لِيَدَّعِيَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَدَّ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ
صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

نَوَى فِي قُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حَجَّةً
يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي كُلِّ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَى مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيًا
فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ النَّوَى
وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بِأَدْيَا
يَقْصُرُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ
وَمَا قَالَ مُوسَى إِذَا أَجَابَ الْمُنَادِيَا

فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
قَرِيبًا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيًا
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا
وَأَنفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالتَّاسِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُوَاسِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ مَا سَلَفَ مِنَّا مِنَ الذُّنُوبِ . وَاغْصَمْنَا فِيهَا بَقِيَ مِنْ
أَعْمَارِنَا ، وَوَفَّقْنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرْضَى بِهِ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
« فَضِّلْ » وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ نَقَلَ النَّاسُ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ
الطَّاهِرَةِ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِهِ وَنَقَلُوا أَخْلَاقَهُ مِنْ حِلْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَكَرَمِهِ وَزُهْدِهِ
وغيره وَنَحْنُ نَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ :

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ
النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَعَنْهُ قَالَ كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ
حُمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ وَسِئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ لَا
بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ
إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ فِلَقَةُ قَمَرٍ .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس والقدمين ولم أر قبله ولا بعده مثله وكان بسيط الكفين ضخم اليدين وسئل عن شعره فقال كان شعراً رجلاً ليس بالجعد ولا بالسبط بين أذنيه وعاتقه .

وفي الصحيحين عن سمالك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله ﷺ ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقبين وفسرهما بن سمالك بن حرب فقال واسع الفم طويل شق العين قليل لحم العقب .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأبهق ولا بالآدم ولا بالجعد ولا بالسبط .

وفي الصحيحين عنه قال كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفاً وما منست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ وروى الدرامي عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ أبلج الثنتين إذا تكلم روي النور يخرج من ثناياه

وعن أنس قال دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا - أي نام - فغرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسليط العرق فيها فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وإنه أطيب من الطيب أخرجاه .

وروى الدارمي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لا يسلك طريقاً فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه ﷺ .

وفي حديث أمّ معبد المشهور لما مرّ بها النبي ﷺ في الهجرة هو وأبو بكر ومولاه ودليلهم وجاء زوجها فقال صفيه لي يا أمّ معبد فقالت رجلاً ظاهراً الوضأة حلو المنطق فضل لا نزر ولا هذر كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن .

وذكر بعضهم زيادة على هذا قال فيه :

وفي وصف أمّ معبد الخزاعية لرسول الله ﷺ قال أبو معبد لزوجته صفي لي صاحب قریش الذي يطلب يا أمّ معبد قالت رأيت رجلاً ظاهراً الوضأة - أي الحسن والنظافة مبتلج الوجه - أي مشرق ذا نور - .

حسن الخلق لم تعبته ثجلة - أي ليس بطنه ضخماً - ولم تزر به صغلة - أي ليس رأسه صغيراً - وسيم - أي جميل معتدل القامة - في عينيه دعج - أي شدة سواد العين مع سعتها - .

وفي أشفاره وطف - كثرة شعر الحاجبين - وفي صوته صحل - صوته رخيم - أخور - شدة بياض العين في شدة سوادها - أكحل أزج - كان عينه مكحولاً وإن لم تكحل - دقيق الحاجبين في طول - أقرن - مقرن الحاجبين - شديد سواد الشعر في عنقه سطح - أي ارتفاع وطول وفي لحيته كثافة .

إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما - أي ارتفع - وعلاه البهاء - الحسن والجمال وكان منطقته خرزات يتحدرن حلو المنطق فضل لا نزر ولا هذر - أي لا عيب فيه ولا ثرثرة أجهر الناس وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب .

رَبْعَةٌ لَا تَشْنُوهُ مِنْ طُولٍ وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ
فَهُوَ أَنْظَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَخُصُّونَ بِهِ إِذَا قَالَ اسْتَمِعُوا
لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ مَحْفُودٌ - أَيُّ يُطِيعُهُ أَصْحَابُهُ مُسْرِعِينَ -
مَحْشُودٌ - يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ
وَاعْفُ رَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« قِصَّةُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ »

أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، شَهِدَ بَدْرًا وَالْعَقَبَةَ ،
وَرَوَى مِائَةً وَخَمْسِينَ حَدِيثًا ، مَاتَ بِأَرْضِ الرُّومِ غَازِيًا سَنَةَ ٥٢ هـ وَدُفِنَ إِلَى
أَصْلِ حِصْنِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَلَهُ قِصَّةٌ يَحُلُّو ذِكْرَهَا .

بَعْدَ مَا تَأَمَّرَتْ قُرَيْشٌ بِدَارِ النَّدْوَةِ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ نِصْفَ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ
فِيهَا مُتَقِنَةً فَقَالَ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ فَقَالَ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَحَدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ
بِالثَّمَنِ ، وَأَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَبِيتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِهِ ﷺ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ فِي بَيْتِ أَبِي
بَكْرٍ لَيْلًا ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ ، فَنَسَجَتِ الْعَنْكَبُوتُ

على بابيه ، وحام الحمام فوق الغار وجدت قريش في طلبهما وأخذوا
معهم القافة حتى انتهوا إلى باب الغار ، فوقفوا عليه فلما رأوا الحمام فوقه
والعنكبوت قد نسجت على بابيه استبعدوا ذلك جدا وأعشى الله بصائرهم
وأبصارهم وفي ذلك يقول الشاعر :

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عالٍ من الأطم

فقال أبو بكر : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه
لأبصرنا ، فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن إن الله معنا وكانا
يسمعان كلامهم إلا أن الله عمى عليهم أمرهما إن الله على كل شيء قدير .

بلغ النبي ﷺ المدينة ، فتلقته قلوب أهلها بأكرم ما يتلقى به وافد ،
وتطلعت إليه عيونهم تبته شوق الحبيب إلى حبيب ، وفتحوا له قلوبهم ليحل
منها في سؤ يدائها ، وشرعوا له أبواب بيوتهم لينزل فيها أعز منزل ، فكانوا
يخرجون كل يوم إلى الحرّة ينتظرونه ، فإذا اشتد حر الشمس رجعوا إلى
منازلهم .

فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من
نبوته ﷺ خرجوا على عاداتهم فلما حميت الشمس رجعوا ، فصعد رجل من

اليهود على أطم من آطام المدينة فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة ، هذا صاحبكم هذا جدكم الذي تنتظرونه .

فثار الأنصار إلى السلاح ، ليتلقوا رسول الله ﷺ ، وسمعت الوجية والتكبير في بني عمرو وبن عوف وكبر المسلمون فرحاً وسروراً بقُدومه .

فلما كان يوم الجمعة ركب فأدركته الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاًها في المسجد الذي في بطن الوادي ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، ثم ركب ناقته فجاءه سادات يثرب في طريقها كل يريد أن يظفر بشرف نزوله ﷺ عنده .

فاتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العدة والعدة والمنعة قال (خللوا سبيلها فإنها مأمورة) فخللوا سبيل ناقته ﷺ .

فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو ، في رجال من بني بياضة ، فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدة والعدة والمنعة ، قال (خللوا سبيلها فإنها مأمورة) فخللوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد ابن عباد ، والمُنذر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدة والعدة والمنعة قال (خللوا سبيلها فإنها مأمورة) فخللوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحرث

بْنِ الْخَزَجِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ
(خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ) فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا مَرَّتُ بِدَارِ بَنِي عَدِيٍّ بَنِ النَّجَّارِ وَهُمْ أَخُوَالُهُ دُنْيَا أُمَّ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَلَمَى بِنْتِ عَمْرِو وَإِحْدَى نِسَائِهِمْ اعْتَرَضَهَا سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ
وَأَبُو سَلِيطٍ أَسِيرُهُ بْنُ أَبِي خَارِجَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنِ النَّجَّارِ فَقَالُوا يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِلَى أَخُوَالِكَ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ (خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا
مَأْمُورَةٌ) فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتُ عَلَى بَابِ
مَسْجِدِهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَرْبَدٌ - الْمَوْضِعُ الَّذِي يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمْرُ - لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ :
سَهْلٌ وَسُهَيْلُ ابْنَيْ عَمْرِو فَلَمَّا بَرَكَتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزِلْ وَثَبَتْ
فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَشْنِيهَا بِهِ .

ثُمَّ التَفَتْتُ إِلَى خَلْفِهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مَبْرِكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَبَرَكَتُ فِيهِ ثُمَّ
تَحَلَّحْتُ - أَيَّ تَحَرَّكْتُ - وَرَزَمْتُ - أَيَّ رَغَتُ وَرَجَعْتُ فِي رُغَائِهَا وَوَضَعْتُ
جِرَانَهَا فَتَزَلَّ عَنْهَا ﷺ .

فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رَحْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَأَنَّمَا يَحْمِلُ كُنُوزَ الدُّنْيَا
مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ يُرْحَبُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو
أَيُّوبَ لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ
فِي الْعُلُوِّ فَقُلْتُ لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي لَأَكْرَهُ وَأَعْظُمُ أَنْ أَكُونَ

فَوْقَكَ وَتَكُونُ تَحْتِي فَاطْهَرُ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ وَنَزِلْ نَحْنُ فَنَكُنْ فِي السُّفْلِ .

فَقَالَ يَا أَبَا أَيُّوبَ ارْفُقْ بِنَا وَبِمَنْ يَغُشَانَا أَنْ نَكُونُ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ فَلَقَدْ انْكَسَرَ حَبُّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا نُنَشْفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ .

قَالَ وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعِشَاءَ وَنَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بَعْشَائِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ أَرِ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا قَالَ فَجِئْتُهُ فَرَعًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ وَأُمِّي رَدَدْتَ عِشَاءَكَ وَلَمْ أَرِ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ قَالَ إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَنَا رَجُلٌ أَنَاجِي فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُّوهُ قَالَ فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ .

شِعْرًا :

تُفَزُّ فِي كُلِّ صُبْحٍ أَوْ عَشِيٍّ	إِلَى مَوْلَاكَ سَلَّمَ كُلُّ أَمْرٍ
بِإِخْلَاصٍ عَلَى التَّهَجِّ السَّوِيِّ	وَصُنْ مِنْكَ الْفُؤَادَ بِحُسْنِ سَيْرٍ
تَنَلُ مِنْهُ صَفَا الْعَيْشِ الْهَنِيِّ	وَمِنْ مَوْلَاكَ أُطْلُبُ مَنْحَ فَضْلٍ
عَلَى أَسْمِي نَبِيٍّ هَاشِمِيٍّ	وَأَكْثَرُ مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ سَلَامٍ
عَلَيْهِ دَامَ كَالْمِسْكِ الزَّكِيِّ	صَلَاةُ اللَّهِ يَتْلُوهَا سَلَامٌ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا

بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ مِنَّا كَمَا عَلِمْتُمْ مُعَرَّضٌ لِلْأَذَى وَالْإِسَاءَةِ وَالْإِهَانَةِ
وَعُرْضَةٌ لِلْأَخْطَارِ ، وَالْمُهْلِكَاتِ ، فَمَنْحَهُ اللَّهُ قُوَّةً يَدْفَعُ بِهَا الْإِهَانَةَ ، وَيَدْفَعُ
بِهَا الْخَطَرَ ، وَيَنْجُو بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، هِيَ قُوَّةُ الْغَضَبِ وَالْحَمِيَّةِ .

وَخُلِقَ الْغَضَبُ مِنَ النَّارِ ، فَتَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ
وَرَكِبْنَا وَقْتَ الْغَضَبِ ، حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِي غَضَبِهِمْ حَمَقَى مُتَهَوِّرِينَ ،
وَسُفَهَاءَ طَائِشِينَ .

فَكَرِهَ النَّاسُ الْغَضَبَ لِذَلِكَ ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى ذَمِّهِ مُطْلَقًا ، وَهَذَا
خَطَأٌ فَطِيعٌ وَخَلَطٌ لَا يَجُوزُ ، فَلَيْسَ كُلُّ غَضَبٍ مَذْمُومٌ وَلَا كُلُّ جِلْمٍ
بِمَمْدُوحٍ ، وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا لَا يَخْلُقُ لَنَا طَبْعًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ ، وَلَا يُرَكِّبُ فِينَا قُوَّةَ
الْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ إِلَّا لِسَبَبٍ وَحِكْمَةٍ .

فَالْأَذَى إِذَا جَاءَنَا لَا يُدْفَعُ إِلَّا بِالْغَضَبِ ، وَالشَّرُّ إِذَا نَالَنا لَا يُدْفَعُ إِلَّا
بِالْغَضَبِ ، وَحِمَايَةُ الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ لَا تُدْفَعُ إِلَّا
بِالْغَضَبِ لِلْحَقِّ ، فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْغَضَبِ بِالْكُلِّيَّةِ ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ فَهُوَ
نَاقِصٌ مَحْلُولُ الْعِزِّ ، مَفْقُودُ الْحِزْمِ ، مَعْدُومُ الرُّجُولَةِ .

وَقَدْ ائْتَدَحَ اللَّهُ غَضَبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفَّارِ ، وَحَمِيَّتَهُمُ الدِّينِيَّةَ ،
لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي أَعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ ، فَقَالَ تَعَالَى « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ » .

وقال « أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ » وقال « وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً » .

وأمرنا بِالْغَضَبِ إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَةُ الدِّينِ ، وَالْغَيْرَةِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ ، فَقَالَ فِي الزُّنَاةِ « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْغَضَبِ ، يُصْبِحُ جَبَانًا ، ضَعِيفًا ، وَذَلِيلًا حَقِيرًا لَا يَأْنِفُ مِنَ الْعَارِ وَلَا يَهْمُهُ ، وَلَا يَتَأَلَّمُ لِأَذَى السُّفَهَاءِ ، يَتَطَاوَلُ السُّفَهَاءُ وَالْفَسَقَةُ عَلَى حَرَمِهِ ، فَلَا يَغَارُ لِعِرْضٍ ، وَلَا يَغْضِبُ لِشَرَفٍ ، فَيَكُونُ تَيْسًا فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ، وَجَمَادًا لَا إِحْسَاسَ لَهُ ، وَلَا شُعُورَ .

وَلَيْسَ مِنَ الْحِلْمِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ جُبْنٌ ، وَخَوَرٌ ، وَذِلَّةٌ وَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ دَيُّوثٌ ، قَالُوا وَمَا الدَّيُّوثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا أَمَّهُلُهُ حَتَّى آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَقَالَ ﷺ نَعَمْ ، فَقَالَ كَلَّا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ لَأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي .

وَإِذَا لَمْ يَغْضَبِ الْإِنْسَانُ لِعِرْضِهِ ، ضَاعَتْ الْأَنْسَابُ ، وَاخْتَلَطَتْ الْأَوْلَادُ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ تَمُوتُ الْغَيْرَةُ فِيهِمْ لَا بُدَّ وَأَنْ تَضِيعَ الْعِفَّةُ ، وَالصِّيَانَةُ مِنْ نِسَائِهَا ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ ، وَالْخَوَرُ ، وَالْعَجْزُ ، وَالْجُبْنُ ، الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَكَيْفَ تَذُمُّ رَجُلًا يَغْضِبُ لِدِينِهِ ، إِذَا رَأَى الْمُنْكَرَاتِ ، وَقَدْ أَمَرَ بِمُحَارَبَتِهَا وَكَيْفَ يُصْلِحُ الْمَرْءُ عُيُوبَ نَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهَا ، وَيَشْتَدُّ فِي رَدِّهَا عَنْ هَوَاهَا . - ٣٧٦ -

أَمَّا الْغَضَبُ الْمَذْمُومُ فَهُوَ الَّذِي يُعْمِي صَاحِبَهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَيُفْقِدُهُ
بَصَرَ الْبَصِيرَةِ ، وَالْفِكْرَ فَتَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، وَيُعْرِضُ عَنِ النَّصِيحِ إِذَا
نُصِحَ ، وَرُبَّمَا زَادَ هَيْجَانًا ، وَإِذَا رُوجِعَ فِي قَوْلٍ اِزْدَادَ سُخْطًا وَلِجَاجًا .

وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ ضَرَرٌ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وَتَجْدُهُ مُتَغَيِّرًا لَوْنُهُ ، مُرْتَعِشَةً
أَعْضَاؤُهُ ، زَائِغًا بَصَرُهُ ، وَكَأَلْأَعْمَى يَسُبُّ الْجَمَادِ ، وَالْحَيَوَانَ ، وَيَبْطِشُ
بِكُلِّ مَا يُصَادِفُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يُتْلِفُ الْأَثَاثَ ، وَالرِّيَاشَ ، وَرُبَّمَا لَا يَشْفِي غَلَّةً ،
وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ طَلَاقٌ ، وَلَعْنٌ وَسَبٌّ ، وَشْتَمٌ ، فَهَذَا غَضَبٌ مَذْمُومٌ قَبِيحٌ
مَرْدُودٌ يَنْتَصِرُ فِيهِ إِبْلِيسُ عَلَى هَذَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ كَمَا
قِيلَ :

وَمَا غَضَبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا حِمَاقَةٌ

إِذَا كَانَ فِيمَا لَيْسَ لِلَّهِ يَغْضَبُ

وَمِثْلَ هَذَا الْغَضَبِ يَهْدِمُ الْجِسْمَ ، وَيُتْلِفُ الصِّحَّةَ ، وَيَحْرِمُ صَاحِبَهُ
الرَّاحَةَ وَالْهَنَاءَ وَيَجْعَلُ نَظَرَتَهُ إِلَى الْحَيَاةِ مُظْلِمَةً سَوْدَاءَ فَالتَّفْرِيطُ فِي الْغَضَبِ
ضَعْفٌ ، وَالْإِفْرَاطُ تَهْوُرٌ وَجُنُونٌ ، وَالْمَحْمُودُ مِنْهُ الْوَسْطُ وَالْاعْتِدَالُ وَالْقَصْدُ
الْمَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ غَضَبُكَ لِلدِّينِ فَإِذَا اعْتَدَى قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بِالطَّعْنِ
وَالْتَّشْهِيرِ أَوْ التَّشْكِيكِ فِي الْعَقَائِدِ كَمَا يُحَاوِلُ الْمُلْحِدُونَ وَكَمَا يَفْعَلُ
الْمُبَشِّرُونَ فَيَجِبُ أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِمْ انْتِصَارًا لِدِينِنَا وَدِفَاعًا عَنْ شَرِّعِنَا .

وَمِنْ الْغَضَبِ الْمَحْمُودِ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ تَعَدَّى عَلَى بِلَادِ إِسْلَامِيَّةٍ أَوْ
تَعَدَّى عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ مَدَحَ غَيْرَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ أَوْ كِتَابَهُ أَوْ
مَلَائِكَتَهُ أَوْ رُسُلَهُ بِسُوءٍ أَوْ سَبَّ صَحَابِيًّا أَوْ إِمَامًا مَشْهُورًا بِالتَّقَى وَالْوَرَعِ

والاستقامة أو طعن في رجال الدين لأجل دينهم أو كذب على الله أو على
رُسُلِهِ أو أحلَّ شيئاً من المحرمات أو حرم شيئاً مما حَلَّه الله أو استهانَ
بكِتَابِ الله أو سنة رَسُولِهِ ﷺ أو كُتِبَ أهل العلم المُحَقِّقِينَ مثل الإمام
أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة والموفق والمجد وابن أبي عمير وشيخ
الإسلام وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن مفلح ونحوهم من العلماء
المشهورين بالاستقامة والبعد عن البدع وكائمه الدعوة .

ومن الغضب المحمود الغضب على من مدح الكفرة والمنافقين
وأئمة الضلال والحيارى كابن عريي وابن رشد والفارابي وابن سينا وابن
كُلاب والعفيف التلمساني وابن سبعين وابن الفارض وابن الراوندي
والكوثري والبوصيري والمعري ونحو هؤلاء من الملاحدة والزنادقة
والمبتدعة والفسقة والظلمة وأعوانهم .

ومن الغضب المحمود الغضب على من ابتدع في الدين بدعاً أو
نشرها أو دعا إليها أو مدح محلليها أو مدح الكفار أو مدح الملاحية
والمُنكَرَاتِ الَّتِي حَطَّمَتِ الأخلاق وقضت عليها وأتلفت الأموال وقتلت
الأوقات وأورثت الخلق أفانين العداوات وأحدثت التفرق في البيوت
والقُلُوبِ .

شِعْرًا :

« إِنَّ الْمَلَاهِيَّ أَلْقَتْ بَيْنَنَا إِحْنًا
وَأُورِثْنَا أَفَانِينَ الْعَدَوَاتِ »
« وَهَلْ أُصِيبَ شَبَابُ الْيَوْمِ وَانْحَرَفُوا
إِلَّا بِتَقْلِيدِ أَصْحَابِ الضَّلَالَاتِ »

« مِنْ كُلِّ أَهْوَجَ لَا دِينَ وَلَا أَدَبٌ
 وَلَا حَيَاءٌ وَمَعْدُومُ الْمُرُؤَاتِ »
 « يَرَى التَّمَدُّنَ فِي تَطْوِيلِ شَارِبِهِ
 وَحَلْقِ لِحْيَتِهِ مِثْلَ الْخَوَاجَاتِ »
 « يُقَلِّدُ الْكُفْرَ فِي تَطْوِيلِ أَظْفَرِهِ
 أَقْبَحَ بِهِ مِنْ سَفِيهِ سَاقِطِ عَابِ »

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْهَدَايَةِ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ
 ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَمِنْ وَفَائِهِ ﷺ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهَا قَالَتْ مَا غُرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا
 رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا .

وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا
 قُلْتُ لَهُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا
 وَلَدٌ ، كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَيِّدَةً وَقُورَةً ذَاتَ عَقْلٍ رَزِينٍ
 وَصَاحِبَةً مَالٍ وَيَسَارٍ وَجَاهٍ وَشَرَفٍ تَسْتَأْجِرُ الرُّجَالَ فِي مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا وَقَعَ فِي سَمْعِهَا مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَتَتَنَاوَلُهُ الْعَارِفُونَ عَنْ
الْمُصْطَفَى ﷺ مِنَ الْوَفَاءِ وَالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالنُّصْحِ وَحُسْنِ السَّيْرِ وَكَرِيمِ
السَّمَائِلِ وَالسَّخَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشَّيْمِ مَا لَمْ
تَسْمَعُهُ عَنْ غَيْرِهِ حَتَّى سَمَّاهُ قَوْمَهُ الْأَمِينَ اسْتَأْجَرْتُهُ لِيُخْرِجَ فِي مَالِهَا تَاجِرًا
وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ .

فَسَافَرَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ بِقَصْدِ الاتِّجَارِ إِلَى الشَّامِ يَصْحَبُهُ
غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ فَبَاعَا وَابْتَاعَا وَرَبِحَا رِبْحًا عَظِيمًا وَظَهَرَ لَهُ ﷺ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ مِنْ
الْبَرَكَاتِ وَإِفَاضَةِ الْخَيْرَاتِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ وَجَعَلَ اللَّهُ حُبَّهُ فِي قَلْبِ غُلَامِهَا
مَيْسَرَةَ وَأَعْجَبَ بِمَا شَاهَدَهُ مِنْهُ .

وَكَانَتْ سِنُّهُ ﷺ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهِيَ السَّفَرَةُ الثَّانِيَّةُ
مِنْ اسْفَارِهِ إِلَى الشَّامِ وَلَمَّا رَجَعَ قَافِلًا مِنَ الشَّامِ وَقَدِمَ مَكَّةَ وَرَأَتْ خَدِيجَةُ مَا
وَفَّقَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ رِبْحٍ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ وَبَرَكَاتٍ وَفِيرَةٍ .

وَمَا أَتَحَفَّهَا بِهِ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ مِمَّا شَاهَدَهُ مِنْ حُسْنِ سَيْرَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ
عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ كُلُّ ذَلِكَ حَفْزُهُ فِي نَفْسِ خَدِيجَةَ وَحَبِّهِ إِلَيْهَا فَلَمْ
تَتَمَالِكْ نَفْسُهَا وَكَانَ سِنُّهَا نَحْوُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً وَهِيَ كَمَا وَصَفْنَا وَأَضْعَافِ مَا
وَصَفْنَا مِنْ كَرَامَةٍ مُحْتَدِهَا وَشَرَفِ حَسَبِهَا وَحُسْنِ سَيْرَتِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَأُرْسِلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَخْطُبُهُ لِنَفْسِهَا فَقَامَ ﷺ يُنْجِزُ رَغْبَتَهَا
وَيُجِيبُ طَلِبَتَهَا وَاسْتَدْعَى أَعْمَامَهُ حَتَّى دَخَلَهَا عَلَى عَمِّهَا عَمْرِو بْنِ أَسَدٍ
فَخَطَبَهَا مِنْهُ بِوَاسِطَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَرَوَّجَهَا عَمُّهَا .

ثُمَّ قَامَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا

مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَزَرَعَ اسْمَاعِيلَ وَضِئْضِيءٌ مَعَدٍ وَعُنْصُرٍ مُضِرٍّ وَجَعَلْنَا حَضَنَةً
بَيْتَهُ وَسُوَّاسَ حَرَمِهِ وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا آمِنًا وَجَعَلْنَا حُكَّامَ النَّاسِ .

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِهِ رَجُلٌ شَرَفًا وَنُبْلًا
وَفَضْلًا وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قِلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ
وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ رَغْبَةً فِي
كَرِيمَتِكُمْ خَدِيجَةَ وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا وَعَلَى ذَلِكَ تَمَّ الْأَمْرُ .

وَلَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرَّسَالَةِ وَشَرَّفَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
أَسْرَعَ النَّاسِ بِهِ إِيمَانًا وَلِدَعْوَتِهِ تَصَدِّيقًا وَلَهُ إِجَابَةٌ وَلَمْ تَنْتَظِرْهُ آيَةٌ أُخْرَى زِيَادَةً
عَلَى مَا عَلِمْتُهُ مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ وَمَا سَمِعْتُ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ الَّتِي
كَانَتْ تَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ .

وَأَوَّلُ شَيْءٍ بُدِيَءَ بِهِ الْوَحْيُ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا
جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَالْعُزْلَةُ عَنِ الْبَشَرِ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
حِجْرٍ فَيَتَعَبَّدُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ فَتَارَةً يَمُكُثُ عَشْرَةً وَتَارَةً أَكْثَرَ إِلَى شَهْرٍ .

وَكَانَتْ عِبَادَتُهُ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ دِينِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَيَأْخُذُ زَادَهُ فَاذَا نَفَذَ رَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَ مُبَلِّغُ
الْوَحْيِ وَمَلِكُ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى الْجَبَلِ إِذْ فَاجَأَهُ
جِبْرِيلُ وَقَالَ أَبْشِرْهُ يَا مُحَمَّدُ أَنَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ أُمِّيٌّ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْقِرَاءَةَ مِنْ
قَبْلُ فَأَخَذَهُ فَغَطَّهُ بِالنَّمْطِ الَّذِي كَانَ يَنَامُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجُهِدُ ثُمَّ أَرْسَلَهُ
فَقَالَ لَهُ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ فَأَخَذَهُ فَغَطَّهُ ثَانِيَةً ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا

بِقَارِيءٍ فَأَخَذَهُ فَغَطَّهُ الثَّالِثَةُ فَقَالَ « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

فَرَجَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَذْعُورًا خَائِفًا يَرْجُفُ فُؤَادُهُ وَلَا يَتَمَالَكُ نَفْسُهُ مِنْ هَوْلِ الْمَنْظَرِ وَشِدَّةِ مَا أَلَمَ بِهِ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ زَوْجَتِهِ فَقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » أَيُّ لُفُونِي فِي ثَوْبِي ، لِيَزُولَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الرُّعْبِ وَالْقُشْعِرِيرَةِ الَّتِي انْتَابَتْهُ مِنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الْخَوْفُ .

فَذَكَرَ لِخَدِيجَةَ الْأَمْرَ وَأَخْبَرَهَا قَائِلًا لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَنِي مِنْ غَطِّ الْمَلِكِ لِي وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ جِبْرِيلَ وَوَصْفِهِ وَأَشْكَالِهِ ، فَأَجَابَتْهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى الْفَوْرِ وَوَقَفَتْ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الْمُشْرِفَ فِي تَثَبُّتِ فُؤَادِهِ وَتَهْدِئَةِ أَعْصَابِهِ وَتَقْوِيَةِ دَوَاعِي الْأَمَلِ فِيهِ قَائِلَةً كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَلَا يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْكَ الشَّيَاطِينَ وَالْأَوْهَامَ وَلَا مِرَاءً أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ لِهِدَايَةِ قَوْمِكَ .

ثُمَّ لَمْ تَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدَرِ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ أَرَادَتْ أَنْ تَثَبَّتَ مِنْ لَهْمِ عِلْمٍ بِحَالِ الرُّسُلِ وَأَطْلَاعٍ عَلَى أَخْبَارِهِمْ بِمَا قَرَّوُهُ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ .

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا بَنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَبَرًا مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى لَأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ وَاسِطَةَ الْوَحْيِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ قَالَ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ مِنْ بِلَادِكَ الَّتِي نَشَأْتَ بِهَا لِمُعَادَاتِهِمْ إِيَّاكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَكَ حِينَمَا تُطَالِبُهُمْ بِتَغْيِيرِ اعْتِقَادَاتِهِم الَّتِي وَجَدُوا عَلَيْهَا آبَاءَهُمْ فَكَانَ قَوْلُ وَرَقَةَ مَوْضِعَ اسْتِغْرَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ حُبِّ قَوْمِهِ لَهُ لَا تَصَافِيهِ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَالْأَمَانَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ حَتَّى سَمَّوَهُ الْأَمِينُ .

وَقَالَ أَوْ مُخْرِجِي هُمْ قَالَ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي عَلَى حَدِّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ) وَقَوْلُهُ « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا » وَقَوْلُهُمْ « أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ » .

ثُمَّ قَالَ وَرَقَةُ مُسْتَأْنِفًا : وَإِنْ يُذَرِّكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ تُوفِّي وَرَقَةَ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ : قَالَ وَهَذَا نُمُودَجٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَمْنًا وَأَمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ وَمَوَاقِفُهَا إِزَاءَ مَا كَانَ يَحْدُثُ لِلنَّبِيِّ ﷺ .

وَلِذَا كَانَ ﷺ يُبَادِلُهَا الْوَفَاءَ بِالْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصَ بِالْإِخْلَاصِ وَكَانَ يَحْنُو إِلَيْهَا وَيُدِيمُ ذِكْرَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ وَهَذَا يُشْعِرُ بِبَقَاءِ وَدَّهَا وَاسْتِمْرَارِ حُبِّهِ لَهَا وَإِخْلَاصِهِ حَتَّى كَانَ يَتَعَهَّدُ صَدِيقَاتِهَا بِالْأَهْدَاءِ وَالْعَطَاءِ بَعْدَ مَوْتِهَا .

وَلِذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَالَةُ قَالَتْ فَغِرْتُ الْحَدِيثَ .

وفي الاستيعاب لأبي عمر ج ص ١٨١٠ بسنده إلى عائشة قالت جاءت عَجُوزٌ إلى النبي ﷺ فقال لها مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا جَنَامَةُ الْمُزْنِيَّةُ : قَالَ بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزْنِيَّةُ : كَيْفَ حَالُكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا قَالَتْ بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُقْبَلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْأُقْبَالُ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ : مُقَابَلَةٌ طَيِّبَةٌ وَمُلَاطَفَةٌ جَمِيلَةٌ وَتَوَدُّدٌ مَحْمُودٌ وَوَفَاءٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ الَّتِي مَاتَتْ وَطَالَمَا أَيْدَتْهُ وَخَفَّفَتْ عَنْهُ وَسَلَّتْهُ وَعَاشَرَتْهُ وَتَبَادَلُ هُوَ وَإِيَّاهَا الْمَوَدَّةَ وَلَمْ تُكْذِرْ خَاطِرُهُ وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً عَكْسُ مَا عَلَيْهِ زَوَّجَاتُ هَذَا الْجِيلِ الْمُنْحَرِفِ إِلَّا النَّادِرَةُ .

وَأُخْرِجَ أَبُو دَاوُدَ ج ٢ ص ٦٣ أَنَّ عُمَرَ بْنَ السَّائِبِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرُّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا يَصِفُ ثَوْبَهُ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرَ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرُّضَاعَةِ فَقَامَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهَا .

وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة : آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَبِي النَّاسُ وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَأَسْتَنِي إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ وَكَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا عَدَا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ وَتُوفِيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَحَزِنَ عَلَيْهَا ﷺ حَزْنًا

شَدِيداً لِمَا كَانَ لَهَا مِنْ الْأَعْمَالِ النِّبِيلَةِ وَالْوَفَاءِ التَّامِ وَالتَّائِيدِ لَهُ وَتَثْبِيْتِهِ وَلِمَا لَهَا مِنْ آرَاءِ سَدِيدَةٍ .

وَمِنْهَا الْقَاسِمُ الَّذِي كَانَ يُكْنَى بِهِ وَسَائِرُ وَلَدِهِ سَوَى إِبْرَاهِيمَ وَبُوفَاتِهَا انْطَفَأَ مِصْبَاحُ مُنِيرٍ وَعَوْنُ كَبِيرٍ لِيَتِمَّ النِّسَاءُ بِأَعْمَالِهَا فِي حُسْنِ الْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالْبِرِّ فَانَّهَا امْرَأَةٌ وَلَكِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ آلَافِ الرِّجَالِ وَفِي مِثْلِهَا وَأَشْبَاهِهَا لَوْ يُوجَدُ حَسَنُ التَّمَثُّلِ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

(وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا

لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ)

وَلِهَذَا اسْتَحَقَّتْ أَجْرَ الْعَامِلِينَ وَثَوَابَ الْمُخْلِصِينَ وَجَاءَتْهَا الْبَشَارَةُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ الْأَمِينِ قَائِلاً « يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ شَكٌّ مِنْ الرَّأْيِ » وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ »

فَقَالَتْ هُوَ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ وَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

رَأَتْ خَدِيجَةُ إِنْسَاناً تُصَاحِبُهُ

عِنَايَةَ اللَّهِ رَغْمَ الْفَقْرِ وَالْيُسْرِ

فَاخْتَارَتْ الْمُصْطَفَى زَوْجاً لَهَا وَلَقَدْ

وَفَى لَهَا الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ بِالذَّمِّ

يُثْنِي عَلَيْهَا وَلَا يَنْسَى فَضَائِلَهَا

مِثْلُ اسْتِجَابَتِهَا فِي لَا وَفَى نَعَمْ

أَوْلَادُهُ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ سِتِّتَهُمْ
أَتَوْهُ مِنْهَا وَنُورُ الشَّمْسِ فِي النَّجْمِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ شَأْنَ الصَّلَاةِ عَظِيمٌ جَدًّا فِي دِينِنَا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي
كُلِّ دِينٍ وَأَسْرَارُهَا الْعَظِيمَةُ وَبَرَكَاتُهَا الْعَمِيمَةُ وَفَوَائِدُهَا الْكَثِيرَةُ لَا تَخْفَى عَلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَلَيْسَتْ الصَّلَاةُ مُجَرَّدُ أَقْوَالٍ يَلُوكُهَا اللِّسَانُ وَحَرَكَاتٌ تُؤَدِّيهَا الْجَوَارِحُ
بَلَا تَدَبُّرٍ مِنْ عَقْلِ وَلَا تَفْهَمٍ وَلَا خُشُوعٍ مِنْ قَلْبٍ لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِي يَنْقُرُهَا
صَاحِبُهَا نَقْرَ الدَّيَكَةِ وَيَخْطِفُهَا خَطْفَ الْغُرَابِ وَيَمُرُّ بِهَا مَرُّ السَّحَابِ كَأَنَّ وَرَاءَهُ
طَالِبٌ حَيْثُ وَيَلْتَفِتُ فِيهَا الِيفَاتِ الثَّغْلِبِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَفَوْقًا وَتَحْتَ .

كَأَنَّهَا الصَّلَاةُ الْمُقَامَةُ تَمَامًا هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ وَالْخَشْيَةِ
وَالْخُضُوعِ وَالسُّكُونِ وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ الْمَعْبُودِ جَلَّ جَلَالُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصْدَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ هُوَ تَذَكُّرُ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ
الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .

وَالصَّلَاةُ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ تَقْوَى بِهَا مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ
قَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي
طَاعَتِهِ وَكُلَّمَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ أَكْمَلُ فَلْيَزِنِ
الْعَبْدُ إِيمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ بِهَذَا الْمِيزَانِ وَالْيَنْظُرْ هَلْ هُوَ مُلْتَذِّدٌ بِخِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ أَوْ

مُتَكَرِّهٌ لَهَا يَأْتِي بِهَا عَلَى السَّامَةِ وَالْمَلَلِ وَالكَرَاهَةِ فَهَذَا مَحَكُّ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَمَحَبَّتُهُ لِلَّهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي أَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَأَحْمِلُ هَمَّ خُرُوجِي مِنْهَا وَيَضِيقُ صَدْرِي إِذَا فَرَعْتُ لِأَنِّي خَارِجٌ مِنْهَا وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُعِلَتْ قُرْتُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَوَدُّ أَنْ يُفَارِقَهُ وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ الْعَبْدِ نَعِيمُهُ وَطِيبُ حَيَاتِهِ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي لَأَفْرَحُ بِاللَّيْلِ حِينَ يُقْبَلُ لِمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ عِشْتِي وَتَقْرِبُهُ عَيْنِي مِنْ مُنَاجَاةٍ مَنْ أَحَبُّ وَخَلَوْتِي بِخِدْمَتِهِ وَالتَّذَلُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاعْتَمُّ لِلْفَجْرِ إِذَا طَلَعَ لِمَا اشْتَغِلُ بِهِ بِالنَّهَارِ عَنْ ذَلِكَ فَلَا شَيْءَ أَلْذُّ لِلْمُحِبِّ مِنْ خِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ وَطَاعَتِهِ أَيْنَ هَؤُلَاءِ مَنْ لَذَّتُهُمْ وَأَنَسُهُمْ عِنْدَ الْمُنْكَرَاتِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَعَذَّبْتُ بِالصَّلَاةِ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَنَعَّمْتُ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً وَهَذِهِ اللَّذَّةُ وَالتَّنَعُّمُ بِالْخِدْمَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالمُصَابَرَةِ عَلَى التَّكْرَرِ وَالتَّعَبِ أَوَّلًا فَإِذَا صَبَرَ عَلَيْهِ وَصَدَّقَ فِي صَبْرِهِ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ سَقَتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَهِيَ تَبْكِي فَمَا زِلْتُ أُسَوِّفُهَا حَتَّى انْسَأَقَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ أ . ه .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » .

وَقَالَ ﷺ إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ وَأُمِرَ بِالْحَجِّ وَأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَلِهَذَا كَانَتْ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ تَعَالَى « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ الْآيَةُ » .

والمُرَادُ بِعِمَارَتِهَا بِالصَّلَاةِ وَالْقُرْبَاتِ وَقَالَ ﷺ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ
الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

وَجَاءَ ذِكْرُ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَأَتْنَى جَلَّ وَعَلَا عَلَى
الْمُقِيمِينَ لَهَا وَالْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَمِنْ
دُعَاءِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيمًا لَهَا قَالَ تَعَالَى :
« رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » .

وَمَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيلَ قَالَ تَعَالَى « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ
عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » وَأَمَرَ جَلَّ وَعَلَا مُوسَى بِإِقَامَتِهَا أَوَّلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي سَاعَاتِ
الْوَحْيِ الْأُولَى قَالَ تَعَالَى « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » وَقَالَ لَهُ وَلِهَارُونَ « أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ » .

وَفِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ الْآيَةُ وَيُنْطِقُ اللَّهُ عِيسَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُولُ « وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا » .

وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وَخَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا « اتْلُ مَا
أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ » وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ « وَأْمُرْ
أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » .

وَيَبْتَدِئُ بِهَا أَوْصَافَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْتِمُ بِهَا فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى « قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ « وَالَّذِينَ

هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .

وَيُؤَكِّدُ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَضَرًا وَسَفَرًا وَفِي الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ وَالسَّلَامِ
وَالْحَرْبِ « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ
خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا » .

وَأُخْبِرَ جَلٌّ وَعَلَا عَمَّنْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ أَنَّ عَاقِبَةَ
أَعْمَالِهِمْ وَسُوءُ مَالِهِمْ شَرٌّ وَخُسْرَانٌ فَقَالَ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » .

وَجَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ الشَّعَارَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ فَقَالَ بَيْنَ
الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ وَقَالَ الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ
تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ
رَبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ
وَمَارَ

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلَاةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ اهْتِمَامُ الْمُسْلِمِينَ
بِتَوَجُّهِهِ الْمُحْتَظَرِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَكَذَلِكَ وَضَعُهُ فِي قَبْرِهِ
مُتَّجِهًا إِلَى الْقِبْلَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا الْجِهَةُ الَّتِي يَتَّجِهُ إِلَيْهَا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَتَعَرَّفَ إِلَى رَبِّهِ وَيَدْعُوهُ وَيَجِدُّ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي الصَّلَاةِ .
عَلَى الصَّوَاتِ الْخَمْسِ حَافِظٌ فَإِنِهَا لَا كَدٌ مَفْرُوضٌ عَلَى كُلِّ مُهْتَدٍ
فَلَا رُخْصَةٍ فِي تَرْكِهَا لِمُكَلِّفٍ وَأَوَّلُ مَا عَنْهُ يُحَاسَبُ فِي غَدٍ
بِإِهْمَالِهَا يَسْتَوْجِبُ الْمَرءُ قَرْنَهُ بِفِرْعَوْنَ مَعَ هَامَانَ فِي شَرِّ مَوَرِدٍ
وَمَا زَالَ يُوصِي بِالصَّلَاةِ نَبِيُّنَا لَدَى الْمَوْتِ حَتَّى كَلَّ عَنْ نُطْقٍ مَذُودٍ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

(فصل)

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَنِي بِهَا وَتَجْتَهِدَ فِي كُلِّ مَا يُصْلِحُهَا
وَيُكَمِّلُهَا تَجْتَهِدُ أَوَّلًا فِي الطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ فِي جِسْمِكَ وَثَوْبِكَ وَمَوْضِعِ
صَلَاتِكَ فَعَلَيْكَ أَوَّلًا بِالْإِسْتِبْرَاءِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِأَنْ تَتَأَنَّى قَلِيلًا حَتَّى
يَخْرُجَ الْبَوْلُ كُلُّهُ بِدُونِ نَتْرٍ .

وَهُوَ دَفْعُ بَقِيَّتِ الْبَوْلِ وَبِدُونِ مَضَرٍ لِلذِّكْرِ فَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ يُحْدِثُ
السَّلْسَ وَتَغْسِلُ مَحَلَّ الْغَائِطِ حَتَّى يَعُودَ الْمَحَلُّ كَمَا قَبْلَ التَّغَوُّطِ خَالٍ مِنْ آثَارِ
النَّجَاسَةِ وَلِزُوجَتِهَا لَيْلًا تَكُونُ حَامِلًا لِلنَّجَاسَةِ فِي صَلَاتِكَ فَتَبْطُلُ .

ثُمَّ عِنْدَ الْوُضُوءِ تُزِيلُ مَا يَمْنَعُ وَضُوءَ الْمَاءِ إِلَى الْبَشَرَةِ مِنْ مَرْهَمٍ أَوْ
وَازِلِينَ أَوْ دُهْنٍ عَلَى غَيْرِ جُرْحٍ يَضُرُّهُ الْمَاءُ وَتَتَفَقَّدُ عِنْدَ الْوُضُوءِ أَحْمَصَ
الْقَدَمَيْنِ وَالْعَقِبَ وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ وَأَعْلَى الْجَبَةِ وَمَا حَوْلَ الْمَرَافِقِ .

وَفِي الْغَسْلِ ضِمَاخَ الْأَذْنَيْنِ وَطَيَّ الرُّكْبَتَيْنِ وَمَا تَحْتَ الشُّعُورِ وَالْإِبْطِ
وَالسُّرَّةَ وَمَا بَيْنَ الْأَصَابِعِ أَصَابِعِ الرَّجْلَيْنِ وَالْأَصَافِرِ إِنْ كَانَتْ طَوَالًا وَتَمْنَعُ
الْمَاءُ وَيَضُرُّكَ قَصُّهَا وَإِلَّا فَتَقْصُصْهَا ثُمَّ بَعْدَ تَنْتِبِهِ لِهَذِهِ الدَّقَائِقِ .

وَتَكُونُ مُحْسِنًا لِلْوُضُوءِ وَتَسْعَى فِي تَفَقُّدِ مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا كَمَا تَرَاهُ
فِي فِعْلِ الصَّلَاةِ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ تَرَاهُ عِنْدَهُ مِنَ الْعَبَثِ وَالْحَرَكَةِ وَالتَّلَفُّتِ مَا
يَجْعَلُكَ فِي شَكٍّ مِنْهُ هَلْ هُوَ فِي صَلَاةٍ أَمْ لَا فَتَجِدُهُ أحيانًا يَنْظُرُ سَاعَتَهُ وَأحيانًا
يُصَلِّحُ عُثْرَتَهُ وَأحيانًا يُوَاسِي ثَوْبَهُ وَيَطَالِعُهُ وَأحيانًا يَعْبَثُ فِي مَحَلِّ لِحْيَتِهِ
وَأحيانًا فِي أَنْفِهِ أَوْ عَيْنِهِ وَفِي خِفَّةِ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ مَا يُدْهَشُكَ .

وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ هَذَا مُبَالَغَةٌ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ الْوُقُوفَ عَلَى ذَلِكَ فَانْظُرْ
بَعْدَ مَا تُسَلِّمُ إِلَى الَّذِينَ يُكَمِّلُونَ وَإِلَى مَنْ يُصَلِّي وَحْدَهُ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ الْأَمْرُ
عَظِيمٌ وَمَعَ ذَلِكَ النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ وَسَهْوٍ عَنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الطَّمَأْنِينَةُ فِي الصَّلَاةِ فَيُفْهَمُ قَدْرُ تَرْكِهَا مِنْ حَدِيثِ الْمُسَيَّبِ فِي
صَلَاتِهِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ﷺ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ .

فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ
فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الَّتِي تَلِيهَا
عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ » .

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ ثُمَّ إِقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى
تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ
ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ
جَالِسًا .

ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ ﷺ
لِمَنْ تَرَكَ الطَّمَأْنِينَةَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَإِنَّ هَذَا نَفْيٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ
الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ يَفْعَلُ صُورَةَ الصَّلَاةِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ لَمْ يَأْتِ بِحَقِيقَةِ
الصَّلَاةِ .

وَالَّذِي جَعَلَهُ كَذَلِكَ هُوَ تَرْكُهُ لِلطَّمَأْنِينَةِ فِيهَا وَهِيَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِهَا إِذَا
فَلِيطْمِئِنَّ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَصْدُقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَلَّى وَالْيَعْلَمَ أَهْلُ السَّرْعَةِ وَالنَّفَرِ

ذَلِكَ تَمَامًا وَالْيَمْرُنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّانِي وَالتَّرِثِ وَالرَّفَقِ حَتَّى يُعَدُّوا فِي
فَرِيقِ الْمُصَلِّينَ .

وَإِنْ لَمْ يَطْمَئِنُّوا فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ هُمْ وَتَارِكُ الصَّلَاةِ سَوَاءٌ حُكْمُهُمْ
بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ ﷺ لِلْمُسْتَعِجِلِ فِي صَلَاتِهِ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، وَقَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ نَهَانِي
عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ (الْعَجَلَةَ فِي الصَّلَاةِ) وَأَقْعَاءٍ كَأَقْعَاءِ الْكَلْبِ (وَضَعُ
الْإِلِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ وَنَضَبُ السَّاقَيْنِ وَوَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ) .

وَالْتِفَاتِ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ ، وَقَالَ ﷺ لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي
صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ أَنْصَرَفَ عَنْهُ وَنَهَى ﷺ عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ
إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ ، إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاذِلْ يَا أَخِي كُلَّ مَا فِي وَسْعِكَ
مِنَ الْجِتْهَادِ فِي تَكْمِيلِ صَلَاتِكَ وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيطِ فِيهَا فَعَلَيْهَا مَدَارُ
عَظِيمٍ .

وَالْمَعَانِي الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الصَّلَاةُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا حُضُورُ الْقَلْبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّكَ
تُفَرِّغُ قَلْبَكَ عَنِ الشَّوَاعِلِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَرِزْقِهَا مُتَفَهِّمًا لِمَا تَتْلُوهُ أَوْ تَقُولُهُ
أَوْ تَسْمَعُهُ إِنْ كُنْتَ مَأْمُومًا فَتَصْرِفُ ذَهْنَكَ وَهَيْمَتَكَ إِلَى إِدْرَاكِ الْمَعْنَى بِدَفْعِ
الْخَوَاطِرِ الشَّاعِلَةِ وَقَطْعِ مَوَادِّهَا فَإِنَّ الْمَوَادَّ إِذَا لَمْ تَنْقَطِعْ لَمْ تَنْصَرِفِ الْخَوَاطِرُ
وَالْهَوَاجِسُ عَنْهَا وَالْمَوَادُّ إِمَّا ظَاهِرَةٌ وَهِيَ مَا يَشْغُلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ .

وَإِمَّا بَاطِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ كَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَا
يَنْحَصِرُ فِكْرُهُ فِي فَنٍّ وَاحِدٍ وَلَمْ يُغْنِهِ غَضُّ الْبَصَرِ لِأَنَّ مَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ كَافٍ فِي
الْإِشْتَغَالِ بِهِ .

وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة بقطع ما يشغل البصر والسمع وهو القرب من القبلة والنظر إلى موضع السجود والابتعاد في الصلاة عما فيه نقوش أو تطريز أو نحو ذلك مما يلهي ويشغل القلب فإن النبي ﷺ صلى في أنبجانيه فيها أعلام ونزعها وقال « إنها ألهتني أنفاً عن صلاتي » .

وإن كان من المواد الباطنة فطريق علاجه أن يرد النفس قهراً إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة بأن يقضي أشغاله ويجتهد على تفرغ قلبه عن الهواجس ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع .

فإن لم تذهب وتستكين الأفكار بذلك فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه وناسب لهواه فليترك تلك الشهوات واليقطع تلك العلائق .

واعلم أن العلة والمرض متى تمكن لا ينفع فيه إلا الدواء القوي والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبتها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره أو أراد أن ينام وكانت هذه الشجرة مأوى للعصافير تقع عليها وتشوش عليه بأصواتها وحركاتها وفي يده عصا يطرد بها فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها .

ف قيل له هذا شيء يدوم لا ينقطع فإن أردت الخلاص مما شوش عليك فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة وحُب الدنيا إذا ارتفعت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار فذهب العمر النفيس في دفع مالا يندفع والسبب الوحيد حُب الدنيا فهو الذي يجذب الأفكار ويولدها وينميها فعلى العاقل أن يجتهد في قلع حبها .

ولهذا كَانَ السَّلَفُ يَعْتَنُونَ بِالصَّلَاةِ اعْتِنَاءً عَظِيماً وَيَتَلَذُّونَ بِهَا وَيَحْزَنُونَ
لَانْقِصَائِهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَفْقَدُوا قُلُوبَكُمْ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فِي الصَّلَاةِ وَفِي
الْقُرْآنِ وَفِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنْ وَجَدْتُمْ حَلَاوَةً وَإِلَّا فَالْبَابُ مُغْلَقٌ .

وَمِنْ الْمُؤَسِفِ أَنَّكَ تَجِدُ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَأْتِي الصَّلَاةَ كَالْمُكْرَهِ بِدَلِيلِ
أَنَّهُ إِذَا تَأَخَّرَ الْإِمَامُ وَلَوْ قَلِيلاً ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَبَهَوْا
الصَّلَاةَ وَتَجِدُهُمْ يُسْرِعُونَ الْخُرُوجَ بَعْدَهَا بِخِلَافِ الْمَجِيءِ إِلَيْهَا .

وَتَجِدُهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَامِ الَّذِي يَنْقُرُهَا مَعَ أَنَّهُمْ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا
عَلَى الْعَكْسِ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى طَبِيبٍ لِيُكْشَفَ عَلَيْهِ حَرَصٌ عَلَى
مَنْ يَتَرَكَدُّ وَيَطْمَئِنُّ وَيُطِيلَ الْفَحْصَ وَيُتَقِنَهُ وَلَوْ بِزِيَادَةِ كَثِيرَةٍ لَمَا يُؤَمِّلُهُ مِنَ
النُّصْحِ وَإِتْقَانِ الْعَمَلِ .

وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ صَنْعَةَ شَيْءٍ حَرَصَ عَلَى الْبَصِيرِ الْخَبِيرِ الْمُتَقِنِ لِذَلِكَ .

أَمَّا فِي الصَّلَاةِ فَكَمَا ذَكَرْنَا مَا يَهْتَمُّ لَهَا وَلَا يُبَالِي وَيَرَاهَا عَلَيْهِ أَثْقَلَ مِنْ
أَحَدٍ وَرَضَوِي وَهِيَ عَشْرُ دَقَائِقَ أَوْ أَقَلَّ وَلَوْ وَقَفَ مَعَ صَدِيقٍ لَهُ أَوْ قَرِيبٍ أَوْ زَمِيلٍ
سَاعَةً أَوْ أَكْثَرَ وَأَرَادَا التَّفَرُّقَ لَقَالَ سَاعَةُ الْمُحِبِّ قَصِيرَةٌ لِأَنَّهُ بِهِ وَتَلَذُّدِهِ
بِمُنَاجَاتِهِ .

وَأَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي نِعْمُهُ عَلَيْهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى فَالْوُقُوفُ أَمَامَهُ
طَوِيلٌ وَإِنْ كَانَ قَصِيراً صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ يَقُولُ « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ » فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ »

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ تَرَى لَكَ صَاحِباً فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ

فِطْنُ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ وَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« ٤٠ فصل »

وَإِلَيْكَ نَمَازُجُ مِنْ حِلْمِهِ فَقَدْ أَرَادَ مَرَّةً أَنْ يُعَلِّمَ أَصْحَابَهُ الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَةَ
وَالتَّوَدَّةَ وَضَبَطَ النَّفْسَ فَرُوي أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ يَوْمًا يَطْلُبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا
فَأَعْطَاهُ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَلَا أَجْمَلْتُ فَغَضِبَ
الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُّوا ثُمَّ قَامَ ﷺ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
وَزَادَهُ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ
خَيْرًا .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ آيَفَاءً وَفِي نَفْسٍ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ
فَأَنْ أَحَبِّتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا
كَانَ الْغَدُ جَاءَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ فِرْزَدَنَاهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ
رَضِيَ أَكْذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا وَكَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ
فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا فَقَالَ لَهُمْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ
نَاقَتِي فَإِنِّي أَرْفُقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ
فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوُ
تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلَتْموهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ كَانَ
يَقْبِضُ لِلنَّاسِ يَوْمَ حَنْيْنٍ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْدِلْ
فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ فَإِنَّهُ مُنَافِقٌ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أُنْبِي

أَقْتُلُ أَصْحَابِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِادَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً فَنَظَرُهُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ الْجَبَذَةِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرَلِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا إِذَا صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ أَعْظَمَ شَجَرَةٍ وَأَظْلَاهَا فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا فَنَزَلَ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ ضَعِ السَّيْفَ فَوَضَعَهُ ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ ﷺ .

وَوَرَدَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ ثَمَرًا فِي عُرْجُونِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ الْحَرِّ فَهَجَمَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَضَايَقَهُ فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُرْجُونِهِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتَضْرِبُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ خُذْ فَاقْتَصْ فَقَالَ لَهُ بَلْ عَفَوْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَاَنْظُرْ إِلَى عَفْوِهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَرَادَ قَتْلَهُ فَإِنَّهُ لَفَتَ بِعَفْوِهِ نَظَرَ الرَّجُلِ إِلَى مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ وَلِذَلِكَ ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

وَفِي ذَلِكَ مِنْ تَوْجِيهِهِمْ إِلَى النَّظَرِ فِي تَعَالِيهِهِمُ وَالْبَحْثِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ وَهَذِهِ هِيَ النَّتِيجَةُ الَّتِي يَسْعَى لَهَا ﷺ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ يُقَاتُ

قَالَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ قَالَ زَيْدٌ مَا مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوءَةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ يَسْبِقُ جِلْمُهُ جَهْلُهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا جِلْمًا .

قَالَ زَيْدٌ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاتَّاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي نَفَرٌ فِي قَرْيَةِ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أُسْلِمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أُسْلِمُوا أَتَاهُمْ الرِّزْقُ رَغَدًا وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الْغَيْثِ .

فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ فَنَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ بِجَانِبِهِ أَرَاهُ عَلِيًّا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ قَالَ زَيْدٌ بَنُ سَعْنَةَ فَذَنُوتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ لَكَ أَنْ تَبْعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا فِي حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ لَا تُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ قُلْتُ نَعَمْ فَبَايَعَنِي فَاطْلَقْتُ هَمَيَانِي فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرِ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا . فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ وَقَالَ اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَخِثْهُمْ .

قَالَ زَيْدٌ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الرَّجُلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ .

فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَدَنَا إِلَى الْجِدَارِ لِيَجْلِسَ إِلَيْهِ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ قُلْتُ يَا مُحَمَّدُ أَلَا تَقْضِيَنِي حَقِّي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بَنِي الْمُطَّلِبِ إِلَّا مُطْلًا وَلَقَدْ كَانَ بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ ، وَنَضَرْتُ إِلَى عُمَرَ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ .

ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ
وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ قَوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ فِي سُكُونٍ وَتَوَدَّةٍ .

فَقَالَ يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ
وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ إِذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ
مَكَانَ مَا رُغَّتُهُ قَالَ زَيْدٌ فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَأَعْطَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعاً
مِنْ تَمْرٍ .

فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ
مَا رُغَّتَكَ قَالَ وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ قَالَ لَا قُلْتُ أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَالَ الْحَبْرُ قُلْتُ الْحَبْرُ
قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِي مَا فَعَلْتَ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ .

قُلْتُ يَا عُمَرُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ . يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ
وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْماً .

وَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا أَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً
وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَأَشْهَدُكَ أَنْ شَطَرَ مَالِي فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالاً صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ
ﷺ قَالَ عُمَرُ أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لَا تَسْعَهُمْ قُلْتُ أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَرَجَعَ عُمَرُ
وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ زَيْدٌ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَنْ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً .

ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلاً غَيْرَ مُذْبِرٍ - رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ، مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ
وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا يَتَبَيَّنُ لَكَ كَيْفَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِسْطِ وَأَقَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ

وَأَتْبَاعِهِ وَأَصْحَابِهِ بِلَا مُحَابَاةٍ وَلَا مُدَارَاةٍ وَلَا مُدَاهَنَةٍ فَكَانَ فِي ذَلِكَ فِي الْقُمَّةِ
الْعَالِيَةِ الَّتِي لَا يَصِلُ إِلَيْهَا رَاقٍ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِ اللَّهِ وَتَطْبِيقِهِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ
وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالسَّيِّدِ وَالْمَسُودِ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى
حُبِّكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَّاتِ
الصَّالِحَاتِ وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ
الْخَطَايَا وَالزَّلَّاتِ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَاتِ يَا أَجُودَ الْأَجُودِينَ
وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل »

وَمِنْ ذَلِكَ حِلْمُهُ مَعَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَالَ لَهُ أَتَضْرِبُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُ
ﷺ لَمْ يَتِمَادَى فِي غَضَبِهِ وَلَمْ يَسْتَنْكِرْ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ اسْتِفْهَامَهُ الَّذِي فِيهِ الْمُطَالَبَةُ
فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ خُذِ الْعِرْجُونَ وَاقْتَصْ مِنِّي .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَضْرِبْ امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا وَلَمَّا قِيلَ لَهُ وَهُوَ
فِي الْقِتَالِ لَوْ لَعَنْتَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا
وَعِنْدَمَا لَقِيَ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ أَشَدَّ مَا لَقِيَ نَادَاهُ مَلِكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي
رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنَّ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

وَلَمَّا آذَاهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ وَشَجُّوا وَجْهَهُ وَشَقَّ ذَلِكَ

على أصحابه فقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة الله اغفر لقومي أو اهدي قومي فإنهم لا يعلمون .

وقال أنس رضي الله عنه خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لشيء صنعته : لم صنعتُه ولا لشيء لم أصنعهُ لم لم تصنعهُ وكان إذا عاتبني بعض أهله يقول دعوهُ فلو قضي لكان .

وقد روي أنه ﷺ كان في سفر وأمر أصحابه باصلاح شاه فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها فقال رسول الله ﷺ وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال علمت أنكم تكفونني ولكن أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه وقد جاء وفد النجاشي فقام ﷺ يخدمهم فقال أصحابه نكفيك قال إنهم كانوا لإصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم .

وجاءته امرأة في عقلها شيء فقالت إن لي إليك حاجة فقال اجلسي في أي سلك المدينة شئت اجلس إليك حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها وجاء في البخاري كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت .

ودخل الحسن بن علي والنبي ﷺ يصلي فركب على ظهره وهو ساجد فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض أصحابه لقد أطلت سجودك قال إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله .

وكان ﷺ يباسط أصحابه وكان رجل يسمى زهيراً يهادي النبي ﷺ بما

يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَوْجُودِ الْبَادِيَةِ وَكَانَ ﷺ يُهَادِيهِ وَيُكَافِيهِ بِمَوْجُودِ الْحَاضِرَةِ وَبِمَا
يُسْتَطْرَفُ مِنْهَا وَكَانَ ﷺ يَقُولُ زُهَيْرُ بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ .

وَلَقَدْ جَاءَ إِلَى السُّوقِ يَوْمًا فَوَجَدَ زُهَيْرًا قَائِمًا فَجَاءَهُ مِنْ قِبَلِ ظَهْرِهِ وَضَمَّهُ
بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ فَأَحْسَّ زُهَيْرٌ أَنَّهُ الرَّسُولُ ﷺ فَجَعَلَ يَمْسَحُ ظَهْرَهُ فِي صَدْرِ
النَّبِيِّ ﷺ رَجَاءَ الْبَرَكَاتِ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ مِنْ جَسَدِهِ ﷺ فَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي
الْعَبْدَ قَالَ زُهَيْرًا إِذَا تَجِدَنِي كَاسِيدًا فَقَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالِي .

وَكَانَ ﷺ يَمْزُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَحْمِلْنِي فَقَالَ أَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ فَقَالَ مَا عَسَى يُغْنِي عَنِّي ابْنُ النَّاقَةِ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَحْكُ وَهَلْ يَلِدُ الْجَمَلُ إِلَّا النَّاقَةَ .

وَجَاءَتْهُ مَرَّةً عَجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ
فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا
وَهِيَ عَجُوزٌ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أُنْسَاءً كَانَتْ لَهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغْرٌ « طَائِرٌ
صَغِيرٌ » يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ حَزِينٌ فَقَالَ مَا
شَأْنُهُ قِيلَ لَهُ مَاتَ نُغْرُهُ فَقَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُؤَلِّيهِ أَمْرَهُمْ وَيَقْبَلُ مَعْذِرَةَ الْمُعْتَذِرِ
إِلَيْهِ وَإِلَيْكَ قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ غَضِبَ كَعْبٌ عَلَى أَخِيهِ بُجَيْرٍ حِينَ أُسْلِمَ وَآمَنَ
بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبَ ابْنِ زُهَيْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ .

فَكَتَبَ بُجَيْرٌ إِلَى أَخِيهِ كَعْبٍ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَرَ دَمَهُ فَإِنْ
كَانَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَصِرْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ مَنْ جَاءَ تَائِبًا وَلَا يُطَالِبُهُ بِمَا عَمِلَ

قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ كَعْبًا فَرَّ إِلَى قَبِيلَتِهِ لِتَجِيرَهُ فَأَبَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَشْفَقَ
وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَرْجَفَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَنَزَلَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُمَّ إِلَيْهِ
وَاسْتَأْمَنَهُ .

فَسَمِعَ كَلَامَهُ وَقَامَ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ قَائِلًا يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ يَسْتَأْمِنُكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ
ذَلِكَ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي يَقُولُ
مَا يَقُولُ .

وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدُّوْا اللَّهَ أَضْرَبُ
عُنُقَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعُهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًا ثُمَّ أَخَذَ كَعْبُ فِي
إِنْشَاءِ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَذْكُرُ خَوْفَهُ وَارْجَافَ
الْوُشَاةِ بِهِ وَمَطْلَعُهَا :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ
مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدِي مَكْبُولُ

إِلَى أَنْ بَلَغَ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُرْدَتَهُ الشَّرِيفَةَ إِلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ الْكَرِيمَةُ

وَكَانَ ﷺ لَا يُوَاجِهْ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ لِسَعَةِ صَدْرِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ
وَشِدَّةِ حَيَاتِهِ وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ وَيَحْتُ عَلَيْهِ وَيَنْهَى عَنِ الْعُنْفِ وَيُبْغِضُهُ وَلَمْ
يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَلْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ يَزُورُ ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ تَلَطُّفًا بِهِمْ وَإِيْنَاسًا لَهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ
وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ سَوَاءً كَانَتْ لِشَرِيفٍ أَوْ وَضِيعٍ وَبِذَلِكَ كَانَ خَيْرَ أُسْوَةٍ وَكَانَ
ﷺ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ قَبِيحِ الْأَفْعَالِ مِنْهُمْ وَسُوءِ سِيرَتِهِمْ وَقَبِيحِ
سَرِيرَتِهِمْ لِإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ فَاتَّسَعَ لِمَا تَضَيَّقُ مِنْهُ صُدُورُهُمْ .

وَكَانَ ﷺ كَامِلًا فِي قُوَّةِ عَقْلِهِ وَادْرَاكِهِ وَصِحَّةِ قِيَاسِهِ الْفِكْرِيِّ وَصِدْقِ
ظُنُونِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ مَفْطُورًا عَلَى الصَّبْرِ وَالسُّكُونِ وَالْحَيَاءِ
وَالْمُرُوءَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْهِدَايَةِ لِلْخَلْقِ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ وَإِعْطَاءِ الْحِكْمَةِ
حَقَّهَا فِي سَائِرِ أُمُورِهِ .

وَكَانَ ﷺ ذَا سِيَاسَةٍ شَرِيفَةٍ وَمَعَارِفٍ مُنِيفَةٍ وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ وَرَأْيٍ صَائِبٍ
وَحَدْسٍ مُوَافِقٍ وَفَضَائِلَ مَقْصُودَةٍ وَأَخْلَاقٍ مَحْمُودَةٍ دِينُهُ الْإِسْلَامُ وَخُلُقُهُ الْقُرْآنُ
يَرْضَى لِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ مُحَرَّرًا لِلشَّرَائِعِ حَافِظًا لِلْوَدَائِعِ .

وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْأَفْضَالِ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَبْدِلُ لِمَنْ
مَنَعَهُ وَيَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُغْضِي طَرْفَهُ عَنِ الْقَذَى وَيَحْبِسُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَذَى لَا
يَنْتَقِمُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَشُقُّ وَيُكْرَهُ وَلَا يَزِيدُ مَعَ أَذَى الْجَاهِلِ إِلَّا صَبْرًا
وَحِلْمًا .

وَمَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا وَكَمْ أَعْرَضَ عَنِ

جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَكَانَ ﷺ يَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيُبَادِرُ إِلَى خِدْمَةِ الْقَادِمِ وَيَرْقُعُ ثَوْبَهُ وَيُخَصِّفُ نَعْلَهُ وَيَقُمُ بَيْتَهُ وَيَخْدِمُ أَهْلَهُ وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ .

وَكَانَ ﷺ رَجِيمًا حَتَّى بَاعَدَائِهِ أَلَمَ تَرَاهُ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ : وَقَدْ جَلَسُوا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَصَحْبُهُ يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ .

قَالَ لِقُرَيْشٍ مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخُ كَرِيمٍ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ فَقَالَ ﷺ أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ . اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ .

وَلَا غَرَابَةَ فَقَدْ انْفَرَدَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَعَارِفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالرَّفْقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَمَامَكُمْ يَوْمٌ لَا كَالْأَيَّامِ يَوْمٌ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ مَا يُشَيِّبُ الْوَالِدَانَ وَتَذْهَلُ فِيهِ الْمُرْضِعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيهِ الْعَالَمُ وَيَنْتَهِي نِظَامُهُ الَّذِي نَرَاهُ .

فَتُنْشَرُ الْكَوَاكِبُ وَتَتَسَاقَطُ وَتُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ يُزِيلُهَا اللَّهُ وَتُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَتُحْدِثُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَجِئْتُمْ يُخْشَرُ الْكَافِرُ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ أَبْكَمٌ لَا يَنْطِقُ يَمْشِي

عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أُرْزَقَ
الْعَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ .

إِذْ ذَاكَ يَقِفُ مَبْهُوتًا ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ تُرَابًا ثُمَّ
يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَعْدَ دُخُولِهِ فِيهَا لَا
يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا وَلَا يُزَادُ إِلَّا عَذَابًا وَلَا يُفْتَرُّ عَنْهُ .

إِنْ اسْتَغَاثَ يُغَاثَ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيُذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَيُحْرِقُ
الْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
كُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بَدَّلَ جِلْدًا غَيْرَهُ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا قُمِعَ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّ هَذَا الْعَذَابُ يُعَانِيهِ
وَلَا يَمُوتُ « وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ »
لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَمْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي جَهَنَّمَ خُلُودًا لَا
انْتِهَاءَ لَهُ أَبَدًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِفَرَسٍ يَجْعَلُ كُلَّ
خَطْوٍ مِنْهُ أَقْصَى بَصَرُهُ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ وَيَحْصِدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ
كَمَا كَانَ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَضَاعَفَ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا
كَانَتْ وَلَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

تَثَاقَلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الضَّرِيعِ وَالزَّقُومِ وَرَضَفِ جَهَنَّمَ قَالَ مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُرْمَةً عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ آدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرِضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَؤُلَاءِ : قَالَ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَيُرِيدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ قَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيحاً طَيِّبَةً وَوَجَدَ رِيحٌ مِسْكٍ مَعَ صَوْتٍ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ يَا رَبُّ اثْنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَ غُرْسِي وَخَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَإِسْتَبْرَقِي وَعَبْقَرِي وَمُرْجَانِي وَفِضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي وَفَوَاكِهِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي اثْنِي بِمَا وَعَدْتَنِي .

قَالَ لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ

صَالِحاً وَلَمْ يُشْرِكْ شَيْئاً وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُندَاداً فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتُهُ
وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا خُلْفَ
لِمِيعَادِي قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فَقَالَتْ رَضِيتُ . ثُمَّ
أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكَرًا فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ قَالَ
هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبُّ ائْتِنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي
وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَغَسَاقِي وَغَسْلِيلِي وَقَدْ بَعْدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي
ائْتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ رَوَاهُ الْبَزَارُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ - أَوْ غَيْرِهِ -
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ ج ٤ ص ٤٥٤ فِي كِتَابِ صِفَةِ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « وَئِلَّ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ
يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي قَوْلِهِ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا » قَالَ :
« جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُكَلِّفُ الْكَافِرُ أَنْ يَصْعَدَهُ فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعَهَا
عَادَتْ وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ
يَهْوِي كَذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

عَظِيمٌ هَوْلُهُ وَالنَّاسُ فِيهِ حَيَارَى مِثْلُ مَبْثُوثِ الْفَرَّاشِ
بِهِ تَتَغَيَّرُ الْأَلْوَانُ خَوْفًا وَتَصْطَلُ الْفَرَائِصُ بَارْتِعَاشِ
هَنَالِكَ كُلُّ مَا قَدَّمْتَ يَبْدُو فَعَيْبُكَ ظَاهِرٌ وَالسُّرُّ فَاشِ
تَفْقَدُ نَقْصَ نَفْسِكَ كُلُّ يَوْمٍ فَقَدْ أَوْدَى بِهَا طَلَبُ الْمَعَاشِ
أَلَا لِمَ تَبْتَغِي الشَّهَوَاتِ طَوْرًا وَطَوْرًا تَكْشِي لَيْنَ الرِّيشِ ؟

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نَمَازِجُ مِنْ « عَذْلِهِ ﷺ »

مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ ابْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَ بِهِ قَالَ عُرْوَةُ
فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَقَالَ أَتَكَلَّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ
أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ
الشَّرِيفُ تَرَكَوْهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقُطِعَتْ يَدُهَا .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ
الْبُخَارِيُّ .

وَلَمَّا كَانَ الْعَبَّاسُ عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَثَاقِهِ مَعَ الْأَسْرَى يَتْنُ فَارِقَ النَّبِيِّ ﷺ
فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ أَرْقِهِ - أَيَّ عَدَمِ نَوْمِهِ - وَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا قَالَ سَمِعْتُ
أَيُّنَ الْعَبَّاسِ فِي وَثَاقِهِ فَأَسْرَعَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا سَمِعَهُ وَحَلَ وَثَاقَهُ وَعَادَ
فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ حَلَّ وَثَاقِ الْعَبَّاسِ قَالَ ﷺ اذْهَبْ فافْعَلْ ذَلِكَ بِالْأَسْرَى
كُلِّهِمْ فَتَأَمَّلْ هَذَا النِّصْفَ وَالْعَدْلَ مِنْهُ ﷺ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِ دِينِنَا وَوَحْيِ قُرْآنِنَا وَتَعَالِيمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُقَرَّرَةِ

الثَّابِتَةُ أَنَّهُ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لَأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِسَيِّدٍ عَلَى مَسُودٍ وَلَا لِمَلِكٍ عَلَى مَمْلُوكٍ وَلَا صُغْلُوكٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى .

فَالْمِغْيَارُ الصَّحِيحُ وَالْمِيزَانُ الْعَدْلُ الْحَقُّ لِلتَّفَاضُلِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الطَّوَائِفِ وَالطَّبَقَاتِ وَالْهَيْئَاتِ مَا جَاءَ عَنِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » وَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ عَظَّمَ جَاهَهُ أَوْ كَثَرَ مَالَهُ أَوْ كَثَرَ رِجَالَهُ وَاسْتَسْلَمَ لَهُ النَّاسُ طَائِعِينَ وَمُكَرَّهِينَ، بَلِ الْكَرِيمُ عِنْدَهُ مَنْ اتَّصَفَ بِالتَّقْوَى .

فَالْعَاقِلُ مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى وَعَامَلَ النَّاسَ بِالمُسَاوَاةِ وَلَمْ يُرَاعِيَ الرُّتَبَ وَالدرَجَاتِ وَالْحَسَبَ وَالشَّرَفَ وَالسِّيَادَاتِ وَسَوَى بَيْنَهُمْ وَفَقَّ تَسْوِيَةَ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالْحُدُودِ وَالْعِبَادَاتِ .

فَتَأَمَّلْ تَجِدْ فِي الْمَوْقِفِ بِالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَكَيْفَ يَتَسَاوَى فِيهِ الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ وَالْعَظِيمُ وَالْحَقِيرُ وَالْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَالصُّغْلُوكُ وَالْوَزِيرُ كُلُّهُمْ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلَهْجَةٍ صَادِقَةٍ يُؤَدُّونَ الْعِبَادَةَ لِمَوْلَاهُمْ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ وَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِشُدَّةِ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ فَبِتِلْكَ هِيَ الْمُسَاوَاةُ كُلُّ الْمُسَاوَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَدَعَى إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَكَّنَهَا فِي نَفُوسِ أَصْحَابِهِ أَيَّ تَمْكِينٍ .

كَمَا سَتَرَى مَا سَنَذْكُرُهُ إِنْشَاءَ اللَّهِ مِنْ عَدْلِهِمْ وَأَنْصَافِهِمْ وَحُبِّهِمْ لِلْمُسَاوَاةِ وَإِثَارِهِمُ الْعَدْلَ فِي الْأَحْكَامِ وَتَأَمَّلْ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَمَا قَالَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَتَأَمَّلْ مَا بَعْدَهُ مِمَّا سَيَأْتِيكَ مِنْ سِيرَتِهِ أ . هـ .

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَذَرْدِ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لِيَهُودِيٍّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي عَلَى هَذَا

أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَيْهَا قَالَ أَعْطِهِ حَقَّهُ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا قَالَ أَعْطِهِ حَقَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا قَدْ أَخْبَرْتَهُ أَنَّكَ تَبْعُنَا إِلَى خَيْبَرَ فَأَرْجُو أَنْ تُغْنِمَنَا شَيْئًا فَأَرْجِعْ فَأَقْضِيهِ .

قَالَ أَعْطِهِ حَقَّهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ ثَلَاثًا لَمْ يُرَاجِعْ فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي حَذْرَدٍ إِلَى السُّوقِ وَعَلَى رَأْسِهِ عِصَابَةٌ وَهُوَ مُتَزِرٌ بِبُرْدَةٍ فَتَزَعَ الْعِمَامَةَ فَاتَزَرَ بِهَا وَتَزَعَ الْبُرْدَةَ فَقَالَ : اشْتَرِ مِنِّي هَذِهِ الْبُرْدَةَ فَبَاعَهَا مِنْهُ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ فَمَرَّتْ عَجُوزٌ فَقَالَتْ مَا لَكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ هَا دُونُكَ هَذَا الْبُرْدَ لِبُرْدٍ عَلَيْهَا طَرَحَتْهُ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ جَاءَ أُعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ احْرَجْ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي فَاثْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا وَيْحَكَ تَذِرُنِي مَنْ تَكَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِينَا تَمْرٌ فَتَقْضِيكَ فَقَالَتْ نَعَمْ يَا بَنِي أُمِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الْأُعْرَابِيُّ وَأَطْعَمَهُ .

فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهِ لَكَ فَقَالَ أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لَا قُدْسَ أُمَّةٍ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ وَرَوَاهُ الْبَزَارُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُخْتَصَرًا .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ امْرَأَةً حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسْقٌ مِنْ تَمْرِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَتَاهُ يَقْتَضِيهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَقْضِيَهُ فَقَضَاهُ تَمْرًا دُونَ تَمْرِهِ

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ فَقَالَ أَتُرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ نَعَمْ وَمَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْتَحَلْتُ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدُمُوعِهِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ وَمَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنِّي لَا قَدَسَ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا وَلَا يُتَعَتَّعُهُ .

ثُمَّ قَالَ « يَا خَوْلَةُ عَدِيهِ وَأَقْضِيهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرِيمٍ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ غَرِيمِهِ رَاضِيًا إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الْأَرْضِ وَتُونُ الْبَحَارِ وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلُويُ غَرِيمَهُ وَهُوَ يَجِدُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِثْمًا .

وَلَمَّا بَلَغَ بُنْيَانُ قُرَيْشٍ مَوْضِعَ الرُّكْنِ اخْتَصَمَ الْقَبَائِلُ كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَ الرُّكْنَ إِلَى مَوْضِعِهِ وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنُ مَخْرُومٍ وَكَانَ شَرِيفًا مُطَاعًا اجْعَلُوا الْحَكَمَ بَيْنَكُمْ لِأَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الصَّفَا فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا هَذَا الْأَمِينُ أَقْبَلَ وَكَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ « الْأَمِينُ » لِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ فَقَالُوا جَمِيعًا رَضِينَا بِحُكْمِهِ .

ثُمَّ قَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا فَأَتَى بِهِ فَوَضَعَ الرُّكْنَ فِيهِ يَعْنِي الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ ثُمَّ قَالَ لِيَتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِطَرَفٍ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ فَحَمَلَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ أَرْبَعَةٌ مِنْ وَجْهِ الْقَبَائِلِ وَأَشْرَافُهَا وَزُعَمَائُهَا وَرَفَعُوهُ إِلَى مُحَاذَاةِ مَوْضِعِ الْحَجَرِ .

فَتَنَاولَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الثَّوْبِ وَوَضَعَهُ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ فِي مَحَلِّهِ فَكَانَ الْأَشْرَافُ وَالزُّعَمَاءُ خَدَمَاءَ لَهُ ﷺ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ هُبَيْرَةُ بْنُ وَهَبٍ الْمَخْزُومِي :

تَشَاجَرَتِ الْأَحْيَاءُ فِي فَضْلِ خُطَّةٍ
جَرَتْ طَيْرُهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ
تَرَامَوْا بِهَا بِالْغَضِّ بَعْدَ مَوَدَّةٍ
وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ حَانَ جَدُّهُ
وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سَلِّ الْمُهَنْدِ
رَضِينَا وَقُلْنَا الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعِ
يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَفَاجَأَنَا هَذَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ
فَقُلْنَا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ
بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَسْوَى شَيْمَةِ
وَفِي الْيَوْمِ مَعَ مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
أَعَمَّ وَأَرْضَى فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِيِّ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا
لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهِ قَبْضَةُ الْيَدِ
فَقَالَ ارْفَعُوا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ
أَكْفُهُمْ وَالْيَ بِي خَيْرُ مُسْنِدِ
وَكُلُّ رَضِينَا فِعْلُهُ وَصَنِيعُهُ
فَاعْظَمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِ
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ
يَرْوُحُ بِهَا هَذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِي

وَالْأَرْبَعَةُ الْآخِذِينَ بِطَرْفِ الرِّدَاءِ هُمْ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ
شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ،
وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ بْنِ يَقْظَةَ ، وَقَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ
السُّهَمِيُّ .

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَلِنَا
وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وسيرة النبي ﷺ من آياته
وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأمثته من آياته وكرامات صالحيه أمته
من آياته .

وَذَلِكَ يَظْهَرُ بِتَدْبِيرِ سِيرَتِهِ مَنْ وَلَدَ إِلَى أَنْ بُعِثَ وَمِنْ حِينَ بُعِثَ إِلَى أَنْ
مَاتَ وَبِتَدْبِيرِ نَسَبِهِ وَبِلَدِّهِ وَأَصْلِهِ وَفَضْلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا
مِنْ صَمِيمِ سُلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ .

فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَجَعَلَ لَهُ ابْنَيْنِ إِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَذَكَرَ فِي التَّوْرَةِ هَذَا وَهَذَا وَيُشَرِّفُ فِي التَّوْرَةِ بِمَا يَكُونُ مِنْ وَلَدِ
إِسْمَاعِيلَ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مَنْ ظَهَرَ فِيمَا بَشَّرَتْ بِهِ النُّبُوءَاتُ غَيْرُهُ وَدَعَا
إِبْرَاهِيمَ لِذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بَأَن يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِنْ قُرَيْشٍ صَفْوَةٌ
بَنِي إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ صَفْوَةٌ قُرَيْشٍ .

وَمِنْ مَكَّةَ أُمُّ الْقُرَى وَبِلَدُّهُ الْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى

حَجَّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْجُوجاً مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ مَذْكوراً فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَحْسَنِ
وَصْفٍ ، وَكَانَ مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ تَرْبِيَةً وَنَشْأَةً لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفاً بِالصِّدْقِ وَالْبِرِّ
وَالْعَدْلِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ .

مَشْهُوداً لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ جَمِيعِ مَنْ يَعْرِفُهُ قَبْلَ النَّبُوءَةِ وَمِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَكَفَرَ بَعْدَ
النُّبُوءَةِ ، لَا يُعْرَفُ لَهُ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ لَا فِي أَقْوَالِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَلَا فِي أَخْلَاقِهِ
وَلَا جُرِّبَتْ عَلَيْهِ كِذْبَةٌ قَطُّ وَلَا ظُلْمٌ وَلَا فَاحِشَةٌ .

وَكَانَ خُلُقُهُ وَصُورَتُهُ مِنْ أَكْمَلِ الصُّوَرِ وَأَتْمَمِهَا وَأَجْمَعِهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَّةِ
عَلَى كَمَالِهِ ، وَكَانَ أُمِّيًّا مِنْ قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَا يَعْرِفُ لَا هُوَ وَلَا هُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ
الْكِتَابِ « التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

وَلَمْ يَقْرَأْ مِنْ عُلُومِ النَّاسِ وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا وَلَمْ يَدَّعِ نُبُوءَةً إِلَى أَنْ أَكْمَلَ
اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَتَى بِأَمْرِ هُوَ أَعْجَبُ الْأُمُورِ وَأَعْظَمُهَا وَبِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْ
الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بَنَظِيرِهِ .

وَأَخْبَرَ بِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدِهِ وَلَا فِي قَوْمِهِ مَنْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ وَلَمْ يُعْرِفْ قَبْلَهُ
وَلَا بَعْدَهُ ، لَا فِي مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ وَلَا فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ مَنْ أَتَى بِمِثْلِ مَا
أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ ظَهَرَ كَظْهُورِهِ .

وَلَا مَنْ أَتَى مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ دَعَا إِلَى
شَرِيعَةٍ أَكْمَلَ مِنْ شَرِيعَتِهِ ، وَلَا مَنْ ظَهَرَ دِينُهُ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ
وَبَالِيدِ الْقُوَّةِ كَظْهُورِهِ .

ثُمَّ إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ الضُّعَفَاءُ مِنَ النَّاسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرُّئَاسَةِ

وَعَادَوْهُ وَسَعَوْا فِي هَلَاقِهِ وَهَلَكَ مَنْ تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، كَمَا كَانَ الْكُفَّارُ يَفْعَلُونَ
مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ .

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيهِمْ
وَلَا جِهَاتٍ يُؤْتِيهِمْ إِلَّا هَا وَلَا كَانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ وَالجَاهُ وَالْمَالُ مَعَ
أَعْدَائِهِ ، وَقَدْ آذَوْا أَتْبَاعَهُ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهُمْ صَابِرُونَ مُحْتَسِبُونَ لَا يَرْتَدُّونَ عَنْ
دِينِهِمْ لَمَّا خَالَطَ قُلُوبَهُمْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ .

وَكَانَتْ مَكَّةُ يَحُجُّهَا الْعَرَبُ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ فَتَجْتَمِعُ فِي الْمَوْسِمِ قَبَائِلُ
الْعَرَبِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ يُبَلِّغُهُمُ الرِّسَالَةَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ صَابِرًا عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِنْ
تَكْذِيبِ الْمُكْذِبِ وَجَفَاءِ الْجَافِي وَإِعْرَاضِ الْمُعْرِضِ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ بِأَهْلِ
يَثْرِبَ وَكَانُوا جِيرَانَ الْيَهُودِ قَدْ سَمِعُوا أَخْبَارَهُ مِنْهُمْ وَعَرَفُوهُ .

فَلَمَّا دَعَاهُمْ عَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ الْمُنْتَظَرَ الَّذِي تُخْبِرُهُمْ بِهِ الْيَهُودُ وَكَانُوا قَدْ
سَمِعُوا مِنْ أَخْبَارِهِ مَا عَرَفُوا بِهِ مَكَانَتَهُ ، فَإِنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ انْتَشَرَ وَظَهَرَ فِي بَضْعِ
عَشْرَةِ سَنَةٍ فَأَمَنُوا بِهِ وَتَابَعُوهُ عَلَى هِجْرَتِهِ وَهَجْرَةِ أَصْحَابِهِ إِلَى بَلَدِهِمْ وَعَلَى
الْجِهَادِ مَعَهُ فَهَاجَرُوا وَمَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لَيْسَ
فِيهِمْ مَنْ آمَنَ بِرَغْبَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا بِرَهْبَةٍ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ
حَسَنَ إِسْلَامُ بَعْضِهِمْ ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْجِهَادِ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ .

وَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى أَكْمَلِ طَرِيقَةٍ وَأَتْمَمَهَا مِنَ الصَّدَقِ وَالْعَدْلِ
وَالْوَفَاءِ لَا يُحْفَظُ عَلَيْهِ كَذِبَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَا ظُلْمٌ لِأَحَدٍ وَلَا غَدْرٌ بِأَحَدٍ ، بَلْ كَانَ
أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَبْرَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ
مِنْ حَرْبٍ وَسِلْمٍ وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ وَغْنَى وَفَقْرٍ وَقِلَّةٍ وَكَثْرَةٍ وَظُهُورِهِ عَلَى الْعَدُوِّ

تَارَةً وَظُهُورِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ تَارَةً .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُلَازِمٌ لِأَكْمَلِ الطَّرِيقِ وَأَتَمِّهَا حَتَّى ظَهَرَتِ الدَّعْوَةُ فِي جَمِيعِ أَرْضِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَمِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّانِ وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي الْكُفْرِ بِالْخَالِقِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ الْمُحَرَّمَةِ وَقَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ لَا يَعْرِفُونَ آخِرَةَ وَلَا مَعَادًا .

فَصَارُوا أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَدِينَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَهَذِهِ آثَارُ عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَآثَارُ غَيْرِهِمْ يَعْرِفُ الْعُقُلَاءُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ ﷺ مَعَ ظُهُورِ أَمْرِهِ وَطَاعَةِ الْخَلْقِ لَهُ وَتَقْدِيمِهِمْ لَهُ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ مَاتَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا مَتَاعًا وَلَا دَابَّةً إِلَّا بَغْلَتُهُ وَسِلَاحُهُ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ ابْتَاعَهَا لِأَهْلِهِ .

وَكَانَ بِيَدِهِ عَقَارٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْبَاقِي يَصْرِفُهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فَحَكَمَ بَأَنَّهُ لَا يُورَثُ وَلَا يَأْخُذُ وَرَثَتُهُ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَفُتُونِ الْكَرَامَاتِ مَا يَطُولُ وَصْفُهُ .

وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَشْرَعُ الشَّرِيعَةَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ .

أَكْمَلَ اللَّهُ دِينَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ وَجَاءَتْ شَرِيعَتُهُ أَكْمَلَ شَرِيعَةٍ لَمْ يَبْقَ مَعْرُوفٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ إِلَّا أَمْرٌ بِهِ وَلَا مُنْكَرٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ مُنْكَرٌ إِلَّا نَهْيٌ عَنْهُ .

لَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَأَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْهَا كَمَا حُرِّمَ فِي شَرْعٍ غَيْرِهِ وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ لَمْ يُحِلَّ مِنْهَا شَيْئًا كَمَا اسْتَحَلَّهُ غَيْرُهُ .

وَجَمَعَ مَحَاسِنَ مَا عَلَيْهِ الْأَمَمُ فَلَا يُذَكَّرُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ نَوْعٌ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ مَلَائِكَتِهِ وَعَنْ الْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ وَأَخْبَرَ بِأَشْيَاءَ لَيْسَتْ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ .

وَأَمَّتْهُ أَكْمَلُ الْأَمَمِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ فَإِذَا قِيسَ عِلْمُهُمْ بِعِلْمِ سَائِرِ الْأَمَمِ ظَهَرَ فَضْلُ عِلْمِهِمْ وَإِنْ قِيسَ دِينُهُمْ وَعِبَادَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلَّهِ بِغَيْرِهِمْ ظَهَرَ أَنََّّهُمْ أَذِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَإِذَا قِيسَ شَجَاعَتُهُمْ وَجِهَادُهُمْ وَصَبْرُهُمْ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ظَهَرَ أَنََّّهُمْ أَعْظَمُ جِهَادًا وَأَشَجَعُ قُلُوبًا وَهَذِهِ الْفَضَائِلُ بِهِ نَالُوهَا وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وَهُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهَا . هـ .

وَقَالَ آخَرُ :

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَاهَدَ أَحْوَالَهُ ﷺ وَأَصْغَى إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَعَادَاتِهِ وَسَجَايَاهُ وَسِيَاسَتِهِ لِأَصْنَافِ الْخَلْقِ وَهَدَايَتِهِ إِلَى ضَبْطِهِمْ وَتَأْلُفِهِ أَصْنَافَ الْخَلْقِ وَقُوْدَهُ إِيَّاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ .

مَعَ مَا يَحْكِي مِنْ عَجَائِبِ أَجْوِبَتِهِ فِي مَضَائِقِ الْأَسْئَلَةِ وَبَدَائِعِ تَذْيِيرَاتِهِ فِي مَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَحَاسِنِ إِشَارَاتِهِ فِي تَفْصِيلِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ الَّتِي يَعْجُزُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُقَلَاءُ عَنْ إِدْرَاكِ أَوَائِلِ دَقَائِقِهَا فِي طُولِ أَعْمَارِهِمْ لَمْ يَنْقُ لَهُ رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ فِي أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُكْتَسَبًا بِحِيلَةٍ تَقُومُ بِهَا الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ .

بَلْ لَا يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاسْتِمْدَادِ مِنْ تَأْيِيدِ سَمَاوِيٍّ وَقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ وَأَنَّ

ذَلِكَ كُلُّهُ لَا يَتَصَوَّرُ لِكَذَابٍ وَلَا مُلَبَّسٍ بَلْ كَانَتْ شَمَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ شَوَاهِدُ قَاطِعَةً بِصِدْقِهِ حَتَّى أَنَّ الْعَرَبِيَّ الْقُحَّ كَانَ يَرَاهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا وَجْهُ كَذَّابٍ .

فَكَانَ يُشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَيْهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أَخْلَاقَهُ وَمَارَسَ أَحْوَالَهُ فِي جَمِيعِ مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ أ . ه .

وَقَالَ حَسَّانُ يَرِثِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :

بِطَيِّبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ
مُنِيرٍ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمِدُ
وَلَا تَنْمِجِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
بِهَا مَنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمِ
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهَا مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
أَتَاهَا الْبَلَى فَالَايُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مَلْحَدُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
رَزِيَّةً يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَذُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامَ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
مُعَلِّمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَأَنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَبَيَّنَّا لَهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا - عَنِ الْهُدَى
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيَّنَّا لَهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَى
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
يُبَكِّيه جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشَا بِقَاعُهَا
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
فَقِيدٌ يُبَكِّيه بِلَاطٍ وَغَرَقْدُ

وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
فَبِكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٍ
وَلَا أَعْرِفَنَّكَ الدَّهْرُ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعُولِي
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
إِذَا ظَنَّ مِعْطَاءً بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وَأَكْرَمَ حَيًّا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وَأَمْنَعَ ذُرُوَاتٍ وَأُثْبِتَ فِي الْعُلَى
دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيِّدُ
وَأُثْبِتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمُشْتَبَاً
وَعُوداً غِذَاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغِيدُ
رَبَّاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبُّ مُمَجَّدُ

تَنَاهَتْ وَصَاتُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي غَائِبُ
مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعاً عَنْ ثَنَائِهِ
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ
وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأُجْهِدُ
آخِر :

سَأَنْظِمُ مِنْ فَخْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
تَضَوُّعَ طَيْبِ عَرْفُهَا فَكَأَنَّهُ
سَجَايَا أَبَتْ إِلَّا السَّمَائِينَ مَنْزِلًا
خِلَالُ إِذَا لَاحَتْ قِيَابُ لَدَى عَلَا
إِذَا يَمُمُّوْا يَوْمًا إِمَامَ مَكَارِمِ
فَكَمْ ذُو عَلَا أَوْ مَا لِدَرْكِ مَقَامِهَا
وَكَمْ ظَامِيءٌ قَدْ رَامَ يُرَوِّى بِرِيَّهَا
لِذَاكَ الْعَلَا قَلْبِي مَشُوقٌ بِحُبِّهِمْ
فَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تَمَلُّ بُكَاءَهَا
وَنَفْسٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ قَرِيحَةٌ
وَعَمْرٌ مَضَتْ أَيَّامُ شَرْخِ شَبَابِهِ
فَيَا نَسْمَةَ الْأَسْحَارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبِ
وَيَا حَادِي الْأَظْعَانِ نَحْوَ قِيَابِهِمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا يَبْلَى جَدِيدُ نِظَامِهَا
تَضَوُّعُ أَزْهَارِ بَدَتْ مِنْ كِمَامِهَا
فَقَاقَ عَلَى الْعَلِيَاءِ عُلُقُ مَقَامِهَا
تُنِيفُ فَتَعْلُوها قِيَابُ خِيَامِهَا
فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى إِمَامَ إِمَامِهَا
فَمَرٌّ وَلَمْ يُدْرِكْ مَرَامِي مَرَامِهَا
فَأَبَ وَقَدْ أَضْحَى عَلِيلُ أَوَامِهَا
وَقَدْ شَوَّقَتْ نَفْسِي بِطُولِ مَقَامِهَا
وَقَدْ حُرِمْتُ فِيهِ لَذِيذَ مَنَامِهَا
تُطَارِحُ فِي الْبُلُوْى حَمَامَ حِمَامِهَا
وَقَدْ قَدْ صَرَفَ الدَّهْرُ غُصْنَ قَوَامِهَا
أَلْمِي بِنَفْسٍ قَدْ ذَوَتْ بِضِرَامِهَا
أَلَا فَاحْصُصِ الْعَلِيَا بِطِيبِ سَلَامِهَا

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيهِ الْفَسَادُ مَبْلَغًا مَا كَانَ يَدُورُ فِي خَلْدِ
إِنْسَانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى الْمَعَاصِي مُطْمَئِنِّينَ
وَخَفَتْ عَلَيْهِمْ جِدًّا أَنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هَيَّابِينَ وَسَهْلَ كُلِّ
السُّهُولَةِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتَحِمُوا حَتَّى مُوَبَقَاتِ الْأَوْزَارِ غَيْرَ خَائِفِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَلَا مُبَالِغِينَ بِنَوَاهِيهِ .

وَلَعَلَّ زَمَنَنَا هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الْقَابِضِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجَمْرِ وَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « بَدَأَ
الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ بْنِ مَسْعُودٍ بزيادةٍ فِي
آخِرِهِ وَهِيَ - قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ قَالَ « النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ »
وَأَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ وَعِنْدَهُ - قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « الَّذِينَ
يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ » .

وَأَخْرَجَهُ غَيْرُهُ وَعِنْدَهُ قَالَ « الَّذِينَ يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ » وَأَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْنَبِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
« إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ

النَّاسُ مِنْ سُتِّي » وَفِي حَدِيثِهِ قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِينَ يَصْلَحُونَ حِينَ فَسَادِ النَّاسِ » .

أَمَّا الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ فَهُوَ وَاضِحٌ وَمُنْطَبِقٌ كُلُّ الْأَنْطَبَاقِ عَلَى هَذَا الزَّمَانِ فِيمَا أَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّرَّ وَالْفَسَادَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُتَشِيرًا وَالْخَيْرَ نَادِرُ الْوُجُودِ فَالْفِتْنُ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْدَّكَائِينِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالْقِطَارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ فِتْنُ شَهَوَاتِ نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ وَفِتْنُ شُكُوكِ وَإِلْحَادِ وَشُبُهَاتٍ مِنْ أَنْاسٍ مُنْحَرِفِينَ وَكُتُبُ ضَلَالٍ وَمَجَلَّاتٌ تَحْمِلُ فِي طَيِّهَا الْبَلَايَا وَالشُّرُورَ وَفِذْيَوَاتُ تُعَلِّمُ الْفَسَادَ أَبْلَغَ تَعْلِيمٍ وَتُهَيِّجُ عَلَيْهِ ، حَدَثَ فِتْنٍ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَخَوَادِثُ الْأُخْرَى أَعْظَمُ مِنَ الْأُولَى وَمِنْ أَعْظَمَ مَا حَدَثَ كَثْرَةُ الْخَدَّامِينَ وَالْخِدَامَاتِ وَالسَّوَاقِينَ وَالطَّبَاقِينَ وَالْمَرِيَيْنِ فَإِنْ ضَرَرَهُمْ عَظِيمٌ عَلَى الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْدُنْيَا . فَأَنْتَبِهْ يَا مَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَأَتَى بِكُفَّارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَمْنَهُمْ عَلَى مُحَارَمَةِ خَدَّامِينَ أَوْ سَوَاقِينَ أَوْ مَرِيَيْنِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

شعرا : إِذَا أَكْثَرَ الْأَجَانِبُ فِي بِلَادٍ تَلَاشَى الْأَمْنُ وَانْتَشَرَ الْفَسَادُ
آخر : وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْ خَوَادِثِ بُرْهَةٍ

وَاسْتَمْسَرَسُ الْأَيَّامِ وَهِيَ صَحَائِحُ

إِلَى أَنْ تَغَشَّتَنِي وَقَبِيتَ خَوَادِثُ

تُحَقِّقُ أَنَّ السَّالِفَاتِ مَنَائِحُ

آخر : ظَلَمْتُ تَهَافَّتَ أَخِذَاتُ بَعْضُهَا

بِالْبَعْضِ تَسْتَلِبُ الْفُؤَادَ الْأَلْمَعَ

لَا يَسْتَبِينُ الْمَرءُ فِيهَا كَفَّهُ

تَذَرُ الْحِجَى بِالْبَاطِلَاتِ مُوَلَّعَا

وَجَهَالَةٌ جَهْلًا يَرْتَعُ أَهْلُهَا

فِي حِنْدِسٍ مِنْهَا وَسَاءَتْ مَرْتَعَا

وَفِتْنُ أَمْوَالٍ انْفَتَحَتْ عَلَى النَّاسِ بِكَثْرَةِ وَفِتْنُ أَوْلَادٍ وَبَنَاتٍ وَزَوَاجَاتٍ
وَزُمَلَاءٍ وَشُرَكَاءٍ وَعُمَالٍ مُنَافِقِينَ كَذَابِينَ لَا يُصَلُّونَ وَلَا يَصُومُونَ وَكَثْرَةُ
مُغْتَابِينَ وَنَمَامِينَ وَخَدَّاعِينَ وَمَكَارِينَ وَمُجَاهِرَةَ بِالْمَعَاصِي وَقِلَّةُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ
وَكَثْرَةُ مُشَبِّطِينَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ
ذِكْرُهُ. وَقُلْ أَنْ تَجِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَحَافِظُ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَلَكِنَّ الْمُتَمَسِّكَ بِدِينِهِ الْقَائِمَ بِدَفْعِ هَذِهِ الْمُعَارَضَاتِ وَالْعَوَائِقِ الَّتِي لَا
يَضُمُّدُ لَهَا إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالْيَقِينِ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ الْمَتِينِ الثَّابِتِينَ ثُبُوتَ
الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ مِنْ أَفْضَلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَعْظَمِهِمْ
عِنْدَهُ قَدْرًا جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

وَهَذَا زَمَانٌ مَن لَكَ بِأَلْتِي لِقَبْضِ عَلَى جَمْرِ فَتَنُجُو مِنَ الْبَلَاءِ

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي فَلِإِسْلَامٍ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ غَرِيبٌ قَلِيلٌ لِأَنَّ النَّاسَ
كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ عَامَّةٍ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ
يَسْتَجِبْ لَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَكَانَ
الْمُسْتَجِيبُ لَهُ خَائِفًا مِنْ عَشِيرَتِهِ يُؤْذِي غَايَةَ الْأَذَى وَيُنَالُ مِنْهُ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى
ذَلِكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ مُسْتَضْعَفِينَ يُشَرَّدُونَ كُلُّ مُشَرَّدٍ وَيَهْرَبُونَ
بِدِينِهِمْ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ كَمَا هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى
الْمَدِينَةِ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ وَيُقْتَلُ كَعَمَارٍ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَبِلَالٍ
وغيرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَلَعَلَّهُ مَرٌّ بِكَ أَثْنَاءَ الْكِتَابِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ إِسْلَامِهِمْ مِنْ
الْأَذَى فَقَدْ ذَكَّرْنَا نَمَازِجَ مِنْهُمْ ، قَالَ بَعْضُهُمْ أَبْيَاتًا لَا تَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى الصَّحَابَةِ
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ :

قَوْمٌ لَقَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ
وَهَاجَرُوا وَاتَّقُوا إِثْمًا وَعُدْوَانًا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلْ صَبَرُوا
وَصَابَرُوا لِذَوِي الْإِشْرَاكِ أَرْمَانًا
تَعْلُمُ الْعِلْمَ بِالْإِصْبَاحِ هَمُّهُمْ
وَيَنْقِضِي لَيْلُهُمْ ذِكْرًا وَقُرْآنًا
وَجَامِعُ الْأَمْرِ إِنْ تَطَلَّبَ لَوْصِفِهِمْ
نَهَارُهُمْ أَسَدٌ وَاللَّيْلُ رُهْبَانًا
فَكَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ إِذْ ذَاكَ غُرَبَاءَ .

ثُمَّ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَزَّ وَصَارَ أَهْلُهُ ظَاهِرِينَ كُلِّ
الظُّهُورِ وَدَخَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُمُ الدِّينَ وَأَتَمَّ
عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ .
وَتُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى غَايَةِ مِنَ
الْإِسْتِقَامَةِ فِي دِينِهِمْ وَهُمْ مُتَعَاَصِدُونَ مُتَنَاصِرُونَ .

وكَانُوا عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثُمَّ عَمِلَ
الشَّيْطَانُ مَكَايِدَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْقَى بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ وَأَفْشَى فِيهِمْ فِتْنَ
الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ .

وَلَمْ تَزَلْ هَاتَانِ الْفِتْنَتَانِ تَتَزَايَدَانِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ مَكِيدَةُ

الشيطانِ وأطاعه أكثرُ الخلقِ فمنهم من أطاعه ودخلَ في فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ
ومنهم من دخلَ في فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ ومنهم من دخلَ في الفِتْنَتَيْنِ .

وكلُّ ذلكِ ممَّا أخبرَ النبي ﷺ بِوُقُوعِهِ فَأَمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ .

فقد رُوِيَ عنِ النبي ﷺ من غيرِ وجهٍ أنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقَ عَلَى أَرْبَعٍ مِنْ
سَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنَّ تِلْكَ الْفِرْقَ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ مَنْ كَانَتْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ
هُوَ وَأَصْحَابُهُ ﷺ .

وعن أبي بَرَزَةَ عن النبي ﷺ قَالَ إِنَّمَا أُخْشِيَ عَلَيْكُمُ الشَّهَوَاتِ الَّتِي
فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْفِتَنِ وَفِي رِوَايَةٍ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى .

فَلَمَّا دَخَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا أَصْبَحُوا
مُتَقَاتِلِينَ مُتَبَاغِضِينَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ مُتَوَاصِلِينَ فَإِنَّ فِتْنَةَ
الشَّهَوَاتِ عَمَّتْ غَالِبَ الْخَلْقِ فَفُتِنُوا بِالدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا فَصَارَتْ غَايَةً قَصْدِهِمْ
لَهَا يَطْلُبُونَ وَبِهَا يَرْضَوْنَ وَلَهَا يَغْضَبُونَ وَلَهَا يُوَالُونَ وَعَلَيْهَا يُعَادُونَ فَقَطَعُوا
لِذَلِكَ أَرْحَامَهُمْ وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَارْتَكَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْمَضِلَّةِ فَبِسَبَبِهَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَصَارُوا
شِيعًا وَكَفَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَصْبَحُوا أَعْدَاءً وَفِرْقًا وَأَحْزَابًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا
قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقِ كُلُّهَا إِلَّا الْفِرْقَةُ
الْوَاحِدَةُ النَّاجِيَّةُ .

وَهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى
الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ .

وَهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْغُرَبَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّذِينَ
يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ وَيُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ
يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ وَهُمْ النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ .

لأنهم قلوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد وقد لا يوجد في
بعض القبائل منهم أحد كما كان الداخلون في الاسلام في أول الأمر
كذلك .

وفي مُسْنَدِ الامام أحمد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من
أصحابه يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان
محمد ﷺ فأعادَهُ وأبداه وأحلَّ حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله لا يجوز
فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت .

ومثله قول ابن مسعود يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من
الأمّة وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغرته بين أهل الفساد من أهل الشبهات
والشهوات فكُلُّهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ومقصوده
لمقصودهم ومباينته لما هم عليه من الشر والفساد والخبث وسائر الصفات
القبیحة التي أهونها توريد الكفار والملاحي والمنكرات لبلاد المسلمين .

وتجد أكثر من يؤذيه سقطتهم وسفلهم ولئامهم لقلّة أعوانه وأنصاره
وكثرة المخدلين والمرجفين وأعوان إبليس وجنوده خذلهم الله ودمرهم .
فكم فترؤا عزم أمير بمعرؤف أو ناهي عن منكربقوله ما أنت
بمكلف بهم أتركهم عليك بنفسك ونحو هذا الكلام والعياذ بالله .

شعرا :

وَقَدْ تَسْلِبُ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا
وَتَعْدُوا عَلَى أُسْدِ الرِّجَالِ الثُّعَالِبُ
آخِرُ : إِذَا هَلَكْتَ أُسْدُ الْعَرِينِ وَلَمْ يَكُنْ
لَهَا خَلْفٌ فِي الْغِيلِ سَادَ الثُّعَالِبُ
آخِرُ : لَمَّا تَبَدَّلَتِ الْمَجَالِسُ أَوْجُهَا
غَيَّرَ الدِّينَ عَهْدَتْ مِنْ عُلَمَائِهَا
وَرَأَيْتُهَا مَحْفُوفَةً بِسَوَى الْأُولَى
كَانُوا وَلَاةَ صُدُورِهَا وَفَنَائِهَا
أَنْشَدْتُ بَيْتًا سَائِرًا مُتَقَدِّمًا
وَالْعَيْنُ قَدْ شَرِقَتْ بِجَارِي مَائِهَا
أَمَّا السَّخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ
وَأَرَى رِجَالَ الْحَيِّ غَيْرَ رِجَالِهَا

فَيَا لَهُ مِنْ زَمَانٍ يُوَاجِهُ فِيهِ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ عَوَاصِفَ الْفِتَنِ وَرُبَّمَا تَمْنَى
الْمَوْتَ لِمَا يَرَى مِنَ الْمُتَنَكِّرَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا تَغْيِيرًا وَاسْمَعُ إِلَى مَا وَرَدَ

فَعَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُسْلِمَةَ ابْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ إِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَمُوتَ فَمُتْ فَوَاللَّهِ لَيَأْتِي عَلَى
النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَيْ أَحَدِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ .

قُلْتُ وَفِي زَمَانِنَا هَذَا مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مُسْلِمُونَ يُنَوِّعُ
عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ عَشِيَّةً وَضُحَاهَا وَيُودِّهِمْ لَوْ مَاتُوا وَاسْتَرَاخُوا فَالْمَوْتُ أَحَبُّ
إِلَيْهِمْ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَقَالَ طَاوُوسٌ لَا تُحَرِّزُ دِينَ الْمَرْءِ إِلَّا حُفْرَتُهُ .

وَرَوَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَكْثَرَتَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِالْمَوْتِ حَتَّى خَشِيتَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَسْهَلَ لَكَ عِنْدَ أَوَانِ نَزُولِهِ فَلِمَ إِذَا مَلَلْتَ
أَمَّا تُعِينُ صَالِحاً أَوْ تُقَوِّمُ فَاسِداً قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي قَائِلٌ لَكَ قَوْلاً وَهُوَ
إِلَيْكَ قَالَ قُلْتُ لَنْ يَعْدُونِي قَالَ كَيْفَ لَا أُحِبُّ فِرَاقَهُمْ وَفِيهِمْ نَاسٌ كُلُّ فَاتِحٍ
فَاهٌ لِلْهُوَّةِ مِنَ الدُّنْيَا إِمَّا بِحَقٍّ لَا يَنْوُءُ بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ لَا يَنَالُهُ وَلَوْلَا أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُمْ
لَهَرَبْتُ مِنْكُمْ فَأَصْبَحَ الْأَرْضُ مِنِّي بِلَاقِعٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

(فصل)

وَمِنْ كَلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيِّ وَكَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ قَالَ إِنِّي
أَدْرَكْتُ مِنَ الْأَزْمِنَةِ زَمَاناً عَادَ فِيهِ الْإِسْلَامُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ إِنْ تَرَعَبَ فِيهِ إِلَى
عَالَمٍ وَجَدْتُهُ مَفْتُوناً بِحُبِّ الدُّنْيَا يُحِبُّ التَّعْظِيمَ وَالرِّيَّاسَةَ ، قُلْتُ وَمَا أَكْثَرُهُ فِي
زَمَانِنَا فَأَمَعِنُ نَظْرَكَ ، قَالَ وَإِنْ تَرَعَبَ فِيهِ إِلَى عَابِدٍ وَجَدْتُهُ جَاهِلاً فِي عِبَادَتِهِ
مَخْذُوعاً صَرِيحاً غَدَرَهُ إِبْلِيسَ قَدْ صَعَدَ بِهِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةِ الْعِبَادَةِ وَهُوَ جَاهِلٌ
بِأَدْنَاهَا فَكَيْفَ لَهُ بِأَعْلَاهَا .

وَسَائِرُ ذَلِكَ مِنَ الرَّعَاعِ هَمَجٌ عَوْجٌ ذِتَابٌ مُخْتَلِيسَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ
وَتَعَالِبٌ ضَوَارٍ هَذَا وَصَفُ عِيُونِ أَهْلِ زَمَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ
وَدُعَاةِ الْحِكْمَةِ خَرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْجِلْيَةِ فَهَذَا وَصَفُ أَهْلِ زَمَانِهِ فَكَيْفَ بِمَا
حَدَّثَ بَعْدَهُ مِنَ الْعَظَائِمِ وَالذَّوَاهِي الَّتِي لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِ وَلَمْ تَدُرْ فِي خَيَالِهِ مِنَ
الْمُنْكَرَاتِ .

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ بُعِثَ
الْيَوْمَ مَا عَرَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا تِلْكَ الصَّلَاةُ . قُلْتُ وَفِي زَمَانِنَا الصَّلَاةُ

جِسْمٌ بِلَا رُوحٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَقَايَا الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
إِلَهِ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ عَاشَ عَلَى هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ فَرَأَى
صَاحِبَ بَدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى بَدْعَتِهِ وَصَاحِبَ دُنْيَا يَدْعُو إِلَى دُنْيَاهُ فَعَصَمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى وَجَعَلَ قَلْبَهُ يَحْنُ إِلَى ذِكْرِ السَّلَفِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ وَيَسْتَنْ بِسُنَّتِهِمْ وَيَتَّبِعُ
سَبِيلَهُمْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرِفُوا بِهِ وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ
هَلِهِ فَإِنَّهُ سَيَأْتِي بَعْدَ زَمَانٍ يُنْكِرُ الْحَقَّ فِيهِ سَبْعَةُ أَعْشَارِهِمْ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُوْشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَرَى مُنْكَرًا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ
غُخَيْرَ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَهُ كَارِهِ . قُلْتُ وَقَدْ وَقَعَ شَيْءٌ كَثِيرٌ فِي زَمَانِنَا
وَقَبْلَهُ مِثْلُ الصُّوْرِ وَالتَّلْفِزِيوْنِ وَالفِيدْيُو وَالمِذْيَاعِ ، وَالكُورَةِ وَالسُّفُورِ وَحَلْقِ اللِّحْيَةِ
وَالدُّخَانِ .

لَقَدْ بَانَ لِلنَّاسِ الْهُدَى غَيْرَ أَنَّهُمْ غَدَوْا ابْجَالًا يَبِىْ الْهَوَى قَدْ تَجَلَّبَّوْا

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَوْ خَرَجَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ شَيْئًا مِمَّا
كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ .
وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيَّ
فَقُلْتُ لَهُ مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَالَ آيَةُ آيَةٍ قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .

قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال
بل اتتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى
متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم ببنفسك ودع عنك
العوام .

فإن من ورائكم أياماً الصابرُ فيهنَّ على دينه كالقايضِ على الجمرِ
للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلاً يعملونَ كعملِكُم قال الترمذي عن ابن
مباركٍ وزاد غيرُ عتبةَ أبي الراوي وهو ابنُ حكيمٍ خمسينَ رجلاً منكم وروى
الطبراني من حديثِ عتبةَ بنِ غزوانَ قال قال رسولُ الله ﷺ من ورائكم
أيامُ الصبرِ المتمسِّكُ فيها يومئذٍ بمثل ما أنتم عليه له كأجرِ خمسينَ منكم .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ سُنَّةُ الْ
مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأُزْمَانِ
أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدُرُ قَدْرُهُ
إِلَّا الَّذِي أُعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ
فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ
وَرَوَاهُ أَيْضاً أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأً
مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ
فِي مُسْلِمٍ فَافْهَمَهُ بِالْإِحْسَانِ
أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتُ هَرَجٍ هِجْرَةٍ
حَقًّا إِلَيَّ وَذَاكَ ذُو بُرْهَانَ

هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السَّ
سُنِّي بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانٍ
هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا
قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقَهُ فِي التِّرْمِذِيِّ
ي لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعْيَتَانِ
فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا
كَ مَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجَنَانٍ
هَذَا وَمِصْدَاقُ لَهُ أَيْضاً أَتَى
فِي التِّرْمِذِيِّ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثٍ أَوَّلٍ
مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ
فَلِذَاكَ لَا يُدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا
قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ
وَلَقَدْ أَتَى أَثَرُ بَأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطِّ
طَرَفَيْنِ أَغْنَيْنِي أَوَّلًا وَالثَّانِي
وَالْوَسْطُ ذُو ثَبَجٍ فَاغْوَجَ هَكَذَا
جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مِصْدَاقُ لَهُ
فِي الثَّلَاثِينَ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
أَهْلُ الْيَمِينِ فَثُلَّةٌ مَعَ مِثْلِهَا
وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ

مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمْ أَلْ
غُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرْبَةً الْأَوْطَانِ
لَكِنَّهَا وَاللَّهِ غُرْبَةٌ قَائِمٌ
بِالَّذِينَ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِ مُتَّبِعُوهُمْ
فِي الْغُرَبَتَيْنِ وَذَاكَ ذُو تَبْيَانٍ
لَمْ يُشَبِّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءُ بِأَلْ
مُخَيَّنَ سُنَّتِهِ بِكُلِّ زَمَانٍ
طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَخْدُوهُمْ إِلَى
أَخِذِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا بِنَحَاتِهِ أَلْ
أَفْكَارِ أَوْ بِزُبَالَةِ الْأَذْهَانِ
طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا
ئِمِ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُوا شَيْئًا بِدَالِ
أَرَائِ إِذْ أَغْنَاهُمْ الْوَحْيَانِ
طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى
مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ
وَاللَّهِ مَا اتَّمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ
إِلَّا إِذَا مَا دَلَّهُمْ بِبَيَانِ

فِي الْبَابِ أَثَارُ عَظِيمٍ شَأْنُهَا
 أُغِيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ
 إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْ
 مُخْتَارِ خَيْرِ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
 ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ يَدُ
 نَ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ
 فَلِذَاكَ ذِي الْأَثَارِ أُعْضِلَ أَمْرُهَا
 وَبَغَوْا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
 فَاسْمَعْ إِذَا تَأْوِيلُهَا وَافْهَمَهُ لَا
 تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
 إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ
 عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْجِرْمَانِ
 وَالْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ
 وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
 وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبِ
 فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانِ
 لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يَقْضِي لَهُ
 بِالْإِسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
 إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا
 ثِلَّ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ
 فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَنُوْ
 عًا لَمْ يَحْزُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ

لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ
 ٥ وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانٍ
 مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ
 فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ
 مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ
 فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا
 حَكَمْتَ لَهُمْ بِمِزْيَةِ الرَّجْحَانِ
 فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزَ
 هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 هَلْ حَازَهَا فِي بَذْرِ أَوْ أُحْدِ أَوْ أَلِ
 فَتَحِ الْمُبِينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِيَدِ
 نَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أُولَى أَعْوَانِ
 وَالرُّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ أَلِ
 مُتَحَمِّلُونَ لِأَجَلِهِ مِنْ شَانِ
 فَتَحَمَّلِ الْعَبْدُ الْوَحِيدِ رِضَاهُ مَعَ
 فَيْضِ الْعَدُوِّ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ
 مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينٍ صَادِقٍ
 وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةٍ الْعِرْفَانِ
 يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاغْتِرَابًا قِلَّةُ أَلِ
 أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنَّ
 تَرْجِعُ يُوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي
 فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي
 يَلْقَاهُ بَيْنَ عَدَى بِلَا حُسْبَانِ
 هَذَا وَقَدْ بَعْدَ الْمَدَى وَتَطَاوُلَ الْـ
 عَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ
 وَلِذَاكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلِ
 أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النِّيرَانِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ
 يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدُرُ قَدْرَهُ
 إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ
 بِرٌّ وَتَوْجِيهٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا
 وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ
 سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا
 دِ فَذَاكَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلـ
 أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 وَتَفَاضُلِ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقْوُ
 مٌ بِقَلْبٍ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
 حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
 فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ

هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ فِي فَضْلٍ وَفِي رُجْحَانِ
وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابٍ ذَا وَثَوَابٍ ذَا
رُتَبُ مُضَاعَفَةٌ بِلا حُسْبَانِ
هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلُّ جَلَالُهُ
وَبِذَاكَ تُعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ بِأُبْدَانِكُمْ عِنَايَةً عَظِيمَةً لَا تُسَامِيهَا الْعِنَايَاتُ بَلْ كُلُّ حَيَاتِكُمْ
ذَاهِبَةٌ فِيمَا تَبْدُلُونَهُ لِخِدْمَةِ هَذَا الْبَدَنِ مِنْ مَجْهُودَاتِ الْيَسْرِ لِيَلْبَسَكُمْ وَنَهَارُكُمْ فِي
كَدٍّ مُدِيمٍ لِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَهَلْ كُلُّ تِلْكَ الْأَمْوَالِ إِلَّا وَسِيلَةٌ تَصِلُونَ بِهَا مَا
لِهَذَا الْبَدَنِ مِنْ مَلَذُودَاتٍ .

لَا بَأْسَ بِالْإِعْتِنَاءِ بِالْبَدَنِ لَكِنْ بِدُونِ هَذَا الْإِفْرَاطِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ
الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ لِأَنَّ الْبَدَنَ مَهْمَا أَكْرِمَ مَالُهُ إِلَى التُّرَابِ تَتَمَتَّعُ بِلَذِيذِ لَحْمِهِ
الدِّيدَانُ وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْتَمَّ بِهِ وَتَصْرِفَ عِنَايَتَكَ بِهِ نَفْسَكَ قَبْلَ جِسْمِكَ
الَّتِي أَنْتَ بِهَا مِنْ صَفْوَةِ هَذَا الْعَالَمِ وَعَلَى الْعِنَايَةِ بِهَا تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ فِي
هَذِهِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ .

وَلِهَذِهِ النَّفْسُ غِذَاءٌ وَلَعَلَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَهُ وَهُوَ جَدِيرٌ بِالْإِعْتِنَاءِ
مِنْكَ وَالتَّقْدِيرِ وَالْجِدِّ لَهُ وَالتَّشْمِيرِ لِأَنَّ مَنَفَعَتَهُ دُنْيَاً وَآخِرَى وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
مَنَفَعَةِ هَذِهِ الْأُبْدَانِ .

ذَلِكَ الْغِذَاءُ أَوْ الْقُوَّةُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كَاخْلَاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ

وَالذِّكْرَ لَهُ وَالشُّكْرَ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالْقِيَامَ التَّامَ بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ
الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ
وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ أَوْحَاهَا اللَّهُ وَأَوْدَعَهَا هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ .

وَالِاعْتِنَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشَّيَمِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ
الْقُرْبَاتِ وَالَّذِي يَظْهَرُ لَنَا مِنْ حَالِكَ وَسِيرَتِكَ أَنَّكَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ
الْإِقْبَالِ عَلَى النَّفْسِ وَتَغْذِيَّتِهَا بِمَا قُلْنَا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَكَ
مُتَعَلِّقٌ بِتَحْصِيلِ غِذَاءِ الْجِسْمِ وَالِاعْتِنَاءِ بِهِ فَهُوَ الَّذِي نَصَبَ عَيْنَيْكَ .

وَلِذَلِكَ تَشِبُّ وَتَشِيبُ وَتَمُوتُ وَأَنْتَ جَاهِلٌ بِضُرُورِيَّاتِ الدِّينِ
الْإِسْلَامِيِّ وَرُبَّمَا مَرَّ عَلَيْكَ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ بِدُونِ أَنْ تَتَفَكَّرَ بِنِعَمِ اللَّهِ وَتَذْكُرَهُ
بِلِسَانِكَ وَتَشْكُرَهُ عَلَى مَا أَوْلَاكَ وَكَذَلِكَ الْآخِرَةَ رُبَّمَا أَنَّهَا تَمْضِي الْمُدَّةَ لَا
تَذْكُرُهَا وَلَا تَسْتَعِدُّ لَهَا .

وَكَمَا أَنَّ لِلْأَبْدَانِ أَمْرَاضَ كَثِيرَةً فَلِلنَّفْسِ أَمْرَاضٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ وَأَخْطَرُ
وَتِلْكَ الْأَمْرَاضُ هِيَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي مِنْ وَقِيعِهَا رُحِمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

وَكَذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ رَذَائِلُ الْأَخْلَاقِ وَالْجَهْلُ بِالشَّرْعِ
الْحَكِيمِ وَلِهَذَا الْأَمْرَاضِ دَوَاءٌ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوحاً إِلَى اللَّهِ
وَتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الْفِعْلِ أَوْ الْخُلُقِ الذَّمِيمِ فَهَلْ لَكَ شَوْقٌ إِلَى هَذَا الدَّوَاءِ
الشَّافِي بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا أَنَّكَ تَشْتَاقُ بَلْ تُهَرِّوْلُ وَتُسْرِعُ إِلَى طَبِيبِ الْأَبْدَانِ وَمَعَكَ
مَا مَعَكَ مِنَ الْمَالِ إِذَا أَحْسَسْتَ بِمَرَضٍ فِي بَدَنِكَ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي بِلَادِكَ
ذَهَبْتَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ وَلَوْ فِي بِلَادِ الْحُرِّيَّةِ وَالْكُفْرِ مُحَكَّمَةِ الْقَوَانِينِ أَعْدَاءَ اللَّهِ
وَرُسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

أَمَّا بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا أَرَاكَ تَلْتَجِي لَهُ إِلَّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ
وَهَذَا وَاللَّهُ قَبِيحٌ مِمَّنْ يَدِينُ بَدِينِ الْإِسْلَامِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، فَالْتَفَتْ
يَا أَخِي لِنَفْسِكَ وَذَكَرْهَا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ لِتَتِمَّ مَحَبَّتُهُ مِنْهَا وَقَبِلْ عَلَيْهَا
وَعَوِّذَهَا عَلَى الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ .

شعراً :

يا خادِمَ الجِسمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ
أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسمِ إِنْسَانُ
آخِرُ : أَرَى وَجُودَكَ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَبَثًا
إِلَّا لِتَكْمُلَ مِنْكَ النَّفْسُ فَانْتَبِهْ
فَاعْدِلْ عَنِ الْجِسمِ لَا تُقْبِلْ عَلَيْهِ وَمِلْ
إِلَى رِعَايَةِ مَا الْإِنْسَانُ أَنْتَ بِهِ
فَمُؤَيِّسُ النَّفْسِ عَنْ أَهْوَائِهَا يَقْظُ
وَمُطَوِّعُ النَّفْسِ فِيهِ غَيْرُ مُشْتَبِهٍ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ الْهُدَى تَحْمِيدُ مَعْبُتِهِ
فَمَنْهَجُ الْحَقِّ بَادٍ غَيْرُ مُشْتَبِهٍ

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّ غِذَاءَ نَفْسِكَ وَدَوَائِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ
الْعَامِلِينَ بِهِ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ أَقْوَالَهم بِأَفْعَالِهِمُ الْمُعْظَمُونَ لِلشَّرِيعَةِ الَّذِينَ إِذَا
رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللَّهَ الَّذِينَ لَا يَتَشَبَّهُونَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَلَا يُجَاهِرُونَ بِالْمَعَاصِي
الصَّادِعُونَ بِالْحَقِّ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ الَّذِينَ لَا تَهْمُهُمُ الدُّنْيَا
وَزَخَارِفُهَا الْبَرَّاقَةُ .

وَكَذَلِكَ مَوْجُودُ الدَّوَاءِ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ السَّلَفِيِّينَ أَتْبَاعِ
الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْمُوقِفِ وَابْنِ أَبِي عُمَرَ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ
وَابْنِ الْقَيِّمِ وَابْنِ رَجَبٍ وَابْنِ مُفْلِحٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَمَنْ تَلَمَّذَ عَلَى كُتُبِهِمْ مِمَّنْ
جَاءَ بَعْدَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ فَجَزَاهُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا

شعراً :

عِلْمُ الْحَدِيثِ أَجَلُ السُّؤْلِ وَالْوَطْرِ
وَانْقُلْ رِحَالَكَ عَنْ مَعْنَاكَ مُرْتَجِلاً
وَلَا تَقُلْ : عَاقَنِي شُغْلٌ ، فَلَيْسَ يُرَى
وَأَيُّ شُغْلٍ كَمِثْلِ الْعِلْمِ تَطْلُبُهُ
أَلَهَى عَنِ الْعِلْمِ أَقْوَاماً تَطْلُبُهُمْ
وَحَلَفُوا مَالَهُ حَظٌّ وَمَكْرَمَةٌ
وَأَيُّ فَخْرٍ بِدُنْيَاهُ لِمَنْ هَدَمَتْ
لَا تَفْخَرَنَّ بِدُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا
يَفْنَى الرِّجَالُ وَيَبْقَى عِلْمُهُمْ لَهُمْ
وَيَذْهَبُ الْمَوْتُ بِالدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا
تَظُنُّ أَنَّكَ بِالدُّنْيَا أَخُو كَبِيرٍ
لَيْسَ الْكَبِيرُ عَظِيمُ الْقَدْرِ غَيْرَ فَتَى
قَدْ زَاخَمَتْ رُكْبَتَاهُ كُلُّ ذِي شَرَفٍ
فَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ
هُمْ سَادَةُ النَّاسِ حَقًّا وَالْجُلُوسُ لَهُمْ
وَالْمَرْءُ يُحَسَّبُ مِنْ قَوْمِ يُصَاحِبُهُمْ
فَمَنْ يُجَالِسْ كَرِيماً نَالَ مَكْرَمَةً

فَاقْطَعْ بِهِ الْعَيْشَ تَعْرِفْ لَذَّةَ الْعُمُرِ
لِكَيْ تَفُوزَ بِنَقْلِ الْعِلْمِ وَالْأَثَرِ
فِي التَّرِكِ لِلْعِلْمِ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتَذِرٍ
وَتَقُلْ مَا قَدْ رَوَوْا عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ؟
لَذَاتِ دُنْيَا غَدَا مِنْهَا عَلَى غَرَرٍ
إِلَى الَّتِي هِيَ دَابُّ الْهُونِ وَالْخَطَرِ
مَعَائِبُ الْجَهْلِ مِنْهُ كُلُّ مُفْتَخِرٍ ؟
وَبِالْعَفَافِ وَكَسْبِ الْعِلْمِ فَافْتَخِرِ
ذِكْرًا يُجَدِّدُ فِي الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
وَلَيْسَ يَبْقَى لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ أَثَرٍ
وَأَنْتَ بِالْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ ذَا صِغَرٍ
مَا زَالَ بِالْعِلْمِ مَشْغُولاً مَدَى الْعُمُرِ
فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ لَا فِي الْفَخْرِ وَالْبَطْرِ
تَسْتَجْلِبُ النِّفْعَ أَوْ تَأْمَنُ مِنَ الضَّرَرِ
زِيَادَةٌ هَكَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ
فَارْكَنْ إِلَى كُلِّ صَافِي الْعِرْضِ عَنْ كَدَرٍ
وَلَمْ يَشِنْ عِرْضُهُ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْرِ

كَصَاحِبِ الْعِطْرِ إِنْ لَمْ تَسْتَفِدْ هِبَةً
 وَمَنْ يُجَالِسُ رَدِيءَ الطَّبْعِ يُرَدِّ بِهِ
 كَصَاحِبِ الْكَبِيرِ إِنْ يَسْلَمْ مُجَالِسُهُ
 وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ يَنْهَاهُ الْحَيَاءُ وَلَا
 وَالنَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَأَنْفُسُهُمْ
 وَأَصْنُوبُ النَّاسِ رَأْيًا مَنْ تَصَرَّفُهُ
 وَارْكَنْ إِلَى كُلِّ مَنْ فِي وَدِّهِ شَرَفٌ
 فَالْمَرْءُ يَشْرَفُ بِالْأَخْيَارِ يَصْحَبُهُمْ
 إِنْ الْعَقِيقَ لَيْسُمُو عِنْدَ نَاطِرِهِ
 وَالْمَرْءُ يَخْبُثُ بِالْأَشْرَارِ يَأْلَفُهُمْ
 فَالْمَاءُ صَفْوٌ طَهُورٌ فِي أَصَالَتِهِ
 فَكُنْ بِصَحْبِ رَسُولِ اللَّهِ مُقْتَدِيًا
 وَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي سَلَكَوْا
 وَالْحَقُّ بِقَوْمٍ إِذَا لَاحَتْ وُجُوهُهُمْ
 أَضْحَوْا مِنَ السَّنَةِ الْعَلْيَاءِ فِي سَنَنِ
 أَجَلُ شَيْءٍ لَدَيْهِمْ : قَالَ أَخْبَرَنَا
 هَذِي الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ
 لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْ : قَالَ لِرَسُولٍ وَمَا
 وَمَجْلِسٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ جَادَ بِمَا
 يَوْمٌ يَمُرُّ وَلَمْ أَرَوْ الْجَدِيثَ بِهِ
 فَإِنْ فِي دَرَسِ أَخْبَارِ الرَّسُولِ لَنَا
 تَعَلَّلًا إِذْ عَدِمْنَا طِيبَ رُؤْيَتِهِ
 كَأَنَّهُ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا نُشَاهِدُهُ
 زَيْنُ النُّبُوَةِ عَيْنُ الرُّسُلِ خَاتِمُهُمْ

مِنْ عِطْرِهِ لَمْ تَخِبْ مِنْ رِيحِهِ الْعِطْرِ
 وَنَالَهُ دَنَسٌ مِنْ عِرْضِهِ الْكَدْرِ
 مِنْ تَنَبُّهِ لَمْ يُوقِ الْحَرْقَ بِالشَّرِّ
 تَقْوَى فَخَفَ كُلُّ قُبْحٍ مِنْهُ وَانْتَظِرِ
 مِنْهُمْ بَصِيرٌ وَمِنْهُمْ مُخْطِئٌ النَّظَرِ
 فِيمَا بِهِ شَرَفُ الْأَلْبَابِ وَالْفِكَرِ
 مِنْ نَابِهِ الْقَدْرِ بَيْنَ النَّاسِ مُشْتَهَرِ
 وَإِنْ يَكُنْ قَبْلَ شَيْءٍ غَيْرَ مُعْتَبَرِ
 إِذَا بَدَأَ وَهُوَ مَنْظُومٌ مَعَ الدُّرَرِ
 وَلَوْ غَدَا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ وَالسَّيْرِ
 حَتَّى يُجَاوِرَهُ شَيْءٌ مِنَ الْكَدْرِ
 فَإِنَّهُمْ لِلْهُدَى كَالْأَنْجُمِ الزُّهَرِ
 فَكُنْ عَنِ الْحُبِّ فِيهِمْ غَيْرَ مُقْتَصِرِ
 رَأَيْتَهَا مِنْ سَنَةِ التَّوْفِيقِ كَالْقَمَرِ
 سَهْلٍ وَقَامُوا بِحِفْظِ الدِّينِ وَالْأَثَرِ
 عَنِ الرَّسُولِ بِمَا قَدْ صَحَّ مِنْ خَبَرِ
 وَلَا التَّمَتُّعَ بِاللَّذَاتِ وَالْأَشْرِ
 أَجَلٌ مِنْ سَنَدٍ عَنْ كُلِّ مُشْتَهَرِ
 حَلَا مِنْ الدُّرِّ أَوْ حُلِّيٍّ مِنَ الدُّرَرِ
 فَلَسْتُ أَحْسِبُ ذَاكَ الْيَوْمَ مِنْ عُمْرِي
 تَمَتُّعًا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ الْخُضْرِ
 مَنْ فَاتَهُ الْعَيْنُ هَذَا الشَّوْقَ بِالْأَثَرِ
 فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 بَعَثًا وَأَوَّلُهُمْ فِي سَابِقِ الْقَدْرِ

صلى عليه إله العرش ثم على أشياعه ما جرى طل على زهر
مع السلام دواماً والرضا أبداً عن صحبه الأكرمين الأنجم الزهر
وعن عبيدك نحن المذنبين فجد بالأمن من كل ما نخشاه من ضرر
وثب على الكل منا واعطنا كرمًا دنياً وأخرى جميع السؤل والوطر

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوهها ووفقنا لشكرك وذكرك وارزقنا التأهب
والاستعداد للقاءك واجعل ختام صحائفنا كلمة التوحيد واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال ابن رجب رحمه الله على حديث ابن عباس المتضمن لوصية
النبي ﷺ فإنه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين
وأجلها حتى قال الأمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابة صيد الخاطر :
تدبرت هذا الحديث فأذهشني وكدت أطيش ثم قال فوا أسفاً من الجهل
بهذا الحديث وقلة الفهم لمعناه .

فقوله ﷺ : « إحفظ الله يحفظك يعني إحفظ حدود الله وحقوقه
وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه
بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهي عنه » .

ودخل في ذلك فعل الواجبات جميعاً وترك المحرمات كلها كما في
حديث ثعلبة المرفوع : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حُرُمات
فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها » .

وذلك يدخل في حفظ حدود الله كما ذكره الله تعالى في قوله :
﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ هذا ما توعدون لكل أبواب
حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ .

وُفْسِرَ الحَفِظُ هَاهُنَا بِالحَافِظِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَفُسِّرَ بِالحَافِظِ لِذُنُوبِهِ حَتَّى يَرْجَعَ مِنْهَا ، وَكِلَاهُمَا يَدْخُلُ فِي الْآيَةِ . وَمَنْ حَفِظَ وَصِيَّةَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَإِمْتَثَلَهَا فَهُوَ دَاخِلٌ أَيْضاً ، وَالْكُلُّ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ .

وقد ورد في بعض ألفاظِ حديثِ يومِ المَزيدِ في الجنة ، إن الله تعالى يقول لأهل الجنة إذا استَدْعَاهُمْ لزيارته وكَشَفَ لَهُم الحِجَابَ « مَرْحَباً بِعِبَادِي الَّذِينَ حَفِظُوا وَصِيَّتِي وَرَعَوْا عَهْدِي وَخَافُونِي بِالْغَيْبِ وَكَانُوا مِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ مُشْفِقِينَ » .

فَأَمَرُهُ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ هَذَا كُلُّهُ . وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ حِفْظُهُ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ ﴾ .

وقال ﷺ : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ » .

وفي حديث آخر : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة .

وقال النبي ﷺ : « لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ فَإِنَّ الْعَبْدَ تَنْتَفِضُ طَهَارَتُهُ وَلَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ » . فالمحافظة على الوضوء للصلاة دليل على ثبوت الإيمان في القلب .

ومما أمر الله بحفظه الأيمان لما ذكر كفارة اليمين قال : ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِهِمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ فَإِنَّ الْأَيْمَانَ كَثِيراً مَا تَقَعُ مِنَ النَّاسِ وَمُوجِبَاتُهَا مُخْتَلِفَةٌ .

فتارة يجب بها كفارة يمين وتارة يجب فيها كفارة مُغلَّظة وتارة يلزم بها

المحلوف عليه من طلاق ونحوه . فَمَنْ حَفِظَ أَيْمَانَهُ دَلَّ عَلَى دُخُولِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ .

وكان السلف كثيراً ما يُحافظون على الأيمان فمنهم من كان لا يحلف بالله البتة . ومنهم من كان يتورع حتى يكفر فيما شك فيه الحنث .

وَوَصَّى الإمام أحمد رحمه الله عند موته أن يُخرج عنه كفارة يمين . وقال أظن أني حنثت في يمين حلفتها . وقد روى عن أيوب عليه السلام أنه كان إذا مرَّ باثنين يحلفان بالله ذهب فكفر عنهما يمينيهما لثلاثا يأتان وهما لا يشعران .

ولهذا لما حلف على ضرب إمرأته مائة جلدة أفتاه الله بالرخصة لحفظه لأيمانه وأيمان غيره . وقد اختلف العلماء هل تتعدى الرخصة إلى غيره أم لا ؟

وقال يزيد بن حبيب : بلغني أن من حملة العرش من يسيل من عينيه أمثال الأنهار من البكاء فإذا رفع رأسه قال : سبحانك ما تُخشى حق خشيتك فيقول الله تعالى : ﴿ لكن الذين يحلفون بإسمي كاذبين لا يعلمون ذلك ﴾ وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب بالله .

ولا يصدر كثرة الحلف بالله إلا من الجهل بالله تعالى وقلة هيبته في الصدور . ومما يلزم المؤمن حفظه ، رأسه وبطنه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المرفوع : « الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى ويحفظ البطن وما حوى » خرجه الإمام أحمد والترمذي . وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على محرم .

وقد جمع الله ذلك كله في قوله تعالى : ﴿ إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . ويدخل في حفظ البطن وما حوى حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالنِّسْتِنَا مِنَ الْكُذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَذَانَنَا عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وقال رحمه الله ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ اللسان والفرج . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ من حفظ ما بين الحية وما بين رجليه دخل الجنة ﴾ أخرجه الحاكم . وخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولفظه : « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ الْحَيَّةِ وَرِجْلَيْهِ . أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ » .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَخْصَيْهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . وقد أمر الله بحفظ الفرج خاصة ومدح الحافظين قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ وقال : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ .

وقد روى عن أبي إدريس الخولاني أن أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض بحفظ فرجه وأن لا يضعه إلا في حلال .

قوله : « يَحْفَظُكَ » يعني أن مَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ وَرَاعَى حُقُوقَهُ حَفِظَهُ اللَّهُ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

وقال : ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرْكُمْ ﴾ . وَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ يَتَضَمَّنُ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا حِفْظُهُ لَهُ فِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُ كَحِفْظِهِ فِي بَدَنِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِي وَأَمِنْ رَوْعَاتِي وَإِحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي » . خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه .

وهذا الدعاء مُنْتَرَعٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ الْآيَةِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّوْا عَنْهُ . وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يُقَدَّرْ فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَإِنْ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ .

وقال مُجَاهِدٌ : مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقْظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهُوَامِ فَمَا مِنْ شَيْءٍ يَأْتِيهِ إِلَّا قَالَ وَرَاءَكَ إِلَّا شَيْئًا قَدْ أْذَنَ اللَّهُ فِيهِ فَيُصِيبُهُ . وَمِنْ حِفْظِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْفَظَهُ فِي صِحَّةِ بَدَنِهِ وَقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَمَالِهِ .

قال بعضُ السلفِ : الْعَالَمُ لَا يَحْزَنُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ

مُتَعَّ بِعَقْلِهِ ، وتَأَوَّلَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

وكان الطَّيِّبُ أَبُو الطَّيْبِ قد جَاوَزَ المائَةَ السَّنَةَ وهو مُتَعَّ بِعَقْلِهِ وقُوَّتِهِ فَوَثَّبَ يَوْمًا مِنْ سَفِينَةٍ كان فيها إلى الأَرْضِ وَثْبَةً شَدِيدَةً فَعُوتِبَ عَلَى ذَلِكَ فقال : هَذِهِ جَوَارِحُ حَفْظِنَاهَا فِي الصِّغَرِ فَحَفِظَهَا اللهُ عَلَيْنَا فِي الكِبَرِ .

وعكسُ عهدنا أَنَّ الجَنِيْدَ رأى شَيْخًا يسألُ النَّاسَ فقال : إن هذا ضَيَّعَ اللهُ فِي صِغَرِهِ فَضَيَّعَهُ اللهُ فِي كِبَرِهِ . وقد يُحَفِّظُ اللهُ العَبْدَ بِصَلَاحِهِ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ إِنَّهُمَا حَفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا .

وقال محمد بن المنكدر إن الله لَيَحْفَظُ بالرجل الصالح وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَقَرِيَّتَهُ التي هو فيها والدُؤْبَرَاتِ التي حَوَّلَهَا فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللهِ وَسِتْرِهِ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَضْلُ)

وقال رحمه الله :

وَمَتَى كَانَ الْعَبْدُ مُشْتَغَلًا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى يُحَفِّظُهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ كَمَا فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ حَمِيدَ بْنِ هَلَالٍ عَنْ رَجُلٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا هُوَ بِرَبِي بَيْتِنَا فَقَالَ : « إِنَّ إِمْرَأَةً كَانَتْ فِيهِ فَخَرَجْتُ فِي سَرِّيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكْتُ ثِنْتِي عَشْرَةَ عَنَزًا وَصِيصِيَّتَهَا قَالَ : فَفَقَدْتُ عَنَزًا وَصِيصِيَّتَهَا كَانَتْ تَنْسِجُ بِهَا .

فَقَالَتْ : يَا رَبِّ إِنَّكَ قَدْ ضَمِمْتَ لِي مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تُحَفِّظَ عَلَيْهِ

وَإِنِّي قَدْ فَقَدْتُ عَزْرًا مِنْ غَنَمِي وَصِيصِيَّتِي وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَزْرِي وَصِيصِيَّتِي
وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عَزْرِي وَصِيصِيَّتِي .

قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مُناشدتها ربها تبارك وتعالى .
قال رسول الله ﷺ « فَأَصْبَحْتُ عَزْرَهَا وَمِثْلُهَا وَصِيصِيَّتَهَا وَمِثْلُهَا وَهَاتِيكَ فَأْتِهَا
إِنْ شِئْتَ » قال فقلت بل أصدقك .

وكان بعض السلف بيده الميزان يزن به ذراهم فسمع الأذان
فنهض ونقضها على الأرض وذهب إلى الصلاة فلما عاد جمعها فلم يذهب
منها شيء .

ومن أنواع حفظ الله لمن حفظه في دُنياه أن يحفظه من شر كل من
يريدُه بأذى من الجن والإنس كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها : يكفيه غم الدنيا وهمها .

وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس .
وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية : إن اتقيت الله كفاك الناس .
وإن اتقيت الناس لم يُغنوا عنك من الله شيئاً .

وكتب بعض الخلفاء إلى عمرو الغفاري كتاباً يأمره فيه بأمر يُخالف
كتاب الله ، فكتب إليه : إني نظرت في كتاب الله فوجدته قبل كتاب أمير
المؤمنين وإن السموات والأرض لو كانتا رتقا على امرئ فاتقى الله عز وجل
جعل له مخرجاً والسلام . وأنشد بعضهم : بتقوى الإله نجا من نجا .

كتب بعض السلف إلى أخيه أما بعد فإنه من اتقى الله فقد حفظ
نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه .

وَمِنْ عَجِيبِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَفِظَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُؤَذِيَةَ
بِالطَّبْعِ حَافِظَةً لَهُ مِنَ الْأَذَى وَسَاعِيَةً فِي مَصَالِحِهِ كَمَا جَرَى لِسَفِينَةِ مَوْلَى النَّبِيِّ
ﷺ حَيْثُ كُسِرَ بِهِ الْمَرْكَبُ وَخَرَجَ إِلَى جَزِيرَةٍ فَرَأَى السَّبْعُ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَارِثِ
أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ يَمْشِي حَوْلَهُ وَيَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى أَوْقَفَهُ
عَلَيْهَا ثُمَّ جَعَلَ يَهْمُهُمْ كَأَنَّهُ يُودِّعُهُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ .

وَكَانَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ السَّايِحُ قَدْ مَرَضَ فِي بَرِيَّةٍ بِقُرْبِ دَيْرٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ
عِنْدَ بَابِ الدَّيْرِ لَنَزَلَ الرُّهْبَانُ فَعَالَجُونِي . فَجَاءَ السَّبْعُ فَاحْتَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ
حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى بَابِ الدَّيْرِ فَرَأَاهُ الرُّهْبَانُ فَأَسْلَمُوا وَكَانُوا أَرْبَعِمِائَةٍ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ نَائِمًا فِي بُسْتَانٍ وَعِنْدَهُ حَيَّةٌ فِي فَمِهَا طَاقَةٌ
نَرَجَسَ فَمَا زَالَتْ تَذُبُّ عَنْهُ الذُّبَابُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ . فَمِنْ حِفْظِ اللَّهِ حِفْظَهُ
مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُؤَذِيَةِ بِالطَّبْعِ وَجَعَلَ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ حَافِظَةً لَهُ .

وَمِنْ ضَيِّعِ اللَّهِ ضَيِّعَهُ اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ الضَّرُّ مِمَّنْ كَانَ
يَرْجُو أَنْ يَنْفَعَهُ وَيَصِيرُ أَحْصَى أَهْلِهِ بِهِ وَأَرْفَقَهُمْ بِهِ يُؤْذِيهِ .

كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنِّي لِأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ خَادِمِي
وَحَمَارِي . يَعْنِي أَنَّ خَادِمَهُ يَسُوءُ خُلُقُهُ عَلَيْهِ وَلَا يُطِيعُهُ وَحِمَارُهُ يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ
فَلَا يُؤَاتِيهِ لِرُكُوبِهِ . فَالْخَيْرُ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ، وَالشَّرُّ
كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَضْل)

النوع الثاني من الحفظ وهو أشرفها وأفضلها ، حفظ الله تعالى لعبده في دينه فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته عن الشبهات المردية والبدع المضلة والشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإسلام .

قال الحكم بن أبان عند أبي مكي : إذا حضر الرجل الموت يقال لملكك شم رأسه قال أجد في رأسه القرآن قال شم قلبه قال أجد في قلبه الصيام قال شم قدميه قال أجد في قدميه القيام قال حفظ نفسه فحفظه الله عز وجل . خرجه ابن أبي الدنيا .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ علمه أن يقول عند منامه : « اللهم إن قبضت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وفي حديث عمر عن النبي ﷺ أنه علمه أن يقول « اللهم احفظني بالإسلام قائماً واحفظني بالإسلام قاعداً واحفظني بالإسلام راقداً ولا تطع في عداً ولا حاسداً » خرجه ابن حبان في صحيحه .

وكان النبي ﷺ إذا ودّع من يريد السفر يقول له : « استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك » . وفي رواية وكان يقول : « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » خرجه النسائي وغيره .

وخرّج الطبراني حديثاً مرفوعاً : « إن العبد إذا صلى الصلاة على وجهها صعدت إلى الله ولها برهان كبرهان الشمس وتقول لصاحبها : حفظك الله كما حفظتني ، وإذا ضيعها لفت كما يلف الثوب الخلق ثم

يُضْرَبُ بِهَا وَجْهَ صَاحِبِهَا وَقُولُ : ضَيَّكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي .

وكان عُمرُ رضي الله عنه يقولُ في خُطْبَتِهِ : اللَّهُمَّ إَعْصِمْنَا بِحِفْظِكَ وَثَبِّتْنَا عَلَى أَمْرِكَ . وَدَعَا رَجُلٌ لِبَعْضِ السَّلَفِ أَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ . فَقَالَ يَا أَخِي لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الْحِفْظِ الدُّنْيَوِيِّ قَدْ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُ عَلَى الْمُؤْمِنِ دِينَهُ وَبَيْنَ مَا يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ بِأَسْبَابٍ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِهَا الْعَبْدُ .

وقد يكونُ ما يكرههُ وهذا كما حَفِظَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ وَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهَا مَنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسْبَابِ الْمَعَاصِي الْمُهْلِكَةِ . كَمَا رَأَى مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ شَبَابًا يَتَهَاوَنُونَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْقِتَالِ فِي فِتْنَةٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ احْفَظْهُمْ فَقِيلَ لَهُ : تَدْعُو لَهُؤُلَاءَ ؟ فَقَالَ : إِنْ حَفِظْهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا إِلَى الْقِتَالِ .

وسمع عُمرُ رجلاً يقولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ فَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ فَأَعْجَبَ عُمرُ وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ : وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ قَالَ : يَحَوِّلُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي تَجْرُّهُ إِلَى النَّارِ .

حَجَّ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ فَبَاتَ بِمَكَّةَ مَعَ قَوْمٍ فَهَمَّ بِمَعْصِيَةٍ فَسَمِعَ هَاتِفًا يَهْتِفُ يَقُولُ : وَيْلَكَ أَلَمْ تُحِجَّ فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِمَّا هَمَّ بِهِ . وَخَرَجَ بَعْضُهُمْ مَعَ رُفْقَةٍ إِلَى مَعْصِيَةٍ فَلَمَّا هَمَّ بِمُوَاقِعَتِهَا هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ : كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ فَتَرَكَهَا .

وَدَخَلَ رَجُلٌ غَيْضَةً ذَاتَ شَجَرٍ فَقَالَ لَوْ خَلَوْتُ هَاهُنَا بِمَعْصِيَةٍ مِنْكَ كَانَتْ يَرَانِي ؟ فَسَمِعَ صَوْتًا مَلَأَ مَا بَيْنَ حَافَتِي الْغَيْضَةِ : أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .

وَهُمْ رَجُلٌ بِمَعْصِيَةٍ فَخَرَجَ إِلَيْهَا فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِقَاصٍّ عَلَى النَّاسِ
فَوَقَفَ عَلَى حَلْقَتِهِ فَسَمِعَهُ يَقُولُ : أَيُّهَا الْهَامُّ بِالْمَعْصِيَةِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خَالِقَ
الْهِمَّةِ مُطَّلِعٌ عَلَى هِمَّتِكَ فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَمَا أَفَاقَ إِلَّا مِنْ تَوْبَةٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَ نَفْسَهُ بِمَوْعِظَةٍ جَرَتْ عَلَى لِسَانِ مَنْ أَرَادَ مِنْهُ الْمَوَافَقَةَ
عَلَى الْمَعْصِيَةِ كَمَا جَرَى لِأَحَدِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ
الصَّخْرَةُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جَلَسَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ إِمْرَأَتِهِ قَالَتْ لَهُ
يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضِّ خَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقَامَ عَنْهَا .

وَكَذَلِكَ الْكَفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ مَعْصِيَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ
إِمْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِينَ دِينَارًا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ إِمْرَأَتِهِ إِرْتَعَدَتْ
وَقَالَ أَكْرَهْتُكَ ؟ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ عَمَلْتُ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ
الْحَاجَةُ .

فَقَالَ تَخَافِينَ اللَّهَ وَلَا أَخَافُهُ ثُمَّ قَامَ عَنْهَا وَوَهَبَ لَهَا الدَّنَانِيرَ وَقَالَ وَاللَّهِ
لَا يَعْصِي اللَّهَ الْكَفْلُ أَبَدًا وَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ
اللَّهُ لِلْكَفْلِ .

خَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ هَذَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرٍ مَرْفُوعًا .
وَرَأَوْدَ رَجُلٍ إِمْرَأَةً عَنْ نَفْسِهَا وَأَمَرَهَا بِغَلْقِ الْأَبْوَابِ فَفَعَلَتْ وَقَالَتْ بَقِيَ
بَابٌ وَاحِدٌ . قَالَ : أَيُّ بَابٍ ؟ قَالَتْ الْبَابُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ
يَتَعَرَّضْ لَهَا .

وَرَأَوْدَ رَجُلٍ أَعْرَابِيَّةً قَالَ لَهَا مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَكِبُ . قَالَتْ : فَأَيْنَ
مُكْوِكِبُهَا وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الطَّافِ اللَّهُ تَعَالَى وَحِيلُولَتِهِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَمَعْصِيَتِهِ .

قَالَ الْحَسَنُ وَذَكَرَ أَهْلَ الْمَعَاصِي : هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ

لَعَصَمَهُمْ ، وقال بِشْرُ ما أَصَرَ على مَعْصِيَةِ الله كَرِيمٌ ولا آثر الدنيا على الآخرة حَلِيم . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَضْلٌ)

ومن أنواع حِفْظِ الله لِعَبْدِهِ في دِينِهِ ، أن العبدَ قَدْ يَسْعَى في سَبَبٍ من الدنيا ؛ الولايَاتِ أو التجاراتِ أو غير ذلك فَيَحُولُ الله بَيْنَهُ وَيَنْ ما أَرَادَهُ لِمَا يَعْلَمُ لَهُ من الخَيْرَةِ في ذلك وهو لا يَشْعُرُ مَعَ كِرَاهَتِهِ لِذَلِكَ .

قال ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : إن العبدَ لَيَهْمُ بالأمرِ من التجارةِ أو الإِمَارَةِ فيَنْظُرُ الله إِلَيْهِ فيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ إِصْرِفُوهُ عَنْهُ فَإِنِّي إِن يَسِّرْتُهُ لَهُ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ فَيَصْرِفُهُ الله عَنْهُ فَيُظَلُّ يَتَطَيَّرُ يَقُولُ سَبَقَنِي فلانٌ . دَهَانِي فلانٌ وما هُوَ إِلَّا فَضْلُ الله عز وجل .

وأَعْجَبُ من هذا أن العبدَ قد يَطْلُبُ باباً من أبواب الطاعاتِ ولا يَكُونُ فيه خَيْرٌ لَهُ فَيَحُولُ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ صِيَانَةً لَهُ ، وهو لا يَشْعُرُ .

وخرج الطبراني وغيره حديثَ أنسٍ مَرْفُوعاً ، يَقُولُ الله عز وجل : « إن من عبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا الْغِنَى ولو أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذلك ، وإن من عبادي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا الْفَقْرُ ولو أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذلك » .

وإن من عبادي مَنْ لا يَصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا الصِّحَّةُ ولو أَسْقَمْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذلك وإن من عبادي مَنْ لا يَصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا السُّقْمُ ولو صَحَّحْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذلك .

وإن من عبادي مَنْ يَطْلُبُ باباً من العِبَادَةِ فَاكُفَّهُ عَنْهُ كَيْلًا يَدْخُلُهُ الْعُجْبُ . إِنِّي أَدَبُ عِبَادِي بِعِلْمِي بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

كان بعض المتقدمين يُكثر سؤال الشهادة فهتَفَ به هَاتِفٌ إنك إن غَزَوْتَ أُسِرْتَ وإن أُسِرْتَ تَنْصَرْتَ فَكَفَّ عَنْ سُؤَالِهِ وفي الْجُمْلَةِ فَمَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ وَرَاعَى حُقُوقَهُ تَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ في أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وفي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ .

وقد أَخْبَرَ اللَّهُ تعالى أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ يَتَوَلَّى مَصَالِحَهُمْ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ . قَالَ تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وَقَالَ تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ وَقَالَ تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَقَالَ تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

فَمَنْ قَامَ بِحَقُوقِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْقِيَامِ بِجَمِيعِ مَصَالِحِهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ حِفْظَهُ وَرِعَايَتَهُ في أُمُورِهِ كُلِّهَا فَلْيُرَاعِ حُقُوقَ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُصِيبَهُ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ فَلَا يَأْتِ شَيْئاً مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ . كان بعض السلف يدور على المجالس ويقول : مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَدُومَ لَهُ الْعَافِيَةُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ .

وقال العُمَرِيُّ الزَاهِدُ لِمَنْ طَلَبَ مِنْهُ الْوَصِيَّةَ : كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ لَكَ فَهَكَذَا كُنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وفي بعض الآثار يقول الله : (وَعِزِّي وَجَلَالِي لَا أَطْلُعُ عَلَى قَلْبٍ عَبْدٍ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ حُبُّ التَّمَسُّكِ بِطَاعَتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ وَتَقْوِيمَهُ) .

وفي بعض الكتب المتقدمة يقول الله عز وجل : (إِبْنُ آدَمَ لَا تُعْلِمْنِي مَا يُصْلِحُكَ إِبْنُ آدَمَ إِنْ تَقْنِي . . . وَنَمْ حَيْثُ شِئْتَ) .

والمعنى أنك إذا قُمتَ بما عليكَ الله من حُقوقِ التَّقوى فلا تهتمُّ بعدَ ذلكَ بمَصالحِكَ فإنَّ الله هُوَ أَعْلَمُ بها منك وهو يُوصِلُها إليكَ على أتمِّ الوجوه من غيرِ أَهْتامٍ منك بها .

وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مَنْ نَفْسِهِ » .

فهذا يَدُلُّ على أنه على قَدَرِ إهْتِمامِ العبدِ بِحُقوقِ الله وبأداءِ حُقوقِهِ ومُراعاةِ حُقوقِهِ ومُراعاةِ حُدُودِهِ وإِعْتِنائِهِ بِذَلِكَ وَحِفْظِهِ لَهُ يَكُونُ إِعْتِنَاؤُهُ بِهِ وَحِفْظُهُ لَهُ .

فَمَنْ كَانَ غَايَةُ هَمِّهِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ وَطَلَبَ قُرْبَهُ وَمَعْرِفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَخِدْمَتَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ ﴾ بل هو سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ فَهُوَ يُجَازِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرًا وَيَزِيدُ .

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ شِبْرًا تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَاهُ يَمْشِي أَتَاهُ هَرْوَلَةً . مَا يُؤْتِي الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَلَا يُصِيبُهُ الْمَكْرُوهُ إِلَّا مِنْ تَفْرِيطِهِ فِي حَقِّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال علي رضي الله عنه : لا يَرْجُونَ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ . قال بعضهم مَنْ صَفَى صُفَى لَهُ ، وَمَنْ خَلَطَ خُلِطَ عَلَيْهِ . وقال مَسْرُوقُ : مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي خَطَرَتِ قَلْبِهِ عَصَمَهُ اللَّهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ وَبَسَطَ لَهُ . هذا المعنى يَطُولُ جَدًّا . وفيما أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَيْتَهُمْ لِحُدُومَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُمْ
مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقوله ﷺ تَجِدُهُ أَمَامَكَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى تَجَاهَكَ مَعْنَاهُ : أَنْ مَنْ حَفِظَ
حُدُودَ اللَّهِ وَرَاعَى حُقُوقَهُ وَجَدَ اللَّهَ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ
وَيَحْفَظُهُ وَيُوفِّقُهُ وَيُؤَيِّدُهُ وَيُسَدِّدُهُ فَإِنَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

وهو تعالى ﴿ مع الذين إتقوا والذين هم محسنون ﴾ قال قتادة وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَكُنْ مَعَهُ . وَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ فَمَعَهُ الْفِئَةُ الَّتِي لَا تُغْلَبُ وَالْحَارِسُ
الَّذِي لَا يَنَامُ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يَضِلُّ .

كَتَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى أَخٍ لَهُ أَمَا بَعْدُ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ فَمَنْ تَخَافُ
وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ فَمَنْ تَرْجُو وَالسَّلَامُ . وَهَذِهِ الْمَعِيَةُ الْخَاصَّةُ بِالْمُتَّقِينَ غَيْرُ الْمَعِيَةِ
الْعَامَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ؛ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ .

فَإِنَّ الْمَعِيَةَ الْخَاصَّةَ تَقْتَضِي النُّصْرَ وَالتَّيْيِيدَ وَالْحَفَظَ وَالْإِعَانَةَ ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَارُونَ ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ
الْحَالِ : « مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا » .

فهذا غير المعنى المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادُسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ فإن ذلك عامٌ لكلِّ جَمَاعَةٍ .

ومن هذا المعنى الخاص الحديث الإلهي وقوله فيه : « وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قُرْبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ مِنْ أَطَاعَةٍ وَإِتْقَانٍ وَحِفْظِ حُدُودِهِ وَرَاعَاهُ .

دَخَلَ بَنَانُ الْحَمَّالِ الْبَرِيَّةَ عَلَى طَرِيقِ تَبُوكَ فَاسْتَوَحَّشَ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ : لِمَ تَسْتَوَحَّشُ ؟ أَلَيْسَ حَبِيبُكَ مَعَكَ ؟ فَمَنْ حَفِظَ اللَّهَ وَرَاعَى حُقُوقَهُ وَجَدَهُ أَمَامَهُ وَتَجَاهَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَيْسَتْ أُنْسٌ بِهِ وَلَيْسَتْ غِنًى بِهِ عَنْ خَلْقِهِ .

وفي الحديث : « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ » خرجه الطبراني وغيره وبَسَطُ هذا القولِ يَطُولُ جِدًّا .
كان بعضُ العلَّماءِ الرِّبَّانِيِّينَ كَثِيرَ السَّفَرِ وَحَدَهُ فَخَرَجَ النَّاسُ مَرَّةً مَعَهُ يُودِعُونَهُ فَرَدَّاهُمْ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُخَيِّ الْعِظَامَ وَهِيَ وَرَمِيمٌ . نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِيَنَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

وقال رحمه الله على قوله ﷺ : « تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ » . المعنى أن العبد إذا إتقى الله وكان بينه وبينه معرفة فَعَرَفَهُ رَبُّهُ فِي الشِّدَّةِ وَعَرَفَهُ عَمَلُهُ فِي الرَّخَاءِ فَنَجَّاهُ مِنَ الشَّدَائِدِ بِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ .

وهذه أيضاً معرفة خاصة تقتضي القرب من الله عز وجل ومحبة لعبده وإجابته لدُعَائِهِ وليس المراد بها المعرفة العامة ، فإن الله لا يخفى عليه حال أحدٍ من خلقه كما قال تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ .

وهذا التَّعَرُّفُ الخاصُّ هو المشارُّ إليه في الحديث الإلهي : « لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ » إلى أن قال ؛ « وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ » .

اجتمع الفضيل بشعوانة العابدة فسألها الدعاء ، فقالت : يا فضيلُ وما بينك وبينه ، إن دعوته أجابك . فشهِقَ الفضيلُ شهقةً خراً مغشياً عليه .

وقال أبو جعفر السائح : أتى الحسنُ إلى حبيب أبي محمدٍ هارباً من الحجاجِ فقال : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِحْفَظْنِي مِنَ الشَّرْطِ هُمْ عَلَى أَثَرِي .

فقال يا أبا سعيدٍ أليسَ بينك وبينه من الثقة ما تدعوه فيسترك من هؤلاء أدخل البيتَ فدخل الشرطُ على أثره فلم يروه فذكروا ذلك للحجاجِ فقال بلْ كَانَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ طَمَسَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَلَمْ يَرَوْهُ .

وَمَتَى حَصَلَ هَذَا التَّعَرُّفُ الْخَاصُّ لِلْعَبْدِ مَعْرِفَةً خَاصَّةً بِرَبِّهِ تُوجِبُ لَهُ الْأُنْسَ بِهِ وَالْحَيَاءَ مِنْهُ . وَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ غَيْرَ مَعْرِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامَةِ . وَمَدَارُ الْعَارِفِينَ كُلُّهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَهَذَا التَّعَرُّفِ وَإِشَارَاتِهِمْ تُؤْمِي إِلَى هَذَا .

سَمِعَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَجُلًا يَقُولُ سَهَرْتُ الْبَارِحَةَ فِي ذِكْرِ النِّسَاءِ . فَقَالَ وَيْحَكَ أَمَا تَسْتَحِي مِنْهُ يَرَاكَ سَاهِرًا فِي ذِكْرِ غَيْرِهِ ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ تَسْتَحِي مِنْ لَّا تَعْرِفُ ؟

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ : أَحِبُّ أَنْ لَا أَمُوتَ حَتَّى أَعْرِفَ مَوْلَايَ . وَلَيْسَ مَعْرِفَتُهُ الْإِقْرَارُ بِهِ وَلَكِنْ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي إِذَا عَرَفْتَهُ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ .

وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ وَالتَّعَرُّفُ الْخَاصُّ تُوجِبُ طُمَأْنِينَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَثِقَتَهُ بِهِ فِي إِنْجَائِهِ مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ وَكَرْبٍ وَتُوجِبُ اسْتِجَابَةَ الرَّبِّ دُعَاءَ عَبْدِهِ .

لَمَّا اخْتَفَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْحَجَّاجِ قِيلَ لَهُ : لَوْ خَرَجْتَ فَإِنَا نَخَافُ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْكَ . فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : أَخْرِجْ مِنْ مِصْرِي وَأَهْلِي وَإِخْوَانِي ، إِنْ مَعْرِفَتِي بِرَبِّي وَنِعَمِهِ عَلَيَّ أَنْ سَيُنْجِيَنِي مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَمَا ضَرُّهُ الْحَجَّاجُ بِشَيْءٍ ، وَلَقَدْ كَانَ يُكْرِمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِكْرَامًا شَدِيدًا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمَعْرُوفٍ : هَيَّجَكَ عَلَى الْإِنْقِطَاعِ وَالْعِبَادَةِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْبَرْزَخِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ؟ فَقَالَ مَعْرُوفٌ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا إِنْ مَلَكَأَ هَذَا كُلُّهُ بِيَدِهِ إِنْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ كَفَاكَ جَمِيعَ هَذَا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

ومما يُبين هذا ويوضحه الحديثُ الذي أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فليكثر الدعاء في الرَّخَاءِ » .

وخرَجَ ابنُ أبي الدنيا وابنُ حاتم وابنُ جرير وغيرهم من حديث يزيد الرقاش عن أنسٍ يرفعه : « إِنْ يُونسَ عليه السلام لما دَعَا فِي بَطْنِ الْحَوْتِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبِّ هَذَا صَوْتُ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادٍ غَرِيبَةٍ فَقَالَ اللَّهُ : أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَنْ هُوَ ؟ »

قال : عَبْدِي يُونسُ . . قالوا عَبْدَكَ يُونسُ الذي لم يَزَلْ يَرْفَعُ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا ودَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ؟ قال : نعم . قالوا يَا رَبِّ أَفَلَا تَرْحَمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنَجِّيهِ مِنَ الْبَلَاءِ ؟ قال بَلَى : فَأَمَرَ اللَّهُ الْحَوْتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ . وقال الضحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ إِذْ كَرُوا اللَّهَ فِي الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ فِي الشَّدَةِ . إِنْ يُونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فَلَمَّا وَقَعَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ . وَإِنْ فِرْعَوْنُ كَانَ طَاغِيًّا نَاسِيًّا لِذِكْرِ اللَّهِ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمَفْسُودِينَ ﴾ .

وقال رُشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْصِنِي . فَقَالَ : أَذْكَرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ فِي السَّرَّاءِ فَتَنَزَّلَتْ بِهِ ضَرَاءٌ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتُ مَعْرُوفٍ فَشَفَعُوا لَهُ .

وإذا كان لَيْسَ بِدَعَاءٍ فِي السَّاءِ فَتَزَلَّتْ بِهِ ضَرَاءُ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ صَوْتُ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُ .

وَحَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ وَإِنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ يَشْهَدُ
لِهَذَا أَيْضاً . فَإِنَّ اللَّهَ فَرَّجَ عَنْهُمْ بِدَعَائِهِمْ بِمَا كَانَ سَبَقَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ الْخَالِصَةِ فِي حَالِ الرِّخَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَتَرْكِ الْفُجُورِ وَأَدَاءِ
الْأَمَانَةِ الْخَفِيَّةِ .

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ التَّعَرُّفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الرِّخَاءِ يُوجِبُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ
فِي الشَّدَّةِ فَلَا شِدَّةَ يَلْقَاهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمَ مِنْ شِدَّةِ الْمَوْتِ وَهِيَ أَهْوَنُ
مِمَّا بَعْدَهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَصِيرُ الْعَبْدِ إِلَى خَيْرٍ . وَإِنْ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى خَيْرٍ فَهِيَ
آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا .

فَالْوَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ ، بِالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَذَرِي الْمَرْءَ مَتَى تَنْزِلُ بِهِ هَذِهِ الشَّدَّةُ مِنْ
لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . وَذِكْرُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يُحَسِّنُ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ
وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ شِدَّةَ الْمَوْتِ وَيُقَوِّي رَجَاءَهُ .

قَالَ بَعْضُهُمْ يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْءِ خُبِيَّةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ
لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزْوِلِ الْمَوْتِ أَوْ كَمَا قَالَ . وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَمُوتَ
الرَّجُلُ عَقِبَ طَاعَةٍ عَمِلَهَا مِنْ حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صِيَامٍ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُلْقِنُوا الْعَبْدَ مُحَاسِنَ عَمَلِهِ عِنْدَ
مَوْتِهِ لِكَيْ يُحَسِّنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ فِي مَرَضِهِ كَيْفَ لَا أَرْجُو رَبِّي وَقَدْ صُمْتُ
لَهُ ثَمَانِينَ رَمَضَانًا . وَلَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ وَبَكَوْا عَلَيْهِ قَالَ لَا تَبْكُوا

فإني خَتَمْتُ القرآن في هذه الزاوية ثلاثة عشر ألف ختمة . وروى عنه أنه قال لابنه : أترى إن الله يُضَيِّعُ لأبيك أربعين سنةً يَخْتَمُّ كُلُّ ليلةٍ .

وقال بعضُ السلفِ لابنه عندَ موته ورأه يبكي قال لا تبكي فما أوتي أبوك قط . وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مُسَجَّى للموت ثم قال : بحبي لك إلا رَفَقْتُ بي في هذا المصرع ؟ كُنْتُ أؤمِّلُكَ لهذا كُنْتُ أرجوك لهذا لا إله إلا الله ، ثم قَضَى رَحِمَهُ الله .

وكان عبدُ الصمدِ الزاهدُ يقولُ عندَ موته : سَيِّدِي هذه الساعة خَبَأْتُكَ حَقَّقْتُ حُسْنَ ظَنِّي بِكَ . وقال ابنُ عَقيل عندَ موته وقد بكى النسوة : قَدْ وَقَفْتُ مِنْهُ خَمْسِينَ سنةً فدَعُونِي أَتِهِنَّا بِلِقَائِهِ .

ولما هَجَمَ القرامِطةُ على الحُجَّاجِ وَقَتَلُوهُمْ في الطَّوافِ وكان عليُّ بنُ بأكوية الصوفي يطوفُ فلم يَقْطَعْ الطَّوافَ والسيوفُ تأخذُه حتَّى وَقَعَ

تضرع إلى فاطر السموات والأرض وثناء عليه

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ وَجْهِي لَا إِلَى أَحَدٍ	بَا مَنْ عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مُعْتَمِدِي
يَرْجُو نَدَاهُ بِلَا مَنْ وَلَا نَكِدِ	يَا مَالِكَ الْمُلْكِ يَا مُعْطِيَ الْجَزَائِلِ لِمَنْ
مَوْلَايَ فَاْمَحْ بِعَفْوِ مَا جَنَّتْهُ يَدِي	مَا لِي بِسِوَاكَ وَمَا لِي غَيْرَ بِأَبِكَ يَا
عَوَائِدُ مِنْكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْمَدَدِ	وَانْعَمْ وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا رَحْمَةً فَلَنَا
مَا أَنْ تَمُرَّ عَلَى بَالٍ وَلَا خَلِيدِ	وَانْظُرْ إِلَيْنَا فَكَمْ أَوْ لَيْتَنَا نِعْمًا
وَمَنْ عَلَيْهِ وَإِنْ أَخْطَأْتُ مُعْتَمِدِي	يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَائِي عِنْدَ مَسْأَلَتِي

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل

وقال رَحِمَهُ اللهُ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ فِي حَيَاتِهِ تَوَلَّاهُ اللهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ عَلَى الْإِيمَانِ وَثَبَّتَهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ وَدَفَعَ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَأَنَسَ وَخَشَتَهُ فِي تِلْكَ الْوَحْدَةِ وَالظُّلْمَةِ .

قال بعضُ السلفِ إذا كان اللهُ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ فلا بأسَ عَلَيْكَ ولا وَخْشَةً . وَرُؤْيِي بعضُ الصالحينَ فِي النُّومِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : يُؤْنِسُنِي رَبِّي عِزُّ وَجَلُّ فَمَنْ كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُنَيْسَهُ فِي خَلَوَاتِهِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ أُنَيْسَهُ فِي ظِلْمَاتِ اللَّحُودِ إِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا وَتَخَلَّى عَنْهَا . وَفِي هَذَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

فِيَا رَبِّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَخْشَتِي فَإِنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لَمَصَّدَقُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللهِ صَائِرٌ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ أَبْرٍ وَأَشْفَقُ

وكذلك أهوالُ القيامةِ وأَفْزَاعُهَا وَشَدَائِدُهَا إِذَا تَوَلَّى اللهُ عَبْدَهُ الْمُطِيعُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَنْجَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ . قَالَ : مِنَ الْكَرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وقال عليُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : يُنْجِيهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقال زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قَالَ يُبَشِّرُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَفِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ فَإِنَّهُ لَفِي الْجَنَّةِ ، وَمَا ذَهَبَتْ فَرَحُهُ الْبَشَارَةِ مِنْ قَلْبِهِ .

وقال ثَابِتُ الْبُنَانِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَبْعَثُهُ اللهُ مِنْ قَبْرِهِ يَتَلَقَّاهُ مَلَكَاهُ اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ لَهُ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ فَيُؤْمِنُ اللهُ خَوْفَهُ وَيُقِرُّ عَيْنَهُ .

فَمَا مِنْ عَظِيمَةٍ تَغْشَى النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِ قُرَّةُ عَيْنٍ
لِذَا هَدَاهُ اللَّهُ وَلِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا . خَرَجَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أَبِي حَاتِمٍ
وغيره .

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَتَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَهُ فِي الشَّدَةِ لَا
فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَشَوَاهِدُ هَذَا مُشَاهِدَةٌ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَحَالِهِمْ فِي
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَمِنْهُمْ مَنْ وَلِيَ وَلَا نَصِيرَ .

قوله ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ » أَمَرَ بِإِفْرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالسُّؤَالِ
وَنَهَى عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ .

وَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِسُؤَالِهِ فَقَالَ : ﴿ وَإِسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ
فَضْلِهِ ﴾ . وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً : « مَنْ لَا
يَسْأَلُ اللَّهَ يَغْضَبُ عَلَيْهِ » .

وَفِيهِ أَيْضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إِسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ » .

وَفِيهِ أَيْضاً : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمَلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ » .
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ حَاجَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شَيْئاً
نَعْلَهُ إِذَا انْقَطَعَ » . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ .

وَفِي النَّهْيِ عَنْ سُؤَالِ الْخَلْقِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ . وَفِي حَدِيثٍ
ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً : « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَسْأَلُ وَهُوَ
غَنِيٌّ حَتَّى يَخْلُقَ وَجْهَهُ فَمَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهٌ » .

وَقَدْ بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنْ لَا يَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً
مِنْهُمْ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبُو ذَرٍّ وَثُوبَانُ .

وكان أحدُهم يَسْقُطُ سَوِطُهُ وَخِطَامُ نَاقَتِهِ فلا يَسْأَلُ أَحَدًا أن يُناوِلَهُ إِيَّاهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ . وإِعلمُ أن سُؤالَ اللهِ تعالى دُونَ خَلْقِهِ هو المَتَعِينُ عَقْلًا وَشَرعًا .

وذلك مِن وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْها أن السُّؤالَ فِيهِ بَدَلٌ لِماءِ الوَجهِ وَذَلِّ لِلسَّائِلِ وَذلكَ لا يَصْلَحُ إِلاَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ . فلا يَصْلَحُ الذُّلُّ إِلاَّ اللهُ بِالْعِبَادَةِ وَالْمَسْأَلَةِ وَذلكَ مِن غَايَةِ المَحَبَةِ الصَّادِقَةِ .

سُئِلَ يُوسُفُ بْنُ الحُسَيْنِ ما بَالُ المَحِبِّينَ يَتَلَذَّذُونَ بِذُلِّهِمْ فِي المَحَبَةِ فَأَنشَدَ :

ذَلَّ الفَتَى فِي الحُبِّ مَكْرَمَةً وَخُصُوعُهُ لِحَبِيبِهِ شَرَفُ
وَهَذَا الذُّلُّ وَهَذِهِ المَحَبَةُ لا تَصْلَحُ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ العِبَادَةِ
الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الإِلَهُ الحَقُّ .

كان الإمامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللهم كما صُنْتَ وَجْهِي
عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنَّهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ .

وقال أبو الحسين الأقطع : كُنْتُ بِمَكَّةَ سَنَةً فَأَصَابَتْنِي فَاقَةٌ وَضَرَرٌ
فَكُنْتُ كُلِّما أَرَدْتُ أن أَخْرُجَ إِلى الْمَسْأَلَةِ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ يَقُولُ : الْوَجْهُ الَّذِي
تَسْجُدُ لِي بِهِ تَبْذِلُهُ لِغَيْرِي . إِنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تعالى .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْلٌ)

وقال ابن القيم رحمه الله :
للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر

الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس .

للعبد رب هو ملاقيه ، وببيت هو ساكنه ، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ، ويعمر بيته قبل إنتقاله إليه .

إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .

الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة فكيف بغم العمر كله . محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً .

أعظم الربح في الدنيا : أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولي بها وأنفع لها في معادها .

كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة .

المخلوق إذا خفته إستوحشت منه وهربت منه والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه . لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين .

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ست مشاهد :

أحدها : مشهد التوحيد وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الثاني : مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه .

الثالث : مشهد الرحمة وإن رحمته في هذا المقدور غالبه لغضبه وإنتقامه ورحمته وعفوه .

الرابع : مشهد الحكمة وإن حكمته سبحانه إقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاء عبثاً .

الخامس : مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه .

السادس : مشهد العبودية وأنه محض من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبد له فيصرفه تحت أحكامه القدريّة كما يصرفه تحت أحكامه الدينيّة فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه .

الاجتماع بالإخوان قسماً :

أحدهما : إجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعة ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

الثاني : الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها .

ولكن فيه ثلاث آفات :

إحداها : تزين بعضهم لبعض .

الثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

الثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود .

وبالجملة : فالاجتماع والخلطة لقاح ، إما للنفس الأمارّة ، وإما للقلب والنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته .

وهذه الأرواح الطيبة لقاحها من الملك والخبيثة لقاحها من الشيطان

وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين والطيبات للعكس ذلك .

بين العبد وبين الله والجنة قنطرة تقطع بخطوتين خطوة عن نفسه ،
وخطوة عن الخلق فيسقط نفسه ويلغيها فيما بينه وبين الناس ويسقط الناس
ويلغيهم فيما بينه وبين الله ؛ فلا يلتفت إلا إلى من دله على الله وعلى
الطريق الموصلة إليه .

من عرف نفسه إشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس .
من عرف ربه إشتغل به عن هوى نفسه .

أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود
المنة فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق .

دخل الناس النار من ثلاثة أبواب : باب شهوة أورثت شكا في دين
الله ، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب
غضب أورث العدوان على خلقه .

أصول الخطايا كلها ثلاثة : الكبر ، وهو الذي أصرار إبليس إل ما
أصاره والحرص ، وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

والحسد ، وهو الذي جرأ أحد إبني آدم على أخيه . فمن وقى شر
هذه الثلاثة فقد وقى الشر ، فالكفر من الكبر ، والمعاصي من الحرص ،
والبغي والظلم من الحسد .

جمع النبي ﷺ في قوله : « فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » بين مصالح
الدنيا والآخرة .

فالأخرة ونعيمها ولذاتها ، إنما تنال بتقوى الله ، وراحة القلب

والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء ، والكد والشقاء في طلب الدنيا ، إنما ينال بالإجمال في الطلب .

فمن إتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ، ومن أجهل في الطلب إستراح من نكد الدنيا وهمومها ، فالله المستعان :

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في ذا الخلق من يسمع
كم واثق بالعيش أهلكته وجامع فرقت ما يجمع
سر التوكل على الله وحقيقته ، هو إعتقاد القلب على الله وحده ، فلا
يضر مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الإعتقاد عليها والركون إليها ،
كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله ، مع إعتماذه على غيره وركونه إليه وثقته
به .

فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء . كما أن توبة اللسان مع
إصرار القلب مع إعتقاد قلبه على غيره ، مثل قوله : تبت إلى الله وهو مصر
على معصيته مرتكب لها .

إتباع الهوى وطول الأمل ، مادة كل فساد ، فإن إتباع الهوى يعمي
عن الحق معرفة وقصداً ، وطول الأمل ، ينسي الآخرة ويصد عن
الاستعداد لها .

إذا أراد الله بعبد خيراً جعله معترفاً بذنبه ، ممسكاً عن ذنب غيره ،
جواداً بما عنده ، زاهداً فيما عند غيره ، محتملاً لأذى غيره ، وإن أراد به
شراً عكس ذلك عليه .

العقول المقيدة بالتوفيق ، ترى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق
الموافق للعقل والحكمة .

والعقول المضروبة بالخذلان ، ترى المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرع .

أقرب الوسائل إلى الله ، ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله ، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال .
وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة ، وما إنقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها .

الأصول التي إنبنى عليها سعادة العبد ثلاثة ، ولكل واحد منها ضد ، فمن فقد ذلك الأصل حصل على ضده ، التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .
ولهذه الثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ، ومن الرهبة منه وما عنده .

إذا إستغنى الناس بالدنيا ، فإستغن أنت بالله ، وإذا فرحوا بالدنيا فأفرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم ، فاجعل أنسك بالله .
وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة ، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه ، تنل بذلك غاية العز والرفعة .
قال بعض الزهاد : ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان . فقال له رجل إني أكثر البكاء فقال : إنك أن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك ، وأن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه .

فقال : أوصني فقال : دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها ، وكن في الدنيا كالنحلة ، إن أكلت أكَلْتُ طيباً ، وإن أطعمت أطعمت طيباً ، وأن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخذشه .

النعم ثلاثة : نعمة حاصلة يعلم بها العبد ، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها . فإذا أراد إتمام نعمته على عبده ، عرفه نعمته الحاضرة ، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرذم فإنها تشرذم بالمعصية وتبقى بالشكر ، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة ، وبصره بالطرق التي تسدد وتقطع طريقها ، ووفقه لاجتنابها ، وإذا بها قد وافقته إليه على أتم الوجوه ، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها .

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال : أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها ، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته ، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لشكرها ، فأعجبه ذلك منه وقال : ما أحسن تقسيمه .

قال شقيق بن إبراهيم : أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء : إشتغالهم بالنعمة عن شكرها ، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة ، والاغترار بصيحة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم ، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها .

قلت : وأصل ذلك : عدم الرغبة والرغبة ، وأصله ضعف اليقين ، وأصله ضعف البصيرة ، وأصله مهانة النفس ودناءتها ، وإستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين ، وليس لهم حَطٌّ من رحالهم إلا في الجنة أو النار ، والعاقِل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار ، ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة ، إنما ذلك بعد إنتهاء السفر .

ومن المعلوم أن كل وطأة قدم ، أو كل من آتات السفر غير واقفة ،
ولا المكلف واقف ، وقد ثبت أنه سافر على الحال التي يجب أن يكون
المسافر عليها من نهية الزاد الموصل ، وإذا نزل أو نام أو إستراح ، فعلى
قدم الاستعداد للسير .

لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر ، وله عليه فيه نهي ، وله
فيه نعمة ، وله به منفعة ولذة ، فإن قام في ذلك العضو بأمره وإجتنب فيه
نهي .

فقد أدى شكر نعمته عليه فيه ، وسعى في تكميل إنتفاعه ولذته
به ، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه ، عطله الله من إنتفاعه بذلك العضو ،
وجعله من أكبر أسباب ألمه ومغرته .

وله عليه في كل وقت من أوقاته عبودية تقدمه إليه وتقربه منه ، فإن
شغل وقته بعبودية الوقت ، تقدم به إلى ربه ، وإن شغله بهوى أو راحة
وبطالة ، تأخر ، فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر ، ولا وقوف في الطريق
البتة .

قال تعالى : ﴿ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ .
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال القحطاني رحمه الله :

يَا أَيُّهَا السُّنِيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي	وَأَخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الْإِخْوَانِ
وَأَقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ	وَأَسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطاً	عَدْلاً بِلَا نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ	مُتَنَزَّهٌ عَنِ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ

الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بغير بدآية
 رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدَّقَ بِالْقَضَا
 فاقْصِدْ هُدَيْتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًا
 دِنٌ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا
 وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى آدَاءِ فَرِيضَةٍ
 قُمْ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَأَعْرِفْ قَدْرَهَا
 لَا تَمْنَعَنَّ زَكَاةَ مَالِكَ ظَالِمًا
 لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرُّوَافِضِ إِنَّهُمْ
 إِنَّ الرُّوَافِضَ شَرٌّ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَا
 مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ
 قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ
 قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ
 دَعُ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعْيِ
 لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كُلِّ مَا
 أَرَوْا الْحَدِيثَ الْمُتَّقَى عَنْ أَهْلِهِ
 وَأَحْفَظْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ
 لَا تَنْتَقِصْهُ وَلَا تَزِدْ فِي قَدْرِهِ
 إِحْدَاهُمَا لَا تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً
 احْذَرْ عِقَابَ اللَّهِ وَأَرْجُ ثَوَابَهُ
 وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ
 فَاسْتَحْيِي مِنْ نَظَرِ الْأَلْهِ وَقُلْ لَهَا
 كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَأَعْمَلْ صَالِحًا
 لَا تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلًا أَوْ فَاعِلًا

وَالْآخِرُ الْمُقْنِي وَلَيْسَ بِفَانٍ
 لَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلَا أَرْكَانٍ
 إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلِيَانِ
 فَكِلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ
 فَأَنْشِطْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَاثِي
 فَلَهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
 فَصَلَاتُنَا وَزَكَاتُنَا اخْتَانِ
 أَهْلُ الْمَحَالِ وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ
 مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ
 وَرَمَوْهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَأَجَلٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ
 وَأَمْدَحْ جَمِيعَ الْأَلِ وَالنِّسْوَانِ
 لِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
 جَمَعَ الرُّوَاةَ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ
 سِيَّمَا ذَوِي الْأَخْلَامِ وَالْأَسْنَانِ
 وَأَعْرِفْ عَلِيًّا أَيْمًا عِرْفَانٍ
 فَعَلَيْهِ تَصَلَّى النَّارَ طَائِفَتَانِ
 وَتَبِصُّهُ الْأُخْرَى إِلَهَا ثَانِ
 حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ
 وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
 إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظُّلَامَ يَرَانِي
 فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ
 فَكِلَاهُمَا فِي الصُّحُفِ مَكْتُوبَانِ

جَمَلِ زَمَانِكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ
كُنْ حُلَسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ
أَدَّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا
أَدَمِ السُّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ
سَمَّ الْأَلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ
فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَى نِيَّاتُهُمْ
لَا تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا
أَيُّقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا
أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا
حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَاءِ
لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
لَا تُحْسِدَنَّ أَحَدًا عَلَى نَعْمَائِهِ
لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً
وَتَحَرَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ
« فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ
لَا تُخْرِجَنَّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَارِبًا
وَمَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ
الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ
لَا تَحُلْ بِأَمْرَاءَ لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ
وَأَغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَاءِ
وَاحْفَظْ لِسْرَكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا
لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ
لَا تُحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا

زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسِتْرَةُ الْحَيْرَانِ
وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانٍ
فَتَكُونَنَّ عِنْدَ اللَّهِ شَرًّا مُهَانٍ
مُرْضِي الْإِلَهَ مُطَهِّرَ الْأَسْنَانِ
ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلَهَانِ
وَعَلَى الْأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ
أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِيًا
وَأَسْمَعْ هُدَيْتَ نَصِيحَتِي وَيَّانِ
بِتَطْمَؤُنٍ وَتَرْفُقٍ وَتَدَانِ
أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ
إِنَّ الْحُسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِ
فَلَا جِلْهًا يَتْبَاغُضُ الْخِلَافَانِ
فَرَضْ عَلَيْكَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ
لَا طَاعَةَ لِلْخَلْقِ فِي الْعِصْيَانِ «
وَلَوْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ
فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ
فَضْيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ
لَوْ كُنْتَ فِي النَّسَاكِ مِثْلَ بُنَانِ
وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ
وَأَدْفِنَهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ
وَأَجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلَافَانِ
فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخِلْجَانِ

وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًّا
 لَا تَشْغَلَنَّ بَعِيبَ غَيْرِكَ غَافِلًا
 لَا تُفْنِ عُمُرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا
 وَأَحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا
 وَإِذَا أَضْطَرَّرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ
 فَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعًا سَابِغًا
 وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً
 وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 وَأَطْعَنْ بِرُمَحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ
 وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
 وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ
 لَا تَغْضِبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحَّ
 كُنْ طَوَّلَ دَهْرِكَ سَاكِتًا مُتَوَاضِعًا
 وَأَخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبَرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ
 كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوْلًا لَهُ
 مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةِ جَائِعٍ
 فَإِذَا فَعَلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنَنَّ بِهِ
 أَشْكُرْ عَلَى النِّعْمَاءِ وَأَصْبِرْ لِلْبَلَاءِ
 لَا تَشْكُونَ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ
 صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالقَنَاعَةِ إِنَّمَا
 بِاللَّهِ ثِقٌ وَلَهُ أَنْبٌ وَبِهِ أَسْتَعِينُ
 وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا

فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولَانِ
 عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيَّانِ
 إِنَّ الْجِدَالَ يُخْلُ بِالْأَدْيَانِ
 تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَانِ
 لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاَقَتْ الصِّفَانِ
 وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمِيدَانِ
 وَأَرْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوْلَانِ
 فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الْإِنْسَانِ
 لِلَّهِ دُرُّ الْفَارِسِ الطَّعَانِ
 مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانِ
 فَالْعُجْبُ يُخَمِّدُ جَمْرَةَ الْإِنْسَانِ
 فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مُذْمُومَانِ
 فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ
 لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ
 فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ
 وَدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ
 لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ
 فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مُمْدُوحَانِ
 فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ
 صَوْنُ الْوُجُوهِ مَرْوَعَةُ الْفُتَيَانِ
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ
 حَذَرِ الْمَمَاتِ وَلَا تَقُلْ لِمَ يَانِ

وَإِذَا أُبْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَأَصْبِرْ لَهَا
 لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا
 أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا
 زُهْدًا عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدًا فِي الشَّأْنِ
 وَأَحْفَظْ لِحَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ
 وَأَضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ
 وَاصِلْ ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا
 وَاصْدُقْ وَلَا تُخْلِفْ بِرَبِّكَ كَادِبًا
 وَتَوَقَّ أَيِّمَانَ الْغُمُوسِ فَإِنَّهَا
 أَعْرِضُ عَنِ النَّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ
 فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا
 إِنْ كُنْتَ مُشَاقًّا لَهَا كَلِفًا بِهَا
 كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا أَسْتَطَعْتَ فَرِيًّا
 وَأَعْمَلْ لِحَنَاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا
 قُمْ فِي الدُّجَى وَأَتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنَمْ
 فَلَرَبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً
 يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
 لَا تُجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ
 فَإِذَا أُبْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَأَصْبِرْ لَهَا
 وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِهِ الْمُبِينِ شَرَعْنَا
 أَمْرًا أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ
 هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِيِّ وَوَافَقَ مَالِكُ
 وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرٍ لَيْلَةً

فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ
 فَاللَّهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي
 فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولَى النَّهْيِ زُهْدَانِ
 طَوْبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ
 وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ
 إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضَّيْفَانِ
 فَوَصَّاهُمُ خَيْرٌ مِنَ الْهَجْرَانِ
 وَتَحَرَّ فِي كَفَّارَةِ الْأَيْمَانِ
 تَدَعِ الدِّيَارَ بِلَاقِعِ الْحِيطَانِ
 لِعِنَاقِ خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ
 مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
 شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الْأَوْطَانِ
 تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ
 فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانِ
 إِلَّا . كَنُومَةٍ حَائِرٍ وَهَانِ
 فَتَسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأُكْفَانِ
 مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ
 إِنَّ الصَّبْرَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ
 اللَّهُ حَسْبِيَ وَخُدَّهُ وَكَفَانِي
 وَفَرَاثُ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا هَذْيَانِ
 وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عِلْمَانِ
 بِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلا كِثْمَانِ

فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَجِيبُهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أَجِيبُ مَنْ نَادَانِي
وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا نَاخَ قَمَرِيٍّ عَلَى الْأَغْصَانِ
وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ

« موعظة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنيانا ،
وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز
الكبر والتجبر هوانا وأخرجوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما
استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرُ كُلَّهُ رِدَاءً أَنْ تَطْوِي فِيهِمَا وَخَنُوطُ
آخِر : فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى خَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خَرَقِ
وغير نفحة أعوادٍ تشبُّ له وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ
يُحْمَلُونَ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَلَا يُسَمَّوْنَ رُكْبَانًا ، وَيَنْزَلُونَ بِطُونَ الْأَلْحَادِ وَلَا
يُسَمَّوْنَ ضَيْفَانًا ، مُتَقَارِبِينَ فِي الْقُبُورِ وَلَا يُسَمَّوْنَ جِيرَانًا .

أو ليس قد رأينا كيف يُنْقَلُونَ وَلَا كَفَانًا ، فَيَا مَنْ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ
الْقَلِيلُ وَلَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ الرَّحِيلُ ، كَأَنَّكَ بِطَرْفِكَ حِينَ الْمَوْتِ يَسِيلُ
وَالرُّوحُ تَنْزَعُ وَالْكَرْبُ ثَقِيلُ ، وَالنُّقْلَةُ قَدْ قَرَبَتْ وَأَيْنَ الْمَقِيلُ ، أَفِي الْجَنَّةِ
وَنَعِيمِهَا وَالسَّلْسَبِيلِ أَمْ فِي الْجَحِيمِ وَأَنْكَالِهَا وَأَغْلَالِهَا وَبِئْسَ الْمَقِيلُ .

يَا مَنْ تُعَدُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُهُ اسْتَدْرِكُهَا ، يَا مَنْ سَتَفُوتُهُ أَيَّامُهُ أَدْرِكُهَا ، إِنَّ
أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَيْكَ نَفْسُكَ فَلَا تَهْلِكُهَا كَمْ أَغْلَقْتَ بَابًا عَلَى قَبِيحٍ ، وَكَمْ

أَعْرَضْتُ عَنْ قَوْلِ الْمَخْلَصِ النَّصِيحِ ، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي عَمْرٍ قَدْ مَضَى
مَا رَزَقْتَ فِيهِ الْعَفْوَ وَلَا الرِّضَى .

إِنْقَضَتْ فِيهِ اللَّذَاتُ كَمَنْ قَضَى ، وَصَارَتْ الْحَسَرَاتُ مِنَ الشَّهَوَاتِ
عَوَضًا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى
مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ وَأَنْتُمْ مُسْتَبْصِرُونَ وَمَا هَذِهِ الرِّقْدَةُ وَأَنْتُمْ
مُسْتَيْقِظُونَ كَيْفَ نَسِيتُمْ الزَّادَ وَأَنْتُمْ رَاحِلُونَ ، أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَلَا
تَتَفَكَّرُونَ أَمَّا رَأَيْتُمْ كَيْفَ نَازَلَهُمُ الْمَنُونُ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ لَوْ حَضَرَتْ الْقُلُوبُ لَجَرَتْ مِنَ الْعَيُونِ عَيُونُ فَكَّانِكُمْ بِالْآلَامِ
قَدْ إِعْتَرَضَتْ ، وَبِالْأَجْسَامِ قَدْ إِنْقَضَتْ ، وَبِالْأَوْصَالِ قَدْ فَصَلَتْ ، فَرَحِمَ
اللَّهُ عَبْدًا أَعْتَقَ نَفْسَهُ مِنْ رِقِّ شَهَوَاتِهَا وَنَظَرَ لَهَا قَبْلَ مِمَاتِهَا وَأَخَذَ مِنْ جَدَّتِهِ
عَتَادًا لِفَقْرِهِ وَإِدْخَرَ مِنْ صِحَّتِهِ زَادَ لِقَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ زَمَنُ الْإِسْتِدْرَاكِ بِوُقُوعِ
الْهَلَاكِ .

فَكَّانِكُمْ بِالْمَوْتِ قَدْ حُلَّ الْعَرَاصُ ، وَأَنْشَبَ مَخَالِيْبُهُ فِي الْأَرْوَاحِ
لِلْإِقْتِنَاصِ ، وَأَيْنَ لَكُمْ الْفَلَاتُ فَلَا تَحِينُ مَنَاصِ ثُمَّ يَقُومُونَ لِلْحِسَابِ
وَالْجَزَاءِ وَالْقَصَاصِ .

وَإِذَا الْخَلَائِقُ قَدْ حَشَرَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ قَدْ نَشَرَتْ ، وَإِذَا جَهَنَّمُ

قد سيقّت ومرارة الندم قد ذيقّت ، فستنطق عليكم الجوارح وتنشر حين
القضاء الفضائح .

فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين ويا سوء
منقلب الظالمين ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن الله عافلاً عما
يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي
رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .
خَفِ اللهُ فِي ظَلَمِ الْوَرَى وَاحْذَرْنَهُ وَخَفْ يَوْمَ عَضِ الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : قال بعضُ السلف : ما سَبَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا
صَلَاةٍ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ .

وقال بعضهم : الذي كان في صدر أبي بكر رضي الله عنه المحبةُ لله
والنصيحةُ لعباده .

وقال طائفةٌ من العارفين ما بلغَ مَنْ بَلَغَ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَكِنْ
بَسَخَاوَةِ الْأَنْفُسِ وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ ، زَادَ بَعْضُهُمْ : وَبَذَمِ
نَفْسِهِمْ .

وقال آخرٌ إنما تَفَاوَتْوا بِالْأَرَادَاتِ وَلَمْ يَتَفَاوَتْوا بِكَثْرَةِ الصِّيَامِ
وَالصَّلَوَاتِ .

وَذَكَرَ لِأَبِي سُلَيْمَانَ : طُولَ أَعْمَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَشِدَّةَ إِجْتِهَادِهِمْ فِي
الْأَعْمَالِ ، وَأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ غَبَطَهُمْ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ مِنْكُمْ
صِدْقَ النِّيَّةِ فِيهِمَا عِنْدَهُ . أَوْ كَمَا قَالَ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه : أنتم أكثر صوماً وصلاةً من أصحاب محمد ﷺ ، وهم كانوا خيراً منكم ، قالوا : وبما ذاك ؟ قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة .

يُشير إلى الصحابة رضي الله عنهم فاقوا على من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدنيا وتحقيرها وتصغيرها .

وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ ، فإنه كان أشد الخلق فراغاً بقلبه من الدنيا وتعلقه بالله والدار الآخرة مع مُلابسته للخلق بظاهره ، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا .

وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده ، وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان في زمانهم من هو أكثر منهم صوماً اللهم أرزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات ووفقنا للعمل بالباقيات الصالحات واعصمنا يا مولانا عن المحرمات والمشتبهات واغفر لنا جميع الخطايا والزلات وافتح لدعائنا باب القبول والإجابات يا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَضْل)

وقال ابن رجب رحمه الله على « قوله ﷺ في حديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما فسددوا وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد ، وهو القصد والتوسط في العبادة فلا يُقصر فيها أمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه » .

قال النظر بن شميل : السداد القصد في الدين والسبيل ، وكذا

المقاربة ، المراد التوسط بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد أو متقارب ، وهو المراد بقوله في الرواية الأخرى : «عليكم هذياً قاصداً» .

قوله : وأبشروا يعني أن مَنْ مَشَى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فَلْيَبْشِرْ ، فانه يَصِلُ ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال فان طريقة الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها .

فمن سلكها فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في غيرها . وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، فمن سلك طريقة كان أقرب إلى الله من غيره .

وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصة لله صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها .

فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه أعلم ، وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح .

وإلى هذا المعنى الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ : « سَدُوا وقاربوا وإعلموا أنه لن يُدْخَلَ أحداً منكم عمله الجنة ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » .

فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إلى ذلك العلم بأحب الأعمال إلى الله ، وبأن العمل وحده لا يُدْخِل الجنة .

وصلاة ، ولكن لم يصل قلبه إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من إرتحاله عن الدنيا وتوطنها في الآخرة .

فأفضلُ الناسِ من سلك طريقَ النبي ﷺ وخواصِ أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية فإن سَفَرَ الآخرة يُقَطِّع بِسِيرِ القلوبِ لا بِسِيرِ الأبدان .

جاء رجلٌ إلى بعض العارفين فقال له : قَطَعْتُ إِلَيْكَ مَسَافَةً ، فقال له ليس هذا الأمرُ بقَطْعِ المسافاتِ ، فارق نَفْسَكَ بخطوةٍ وقد حَصَلَ لَكَ مَقْصُودُكَ . قال أبو يزيد : رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَبِّ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ ؟ قال : أَتَرِكَ نَفْسَكَ وَتَعَالَ .

ما أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ مَا أُعْطِيَتْ هَذَا الْأُمَّةُ بِبَرَكَةِ مُتَابَعَةِ نَبِيِّهَا ﷺ ، حيثُ كَانَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ ، وَهَدِيَهُ أَكْمَلُ الْهُدَى مَعَ مَا يَسِرُّ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ دِينِهِ ، وَوَضَعَ بِهِ الْأَصَارَ وَالْأَغْلَالَ عَنْ أَمْتِهِ ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَحْبَهُ اللَّهَ ، وَاهْتَدَى بِهَدْيِ اللَّهِ .

فَمَنْ جَمَلَةٌ مَا حَصَلَ لِأَمْتِهِ بِبَرَكَتِهِ وَتَيْسِيرِ شَرِيعَتِهِ أَنْ مَنْ صَلَّى مِنْهُمْ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَيَكْتُبُ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَلَا سِيَّما إِنْ نَامَ عَلَى طَهْرٍ وَذَكَرَ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ .

وَمَنْ صَامَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَقَدْ صَامَ الشَّهْرَ كُلَّهُ فَهُوَ صَائِمٌ لِبَقِيَةِ الشَّهْرِ فِي ضِيَاةِ اللَّهِ ، وَمُقْطِرٌ لَهُ فِي رُخْصَةِ وَالطَّاعِمِ الشَّاكِرِ لَهُ أَجْرُ الصَّائِمِ الصَّابِرِ . وَمَنْ نَوَى أَنْ يَقُومَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً .

وقال أبو الدرداء يا حبذا نومُ الأكياس وإفطارُهُم كَيْفَ يَسْبِقُونَ سَهَرِ الْحَمَقَى وَصِيَامَهُمْ . ولهذا جاء في الحديث الصحيح : « رَبُّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ ، وَصَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » رواه الطبراني وأحمدُ بنُ حنبلٍ .

وقال بعضهم : كم من مُسْتَغْفِرٍ مَمْقُوتٍ وساكِتٍ مَرْحُومٍ ، وهذا
إِسْتِغْفَرَ وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ ، وهذا ساكِتٌ وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ ، وقال بعضهم : ليس
الشَّأْنُ فِيمَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ ، إِنَّمَا الشَّأْنُ فِيمَنْ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ

اَللّٰهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْتَحُّ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اَللّٰهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ
وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ واجعلنا من عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اَللّٰهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعل رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ ،
وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، واغفر لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله :

قوله ﷺ : « اغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ » كقوله في الرواية
الأخرى : « إِسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ » ، يعني أن هذه
الأوقات الثلاثة تكون أوقات السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ بالطاعات ، وهي آخر الليل
وأول النهار وآخره .

وقد ذكر الله هذه الأوقات في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا - وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ . وقال : ﴿ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ ، وقال ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ - وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ .

وذكر الله تعالى الذكر في طَرَفَيَّ النهار في مواضع كثيرة من كتابه
كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾
وقال : وإستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك العشي والإبكار ﴾ ، وفي ذكر
زكريا عليه السلام ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . وقال ؛
﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وقال :
﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ .

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان وهما أول النهار وآخره يجتمع في كل
من هذين الوقتين عَمَلٌ واجبٌ هو تَطَوُّعٌ فأما العملُ الواجبُ فهو صَلَاةُ
الصُّبْحِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وهما أفضل الصلوات الخمس ، وهما البردَانِ
اللذان مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهِمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وقد قيل في كل منهما أنها الصلاةُ
الوسطى . .

وأما العملُ التطوعُ فهو ذِكْرُ اللَّهِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ
الشَّمْسُ ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس . وقد ورد في فضله نصوصٌ
كثيرةٌ ، وكذلك وردت النصوصُ الكثيرةُ في أذكارِ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ وفي
فضلِ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ حَيْثُ يَصْبِحُ وَحَيْثُ يُمَسِّي .

وقد روي من حديثِ إِبْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً : « إِبْنُ آدَمَ
إِذْ كُرِنِي سَاعَةً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَسَاعَةً مِنْ آخِرِهِ أَغْفِرُ لَكَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ إِلَّا
الْكَبَائِرَ أَوْ تُتُوبَ مِنْهَا » . وكان السلفُ لآخِرِ النَّهَارِ أَشَدَّ تَعْظِيماً مِنْ أَوَّلِهِ .

قال إِبْنُ الْمُبَارَكِ : بلغنا أنه مَنْ خَتَمَ نَهَارَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ كُتِبَ نَهَارُهُ كُلُّهُ
ذِكْرًا . وقال أَبُو الْجَلَدِ : بلغنا أن اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ مَسَاءً كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا يَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ .

ورأى بعضُ السلفِ أبا جعفرٍ القاري في المنامِ فقال له : قل لأبي حازم - يعني الأعرجَ الزاهدَ الكَيِّسَ : إن الله وملائكته يترأونَ مجلسَكَ بالعشياتِ . والظاهرُ أن أبا حازمٍ كان يَقْصُصُ على الناسِ آخرَ النهارِ .

وقد جاء في الحديث أن الذكرَ بعدَ الصبحِ أفضلُ من أربعِ رِقابٍ وبعدَ العصرِ أحبُّ من ثمانٍ . وأيضاً فيومُ الجمعةِ آخرُهُ أفضلُ من أولِهِ لما يُرجى في آخرِهِ من ساعةِ الاجابة .

ويومُ عرفةَ آخرُهُ أفضلُ من أولِهِ لأنه وَقْتُ الوقوفِ . وكذلك آخرُ الليلِ أفضلُ من أولِهِ ، وكذا قال السلفُ ، واستدلوا بحديثِ النزولِ الإلهي . وهذا كله مما يُرجحُ به قولُ مَنْ قال أن صلاةَ العصرِ هي الوُسْطَى .

وأما الوقتُ الثالثُ فهو الدلجةُ . والإدلاجُ سيرٌ آخرُ الليلِ ، والمرادُ ههنا العملُ في آخرِ الليلِ وهو وقتُ الاستغفارِ كما قال تعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحارِ ﴾ وقال : ﴿ وبالأسحارِ هم يستغفرون ﴾ .

وهو آخرُ أوقاتِ النزولِ الإلهي المتضمنِ لاستعراضِ حوائجِ السائلين ، وإستغفارِ المذنبين ، وتوبةِ التائبين ، وسطَ الليلِ للمحبين لِلْخُلُوةِ بحبيبهم ، وآخرُ الليلِ للمذنبين يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، مَنْ عَجَزَ عن مُشاركةِ المحبين في الجُري مَعَهُمْ في ذلك المضمارِ فلا أقلَّ من مُشاركةِ المذنبين في الاعتذارِ .

وَرَدَ في بعضِ الآثارِ : أن العرشَ يَهْتَزُّ من السحرِ . قال طاووسٌ ما كُنْتُ أَظُنُّ أن أحداً يَنَامُ في السحرِ .

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . سير الدُّجَّة آخر الليل يَقْطَع به سَفَر الدنيا والآخرة .

ولهذا الحديث الذي أخرجه مسلم : « إذا سافرتُم فعليكم بالدُّجَّة فإن الأرض تُطوى بالليل » وقد دَخَلَ الأُشتر على علي رضي الله عنه وهو يُصَلِّي فأنشد :

إصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ بِالسَّحَرِ	وفي الرِّواحِ على الطاعاتِ والبُكرِ
لا تُضْجِرَنَّ وَلَا يُعْجِزُكَ مَطْلِبُهَا	فألهم يُتَلَفُ بين اليأسِ والضَّجَرِ
إني رأيتُ وفي الأيامِ تَجْرِبَةً	لِلصَّبرِ عاقبةَ مُحْمُودَةِ الأثرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ تَطْلَبُهُ	واستصحبَ الصَّبرَ إلا فازَ بالظفرِ

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله :

وقوله ﷺ « وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا » حَثٌّ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالتَّوَسُّطِ فِيهَا بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ ، وَلِذَلِكَ كَرَّرَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . وفي مسند البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه : ما أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ ، وما أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى ، وما أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْعِبَادَةِ .

وكان المطرفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بهن الشَّخِيرِ قد إجتهدَ في الْعِبَادَةِ فقال له

أَبُوهُ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا ، الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، وَشَرُّ السَّيْرِ الْقَحْقَحَةُ
أَنْ يُلَحَّ فِي شِدَّةِ السَّيْرِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ رَاحِلَتُهُ وَتَعْطِبُ فَيَبْقَى مُنْقَطِعٌ بِهِ
سَفَرُهُ ، إِنْتَهَى .

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
مَرْفُوعاً : « إِنْ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلْ فِيهِ بِرْفَقٍ وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ
اللَّهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا سَفَرًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى فاعْمَلْ عَمَلَ إِمْرِيٍّ يَظُنُّ
أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ إِلَّا هَرَمًا وَإِحْذَرْ حَذَرَ إِمْرِيٍّ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا » أَخْرَجَهُ
حَمِيدُ بْنُ زَنْجَوِيَّةٍ وَغَيْرُهُ .

وَفِي تَكْرِيرِ أَمْرِهِ بِالْقَصْدِ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَدَاوِمَةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ شِدَّةَ السَّيْرِ
وَالاجْتِهَادَ مَظَنَّةَ السَّامَةِ وَالانْقِطَاعَ ، وَالْقَصْدُ أَقْرَبُ إِلَى الدَّوَامِ ، وَهَذَا
جَعَلَ عَاقِبَةَ الْقَصْدِ الْبُلُوغَ . قَالَ أَدَلَجَ : بَلَغَ الْمَنْزَلَ .

فَالْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا يَسِيرُ إِلَى رَبِّهِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا
أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِعْبُدْ
رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ، قَالَ الْحَسَنُ : يَا قَوْمُ : الْمَدَاوِمَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجْلاً دُونَ الْمَوْتِ ثُمَّ تَلَى هَذِهِ الْآيَةَ .

وَقَالَ أَيْضاً : نُفُوسُكُمْ مَطَايَاكُمْ فَأَصْلَحُوا مَطَايَاكُمْ تُبَلِّغْكُمْ إِلَى
رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِصْلَاحُ الْمَطَايَا ، الرِّفْقُ بِهَا وَتَعَاهُدهَا بِمَا يَصْلَحُهَا مِنْ
قُوَّتِهَا وَالرِّفْقُ بِهَا فِي سَيْرِهَا ، فَإِذَا أَحَسَّ بِهَا بِتَوَقُّفٍ فِي السَّيْرِ تَعَاهُدهَا تَارَةً
بِالتَّشْوِيقِ وَتَارَةً بِالتَّخْوِيفِ حَتَّى تَسِيرَ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : الرَّجَاءُ قَائِدٌ وَالْخَوْفُ سَائِقٌ ، وَالنَّفْسُ بَيْنَهُمَا ،
كَالدَّابَّةِ الْحَرُونِ ، فَمَتَى فَتَرَ قَائِدَهَا وَقَصَّرَ سَائِقَهَا وَقَفَّتْ فَتَحْتَاجُ إِلَى الرِّفْقِ
بِهَا وَالْحُدُوِّ لَهَا حَتَّى يَطِيبَ لَهَا السَّيْرَ .

قال خُلَيْدُ الْعَصْرِيُّ : إِنْ كُلَّ حَبِيبٍ يُحِبُّ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ فَأَحْبَبُ رَبِّكُمْ وَسِيرُوا إِلَيْهِ مَسِيرًا جَمِيلًا لَا مُضْعِدًا وَلَا مُمِيلًا ، فغَايَةُ السَّيْرِ يُوصِلُ الْمُؤْمِنَ إِلَى رَبِّهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَى رَبِّهِ لَمْ يَسْلُكْ إِلَيْهِ فِيهِ ، فَهُوَ وَالْبَهِيمَةُ سَوَاءٌ .

قال ذُو النُّونِ : السَّفَلَةُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ وَلَا يَتَعَرَّفُهُ .
وَالطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ هُوَ سُلُوكُ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ وَأَمَرَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ بِسُلُوكِهِ وَالسَّيْرِ فِيهِ .

قال ابنُ مُسْعُودٍ رضي الله عنه : الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، تَرَكْنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَدْنَاهُ وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌ وَثَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ ، فَمَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ خَرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ .

فَالطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَبَقِيَّةُ السَّبِيلِ كُلُّهَا سُبُلُ الشَّيْطَانِ ، مَنْ سَلَكَهَا قَطَعَتْ بِهِ عَنْ اللَّهِ ، وَأَوْصَلَتْهُ دَارَ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، فَرُبَّمَا سَلَكَ الْإِنْسَانُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ثُمَّ يَنْحَرِفُ عَنْهُ آخِرَ عُمُرِهِ فَيَسْلُكُ بَعْضَ سُبُلِ الشَّيْطَانِ فَيَقْطَعُ عَنْ اللَّهِ فَيَهْلِكُ .

« إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ بَاعٌ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ » وَرُبَّمَا سَلَكَ بِالرَّجُلِ أَوَّلًا بَعْضَ سُبُلِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ تَدْرَكَهُ السَّعَادَةُ فَيَسْلُكُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ فَيَصِلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ .

والشأن كُلَّ الشأنِ في الاستقامةِ على الصراطِ المستقيمِ من أولِ السيرِ إلى الله ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ . ما أكثرَ مَنْ يَرْجِعُ أثناءَ الطريقِ وَيَنْقَطِعُ ، فإن القلوبَ بينَ إصبعين من أصابعِ الرحمنِ ﴿ يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ .

خَلِيلٌ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ إِلَى الْحِمَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ قَلِيلٌ

وفي الحديث الصحيح الإلهي (القدسي) يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ﴾ .

وفي المسند زيادة « والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل » وفيه أيضاً : يقول الله : ﴿ إِبْنُ آدَمَ قُمْ إِلَيَّ وَامْشِ إِلَيَّ أَهْرُولُ إِلَيْكَ ﴾ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِمَعَايَاكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله :

الوصولُ إلى الله نوعان : أَحَدُهُمَا في الدنيا ، والثاني في الآخِرَةِ . فأما الوصولُ الدنيويُّ فالمرادُ به : أن القلوبَ تصلُ إلى مَعْرِفَتِهِ ، فإذا عَرَفْتَهُ أَحَبَبْتَهُ ، وَأَنْسَتَ بِهِ ، فَوَجَدْتَهُ مِنْهَا قَرِيبًا ، وَلِدَعَائِهَا مُجِيبًا ، كَمَا فِي بَعْضِ الْأَثَارِ : « إِبْنُ آدَمَ أَطْلَبَنِي تَجِدُنِي فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنْ فَتُكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ » .

« الصراطُ المستقيمُ في الدنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ : درجةُ الإسلامِ ، ودرجةُ الايمانِ ، ودرجةُ الإحسانِ . فمن سَلَكَ دَرَجَةَ الإسلامِ إلى أن يَمُوتَ عليها مَنَعَتْهُ مِنَ الخلودِ في النارِ ، ولم يَكُنْ له بُدٌّ مِنْ دُخُولِ الجنةِ ، وإن أَصابَهُ قَبْلَ ذلكَ ما أَصابَهُ .

وَمَنْ سَلَكَ على دَرَجَةِ الايمانِ إلى أن يموتَ عليها مَنَعَتْهُ مِنْ دُخُولِ النارِ بالكليةِ فإن الايمانَ يُطْفِئُ لَهَبَ نارِ جهنمِ حتى تقولَ : يا مُؤْمِنُ جُزْ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي .

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « لا يَبْقَى بَرٌّ ولا فَاجِرٌ إلا دَخَلَهَا فتكونُ على المؤمنِ بَرْدًا وسَلَامًا كما كانتُ على إبراهيمَ ، حتى إن لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ ، هذا مِيرَاثُ وَرَثَةِ المحبونه مِنْ حَالِ أَبِيهِمْ إبراهيمَ عليه السلام » .

وَمَنْ سَلَكَ على درجةِ إحسانٍ إلى أن يموتَ عليها وَصَلَ بَعْدَ الموتِ إلى الله : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ . وفي الحديث الصحيح : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ نادى مُنادٍ يا أَهْلَ الجنةِ إن لكم عندَ الله مَوْعِدًا يُريدُ أن يُنْجِزَكُمُوهُ .

فيقولون ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أَحَبَّ إليهم ، ولا أَقَرَّ لأعينهم من النظرِ إليه ، وهو الزيادةُ ، ثم تلا : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

كُلُّ أَهْلِ الجنةِ يَشْتَرِكُونَ في الرؤايةِ ولكن يَتَفَاوَتُونَ في القُرْبِ في حالِ الرؤيةِ . عُمُومُ أَهْلِ الجنةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يومَ المَزيدِ وهو يومُ الجمعةِ ، وخواصُّهم يَنْظُرُونَ إلى وجهِ الله في كُلِّ يومٍ مَرَّتَيْنِ بكرةً وَعَشِيًّا . العارفون لا يُسَلِّيهِمْ عن محبوبيهم قَصْرٌ ولا يُروِيهِمْ دونه نهرٌ .

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يُنْكِرُهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعَدُّ رِضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسَ تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
وَهِيَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذُو الْإِيمَانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ تَتَابَعُوا هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةُ الْإِحْسَانِ

اللهم أَمْنُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ غُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ
اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتَمَادُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « أن أدنى أهل الجنة
مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِي مَلِكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ ، يَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ
وَخَدَمِهِ ، وَأَنْ أَفْضَلُهُمْ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ
مَرَّتَيْنِ » وخرجه الترمذي ، ولفظه « إن أدنى أهل الجنة مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى
أَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُّرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ » .

وأكرمهم على الله من ينظر إلى وَجْهِهِ غُدُوَّةً وَعَشِيًّا ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : ﴿ وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ - إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ولهذا المعنى قال رسول الله
ﷺ في الحديث الصحيح ، حديث جرير بن عبد الله البجلي « إنكم سترون
رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » قال :
« فَاِنْ إِسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ

غُروبها فافعلوا » . ثم قرأ ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ .

ولما كان هذان الوقتان في الجنة وقتان للرؤية في خواص أهل الجنة ، خصَّ ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فمن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلاهما على أكمل وجوههما وخشوعيهما وحضورهما وأدبهما فإنه يرجى له أن يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين في الجنة ، لا سيما إن حافظ بعدهما على الذكر وأنواع العبادات حتى تطلع الشمس أو تغرب .

فإن وصل العبد ذلك بدجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الأوقات الثلاثة وهي : الدجة ، والغدوة ، والروحة ، فيوشك أن يعقبه الصديق في هذا السير الوصول الأعظم إلى ما يطلبه في مقعد صدق عند ملك مقتدر .

من لزم الصديق في طلبه أداه الصديق إلى مقعد الصديق . ﴿ وبشر الذين آمنوا إن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ .

المحب لا يقطع السؤال عما يحب ويتحسس الأخبار وينسم الرياح ويستدل بآثار السلوك على الطريق إلى محبوه .

لقد كبرت همّة الله مطلقها وشرفت نفس الله محبها ﴿ ولا تطرد الذين يدعون بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ .

ما للمحب سوى إرادة حبه إن المحب بكل بر يصرع قيمة كل امرئ ما يطلب ، فمن كان يطلب الله فلا قيمة له من طلب الله فهو أجل من أن يقوم . ومن طلب غيره فهو أخس من أن يكون له قيمة .

قال الشبلي : مَنْ ركن إلى الدنيا أحرقتْهُ بنارها فصارَ رماداً تَذْرُوهُ
الرياحُ ، وَمَنْ ركن إلى الآخرة أحرقتْهُ بنورها فصارَ سبيكة ذهبٍ ينتفعُ به ،
وَمَنْ ركن إلى الله أحرقتْهُ نورُ التوحيد فصارَ جوهرًا لا قيمة له .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا ما وَهَبْتَهُ لأَوْلِيائِكَ وَتَوَقَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ
الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مُولَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ)

في قوله تعالى : ﴿ وَيَدَاهُ لَمَمٌ ﴾ ما لم يكونوا يحتسبون ﴿ هذه الآية
كانت تَشْتَدُّ على الخائفين مِنَ العارفين ، فانها تَقْتَضِي أن من العباد مَنْ يَبْدُو
له عندَ لقاء الله ما لم يكن يحتسب ، مثل أن يكون غافلاً عما بين يديه
مُعْرِضاً غير مُلْتَفِتٍ إليه ولا يَحْتَسِبُ له ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : لو
أن لي مُلْكَ الأرض لافتديتُ به مِنْ هَوْلِ المَطْلَعِ .

وفي الحديث : « لا تَمْنُوا الموتَ فَإِنَّ هَوْلَ المَطْلَعِ شَدِيدٌ ، وَإِنْ مِنْ
سَعَادَةِ المَرءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللهُ الْإِنَابَةَ » .

وقال بعضُ حكماء السلف : كم مَوْقِفٍ خِزْيٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لم يَخْطُرْ
على بالك قط . ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا
فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

وإشتملَ على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجوها الخيرُ
فتصيرُ هَبَاءً مَنْثوراً وتبدلُ سيئات . وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ

كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴿١٠﴾ .

وقال : ﴿١١﴾ وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴿١٢﴾ .
وقال الفضيل في هذه الآية : ﴿١٣﴾ وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿١٤﴾ قال : عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات .
وقريب من هذا أن يعمل الإنسان ذنباً يحتقره ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه . كما قال تعالى : ﴿١٥﴾ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴿١٦﴾ .

وقال بعض الصحابة إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر ، كنا نعهد لها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، وأصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسناً . قال تعالى ﴿١٧﴾ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً - الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿١٨﴾ .

قال ابن عيينة لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع فدعوا له أبا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر : إن الله يقول : ﴿١٩﴾ وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿٢٠﴾ فأخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب . فجعلنا يبكيان جميعاً . خرج به ابن أبي حاتم . وزاد ابن أبي الدنيا . فقال له أهله : دعوناك لتخفف عليه فزدته فأخبرهم بما قال .

وقال الفضيل بن عياض أخبرت عن سليمان التيمي أنه قيل له : أنت أنت ومن مثلك ؟ فقال مه لا تقولوا هذا لا أدري ما يبدو لي من الله . سمعت الله يقول : ﴿٢١﴾ وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿٢٢﴾ .

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية : وَيْلٌ لِلْأَهْلِ الرِّياءِ مِنْ

هذه الآية ، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار ،
العالم والمتصدق والمجاهد . وكذلك من عمل أعمالاً صالحة وكانت عليه
مظالم فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحاسب ، فيقتسم
الغرماء أعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح
في النار .

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكر النعم فتقوم أصغر النعم
فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقية فيطالب بشكرها فيعذب . ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام : « من نوقش الحساب عذب أو هلك » . وقد
يكون له سيئات تحبط بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل
النار .

وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان مرفوعاً : « إن من أمتي من
يحيى بأعمال أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً » وفيه : « وهم قوم
من جلدتكم ويتكلمون بالسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون من
الليل ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » .

وخرج يعقوب بن أبي شعبة وإبن أبي الدنيا في حديث سالم مولى أبي
حذيفة مرفوعاً : « ليجاء يوم القيامة بأقوام معهم من الحسنات مثل جبال
تهامة ، حتى إذا جرى بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم أكبهم في النار » .

قال سالم خشيت أن أكون منهم . فقال أما أنهم كانوا يصومون
ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل ، لعلهم كانوا إذا عرض لهم شيء سرا
حراماً أخذوه فأدحض الله أعمالهم . وقد يحبط العمل بآفة من رياء خفي
أو عجب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه .

قال ضيغم العابد : إن لم تأت الآخرة بالسرور لقد اجتمع عليه

الأمران هم الدنيا وشقاء الآخرة . فقل له : كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب ؟ قال : كيف بالقبول ، كيف بالسلامة .

ثم قال : كم من رجل يرى أنه قد أصلح عمله يُجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه ، ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

وقال ابن عون : لا تثق بكثرة العمل ، فانك لا تدري يُقبل منك أم لا ، ولا تأمن ذنوبك فانك لا تدري هل كفرت عنك أم لا ؟ لان عملك عنك مُغيب كله لا تدري ما الذي صانع به . وبكى النخعي عند الموت وقال : أنتظر رسول ربي ما أدري أيبشرني بالجنة أو النار ؟

وجزع غيره عند الموت ، قيل له تجزع ؟ قال : إنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي ؟ وجزع بعض الصحابة عند موته ، فسئل عن حاله فقال : إن الله قبض خلقه قبضتين ، قبضة للجنة وقبضة للنار ولست أدري في أي القبضتين أنا ؟

ومن تأمل هذا حق التأمل أوجب له القلق فإن ابن آدم مُتَعَرِّضٌ لأهوال عظيمة من ذلك ، الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول النار ويخشى على نفسه الخلود فيها بأن يسلب إيمانه عند الموت ، ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الأمور ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ . فتحقق هذا ، يمنع ابن آدم القرار .

إذا افكر اللبيب رأى أموراً ترد الضاحكات إلى الوجوم

رأى بعضهم قائلًا يقول له :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدبر في أي المحلين تنزل ؟

وسئل بعض الموتى وكان مجتهداً عن حاله ؟ فأنشد يقول :

وليس يعلم ما في القبر داخله إلا الإله وساكن الأجداث

وقال غيره :

أما والله لو علم الأنام	لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا لما لو أبصرته	عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مات ثم قبر ثم حشر	وتويخ وأهوال عظام

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ
وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ جَمِيعِ الْمَوْبِقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي فَسِيحِ الْجَنَّاتِ وَأَرْزُقْنَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا حَكِيمُ يَا
عَلِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . . .

(فَصَلُّ فِي الرِّيَاءِ)

اعْلَمْ عَصْمَنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْقُلُوبَ تُمَرِّضُ كَمَا
تُمَرِّضُ الْأَبْدَانُ بَلْ مَرَضُهَا أَشَدُّ وَمِنْ أَمْرَاضِهَا الرِّيَاءُ وَهُوَ مِنْ أخطرِ أَمْرَاضِ
الْقُلُوبِ وَمِنْ الْأَوْبَاءِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الضَّارَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ دَائِمٍ وَيَقْطَعُ
مُسْتَمِرَّةً وَهُوَ مَا خُوذُ مِنَ الرُّؤْيَا لِأَنَّ الْمَرَائِي يُرَى النَّاسَ فَعَلَهُ لِلْخَيْرِ لِيُشْنُوا عَلَيْهِ
وَيَحْمَدُوهُ وَيَأْمَنُوهُ فَيَسْتَوِلِي بِذَلِكَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَكُونُ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ يَصِلُ بِهِ

إِلَى لَذَّتِهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَهَذَا الرِّيَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ رَجُلٍ قَصَرَ نَظْرُهُ وَرَقَّ دِينُهُ فَإِنْ هَذَا هُوَ الَّذِي يَتَصَوَّرُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْهُ يُصَلِّي كَثِيرًا أَوْ رَوْهُ يُطِيلُ الصَّلَاةَ أَوْ يَصُومُ النَوَافِلَ أَوْ يَحُجُّ أَوْ يَتَصَدَّقُ أَوْ يَفْعَلُ أَيَّ فَعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ وَيُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةً خَاصَّةً تَتْرُكُهُ فِي دُنْيَاهُ فِي سُرُورٍ .

وَأَمَّا الْعَاقِلُ بَعِيدُ النَّظَرِ صَادِقُ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا لَا يَشُوبُهُ الظَّنُّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ دُنْيَاً وَآخَرَى لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَدْفَعَ أَجَلًا أَوْ يُكْثِرَ رِزْقًا أَوْ يُجِيرَ مِنْ نَائِبَةٍ تَنْزِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ ﷺ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ بِهَذَا الضَّعْفِ فَلَا يَلْتَفِتُ لِمُرَاتِبِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ سَخِيفَ الْعَقْلِ وَضَعِيفَ الدِّينِ عَلَى أَنْ رِيَاءَ الْمُرَائِي لَا يَخْفِي حَتَّى عَلَى الْخَلْقِ غَالِبًا فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ لَا تَشْتَبِهُ بِأَعْمَالِ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ قَدْ اسْتَوَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ عَلَى السَّوَاءِ .

قَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِلْمُرَائِي ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ أُولَى أَنَّهُ يَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ وَيَنْشَطُ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ وَيَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَنْقُصُ إِذَا ذُمَّ وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتُ وَأَحَادِيثُ وَأَثَارُ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّيَاءِ وَأَنَّهُ مَمْقُوتٌ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ الْآيَةُ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ .

قَالَ مُجَاهِدُهُمْ أَهْلُ الرِّيَاءِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴿ نَزَلَ ذَلِكَ فِيمَنْ يَطْلُبُ الْأَجْرَ
وَالْحَمْدَ بِعِبَادَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وأما الأحاديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ هُوَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن حبان .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلتُ يا رسولَ الله ﷺ أخبرني عن الجهاد والغزو فقال يا عبدَ الله بنَ عمرو إن قاتلتَ صابراً مُحْتَسِباً بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِراً مُحْتَسِباً وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِياً مُكَاثِراً بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِياً مُكَاثِراً يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ رواه أبو داود .

وعن أبي بن كعب قال قال رسولُ الله ﷺ بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّانَا وَالرَّفْعَةِ وَالِدِّينِ وَالتَّمَكُّينِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ

يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ
وَالْبَيْهَقِيُّ ، إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورَ خَمْسَةٍ ١ - مُرَاءٍ وَهُوَ الْعَابِدُ
الَّذِي يُظْهِرُ خِصَالَ الْخَيْرِ ٢ - وَمُرَاءَى وَهُمْ الْخَلْقُ الَّذِينَ يُظْهِرُ الْمُرَائِي لَهُمْ
أَعْمَالُهُ ٣ - وَمُرَاءٌ لِأَجْلِهِ وَهُوَ الْجَاهُ وَالْمَالُ وَالسُّلْطَانُ وَحُبُّ الْحَمْدِ وَكَرَاهَةُ
الدَّمِ وَرِيَاءٍ وَهُوَ قَصْدُ إِظْهَارِ الْعِبَادَةِ لِذَلِكَ الْغَرَضِ ، وَالْمُرَاؤُونَ بِالْعِبَادَاتِ
أَقْسَامٌ ، الْقِسْمُ الْأَوَّلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلنَّاسِ
أَنَّهُمْ مُؤَخِّدُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ
خِلَافَ ذَلِكَ أَوْ يُظْهِرُونَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ وَيُظْهِرُونَ
لِلنَّاسِ أَنَّهُ يُؤْمِنُونَ بِالْمَلَائِكَةِ وَيُصَدِّقُونَ بِوُجُودِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ
مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ وَلَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ
كُفْرٌ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَصَاحِبِهِ إِنْ لَمْ
يَتَّبَ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ فَهَذَا لِلْمُرَائِي الشَّرِيرِ الذَّلِيلِ اللِّسَانِ
الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ رَاقَ كَلَامُهُ لِلْسَّامِعِ وَظَنَهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ نَافِعٍ وَيُؤَكِّدُ هَذَا
الْمُرَائِي مَا يَقُولُ بِأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا نَطَقَ بِهِ مُوَافِقٌ وَمُطَابِقٌ لِمَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ .

وَمَا أَكْثَرَ أَشْبَاهِ هَؤُلَاءِ فِي زَمَانِنَا مِنْ مُنْكَرِي الْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْبَعْثِ مِمَّنْ
نَجِدُهُمْ يَجْبِنُونَ عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْإِيمَانِ عِنْدَ لِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

وَيَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِهِمْ لِيَتَّقُوا الْأَذَى وَلِيَتَّخِذُوا هَذَا السَّتَارَ وَسِيلَةً لِلْأَذَى وَإِذَا
انْفَرَدُوا مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ صَرَّحُوا بِمُعْتَقَدَاتِ قُلُوبِهِمْ وَتَفَكَّهُوا
بِأَكْلِ لَحُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَطَعَنُوا فِي الدِّينِ وَحَمَلْتِهِ وَصَرَّحُوا بِانْكَارِ الْجِنِّ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهَؤُلَاءِ كَفَرَةٌ مُنَافِقُونَ وَالرِّيَاءُ فِي الْعَقِيدَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ أَكْبَرِ
دَرَجَاتِ الرِّيَاءِ وَأَشَدَّهَا أَثَرًا وَضَرَرًا .

القِسْمُ الثَّانِي : الْمُرَاوُنَ فِي الْفَرَائِضِ وَالْأَرْكَانِ الشَّرْعِيَّةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يَفْعَلُونَ أَرْكَانَ الدِّينِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ أَمَامَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ
غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي ذَكَرْتُ آنِفًا فَإِذَا خَلَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ لَمْ يَعْمَلْ
شَيْئًا فَلَوْلَا الْغَرَضُ الَّذِي يُرِيدُ تَحْقِيقَهُ مَا صَامَ وَلَا صَلَّى وَلَا حَجَّ وَلَا زَكَّى فَهَذَا
الْعَمَلُ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُحُفٍ مُخْتَمَةٍ
فَيَقُولُ اللَّهُ أَلْقُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبُّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا
فَيَقُولُ إِنْ عَمَلُهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ
وَجْهِي .

صَاحِ اسْتَمِعْ نُصْحًا أَتَاكَ مُفْصَلًا
كَتَفَصَّلَ الْعِيقَانِ فَوْقَ لُثَالِي
بَادِرْ بَقَايَا عُمْرِكَ الْفَانِي فَلَا
تَصْرِفْهُ إِلَّا فِي الرِّضَى الْمُتَوَالِي
وَاشْغَلْ فُوَادَكَ دَائِبًا مُتَفَكِّرًا
فِيمَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِ الْإِجْلَالِ
وَاخْلِصْ عِبَادَتَكَ الَّتِي بَاشَرْتَهَا
فِي الْقَوْلِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

واشغُلْ بِذِكْرِ اللَّهِ قَلْبَكَ لِأَهْجَاءِ
 بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا بِلاَ إِمْلَالٍ
 واجْعَلْ مَمَاتَكَ نَصَبَ عَيْنِكَ إِنَّهُ
 أَوْلَى الْأُمُورِ وَأَنْصَحُ الْأَحْوَالِ
 واعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ذَاكَ مُحَاسَبٌ
 فاضْبُطْهُ لَا تَكُ فِيهِ ذَا إِهْمَالٍ
 واعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ صَائِرٌ
 إما إِلَى بُؤْسٍ أَوْ إِلَى إِفْضَالٍ
 وَاذْأَبْ عَلَى حِفْظِ الشَّرِيعَةِ سَالِكاً
 سُبُلَ الْهُدَى لَا قَالِيّاً أَوْ غَالِي
 وَاِبْدَأْ بِحِفْظِ الْقَلْبِ عَنْ شُبُهَاتِهِ
 واعْرِفْ مَسَاوِيَهَا عَلَى الْإِجْمَالِ
 ثُمَّ اسْقِهِ مَاءَ الْحَيَاةِ بِوَاعِظٍ
 مِنْ مُحَكِّمِ التَّنْزِيلِ فِي إِجْلَالٍ
 وَاَحْرِسْ فَرَاغَكَ بِالتَّذَكُّرِ إِنَّهُ
 عُمُرٌ إِذَا مَا ضَاعَ مِنْكَ لَغَالِي
 وَاَحْفَظْ جَوَارِحَكَ الَّتِي أُوتِيَتْهَا
 عَنْ كُلِّ مَا يَقْضِي بِكُلِّ نَكَالٍ
 واعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ سَبْهَلاً
 فَاعْبُدْ إِلَهَ الْعَرْشِ بِالْإِقْبَالِ
 واجْعَلْ سِلَاحَكَ دَعْوَةً بِإِنَابَةٍ
 وَالْجَأُ إِلَى مَوْلَاكَ غَيْرَ مُبَالِي

واسأله لا تسأم فإنك عبده
 فهو الكريم ورب كل نوال
 يا رب فاقطع عن فؤادي كل ما
 أرجوه إلا منك من آمال
 واغسله من درن الذنوب فإنه
 مريض القلوب وموجب الاعلال
 وأرحه من مريض الرياء فإنه
 أصل الفساد وأفسد الأشغال
 وأختم لنا بالخير عاجله الذي
 تبذو خلاوة ذوقه بمال
 واجعل صلاتك دائماً ترى على
 كنز المعالي السيد المفضل
 وكذا على آل له وصحابة
 أهل العلا والعز والإجلال

« فصل »

وأقبح أنواع الرياء ما فعل للحصول على لذة مُحَرَّمَةٍ كأن يحتال على
 الفسق بامرأة أو يستعين به على سلب مال ظلماً وعدواناً أو يتوسل به إلى إيذاء
 بريء في عرضه أو ماله أو دينه وصاحب هذا العمل معرض نفسه للمجازات
 على عمله أشد الجزاء والعقاب عليه أسوأ العقاب في يوم يؤخذ فيه
 المجرمون بالنواصي إن لم يتب من عمله ذلك توبة نصوحاً .

ومن أنواع الرياء الرياء بالفرائض الدينية للحصول على لذة مباحة

كَأَن يَحْتَالَ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ عَلَى الْحُصُولِ هَلَى مَالٍ بِطَرِيقِ الْهَبَةِ وَنَحْوِهَا وَلَوْلَا هَذَا الْغَرَضُ مَا قَامَ بِأَدَائِهَا وَهَذَا شِرْكٌ بِاللَّهِ بَلْ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَادَةٌ لِلشَّهْوَةِ لَا لِلَّهِ وَلَوْ كَانَ عِنْدَ صَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ لَخَجَلَ مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ وَسِيلَةً لِاِقْتِنَاصِ الْمَلَاذِ وَالْحُصُولِ عَلَى الشَّهَوَاتِ .

القسم الثالث : الْمُرَاوُونَ بِالنَّوَافِلِ الَّتِي يُؤَدُّونَهَا فِي حَضْرَةِ النَّاسِ وَيَتْرَكُونَهَا إِذَا خَلَوْا أَوْ يُجِيدُونَ الْفَرَائِضَ وَيُطِيلُونَهَا فِي حَضْرَةِ النَّاسِ وَإِذَا انْفَرَدُوا خَفَّفُوا وَهَذَا أَيْضًا قَبِيحٌ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ وَوَجْهُ قُبْحِهِ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لَهُ لَا يَشُوبُهَا رِيَاءٌ أَبَدًا فَمَنْ يُؤَدِّيَهَا لِغَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ فَقَدْ أَشْرَكَ فِيهَا مَعَ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْبٌ مَمْقُوتٌ يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ وَالْعِقَابَ إِنْ لَمْ يَتُبْ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَجَعَلَهَا وَسِيلَةً لِلْحُصُولِ عَلَى الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ مَعَ أَنَّ النَّوَافِلَ مَثَلًا لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا لِلْحُصُولِ عَلَى الثَّوَابِ الْكَثِيرِ وَالدرجاتِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَلَبَتْ عَلَى الْمُرَائِي بِهَا شَرًّا وَوَبَالًا بِفِعْلِهَا رِيَاءً وَأَصْبَحَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا عِقَابًا وَذَلِكَ فَسَادٌ وَخَلَلٌ عَظِيمٌ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يُرَائِي يَتَطَاهَرُ بِالصَّلَاحِ وَيَتَبَاعَدُ عَنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ وَنَفْسُهُ فَاجِرَةٌ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَاسْتَحْلَالِهَا بِأَدْنَى الْوَسَائِلِ وَعِنْدَ مُعَامَلَتِهِ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ أَوْ اسْتِئْجَارٍ يَظْهَرُ مَخْبَرُهُ عَكْسَ مَنْظَرِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَوْمٌ هُمُومُوا شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وَأُخْبِتُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

هُمْ فِي الظُّوَاهِرِ زُهَادٌ أَوْلُوا وَرَعَ

وَفِي الْبَوَاطِنِ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ

يَحْرَمُونَ الَّذِي حَلَّ إِلَهُ لَهُمْ
وَيَسْتَيْحُونَ أَمْوَالُ الْمَسَاكِينِ
يَا بَشَرُ مَا فَعَلُوا يَا بَشَرُ مَا تَرَكُوا
وَهُمْ يُعَدُّونَ فِينَا بِالْمَلَأَيْنِ
ويقول الآخر في المرائين بأعمالهم :

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى الدِّينَارِ دَارُوا
وَلَهُ صَلَّوْا وَصَامُوا وَلَهُ حَجَّوْا وَارُوا
لَوْ يُرَى فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رِيشَ لَطَارُوا

قال ابن رجب رحمه الله واعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون
رياءً محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كُسَالَى يُرَاؤْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة
والصيام وقد يصدر في الصدقة أو الحج الواجب أو غيرهما من الأعمال
الظاهرة أو التي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك
مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة وتارة يكون
العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على
بطلانيه أيضاً وحبوطه .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال
يقول الله تبارك وتعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي
فيه غيри تركته وشركه أخرجه ابن ماجه ولفظه فأنا منه بريء وهو للذي
أشرك .

وخرَجَ الإمام أحمد عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئاً فَإِنْ جِدَّةَ عَمَلِهِ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ وَخَرَجَ الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد ابن أبي فضالة وكان من الصحابة قال قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَا مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمَلُهُ لِلَّهِ فَيَطْلُبُ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ انْتَهَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(فصل)

القسم الرابع : مِنَ الْمُرَائِينَ الْمُتَحَدِّثُونَ بِأَعْمَالِهِمْ بَعْدَ تَمَامِهَا كَانَ يَقُولُ الْوَاحِدُ صَلَّيْتُ كَذَا وَصُمْتُ كَذَا وَحَجَجْتُ كَذَا مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ لَا يُحِيطُ الْعَمَلُ الَّذِي تَمَّ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ إِلَّا أَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَى مَقْصِدِهِ مِنَ التَّحَدُّثِ بِذَلِكَ فَإِنْ كَانَ فَسَاداً كَانَ مُحَرِّماً وَإِنْ كَانَ فِرَاراً مِنْ ذَمِّ النَّاسِ وَرَغْبَةً فِي مَدْحِهِمْ بِذَوْنٍ أَنْ يَقْصِدَ مِنْهَا الْوُصُولَ إِلَى غَرَضٍ غَيْرِ ذَلِكَ كَانَ مَلُوماً مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَّهُ قَصَدَ رِيَاءَ النَّاسِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ .

القسم الخامس : الْمُرَاؤُونَ بِالْهَيْئَةِ وَالزِّي فَتَرَى الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَكَلَّفُ الْعَمَلَ عَلَى نُحُولِ بَدَنِهِ وَاصْفِرَارِ وَجْهِهِ كَيْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ الْعَابِدِ الَّذِي أَضْنَاهُ وَأَنْهَكَهُ السَّهَرُ وَانْحَلَّ جِسْمُهُ الصَّوْمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَكَلَّفُ خَفْضَ صَوْتِهِ أَوْ يَلْبَسُ ثَوْباً يَخْتَلِفُ عَنْ أَثْوَابِ أَهْلِهِ وَبَنِي جَنْسِهِ لِيَلْفِتَ أَنْظَارَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الرِّيَاءِ سَخِيفٌ جِدّاً لَا يَتَأَثَّرُ بِهِ إِلَّا ضِعَافُ الْعُقُولِ صِغَارُ النُّفُوسِ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحْذَرُوا مِنْهُمْ وَيَمُقَّتُوهُمْ وَلَا يُبَالُوا بِهِمْ وَلَا بِحِيلِهِمْ وَأَزْيَائِهِمْ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ عَلَيْهَا مَدَارُ عَظِيمٍ مَدَارُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَتَحَدَّثُ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ أَوْ يُظْهِرُهُ لِيَكُونَ قُدْوَةً صَالِحَةً لَهُمْ وَمِثَالًا حَسَنًا يَقْتَدُونَ بِهِ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ بِنَشْرِ الْفَضِيلَةِ وَإِحْيَائِهَا بَيْنَ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَدْحِهِمْ لَهُ وَذَمِّهِمْ لَهُ فَلَا يَتَّبِعُهُ شَيْءٌ عَنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَلَا يُغْرِيه عَلَيْهَا رِضَاءُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَنْ يَكُونَ يَقْظًا نَبِيهَا لَا يَجْعَلُ لِلْغُرُورِ وَالْعُجْبِ إِلَيْهِ سَبِيلًا فَإِنَّ عَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الْحَسَنِ لَا يَكُونُ رِيَاءً بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ مُسْتَجَبًّا إِنْ تَأَكَّدَ مِنْ اقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ فِي عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَكَذَلِكَ تَنْظُرُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى جَمِيعِ الْأَعْمَالِ فَإِنْ تَرْتَّبَ عَلَى الْعَمَلِ فَسَادٌ كَانَ مَذْمُومًا وَإِنْ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ صَلَاحٌ كَانَ مَمْدُوحًا فَجَمِيعُ أَحْكَامِهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَكُلُّهَا تَرْمِي إِلَى تَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ وَتَرْبِيَةِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ وَتَأْدِيبِهِ أَفْضَلَ الْأَدَبِ وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وإِخْتِامًا فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَفَكَّرَ وَيَعْلَمَ مَضَرَّةَ الرِّيَاءِ وَمَا يَفُوتُهُ مِنْ صَلَاحِ قَلْبِهِ وَمَا يُحْرَمُ عَنْهُ مِنَ التَّوْفِيقِ وَمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَالْمَقْتِ الشَّدِيدِ وَالْخِزْيِ الظَّاهِرِ فَمَهْمَا تَفَكَّرَ الْإِنْسَانُ وَقَابَلَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعِبَادِ وَالتَّزْيِينِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَفُوتُهُ فِي الْآخِرَةِ وَبِمَا يَحْبُطُ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ قَطْعُ الرَّغْبَةِ عَنْهُ كَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَسَلَ لَذِيذٌ وَلَكِنْ إِذَا بَانَ لَهُ أَنَّ فِيهِ سُمًّا أَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ أَيُّ غَرَضٍ لَهُ فِي مَدْحِهِمْ وَإِثَارِ ذَمِّ اللَّهِ لِأَجْلِ حَمْدِهِمْ وَلَا يَزِيدُهُ حَمْدُ النَّاسِ رِزْقًا وَلَا أَجَلًا وَلَا يَنْفَعُهُ يَوْمَ فَقْرِهِ وَفَاقَتِهِ .

وَأَمَّا الطَّمَعُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَبِأَنَّ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الرِّزَاقُ وَهُوَ الْمُسَخَّرُ لِلْقُلُوبِ بِالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ وَأَنَّ الْخَلْقَ مُضْطَرُونَ فِيهِ .

وَلَا رَازِقَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ طَمِعَ فِي الْخَلْقِ لَمْ يَخُلْ مِنَ الذُّلِّ وَالْخَيْبَةِ وَإِنْ
وَصَلَ إِلَى الْمُرَادِ لَمْ يَخُلْ عَنِ الْمِنَّةِ وَالْمَهَانَةِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِعَاقِلٍ أَنْ يَتْرِكَ مَا عِنْدَ
اللَّهِ بِرَجَاءٍ كَاذِبٍ وَوَهْمٍ فَاسِدٍ وَقَدْ يُصِيبُ وَقَدْ يُخْطِيءُ وَإِذَا أَصَابَ فَلَا تَفِي
لذَّتُهُ بِأَلَمِ مِنتِهِ وَمَذَلَّتِهِ .
شعرا :

أَمِنْ بَعْدِ غَوْصِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ
وَطُولِ انْبِسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي
وَفِي حِينِ اشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ
أَرَى طَالِباً رِزْقاً إِلَى غَيْرِ رَازِقِ
وَأَيَّامُ عُمُرِ الْمَرءِ مُتَعَةً سَاعَةٍ
تَجِيءُ حَيْثُ شَاءَ مِثْلَ لَمْحَةٍ بَارِقِ
وَقَدْ آذَنْتُ نَفْسِي بِتَقْوِيضِ رَحْلِهَا
وَأَسْرَعَ فِي سَوْقِي إِلَى الْمَوْتِ سَائِقِي
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْغَلْتُ أَوْ سِرْتُ هَارِباً
مِنَ الْمَوْتِ فِي الْآفَاقِ فَالْمَوْتُ لَأَحِقِّي
آخر : شَادَ الْأَنَامُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا
مِنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبِ
فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
يَا ذَا الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبِ
وَأَمَّا ذَمُّ الْخَلْقِ لَهُ فَلَا يَحْذَرُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَرِيدُهُ ذَمُّهُمْ شَيْئاً مَا لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَا يُعَجِّلُ أَجَلَهُ وَلَا يُؤَخِّرُ رِزْقَهُ وَلَا يَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ فَالْعِبَادُ كُلُّهُمْ عَجْزَةٌ لَا

يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فَإِذَا قَرَّرَ فِي قَلْبِهِ آفَةٌ هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَضَرَرَهَا
فَتَرَتْ رَغْبَتَهُ عَنِ الرِّيَاءِ وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ قَلْبُهُ وَالْعَاقِلُ لَا يَرْغَبُ فِي مَا يُكْثِرُ ضَرَرَهُ
وَيُقِلُّ نَفْعَهُ فَهَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ قَالِعٌ لِلرِّيَاءِ مِنْ أَصْلِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ فَهَذَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ
الْعِلْمِيَةِ الْقَالِعَةِ مَغَارِسَ الرِّيَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمَّا الدَّوَاءُ الْعَمَلِيُّ فَهُوَ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ
إِخْفَاءَ الْعِبَادَاتِ وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ دُونَهَا كَمَا تُغْلَقُ الْأَبْوَابُ دُونَ الْفَوَاحِشِ فَلَا
تُنَازِعُهُ نَفْسُهُ إِلَى طَلَبِ غَيْرِ اللَّهِ بِهِ .
وبالتالي :

فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ عَرَفَ شِدَّةَ حَاجَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِدَّةَ
فَقْرِهِ إِلَى صَافِيِ الْحَسَنَاتِ فَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِصَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ حَجٍّ
أَوْ جِهَادٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ لَمْ يُخْلِصْهُ لِلَّهِ فَيَحْبِطَ عَمَلُهُ فَتَصِيرَ حَسَنَاتُهُ
أَنْقَصَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَلَوْ كَانَ أَخْلَصَ الْعَمَلُ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا لَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى
سَيِّئَاتِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَلَمَّا فَاتَهُ ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ ذَهَابِ نَفْسِهِ
حَسَرَاتٍ فَيَخَافُ اللَّيْبُ ذَلِكَ فَيَغْلِبُ عَلَى عَقْلِهِ حَذَرُ الرِّيَاءِ وَالتُّصَنُّعِ لِلْعِبَادِ
وَيُقْبَلُ عَلَى تَصْحِيحِ عَمَلِهِ وَتَنْقِيَتِهِ مِنْ شَوَائِبِ الرِّيَاءِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
خَالصاً صَوَاباً .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ فَالْزُمُوهَا ، وَأَحْثُكُمْ عَلَى
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَاغْتَنِمُوهَا ، إِنَّ الزُّمَانَ يَطْوِي بِكُمْ مَسَافَةَ الْأَعْمَارِ لَا شَكَّ
وَأَنْتُمْ رَاجِلُونَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ فَيَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بَعْدَ الْمَشْيَبِ وَهَلْ
بَعْدَهُ إِلَّا الْمَوْتُ فَإِنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ مِنْ سَبِيلٍ فَمَاذَا تَزَوَّدْتُمْ
لِلرَّجِيلِ وَيَا مَعْشَرَ الشُّبَابِ أَنْفَقْتُمْ غُرَرَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ الْمِذْيَاعِ وَالْكُرَةِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ وَيَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ لَقَدْ ضَاعَتْ

أَعْمَارُكُمْ فِي أَلْوَاكُم رَبِيعُ فَلَانُ وَكَمْ بَيْعُ الْبَيْتِ الْفُلَانِي وَالْأَرْضُ الْفُلَانِيَّةُ وَخُذْ
هَذِهِ الْجَرِيدَةَ وَأَعْطِنِي الْآخَرَى أَلَا صَرَفْتُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ إِلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى
غُرَفِ الْجَنَّةِ وَأَرَاضِيهَا وَأَنْفَقْتُمْ بَعْضَ مَا وَهَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ إِلَى مَا
يُرْضِي اللَّهَ مِنْ تَفَقُّدِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ لَا قَلِيلَةٌ وَلَا كَثِيرَةٌ مِمَّنْ
يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمِنْ مَسَاجِدَ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمٍ أَوْ فُرْشٍ وَإِلَى
إِنْشَاءِ مَسَاجِدَ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَوْ إِلَى طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً
جَيِّدَةً فَتُوزَعُوهَا عَلَى التَّالِينَ لِلْقُرْآنِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ طَبْعِ كُتُبٍ دِينِيَّةٍ فِيهَا
تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ وَنَشْرِ لِمَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ كَكُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ
وَتَلْمِيزِهِ بْنِ الْقِيَمِ وَابْنِ رَجَبٍ وَابْنِ مُفْلِحٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَالْمُوفِقِ وَالْمَجْدِ وَالشَّيْخِ
الْمُجَدِّدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ
الْمُصْلِحِينَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَسِّرَ لَنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ أَمْثَالَهُمْ لِنَصْرِ دِينَهُ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .
شعرا :

الْمَالُ يَذْهَبُ جِلَّةً وَحَرَامُهُ
طُرّاً وَتَبْقَى فِي غَدٍ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ
حَتَّى يَطِيبُ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَيَطِيبُ مَا يَخْوِي وَيَكْسِبُ كَفَّهُ
وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ
فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَطَهِّرْ مَكْسَبَنَا مِنَ الرِّبَا

وَالسُّنَنَ مِنَ الْكَذِبِ وَوَفَّقَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعَصَمَنَا عَنْ ذُنُوبِنَا وَقَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاضَعْنَا
بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْنَتَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل » في الكبر والعجب

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهُ وَاجْتِنَابُهُ
فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الْكِبَرُ وَالْأَعْجَابُ لِأَنَّهُمَا يَسْلِبَانِ الْفَضَائِلَ وَيَكْسِبَانِ الرِّذَائِلَ
وَلَيْسَ لِمَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَبُولُ النُّصْحِ وَلَا قَبُولُ التَّادِيبِ لِأَنَّ الْمَتَكَبِّرَ يَعْتَقِدُ فِي
نَفْسِهِ أَنَّهُ جَلِيلٌ عَظِيمٌ مُتَعَالٍ عَنْ رُتْبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْكَبَرُ فِي اللُّغَةِ الْعِزَّةُ
وَالْعِظَمَةُ وَمِثْلُهُ الْكِبَرِيَاءُ وَقَدْ فَسَّرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكِبَرُ بِأَنَّهُ يَطْرُقُ الْحَقُّ وَغَمَطُ النَّاسِ وَالْكَبَرُ
وَالْعُجْبُ مِنَ الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ الْمَرْدُودَةِ الَّتِي كَثِيرًا مَا تُثِيرُ الْغَضَبَ وَالْحَقْدَ
وَتُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَتُورِثُ الْاِحْتِقَارَ وَالْازْدِرَاءَ بِالنَّاسِ وَاغْتِيَابَهُمْ
وَيُجَافِي بَيْنَ الصِّدْقِ وَكَظْمِ الْغَيْضِ وَقَبُولِ النُّصْحِ وَيُعْمِي الْمَرْءَ عَنْ عُيُوبِهِ
وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالانْقِيَادِ لِلْحَقِّ .

وَالْكَبَرُ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا التَّكَبُّرُ عَلَى الْحَقِّ وَهُوَ رَدُّهُ وَدَفْعُهُ وَعَدَمُ قَبُولِهِ
وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ سَوَاءً كَانَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ أَوْ مِنْ حُقُوقِ عِبَادِهِ فَمَعْنَى يَطْرُقُ الْحَقُّ
رَدُّهُ وَجَحْدُهُ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ فَكُلُّ مَنْ رَدَّ الْحَقَّ فَإِنَّهُ مُسْتَكْبِرٌ عَنْهُ
بِحَسَبِ مَا رَدَّ مِنَ الْحَقِّ وَمَعْنَى غَمَطُ النَّاسِ اِحْتِقَارُهُمْ وَتَنْقُصُهُمْ وَذَلِكَ نَاشِئٌ
عَنْ عُجْبِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ وَتَعَاضُّمِهِ عَلَيْهِمْ فَالْعُجْبُ بِالنَّفْسِ يَحْمِلُ عَلَى التَّكَبُّرِ
عَلَى الْخَلْقِ وَاحْتِقَارِهِمْ وَالْاِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَتَنْقِصِهِمْ بِقَوْلِهِ وَفَعْلِهِ وَذَلِكَ أَنَّ ذَا
الْعُجْبِ إِذَا مَدَّ نَظْرَهُ إِلَى مَنْ مِثْلِهِ أَوْ فَوْقَهُ اعْتَقَدَ أَنَّهُ مُمْتَارٌ عَنْهُ بِمَا سَمَا بِهِ فِي نَظَرِ
نَفْسِهِ وَإِذْنُ يَرَى ذَلِكَ الْغَيْرَ فِي دَرَجَةٍ مُنْحَطَةٍ عَنْ دَرَجَتِهِ فَيَعْتَقِدُ حِينَئِذٍ أَنَّ مُسْتَوَاهُ

فَوْقَ مُسْتَوَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْكِبَرُ بِعَيْنِهِ فَالْعُجْبُ عَنْهُ نَشَأَ الْكِبَرُ وَعَلَى أَصْلِهِ تَفَرَّعَ .

وَلِلْكَبَرِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ فَقَدْ تَكُونُ عَنْ صِفَةِ كَمَالِ كَالْعِلْمِ وَالنَّسَبِ وَالْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَرَبَّمَا نَشَأَ عَنْ غُرُورٍ وَوَهْمٍ بِحَيْثُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَكْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ خَطَأً وَجَهْلًا وَهَذَا بُرْهَانٌ عَلَى نَقْصِ عَقْلِهِ وَلِذَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ مَا دَخَلَ قَلْبَ امْرِءٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ مِنْ ذَلِكَ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ .

فَإِنْ كَانَ الْكِبَرُ نَاشِئًا عَنِ الْعِلْمِ كَانَ صَاحِبُهُ مِثَالًا سَيِّئًا وَقُدْرَةً رَدِيئَةً ، خُصُوصًا إِذَا دَفَعَهُ الْكِبَرُ إِلَى صِفَةِ ذَمِيمَةٍ كَالْحَسَدِ وَ الْحَقْدِ ، أَوْ أَفْضَى بِهِ إِلَى ارْتِكَابِ مَظْلَمَةٍ مِنَ الْمَظَالِمِ بِيَدِهِ أَوْ لِسَانِهِ ، فَإِنَّ ضَرَرَ هَذَا لَا يُقَدَّرُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَقْتَدُونَ بِالْعُلَمَاءِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، فَيَسْتَسْهِلُونَ عِنْدَ ذَلِكَ ارْتِكَابَ الْجَرَائِمِ ، وَيَسْتَبِيحُونَ الْإِتِّصَافَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ ، وَفِي هَذَا شَرٌّ عَظِيمٌ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعَالَمَ الْمُتَكَبِّرَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ عَنْهُ وَيَنْفَضُّونَ مِنْ حَوْلِهِ ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ إِلَّا مَنْ يُوَافِقُهُ عَلَى هَوَاهُ فَلَا يَرُدُّهُ عَنْ خَطَا ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِحَقٍّ وَلَا يُزَاحِمُهُ فِي غَرَضٍ وَمِثْلُ هَذَا لَا فَائِدَةَ مِنْ تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ نَاقِصُ النَّفْسِ ضَعِيفُ الْإِرَادَةِ وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فَإِنَّ عِلْمَهُ وَبَالَ عَلَيْهِ .

أَمَّا الْعِلْمُ النَّافِعُ فَهُوَ الَّذِي يُرَبِّي الْأَنْفُسَ ، وَيُطَهِّرُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الرَّدِيئَةِ ، وَيُعَرِّفُ الْعَبْدَ رَبَّهُ وَنَفْسَهُ وَخَطَرَ أَمْرِهِ ، وَهَذَا يُورِثُ الْخَشْيَةَ وَالتَّوَاضُّعَ ، فَيَكُونُ صَاحِبُهُ مِثَالًا حَسَنًا فِي النَّاسِ ، وَقُدْوَةً صَالِحَةً فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

وَإِنْ كَانَ الْكِبَرُ نَاشِئًا عَنِ النَّسَبِ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِلطَّعْنِ فِي ذَلِكَ

النَّسَبِ ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّهُ نَسَبٌ رَدِيٌّ الْعُنْصِرِ ، خَسِيسُ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ النَّسَبَ الشَّرِيفَ هُوَ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ آثَارُ صَالِحَةٍ تَدُلُّ عَلَى رَفْعَتِهِ وَكَرَمِهِ ، أَمَّا مَنْ يَتَكَبَّرُ وَيُظْلِمُ وَيُؤْذِي عِبَادَ اللَّهِ وَيَحْتَقِرُهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْ عُنْصَرٍ طَيِّبٍ ، وَلَا مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ غَالِبًا ، وَقَدْ يَتَّبِعُهُمُ النَّاسُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ وَلَدُ زَنَّا ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ النَّمَامَ وَالْفَاجِرَ وَالْمَنَاعَ لِلْخَيْرِ بِالْوَصْفِ الذَّمِّ كَمَا تَقَدَّمَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الْفَاجِرَةَ تَتَّبِعُ حُبَّ الْمَنِيِّ غَالِبًا ، مَا لَمْ يُيسِّرَ اللَّهُ لَوْلَدِ الزَّنَا بَيْئَةً صَالِحَةً يَتَرَبَّى فِيهَا وَيَنْزِعُ مِنْ نَفْسِهِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الرَّدِيَّةَ الَّتِي وَرِثَهَا مِنْ أَصْلِهِ وَاكْتَسَبَهَا مِنْ وَالِدَيْهِ .

وَإِنْ كَانَ الْكِبَرُ نَاشِئًا عَنِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ فَإِنَّهُ غَالِبًا يُفْضِي إِلَى شَرِّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ ، فَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مَظْلَمَةٌ أَوْ ضْيَاعٌ حَقٌّ فَهُوَ الْكِبَرُ الضَّارُّ .

وَأَمَّا الْعِزَّةُ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَمَا يَحْفَظُ كَرَامَةَ الْمَرْءِ وَعَدَالَتَهُ وَمَكَانَتَهُ ، مِثْلُ تَرْفَعِ الْحَاكِمِ عَنْ مُخَالَطَةِ الْعَوَامِ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُجَامَلَتِهِمْ بِمَا يُسْقِطُ هَيْبَتَهُ أَوْ يُطْعِمُهُمْ فِي قَضَائِهِ أَوْ يُسَهِّلُ لَهُمُ الْإِخْلَالَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُعَدُّ تَكَبُّرًا لِأَنَّهُ إِذَا أَهْمَلَهُ الْإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا بِالْحُكْمِ إِنَّمَا الْكِبَرُ الْمَمْنُوعُ هُوَ أَنْ لَا يُبَالِي بِهِمْ فَلَا يَسْمَعُ شَكْوَى ضَعِيفِهِمْ وَلَا يَسْمَحُ لَهُ بِالذُّنُوبِ مِنْهُ لِيُعْبَرَ عَنْ مَظَالِمِهِ ، أَوْ يَحْقِدَ عَلَى مَنْ تَوَسَّعَ فِي الدَّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ بِمَا لَا يُرْضِيهِ ، أَوْ أَعْرَضَ عَنْ سَمَاعِ النَّصِيحَةِ وَاسْتَكْبَرَ عَنِ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ ، فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ مُتَكَبِّرًا مَذْمُومًا مَمْقُوتًا .

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصَدٌ
وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَفَرَاعٌ

لِأُبْلَغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغاً
يَكُونُ بِهِ لِي فِي الْجَنَانِ بَلَغٌ
فَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أُولِي النُّهَى
وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْغُرُورُ بَلَغٌ
فَمَا الْفُوزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ
بِهِ الْعَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاعُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنَسْأَلُكَ
أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيُعْرِضُونَ عَنْ مُرَاقَبَتِهِ
وَيُنْصَرِفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَذِكْرِهِ وَيَجْتَرُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ بِشَدِيدِ غَضَبِهِ وَعَظِيمِ
سَخَطِهِ وَحَذَرَهُمْ بِأَسْهٍ وَانْتِقَامُهُ فَمَا بَالُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْقُرُونِ الْأُولَى وَدُخُولِهِمْ
فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ عَمَدُوا إِلَى مَحَارِمِ اللَّهِ فَارْتَكَبُوهَا وَمَنْهِيَّاتِهِ فَاسْتَبَاحُوهَا
وَمَأْمُورَاتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا وَنَبَذُوهَا وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ
وَعَادُوا بِمُرِّ الشُّكْوَى مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْتِزَاعِ الْبَرَكَاتِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ
وَلَيْسَ الْغَرِيبُ أَنْ تَذْهَبَ الْبَرَكَاتُ مِنْ أَرْزَاقِ الْعُصَاةِ وَأَمْوَالِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا
يَغَارُ عَلَى أَوَامِرِهِ أَنْ تُجْتَنَبَ وَمَحَارِمِهِ أَنْ تُرْتَكَبَ عِبَادَ اللَّهِ إِنْ الْمُحَافَظَةَ عَلَى
أَوَامِرِهِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَنْزِلَةِ الْعَهْدِ
وَالْمِيثَاقِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ تَعَالَى أَنْ يَحُوطَكُمْ بِرَحْمَتِهِ وَيُسَبِّغُ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً وَأَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ بِالْعَوْنِ وَالتَّوْفِيقِ فَإِذَا حَارَبْتُمُوهُ بِارْتِكَابِ مَعَاصِيهِ
وِإِهْمَالِ أَوْامِرِهِ فَقَدْ حَارَبْتُمْ بِدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَلَسْتُمْ
بِمُعْجِزِيهِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى عِبَادَ
اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ فِي سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ اللَّهَ يُهْمِلُ
الْمُسِيءَ فَلَا يُجَازِيهِ وَلَا يُحَاسِبُهُ عَلَى جُرْمِهِ وَذَنْبِهِ الَّذِي اقْتَرَفَهُ رَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ
كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ يَا عِبَادَ اللَّهِ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ لِلْعَابِدِينَ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا وَقَالُوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ فَلَمَّا
أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ النُّذُرُ شَيْئًا وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ قَالَ
تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾
وفي الحديث ان الله لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتِهِ .

شعرا :

وَحَفَّ يَوْمَ عَصَى الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ	خَفِ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَى وَاحْذَرْنَهُ
وَلَكِنَّهُ يُمْلِي لِمَنْ شَاءَ إِلَى الْغَدِ	وَلَا تُحْسَبَنَّ اللَّهُ عَنْ ذَاكَ غَافِلًا
سَيَأْخُذُهُ أَخْذًا وَيَبْلَا عَنْ يَدِ	وَلَا تَغْتَرَّ بِالْحِلْمِ عَنْ ظُلْمِ ظَالِمٍ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْأَسْتِقَامَةِ وَأَعِزَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ ، وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْإِبْرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(وفي كتاب الأخلاق)

قال : والكِبَرُ أنواعٌ وأَعْظَمُ أنواعِ الكِبَرِ على اللَّهِ وَعَلَى رُسُلِهِ ، وهذا شَرُّ أنواعِ الكِبَرِ ، لأنَّ الإنسانَ الضَّعِيفَ المَخْلُوقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، الَّذِي يَصْرَعُهُ أَضْعَفُ الحَيَوَانَاتِ إِذَا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لَا يَلِيقُ بِهِ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى مَنْ خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ وَمِنْهُ يَسْتَمِدُّ بَقَاءَهُ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَفِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ .

وَمَنْ جَهِلَ قَدْرَ رَبِّهِ فَهُوَ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ أَوْ أَضَلَّ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّنْ اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَعَلَى رُسُلِهِ ، وَكَيْفَ يَجْهَلُ الْإِنْسَانُ قَدْرَ إِلَهِهِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ الَّذِي أَبْدَعَ الْعَالَمَ عَلَى أَحْسَنِ إِحْكَامٍ وَأَدَقِّ تَكْوِينٍ وَلَهُ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ خَلْقِهِ شَاهِدٌ وَاضِحٌ الدَّلَالَةِ ، وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ الْبَيَانِ ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الصَّانِعُ الَّذِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ أَوْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ سَيَرَى نَتِيجَةَ كِبَرِيَّاتِهِ ذُلًّا وَصَغَارًا وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، فَضْلًا عَمَّا يُصِيبُ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ الدُّنْيَوِيِّ ، كَمَا وَقَعَ لِلنَّمْرُودِ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ .

وَأَمَّا الْمُتَكَبِّرُ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ فَهُوَ كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى اللَّهِ فِي نَتِيجَتِهِ فَإِنَّ جَزَاءَهُ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا جَاءُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، وَهِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ ، فَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ فَقَدْ كَفَرَ بِرَبِّهِ وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا .

وَلَقَدْ قَالَ الْمُسْتَكْبِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ

القريتين عظيم ﴿يُرِيدُونَ الْوَيْدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ مِنْ مَكَّةَ وَأَبَا مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، دَفَعَهُمُ الْكِبَرُ إِلَى أَنْ يَطْلُبُوا مَنْ هُوَ عِنْدَهُمْ وَفِي زَعَمِهِمْ أَكْثَمُ رِثَاسَةً مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ لِأَنَّهُ غُلَامٌ يَتِيمٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَطْهَرِ أَصْلَابِهِمْ وَأَشْرَفِ أَنْسَابِهِمْ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ جَهَلَةٌ مُتَهَوِّرُونَ غَلَاظُ الْقُلُوبِ حَسَدَةٌ لَمْ يُقَدِّرُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا وَيُنْزِلُ الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ ، قَالَ فَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيتُ أَسْمِيَهُمَا ، قَالَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَرَوَى عَنْ خُبَابِ ابْنِ الْأَرْتِّ - فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ - قَالَ جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فَوَجَدُوا النَّبِيَّ ﷺ قَاعِدًا مَعَ بِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَخُبَابٍ ، فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَقَرُوهُمْ ، فَخَلَوْا بِهِ فَقَالُوا : إِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضَلَّنَا ، فَإِنْ وَفَدَ الْعَرَبُ تَأْتِيكَ ، فَتَسْتَحِي أَنْ يَرَانَا الْعَرَبُ فُعُودًا مَعَ هَذِهِ الْأَعْبِدِ فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمُّهُمْ عِنَّا ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَعْنَا فَأَقْعِدْهُمْ إِنْ شِئْتَ ، قَالَ « نَعَمْ » ، قَالُوا : فَارْتَبْنَا لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا ، فَدَعَا بِالصَّحِيفَةِ ، لِيَكْتُبَ لَهُمْ ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ ، فَلَمَّا أَرَادَ ذَلِكَ وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ ، إِذْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿ ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ .

ثم ذكرنا فقال ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول ﴿ سلام عليكم ﴾ فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا عند ركبته فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ يقول لا تعد عيناك عنهم تجالس الأشراف ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ أما الذي أغفل قلبه عن الذكر فهو عيينة بن حصن والأقرع ، وأما فرطا فهلاك ، فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم ، وإلا صبر أبدا حتى نقوم ، رواه ابن شعبة ورواه أبو نعيم .

ومعنى هذا أن هذين الرجلين حملهما الكبر والأنفة على احتقار بعض هؤلاء المؤمنين لضعفهم من جهة المال والنسب فطلبا من النبي ﷺ أن يختصهم بمجلس لا يشمل هؤلاء الضعفاء وفي رواية أنهم يؤمنون به إن فعل ذلك وكان ﷺ حريصا على إيمان الناس ، كما ذكر الله عنه بقوله ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ .

وقال ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقال ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ وقال ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ ورأى أن هذا لا يضر أصحابه خصوصا بعد أن يدخل هذان معهما ، فإن الدين كفيل بإذن الله في تهذيبهما فأجابهما إلى طلبهما .

ولكن الله تعالى الذي شرع الدين وهو الذي فوق عباده جميعاً أبى على نبيه ذلك وأعلمه أنه لا يُبالي بالمتكبرين ، ولا يحفل بدخولهم في دينه ، ما دامت أنفسهم متأثرة بالعِزة الكاذبة واحتقار المؤمنين لأن دينه تعالى قد جاء بالقضاء على هذه الرذيلة ولم يجعل الاحترام وعلو الهمة والمنزلة ورفعة القدر مرتبطاً برفعة النسب أو كثرة المال أو الجاه والسلطان ، وإنما جعل ذلك مرتبطاً بالعلم النافع وتقوى الله ، ولذا قال لنبيه ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ وقال ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ ، الآية فصَدَعَ ﷺ بأمر الله تعالى وبلغ ما أوجي إليه .

شعرا :

رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا لِعِلْمِي أَنَّهَا
مَحَلُّ حَيَاةِ الْمَرْءِ فِيهَا بَلَغُ
وَقَدْ لَاحَ فِي قَوْدِي شَيْبٌ عَلَى الرَّدَى
دَلِيلٌ وَفِيهِ مَا أَرَدْتُ بَلَغُ
وَأُمِلْتُ مِنْ مَوْلَايَ نَظْرَةً رَحْمَةً
يَكُونُ بِهَا مِنِّي إِلَيْهِ بَلَغُ
فَأَحْظَى إِذَا الْأَبْرَارُ قِيلَ لَهُمْ غَدَاً
هَلُمُّوا إِلَى دَارِ النِّعَمِ فَرَاغُوا
رَأَيْتُ بَنِيهَا مَا رَمَتْهُمْ سِهَامُهَا
فَطَاشَتْ وَلَا حُمَّ الْجِمَامُ فَرَاغُوا

فَعُجِبْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ بِهَمَّتِي
فَعِنْدِي عَنْهَا رَاحَةٌ وَفَرَاغٌ

اللَّهُمَّ مَكَّنْ مَحَبَّةَ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِنَا وَوَفِّقْنَا لِتِلَاوَتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
اللَّهُمَّ وَارِزُقْنَا الْعَمَلَ بِهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لَنَا وَقَائِدًا لَنَا إِلَى جَنَّتِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّمَا يَسْعَدُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَيَدْعُوا إِلَيْهِ وَلَا تَأْخُذْهُمْ
فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُمْ وَيَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ يَنْصَحُهُمْ وَيَعْمَلُوا بِهَا رَاضِيَةً نَفْسُهُمْ
شَاكِرَةً أَلْسِنَتُهُمْ غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ وَلَا مُتَعَنِّتِينَ وَلَمْ يُعْمِهِمُ الْهَوَى عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ
إِذْ ذَاكَ تَكْمَلُ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَيَتِمُّ لَهُمُ النَّعِيمُ وَقَدْ فَشَا فِي النَّاسِ دَاءُ الْكِبَرِ
وَاسْتَحْكَمَ وَلَا أَقْصُدُ بِذَلِكَ مِنَ الْكِبَرِ الْخِيَلَاءَ وَالتَّبَخُّرَ فَقَطْ وَإِنَّمَا أَقْصُدُ كِبَرَ
الْمُتَكَبِّرِ عَنْ قَبُولِ نَصِيحِ النَّاصِحِ وَارْشَادِ الْمُسْتَرْشِدِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ وَإِنْ كَانَ شَرًّا
وَلَكِنَّ الثَّانِي شَرٌّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةَ النَّاصِحِ كَانَ رَاضِيًا عَنْ
نَفْسِهِ وَمَتَى رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ عَمِيَتْ عَنْ عُيُوبِهَا فَلَا يُؤَثِّرُ فِيهَا نَصِيحٌ وَلَا يَنْفَعُ
مَعَهَا إِرْشَادٌ لِأَنَّ الْغُرُورَ مُتَحَكِّمٌ فِيهَا وَالشَّهَوَاتُ مُحِيطَةٌ بِهَا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ
خَيْرًا بَصَّرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ فَأَصْلَحَهَا وَاتَّهَمَهَا دَائِمًا بِالنَّقْصِ وَطَالَبَهَا بِالْكَمَالِ
حَتَّى تَلْتَحِقَ بِالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ وَهَكَذَا كَانَ سَلَفُ الصَّالِحِ
فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا
أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبَ نَفْسِي وَكَانُوا إِذَا أُرْشِدُهُمْ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِهِمْ إِلَى عَيْبٍ فِي

نُفُوسِهِمْ فَرِحُوا بِهَذَا التَّنْبِيهِ وَطَهَّرُوا نُفُوسَهُمْ مِنْهُ وَشَكَرُوا مَنْ نَصَحَهُمْ وَجَعَلُوا
 نَبِيْحَتَهُ مِنْهُ لَهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَأْتُوا أَوْ لَمْ يَسْتَكْبِرُوا لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ نُفُوسَهُمْ وَيَرَوْنَهَا
 نَاقِصَةً وَيَسْعَوْنَ إِلَى رِفْعَتِهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ وَبِهَذَا بَلَّغُوا مَا بَلَّغُوا وَنَالُوا مَا نَالُوا
 يَا عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ نَرْضَى عَنْ نُفُوسِنَا وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا يَقُولُ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
 بِالسُّوءِ﴾ عِبَادَ اللَّهِ مَنْ مَنَّا بَلَغَ مِثْسَارَ مَا بَلَغَهُ عُمَرُ فِي كَمَالِ نَفْسِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ
 وَشِدَّةِ يَقِينِهِ وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِي اعْوِجَاجٍ فَلْيَقَوْمَهُ هَكَذَا
 كَانَ ظَنُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ فِي دِينِهِ وَكُلُّ مَا
 كَانَ أَكْبَرَ كَانَ أَقْلَ اعْوِجَاجًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرَ مُطَالَبَةً لَهَا بِسُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ .

شَعْرًا: نَالُوا بِذَلِكَ فَرَحَةً وَسُرُورًا وَسَعَوْا فَأَصْبَحَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
 قَوْمٌ أَقَامُوا لِلَّهِ نُفُوسَهُمْ فَكَسَا وَجُوهَهُمُ الْوَسِيمَةَ نُورًا
 تَرَكَوْا النَّعِيمَ وَطَلَّقُوا لَذَاتِهِمْ زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَلِكَ سُرُورًا
 قَامُوا يُنَاجُونَ إِلَهَهُ بِأَذْمَعِ تَجَرِّي فَتَحَكِي كَوَلُّوا مَشُورًا
 سَتَرُوا وَجُوهَهُمْوَا بِأَسْتَارِ الدُّجَى لَيْلًا فَأَضْحَتْ فِي النَّهَارِ بِدُورًا
 عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَجَادُوا بِالَّذِي وَجَدُوا فَأَصْبَحَ حَظُّهُمْ مَوْفُورًا
 وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعْتَ أُنْيُنَهُمْ وَشَهِدْتَ وَجْدًا مِنْهُمْوَا وَزَفِيرًا
 تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مُحِبِّهِمْ فَأَرَا حَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ كَثِيرًا
 صَبَرُوا عَلَى بُلُوَاهُمْوَا فَجَزَاهُمْوَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّةً وَحَيْرِيرًا

اللهم اجعلنا من اهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين
 بنصرِكَ وتأييدِكَ ورضاكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَضْلٌ)

وَأَمَّا التَّكْبَرُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ شَرِّ الرَّذَائِلِ وَأَسْوَأِ الصِّفَاتِ ، لِأَنَّهُ
 يَسْتَلْزِمُ مَظَالِمَ شَائِنَةٍ وَجَرَائِمَ مَمْقُوتَةٍ وَقَدْ يُفْضِي بِهِ ذَلِكَ إِلَى التَّكْبَرِ عَلَى اللَّهِ
 وَعَلَى رُسُلِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنْ ارْتِكَابِ تِلْكَ الْمَظَالِمِ ، وَحَذَرَ عَاقِبَةَ

شَرُّهَا ، فَلَمْ يُبَالِ بِهِ وَلَمْ يَخْشَى وَعِيدَهُ ، وَلَمْ يَخَفْ بَطْشَهُ ، وَفِي ذَلِكَ كِبَرٌ
وَعُتُوٌّ وَتَمَرُّدٌ .

وأيضاً فَإِنَّ الْمُسْتَعْظِمَ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يُضْغِي لِقَوْلِهِ مَهْمَا كَانَ
حَقًّا مَفْرُوضاً وَلَا يَدَّخِرُ مَجْهُوداً فِي رَدِّهِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا مِنْ أَخْلَاقِ الْكَافِرِينَ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَلَى اللَّهِ فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ حَرَّمَ اللَّهُ الْكِبَرَ وَنَهَى عَنْهُ نَهْيًا
شَدِيداً اهـ بتصرف .

وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ آيَةُ سُورَةِ
الْأَعْرَافِ الْمُشِيرَةِ إِلَى حِرْمَانِ الْحَقِّ وَعَمَى الْقَلْبِ عَنْ مَعْرِفَةِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
وَفَهْمِ أَحْكَامِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ .

وقال تعالى ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾ وقال ﴿إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ وقال تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ وقال ﴿وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقال ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِي فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا
يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا » متفق عليه ، وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلُ رَأْسِهِ ، يَخْتَالُ فِي
مِشْيَتِهِ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ متفق عليه .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ
الكِبْرِ والغُلُولِ والذَّيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » رواه الترمذي واللفظ له والنسائي ، وابن
مَاجَه وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قال (قال رسول الله ﷺ
« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْعِزُّ إِزَارِي - والكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَارَعَنِي شَيْئاً
مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ » رواه مسلم بلفظ « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْعِزُّ إِزَارُهُ ، والكِبْرِيَاءُ
رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَارِعُنِي عَذَّبْتُهُ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « يَقُولُ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا : الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ
فِي النَّارِ » رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه .

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ . كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ رواه البخاري
ومسلم » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ
تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ - وَمَنْ تَكَبَّرَ
عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، وَلَوْ أَنَّ
أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهَا بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ لَخَرَجَ مَا غِيْبُهُ لِلنَّاسِ .
كَائناً مَا كَانَ » رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « احْتَجَبَتِ
الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ : فِيَّ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِيَّ

ضَعَفَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَمَسَاكِينُهُمْ ، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ ، وَلِكُلِّكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا » رواه مسلم .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال التقى عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم على المروة فتحدثا ثم مضى عبد الله بن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي فقال - له رجل ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال هذا . يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ كَبَّهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ فِي النَّارِ » رواه أحمد ورواه رواية الصحيح . بلغ يا أخي هذا الحديث حاملي الماجستير والدكتوراه والبكالوريوس والعالية ونحوهم من يرون الناس بعين الاحتقار والتقص لما عندهم من الكبر والعجب والعظمة .

شعرا :

اعجب لمُحتَكِرِ الدُّنْيَا وبَانِيهَا
وعن قَرِيبٍ عَلَى كُرْهِ يُخَلِّيهَا
دَارُ عَوَاقِبُ مَفْرُوحَاتِهَا حَزَنُ
إِذَا أَعَارَتْ أَسَاءَتْ فِي تَقَاضِيهَا
يَا مَنْ يُسَرُّ بِأَيَّامٍ تَسِيرُ بِهِ
إِلَى الْفَنَاءِ وَأَيَّامٍ يُقْضِيهَا
قِفْ فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْعِزِّ مُعْتَبِرًا
وَأَنْظُرْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ صَارَ أَهْلُهَا

صَارُوا إِلَى جَدِّ فِيهِ مَحَاسِنُهُمْ
على الثَّرى وَدَوِي الدُّودِ يَغْلُوها

اللهم يَسِّرْنا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنا الْعُسْرَى واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ واغْفِرْ لَنَا
ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ الْقُلُوبُ مَوْضِعَ الْعِنَايَةِ التَّامَّةِ عِنْدَ السَّلَفِ
الصَّالِحِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا
صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ » وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْحَرَكَاتِ الْبَدَنِيَّةِ ،
وَالْإِرَادَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ، فَإِنْ صَدَرَتْ مِنَ الْقُلُوبِ إِرَادَةٌ صَالِحَةٌ تَحَرَّكَ الْبَدَنُ
حَرَكَةً طَاعَةٍ ، وَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهَا إِرَادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحَرَّكَ الْبَدَنُ حَرَكَةً فَاسِدَةً ،
فَهُوَ كَمَلِكٍ وَالْأَعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةَ تَصْلَحُ بِصَلَاحِ الْمَلِكِ
وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وَكَانَ وَاجِباً عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ كَمَا كَانَ سَلَفُنَا فِي الْعِنَايَةِ
بِهَاتِيكَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ بِهَا سَعَادَتُنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ
مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ وَالَّذِي كَانَ مِنَّا أَنَّنَا أَهْمَلْنَا قُلُوبَنَا إِهْمَالاً تَتَجَرَّحُ لَهُ
الْقُلُوبُ ، وَتَذُوبُ لَهُ الْأَكْبَادُ وَلِذَلِكَ نَشَأُ فِينَا نَتِيجَةُ الْإِهْمَالِ كَثْرَةُ
الْأَمْرَاضِ فِي الْقُلُوبِ وَتَشَعَّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعَبَ شِفَاؤُهَا ، وَانْعَدَمَ
أَطْبَاؤُهَا وَمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَهُوَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ .

فَمِنْ الْأَمْرَاضِ الَّتِي أُرْمِنَتْ فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الرِّيَاءِ الَّذِي لَا يَكَادُ يَسْلَمُ
مِنْهُ إِلَّا النَّوَادِرُ ، وَمِنْ الْأَمْرَاضِ الَّتِي أَصَبْنَا بِهَا مَرَضُ الْعُجْبِ ، وَلِهَذَا يَعْتَقَدُ

الصغيرُ مِنَّا والكبيرُ الكَمالُ في نَفْسِهِ وَمَن اعتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لَأَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا بِهِ كَمالُ الرِّجالِ ، وَمَرَضٌ يُتَبَّعُ مَرَضاً آخَرَ هُوَ مَرَضُ الكِبَرِ وَصِفُ الأُنْذالِ والأَرْذالِ والجُهلِ ، والمتَكَبِّرُ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضا والكِبَرُ يَنْشَأُ عَنْهُ مَرَضُ الحَسَدِ والحَسودُ يَتَمَنَّى زوالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُولِّدُ الحِقْدَ الَّذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَّا مَا أَوْلَاهُ اللَّهُ مِنَ النِّعمِ ، وَلَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِنَ الأَمراضِ بَلْ فِيهَا مَرَضُ البُخْلِ وَالشُّحِّ الَّذِي وَصَلَ بِنَا إِلَى مَنعِ الزَّكَاةِ أَوْ بَعْضِهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكُلُّهَا أَمراضٌ مُهْلِكاتٌ ، وَنَحْنُ لَا نَهْتَمُّ بِقُلُوبِنَا وَلَا بِأَمراضِهَا وَإِنَّمَا نَهْتَمُّ بِأَمراضِ أَجْسَامِنَا ، وَنُبَادِرُ فِي عِلاجِهَا إِلَى المُسْتَشْفِيَّاتِ ، وَأَمراضِهَا يَسِيرَةٌ بِسِيطَةٍ بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَمراضِ القُلُوبِ ، وَنَهْتَمُّ أَيْضاً بِجَمالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسينِ مَلابِسِنَا وَمَراكِبِنَا وَمَساكِينِنَا وَمَجالِسِنَا وَأَبْدانِنَا ، أَنْظُرْ إِلَيْنَا عِنْدَ الذَّهابِ إِلَى مَقَرِّ العَمَلِ لِنَتَعَجَّبَ مِنْ تَغْفِيلِنَا وَانْخِداعِنَا ، وَلَوْ كَانَتْ عَنائَتُنَا بِالْقُلُوبِ كَعَنائَتِنَا بِالْمَلابِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالَاتِ المَحْزَناتِ .

شعراً :

خَلِيلِي قُومًا فَاَحْمِلًا لِي رِسَالَةً
 وَقُولًا لِذُنْيَانَا الَّتِي تَتَصَنُّعُ
 عَرَفْنَاكَ يَا خَدَاعَةَ الخَلْقِ فَاذْهَبِي
 أَلَسْنَا نَرَى مَا تَصْنَعِينَ وَنَسْمَعُ
 فَلَا تَتَجَلَّى لِلْعُيُونِ بِزِينَةٍ
 فَإِنَّا مَتَى مَا تَسْفِرِي نَتَقَنَّعُ

نُغْطِي بِثَوْبِ الْيَأْسِ عَنْكَ عُيُونَنَا
إِذَا لَاحَ يَوْمًا مِنْ مَخَازِيكِ مَطْمَعُ
رَتَعْنَا وَجُلْنَا فِي مَرَاغِيكِ كُلِّهَا
فَلَمْ يَهْتِنَا فِيمَا رَعَيْنَاهُ مَرْتَعُ

اللهم أرنا الحقَّ حقاً وارزُقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وجنبنا إتباعه ،
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

عن حذيفة رضي الله عنه قال كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ قَالَ : « أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ ؟ : أَلَفْظُ الْمُسْتَكْبِرِ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ ؟
الضَّعِيفُ الْمُسْتَضْعَفُ ، ذُو الطَّمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ »
رواه أحمد ورواه رواية الصحيح إلا محمد بن جابر .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مرَّ فِي السُّوقِ وَعَلَيْهِ حُرْمَةٌ مِنْ
حَطَبٍ ، فَقِيلَ لَهُ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا ، وَقَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ أَرَدْتُ
أَنْ أَدْفَعَ الْكِبَرَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ
خَرْدَلَةٌ مِنْ كِبَرٍ » رواه الطبراني بإسناد حسن والاصبهاني إلا أنه قال ذَرَّةٌ مِنْ
كِبَرٍ .

وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُؤْلَسٌ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ
يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ . رواه النسائي والترمذي واللفظ له

وقال حديث حسن وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » فقال رجل : إن الرجل يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال إن الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمُطُ النَّاسِ » رواه مسلم والترمذي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : يا رَسُولَ اللَّهِ إن إِذَا رِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ . فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءَ » رواه مالك والبخاري واللفظ له .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مَشْيَيْهِ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان » رواه الطبراني في الكبير واللفظ له ورواه محتج بهم في الصحيح والحاكم بنحوه وقال صحيح علي شرط مسلم .

وعن خولة بنت قيس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال « إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطِيطَا ، وَخَدَمَتُهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ ، سُلَّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ » رواه ابن حبان في صحيحه وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حَبَّانٍ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، وَرَوَى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِي ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى ، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا ، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَى وَطَغَى ، وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمِعَ يَقُودَهُ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغِبَ

يُذَلُّهُ » رواه الترمذي وقال حديث غريب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائيل مستكبر » راه مسلم والنسائي ، وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أربعة يبغضهم الله البائع الحلاف والفقيّر المختال ، والشيخ الزاني ، والإمام الجائر » رواه النسائي وابن حبان في صحيحه .

وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيه ، وفقير فخور » رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده أن رسول الله ﷺ بصق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وقال : « يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك ، مشيت بين بردين ، ولأرض منك وثيد ، جمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي ، قلت أتصدق ، وأني أوان الصدقة » والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

شعراً :

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس يذكّره النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت

آخر :

يا غافلاً عن ساعة مَقْرُونَةٍ بنواديِّ وصَوَارِخِ وثَوَاكِيلِ
قَدَّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ صَالِحاً
فَالْمَوْتُ أَسْرَعُ مِنْ نُزُولِ الْهَاطِلِ
حَتَّامَ سَمْعِكَ لَا يَعْصِي لِْمَذْكِرِ
وَصَمِيمُ قَلْبِكَ لَا يَلِينُ لِعَاذِلِ
تُبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا
يَكْفِيكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الرَّاحِلِ
آيُ الْكِتَابِ يَهْزُ سَمْعَكَ دَائِماً
وَتَصُمُّ عَنْهَا مُعْرِضاً كَالْغَافِلِ
كَمْ لِيلَالِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمٍ تُرَى
وَمَوَاهِبٍ وَفَوَائِدٍ وَفَوَاضِلِ
كَمْ قَدْ أَنَالَكَ مِنْ مَوَانِحِ طَوْلِهِ
فَأَسْأَلُهُ عَفْواً فَهُوَ غَوْتُ السَّائِلِ

اللَّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لَامْتِثَالِ
طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ تَكَبَّرَ أَذَلُّهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَكَبِّرُونَ

شَرَارَ الْخَلْقِ وَأَهْلَ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ ، الْمُتَكَبِّرُ يَشْمَخُ بِأَنْفِهِ إِذَا
 تَكَلَّمَ ، وَيُجَافِي مِرْفَقِيهِ عَنْ جَنْبِيهِ لَا وِيَاءَ عُنُقَهُ ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إِذَا مَشَى ،
 مُتَطَاوِلًا عَلَى إِخْوَانِهِ ، مُتَرَفَعًا عَلَى أَقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النَّاسَ شَرًّا بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ ،
 مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِمْ إِذَا مَشَى ، مُخْتَقِرًا لِلْعَامَّةِ ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمِيرِ
 اسْتِجْهَالًا مِنْهُ لَهُمْ ، فَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ لَا
 يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلَاقِ الْمُتَّقِينَ ، وَلَا
 يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقِّدِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصَّدْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ
 الْغَضَبِ ، وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ، وَلَا يَسْلِمُ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ بِالنَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ
 وَلَا يَسْلِمُ مِنْ اغْتِيَابِهِمْ ، وَتَنْقُصِهِمْ ، لِأَنَّ فِيهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَبَرِيَاءِ ، مَا
 يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ وَالْعِظَمَةِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ ،
 لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعِظَمَتَهُ ، وَمَا مِنْ خُلُقٍ مَحْمُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ
 يَفُوتَهُ عِزُّهُ وَعِظَمَتُهُ ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ
 مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وَمِنْ تَعَالِيمِ
 رَبِّنَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِقَوْلِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي
 الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ فَيَا أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ
 النََّاظِرُ فِي عِظْفِيهِ ، الْمُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ شَأْنَكَ حَقِيرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيرٌ
 وَلَسْتَ بِمَحْسُوبٍ فِي الْعِيرِ ، وَلَا فِي النَّفِيرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ،
 وَلَا تَقْدِيرٍ ، لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَهَوْنٌ عَلَيْكَ ، وَارْفُوقٌ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ ،
 يَا مُسْكِنٌ وَتَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وَذَمُّ الْكِبَرِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ ، وَالْمُتَكَبِّرُ

عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِنَفْسِهِ ، وَلِلنَّاسِ ، يُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبِ وَيَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ فِي الْكَلَامِ ، وَيَتَأَلَّقُ فِي اللَّبَاسِ ، وَإِنَّهُ لَثَقِيلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وَسَكَنَاتِهِ ، بَغِيضٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، وَمُواكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلُ لِمَنْ صَاهِرُهُ أَوْ شَارَكَهُ أَوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لَأَنَّ دَاءَ الْكِبَرِ يُعْدِي وَيَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلَامَةُ مِنَ الْمُقْتَرِبِ مِنْهُ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَعَمَزَ جَنْبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِرَاءٌ ، وَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْبَوْلَ وَالْعَذْرَةَ ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّهُ دَنَسٌ جَاهِلٌ مَجْهُولٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئًا كِبَرًا وَإِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَسُمْعَةٍ ، وَرِيَاءٍ ، وَلُؤْمًا وَشُؤْمًا وَشَرًّا فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالدُّخَانِ يَمَلَأُ الْفَضَاءَ وَيَتُكُّ صُدُورَ النَّاسِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْقِمَامَاتِ وَالْأَوْسَاحِ الْمُبْعَثَةِ نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يُقَلِّلَ هَذَا النُّوعَ الْمُنْحَطَّ وَأَنْ يُكْثِرَ ضِدَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوَاضُعِ وَاللِّينِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ : اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنَا الْجَنَّةَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ الْأَبْرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَلِلْكِبَرِ آثَارٌ تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ كُلِّهَا تَدُورُ حَوْلَ ذَلِكَ النَّظَرِ ، فَتَرَى الْمُتَكَبِّرَ إِنْ سَمَحَ بِمَمْشَاهُ مَعَ النَّاسِ يَكُونُ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِمْ ، حَرِيصًا جِدًّا أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ خَلْفَهُ ، وَتَرَاهُ إِنْ جَلَسَ مَعَهُمْ وَرَضِيَ أَنْ يَكُونُوا جُلَسَاءَهُ ، مُحْتَفِظًا بِصَدْرِ الْمَجْلِسِ مُسْتَقِلًّا بِهِ وَيَسْرُهُ أَنْ يُصْغُوا إِلَى كَلَامِهِ ، وَيُؤَلِّمُهُ كَلَامَ غَيْرِهِ وَتَجِدُهُ يَنْتَظِرُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَتَلَقَّوْا كَلَامَهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ .

وَمِنْ آثَارِ الْكِبَرِ تَصْعِيرُ الْخَدِّ ، وَالنَّظَرُ شَزْرًا ، وَاطِّرَاقُ رَأْسِهِ ، وَجُلُوسُهُ مُتَرَبِّعًا أَوْ مُتَكَيِّئًا .

وَتَظْهَرُ الْكِبَرُ أَيْضًا فِي أَقْوَالِ الْمُتَكَبِّرِ حَتَّى فِي صَوْتِهِ وَنَغْمَتِهِ وَصِيغَةِ كَلَامِهِ فِي الْإِيرَادِ وَقِيلَ لِإِحْمَقَ تَكَبَّرَ وَقَامَ سَاخِطًا عَلَى اسْتَاذِهِ لِمَاذَا قُمْتَ فَقَالَ دَخَلْتُ وَلَمْ يَحْتَرِمْنِي وَجَلَسْتُ فَلَمْ يُكْرِمْنِي وَلَمْ يَذِرْ مَنْ أَنَا وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ

(وَلَوْ كَانَ ادْرَاكَ الْهُدَى بِتَذَلٍّ
رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى)

وَيَظْهَرُ أَيْضًا أَثَرُ الْكِبَرِ فِي مَشْيِهِ وَتَبَخُّرِهِ وَقِيَامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَفِي تَعَاطِيهِ لِأَفْعَالِهِ ، وَفِي سَائِرِ تَقَلُّبَاتِهِ فِي أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وَفِي كِتَابِ الْخُمُولِ وَالتَّوَاضُّعِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ الْحَسَنِ ، إِذْ مَرَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْأَهْتَمِ يُرِيدُ الْمَنْصُورَ وَعَلَيْهِ جُبَابٌ خَزٍ ، قَدْ نَصَدَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى سَاقِهِ ، وَانْفَرَجَ عَنْهَا قَبَاؤُهُ وَهُوَ يَمْشِي وَيَتَبَخَّرُ ، إِذْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ نَظْرَةً فَقَالَ : أَفَ أَفٍ ، شَامِخُ بَأْنَفِهِ ثَانِي عِطْفِهِ ، مُصَعَّرُ خَدِّهِ ، يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ أَيُّ حَمِيقٍ يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ فِي نِعَمٍ غَيْرَ مَشْكُورَةٍ وَلَا مَذْكُورَةٍ ، غَيْرَ الْمَاخُوذِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَا الْمُؤَدِّيَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا وَاللَّهُ أَنْ يَمْشِيَ أَحَدُهُمْ طَبِيعَتَهُ يَتَلَجَّلَجُّ تَلَجَّلَجَّ الْمَجْنُونُ فِي كُلِّ عَضُومِهِ نِعْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ بِهَا لَعْنَةٌ ، فَسَمِعَهُ ابْنُ الْأَهْتَمِ ، فَرَجَعَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَا تَعْتَذِرْ إِلَيَّ وَتُبْ إِلَى رَبِّكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ .

ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال : إن للشياطين اخوانا .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام ، وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك .

ومن آثار الكبر أن المتكبر يحرص جدا على أن يمشي معه غيره ويكون الماشي معه خلفه ، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبده إذ كان لا يظهر في صورة ظاهرة ، ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم ، وكان ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض أصحابه فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ، إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والاعجاب .

ومن آثار الكبر أن يستنكف من جلوس غيره معه بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه ، والتواضع خلافه ، ومنها أن لا يتعاطى شغلا في بيته ، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة - في مهنة أهله يعني خدمتهم ، ومن آثار الكبر أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله ، وهو خلاف التواضع ، فقد كان ﷺ يفعل ذلك ، وقال علي كرم الله وجهه : لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله ، وكان أبو عبدة يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وهو أمير .

وقال ثابت بن مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة خطب وهو يومئذ خليفة لمروان ، فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك ،

وعن الأصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ : كَانِي أَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعَلِّقًا لَحْمًا فِي يَدِهِ الْيُسْرَى وَفِي يَدِهِ الْيُمْنَى الدُّرَّةُ يَدُورُ فِي الْأَسْوَاقِ حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ اشْتَرَى لَحْمًا بِدِرْهَمٍ فَحَمَلَهُ فِي مِلْحَفَتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ أَحْمِلْ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَا ، أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ أَنْ يَحْمِلَ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَتَاهُ لَيْلَةً ضَيْفٌ وَكَانَ يَكْتُبُ فَكَادَ السِّرَاجُ يَطْفَأُ ، فَقَالَ الضَّيْفُ : أَقُومُ إِلَى الْمِصْبَاحِ فَأُصْلِحُهُ فَقَالَ : لَيْسَ مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ ، قَالَ . أَفَأَنْبَهُ الْغُلَامَ ؟ فَقَالَ : هِيَ أَوَّلُ نَوْمَةٍ نَامَهَا . فَقَامَ فَأَخَذَ الْبَطَّةَ فَمَلَأَ الْمِصْبَاحَ زَيْتًا ، فَقَالَ الضَّيْفُ : قُمتَ أَنْتَ بِنَفْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ : ذَهَبْتُ وَأَنَا عُمَرُ وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ مَا نَقَصَ مِنِّي شَيْءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُتَوَاضِعًا وَمِنْ آثَارِ الْكِبَرِ تَطَوُّيلُ الشَّارِبِ الَّذِي يُسَمَّى شَنَبَاتٍ كَأَنَّهَا رِيشُ الْجَعَلِ إِذَا ابْتَدَأَ بِالطَّيْرَانِ أَوْ نَزَلَ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ .

وكَذَلِكَ إِمَالَةُ الْعِقَالِ إِلَى الْجَبْهَةِ أَوْ إِلَى جَانِبِ الرَّأْسِ .

وَمِنْ آثَارِهِ إِسْبَالُ الثِّيَابِ وَالتَّفَاخُرُ بِهَا .

وَحُكِيَ أَنَّ مُطَرِّفَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا وَيَمْشِي الْخِيَلَاءَ ، فَقَالَ مُطَرِّفٌ لِلْمُهَلَّبِ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِي يُبَغِضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : أَمَا تَعْرِفُنِي وَتَنْهَانِي مِمَّا رَأَيْتَ فَقَالَ بَلْ أَعْرِفُكَ أَوْلَكَ نُطْفَةً مَذِرَةً وَآخِرُكَ جِيفَةً قَذِرَةً وَحَشُوكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ ، قَالَ بَعْضُهُمْ .

يا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إِعْجَاباً بِصُورَتِهِ
أَنْظُرْ خَلَاكَ فَإِنَّ التَّنَّ تَشْرِيبُ
لو فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ
ما اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ شُبَّانُ وَلَا شَيْبُ
هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ مِثْلَ الرَّأْسِ مَكْرَمَةٌ
بِأَرْبَعٍ هُوَ فِي الْأَقْدَارِ مَضْرُوبُ
أَنْفٍ يَسِيلُ وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَهْلُ
وَالْعَيْنُ مُرْفُضَةٌ وَالثَّغْرُ مَلْعُوبُ
يا ابنِ التُّرَابِ وَمَأْكُولِ التُّرَابِ غَدًا
اقْصُرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ

وَمِنْ آثَارِهِ جَعَلَ خَاتَمَ ذَهَبٍ أَوْ سَاعَةً فِيهَا ذَهَبٌ . وَمِنْ آثَارِ الْكِبَرِ جَعَلَ
الْكَبَكَاتِ فِي أَكْمَامِ الثِّيَابِ ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ ، وَبِيَدِهِ الدَّرَّةُ ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ فِيهِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ
رِقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدٍ وَعُوتِبَ عَلَيَّ كَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ فِي إِزَارٍ مَرْقُوعٍ ، فَقَالَ يَقْتَدِي بِهِ
الْمُؤْمِنُ وَيَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ . أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا الْمُظْلِمِ .

وَمِنْ آثَارِ الْكِبَرِ الْأَكْلُ أَوْ الشُّرْبُ بِالْيَسَارِ وَهُوَ خِلَافُ السُّنَّةِ وَالْعَقْلِ
وَالْأَدَبِ .

فَإِنَّ الْيَسَارَ لِمَا يُسْتَكْرَهُ كَالِاسْتِجْمَارِ وَالِاسْتِنْجَاءِ وَالتَّمَخُّطِ وَإِخْرَاجِ مَا فِي
الْأَنْفِ . أَوْ فِي الْجُرُوحِ مِنْ صَدِيدٍ وَغَسَلِ الْأَوْسَاحِ وَالنَّجَاسَاتِ ، أَوْ لِمَا
يَحْرُمُ وَيَسْتَقْدَرُ كَالدُّخَانِ وَالْخَمْرِ ، وَالْيُمْنَى عَلَى الْعَكْسِ لِلْأَكْلِ وَالشَّرَابِ
وَالْتَّسْوُكِ وَالتَّطْيِيبِ ، وَتَقْدِيمِهَا لِلسَّلَامِ وَلِلْمُنَاوَلَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ لَا يُقْبَلُ بِهَا .

وقد يصلُّ الكِبَرُ ومِثْلُهُ العُجْبُ - بِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْ يُورِدَهُ مَوَارِدَ الكُفْرِ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ، كَمَا حَصَلَ لِلْمُتَكَبِّرِ بَيْنَ عَلَى اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ
 رَجُلًا كَانَ جَالِسًا فِي طَرِيقٍ فَمَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ ؟
 فَقَالَ يَا هَنَاءُ أَمْثَلِي يَكُونُ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ ؟ وَخَطَبَ رَجُلٌ آخَرُ فِي النَّاسِ ، فَلَمَّا
 انْتَهَى مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ . أَكْثَرَ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِكَ فَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ
 كَلَّفْتُمُ اللَّهَ شَطَطًا . أَيُّ امْرَأًا بَعِيدًا وَمُشَقًّا نَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَالِهِ . وَحَالَةِ
 أَمْثَالِهِ قَلَّلَهُمُ اللَّهُ فِي الْمُسْلِمِينَ .

وآخرُ أضلُّ راحِلَتَهُ فَالْتَمَسَهَا فَلَمْ يَجِدْهَا فَقَالَ إِنْ لَمْ يَرِدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رَاحِلَتِي
 لَا صَلَّيْتُ لَهُ صَلَاةً أَبَدًا ، فَالْتَمَسَهَا النَّاسُ فَوَجَدُوهَا ، فَقَالُوا لَهُ : قَدْ رَدَّ اللَّهُ
 عَلَيْكَ رَاحِلَتَكَ فَصَلِّ ، فَقَالَ إِنْ يَمِينِي يَمِينُ مُصِرٍّ ، كَأَنَّهُ يُهْدِدُ اللَّهَ ، نَعُودُ
 بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَآخِرُ دَخَلَ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ فَبَسَطَ نَاسٌ لَهُ أَرْدِيَّتَهُمْ تَعْظِيمًا لَهُ ،
 فَمَشَى عَلَيْهَا وَقَالَ لِرَجُلٍ يُمَاشِيهِ : (لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) اقْتِبَاسًا
 مِنْ آيَةِ الصَّافَاتِ ، إِلَى هَذَا الْحَدِّ يَصِلُ الْكِبَرُ بِأَهْلِيهِ قَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبَرِ وَالْهَوَى
 فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَانِ
 وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرْ
 قِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأُ
 فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً
 وَالْكِبَرُ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
 وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعُ
 هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

وَنَصِيبُ الْمُتَكَبِّرِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَزْدُرُوهُ وَيَحْتَقِرُوهُ وَيَمْتَهِنُوهُ وَيَمْقُتُوهُ ،
وَيَعْمَلُوا خِلَافَ مَا يَفْهَمُونَ أَنَّهُ يُحِبُّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْعُوهُ يَغْلِي مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ
غَيْظًا وَحَقْدًا ، وَلَوْ أُمِكنَ النَّاسُ أَنْ يَجْعَلُوا الْمُتَكَبِّرَ دَائِمًا فِي غُمُومٍ وَهُمُومٍ لَمَّا
تَأَخَّرُوا عَنْ ذَلِكَ ، فَالنَّاسُ لَهُمْ كَرَامَةٌ يَفْعَلُونَ بِمَنْ يَكْرَهُونَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ
يَحْتَقِرُهُمْ وَيَمْتَهِنُ كَرَامَتَهُمْ وَيَرَى نَفْسَهُ فَوْقَهُمْ فَهُمْ يُدْرِكُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَوَضَّعَ
إِلَّا إِذَا أَهْنَتْهُ وَلَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ إِلَّا احْتَقَرَتْهُ وَعَامَلَتْهُ مِثْلَ مُعَامَلَتِهِ وَأَنَّهُ يُنَبِّطِقُ
عَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مُسَّ بِأَضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا تَطْمَعُ فِي رِيحِهِ إِلَّا إِذَا أُحْرِقَ بِالنَّارِ

آخر :

يَا مَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ كَمَا تَبَرَّمَتِ الْأَجْفَانُ بِالسُّهْدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالًا فَأَحْسِبُهُ لِثِقَلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كِبَدِي

آخر :

أَهْنُ عَامِرًا تَكْرُمُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَخُو عَامِرٍ مَنْ مَسَّهُ بِهِوَانِ

وَأَمَّا نَصِيبُ الْمُتَكَبِّرِ مِنَ اللَّهِ فَكَأَمْ سَمِعْتَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ،
وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي إِذَا سَمِعَهَا الْمُتَوَاضِعُ الْمُؤَقِّقُ فَتَشَّ عَلَى نَفْسِهِ خَشْيَةً
أَنْ يَكُونَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْكِبَرُ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ .

عَجِبْتُ لِمَا تَتَوَقَّ النَّفْسُ جَهْلًا إِلَيْهِ وَقَدْ تَصَرَّمَ لِإِنْبَاتِ

وِعِصْيَانِي الْعَذُولُ وَقَدْ دَعَانِي
إِلَى رُشْدِي وَمَا فِيهِ نَجَاتِي
أَوْمَلُ أَنْ أَعِيشَ وَكُلُّ يَوْمٍ
بِسَمْعِي رَنَّةٌ مِنْ مُغُولَاتِي
وَأَيْدِي الْحَافِرِينَ تَكِلُ مِمَّا
تُسَوِّي مِنْ مَسَاكِنَ مُوَحِّشَاتِ
نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا
وَنَسْكُنُ حِينَ تَخْفِي ذَاهِبَاتِ
كَرْوَعَةٍ ثَلَّةٍ لِيُظْهِرَ ذَنْبُ
فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
فَإِنْ أُمَّلْتَ أَنْ تَبْقَى فَسَائِلُ
بِمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْخَالِيَاتِ
فَكَمْ مِنْ ذِي مَصَائِعٍ قَدْ بَنَاهَا
وَشَيَّدَهَا قَلِيلُ الْخَوْفِ عَاتِي
قَلِيلُ الْهَمِّ ذِي بَالٍ رَخِي
أَصَمَّ عَنِ النَّصَائِحِ وَالْعِظَاتِ
فَبَاتَ وَمَا يُرَوِّعُ مِنْ زَوَالِ
صَحِيحاً ثُمَّ أَصْبَحَ ذَا شِكَاةِ
فَبَاكَرَهُ الطَّيِّبُ فَرِيعَ لَمَّا
رَأَهُ لَا يُجِيبُ إِلَى الدُّعَاةِ
فَلَوْ أَنَّ الْمُفَرِّطَ وَهُوَ حَيٌّ
تَوَخَّى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

لَفَازَ بِغِبْطَةٍ وَأَصَابَ حَظًّا
وَلَمْ يَغْشَ الْأُمُورَ الْمُؤِيقَاتِ
فَيَا لِكَ عِنْدَهَا عِظَةٌ لِحَيٍّ
وَيَا لِكَ مِنْ قُلُوبٍ قَاسِيَاتِ
وَكُلُّ أَخِي ثَرَاءٌ سَوَفَ يُمَسِّي
عَدِيمًا وَالْجَمِيعُ إِلَى شَتَاتِ
كَأَنَّ لَمْ يُلَفَ شَيْءٌ مَا تَقْضَى
وَلَيْسَ بِفَائِتٍ مَا سَوَفَ يَأْتِي

اللهم إنا نعوذُ بك من سوء القضاءِ وشماتةِ الأعداءِ ، وعُضَالِ الدَّاءِ ،
وخبِيَةِ الرجاءِ وزوالِ النعمةِ وفَجْأَةِ النِّقْمَةِ ، ونسألك أن تغفرَ لنا ولوالدينا ،
ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

فُصْلٌ

وَاللِّكْبَرِ عِلَاجٌ قَدْ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ أَوَّلًا أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَيَعْرِفَ
نَفْسَهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ رَبَّهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَلِيْقُ الْعِظَمَةُ وَالْكِبَرِيَاءُ إِلَّا
بِاللَّهِ ، وَإِذَا عَرَفَ نَفْسَهُ عَلِمَ أَنَّهُ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ لَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا الْخُضُوعُ لِلَّهِ
والتَّوَاضُّعُ وَالدِّلَةُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
خَلَقَهُ ، مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ
أَنْشُرَهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا

مذكوراً ﴿ ففي الآياتِ الإشارةُ إلى خَلْقِ الإنسانِ وإلى آخِرِ أمرِهِ وإلى وَسْطِهِ ،
 أما أَوَّلُهُ فهو أنه لم يَكُنْ شيئاً مذكوراً وقد كَانَ في حَيِّزِ العَدَمِ دُهوراً ، ثم
 خَلَقَهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ مِن تُرابٍ ثم مِن نَطفَةٍ ثم مِن عِلْقَةٍ ثم مِن مُضْغَةٍ ثم جَعَلَهُ
 عِظَاماً ثم كَسَا العِظَامَ لَحْماً ، فقد كَانَ هذا بَدَايَةُ وُجُودِهِ أَوَّلًا جَمَادًا لَا يَسْمَعُ
 وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُحِسُّ وَلَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَنْطِقُ وَلَا يَبْطِشُ وَلَا يُدْرِكُ وَلَا يَعْلَمُ ، كَذَا
 خَلَقَهُ اللَّهُ .

ثم أَمَتْنِ عَلَيْهِ فَقَالَ ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ أَي بَيَّنَّهُ وَأَوْضَحَهُ وَسَهَّلَهُ ، كما
 في قوله تعالى ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ فالله جل وعلا هو الذي أَحْيَا الإنسانَ بَعْدَ
 أَنْ كَانَ جَمَادًا مَيِّتًا ، تُراباً أَوَّلًا ونَطفَةً ثَانِيًا ، وَأَسْمَعَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَصَمًّا وَبَصَرَهُ
 بَعْدَ مَا كَانَ فَاقِدَ البَصَرِ ، وَقَوَّاهُ بَعْدَ الضَّعْفِ ، وَعَلَّمَهُ بَعْدَ الجَهْلِ ، كَمَا قَالَ
 تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

فَمَنْ كَانَ هَذَا أَوَّلُهُ ، وَهَذِهِ أَحْوَالُهُ ، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ البَطَرُ والأَشْرُ
 والكِبَرِيَاءُ والخِيَلَاءُ ؟ وهو الضَّعِيفُ الحَقِيرُ بالنسبةِ إلى قُدْرَةِ البَارِيءِ جلَّ وعَلَا
 كما قَالَ تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَلَّا انا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا
 يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دَافِقٍ ﴾ فَلْيَتَأَمَّلِ
 العَاقِلُ هَلْ يَلِيقُ الكِبَرُ بِمَنْ هَذَا أَوَّلُهُ ، وَآخِرُهُ أَنَّهُ يُسَلَبُ رُوحُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ
 وَعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَحِسُّهُ وَادْرَاكُهُ وَحَرَكَتُهُ وَجَمَالُهُ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِ ، فَيَعُودُ كَمَا كَانَ
 أَوَّلًا جَمَادًا ، لَا يَبْقَى إِلَّا شَكْلُ أَعْضَائِهِ وَصُورَتُهُ فِيهِ وَلَا حَرَكَةَ ، ثم يُوضَعُ في
 هَذَا التُّرابِ فَيَصِيرُ جِيفَةً مُتِنًا ، كما كَانَ في الأَوَّلِ نَطفَةً مَذِرَةً ، تَبْلَى أَعْضَاؤُهُ
 وَتَتَفَتَّتْ أَجْزَاؤُهُ ، وَتَنخَرُ عِظَامُهُ وَيَصِيرُ رَمِيمًا رُفَاتًا وَيَأْكُلُ الدُّودُ أَجْزَاءَهُ ،

وَيَكُونُ جِيفَةً يَهْرَبُ مِنْهُ كُلُّ حَيَوَانٍ وَيَسْتَقْدِرُهُ الْإِنْسَانُ ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَعُودَ تُرَاباً كَمَا كَانَ ، ثُمَّ يُحْيِيهِ الَّذِي خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيُقَاسِي الْبَلَاءَ وَالشَّدَائِدَ وَأَهْوَالَ الْمُزْعِجَاتِ ، فَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعاً كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ فَيَنْظُرُ إِلَى قِيَامَةِ قَائِمَةٍ ، وَسَمَاءٍ مُنْفَرَجَةٍ مُشَقَّقَةٍ ، وَأَرْضٍ مُبَدَّلَةٍ ، وَجِبَالٍ مُسِيرَةٍ ، وَنُجُومٍ مُنْكَدِرَةٍ ، وَشَمْسٍ مُنْكَسِفَةٍ ، وَأَحْوَالٍ مُظْلِمَةٍ وَمَلَائِكَةٍ غِلَظِ شِدَادٍ ، وَجَهَنَّمَ تَزْفُرُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَنَهِمٍ﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْمَجْرِمُ فَيَتَحَسَّرُ ، وَيَرَى صَحَائِفَ مَنْشُورَةً ، فَيَقَالُ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ فِيهِ جَمِيعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَإِخَّرَ﴾ قَالَ تَعَالَى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وَقَالَ ﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ، كَرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

فَمَا لِمَنْ هَذَا حَالُهُ وَمَالُهُ وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّجَبُّرُ ، بَلْ مَالُهُ وَلِلْفَرَحِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَضْلاً عَنِ الْأَشْرِ وَالْبَطْرِ ، قَالَ ﷺ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ » فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطَّرِيقِ لِتَذَلُّيلِ النَّفْسِ وَحَمْلِهَا عَلَى الْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وَأَمَّا الْعِلَاجُ الثَّانِي فَهُوَ التَّوَاضُّعُ لِلَّهِ بِالْفِعْلِ وَلِسَائِرِ الْخَلْقِ بِالمُوَاضَبَةِ عَلَى أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ الْمُتَبِعِينَ لِطَرِيقَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَمِنْ جُمْلَتِهَا مَا فِيهَا مِنَ التَّوَاضُّعِ بِالمُثُولِ قَائِماً وَبِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ » وَقَدْ ذَكَرْنَا نُمُودَاجاً مِنْ تَوَاضُّعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَصْلِ التَّوَاضُّعِ مَنْ أَحَبَّ الزِّيَادَةَ فَيَرْجِعْ إِلَيْهِ قَالَ بَعْضُ مَنْ رَضِيَ بِالكِفَافِ وَقَنَعَهُ

اللَّهُ بِمَا آتَاهُ وَمَنْ عَلَيْهِ بالتواضع .

أَيَا لَائِمِي مَالِي سِوَى الْبَيْتِ مَوْضِعُ
أَرَى فِيهِ عِزًّا إِنَّهُ لِي أَنْفَعُ
فِرَاشِي وَنَاطِعِي فَرَوْتِي فَرَجِيَّتِي
لِحَافِي وَأَكْلِي مَا يَسُدُّ وَيُشْبِعُ
وَمَرْكُوبِي الْآنَ الْأَتَانُ وَنَجْلُهَا
لِاخْلَاقِ أَهْلِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ أَتَّبِعُ
وَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
غَنَى النَّفْسِ مَعَ شَيْءٍ بِهِ اتَّقَنُ
أَوْفِرُهُ لِلْأَهْلِ خَوْفًا يَرَاهُمْ
عَدُوَّ بَعِيشٍ ضَيِّقُ فَيُشْنَعُ
وَأُصْبِرُ فِي نَفْسِي عَلَى مَا يَنْوِبُنِي
وَأُطَلِّبُ عَفْوَ اللَّهِ فَالْعَفْوُ أَوْسَعُ
وَمَا دُمْتُ أَرْضَى بِالْيَسِيرِ فَإِنِّي
غَنِيٌّ لِغَيْرِ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَخْضَعُ
وَرَبِّي قَدْ آتَانِي الصَّبْرَ وَالْغِنَى
عَنِ النَّاسِ فِي هَذَا لِي الْعِزُّ أَجْمَعُ
وَقَدْ مَرَّ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثُ أَعْدُهَا
وَسِتُونَ فِي رَوْضٍ مِنَ اللَّطْفِ أُرْتَعُ
وَوَجْهِي مِنْ ذُلِّ التَّبَدُّلِ مُقْفِرُ
مُقِلُّ وَمِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ مُوسِعُ

وَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي أَنَّ ذَا يَسْتَمِرُّ لِي إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ
وَإِنِّي لَا أَلْجَا إِلَى غَيْرِ بَابِهِ فَأَبْقَى كَمَا قَدْ قِيلَ وَالْقَوْلُ يُسْمَعُ
نُرْقِعُ دُنْيَانَا بَتَمْزِيْقِ دِينِنَا فَلَا دِينَنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللَّهَ رَبَّهُ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْتَنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصَ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِي .

فصل : وَلَا يَتِمُّ التَّوَاضُّعُ بَعْدَ بِالْمَعْرِفَةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ ، وَلِذَلِكَ أُمِرَ
الْعَرَبُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْإِيمَانِ وَبِالصَّلَاةِ جَمِيعًا ، وَقِيلَ
الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ ، وَفِي الصَّلَاةِ أَسْرَارٌ لِأَجْلِهَا كَانَتْ عِمَادَ الدِّينِ ، وَمِنْ
جَمَلَتِهَا مَا فِيهَا مِنَ التَّوَاضُّعِ بِالْمَثُولِ قَائِمًا وَبِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، قَالَ حَكِيمٌ
بْنُ حِزَامٍ : بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنْ لَا أُخِرَّ قَائِمًا ، فَبَايَعَهُ ﷺ ثُمَّ فَقَّهَ
وَكَمَّلَ إِيْمَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ عِنْدَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الدِّلَّةِ وَالضَّعَةِ
أَمَرُوا بِهِ لِتَنكِسَرَ بِذَلِكَ خِيَلُهُمْ ، وَيَزُولَ كِبَرُهُمْ ، وَيَسْتَقِرَّ التَّوَاضُّعُ فِي
قُلُوبِهِمْ ، وَبِهِ أَمْرَ سَائِرِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالْمَثُولَ قَائِمًا هُوَ الَّذِي
يَقْتَضِيهِ التَّوَاضُّعُ فَكَذَلِكَ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرُ كُلَّ مَا يَتَقَاضَاهُ الْكِبَرُ مِنَ
الْأَفْعَالِ فَلْيُؤَاطِبْ عَلَى نَقِيضِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ التَّوَاضُّعُ لَهُ خُلُقًا ، فَإِنَّ
الْقُلُوبَ لَا تَتَخَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ .

وَمَنْ كَانَ يَعْتَرِيهِ الْكِبَرُ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ ، فَلْيُذَاوِ قَلْبَهُ بِأَمْرَيْنِ أَوَّلًا :
أَنْ هَذَا جَهْلٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ تَقَوَّى وَتَعَزَّزَ بِكَمَالِ غَيْرِهِ وَأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِكَمَالِهِ

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فِخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفِخَارَ بِنَفْسِهِ

وقال آخر فيمن افتخر بآبائه ذوي الشرف مع رداءته في نفسه :
لَئِنْ فَخَرْتُ بِآبَاءِ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِشَسْ مَا وَلَدُوا

آخر :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكْذِبٍ وَمُصْذِقٍ
فَاقِمِ لِنَفْسِكَ بَانْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مُحَمَّدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ

آخر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَسْتَأْنِفِ الْمَجْدَ نَفْسُهُ فَلَا خَيْرَ فِي مَا أَوْرَثَتْهُ جُدُودُهُ

آخر :

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالِي إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فَخْرًا جَدِيدًا

الثاني أَنْ يَعْرِفَ نَسَبَهُ الْحَقِيقِي ، فَيَعْرِفَ أَبَاهُ وَجَدَّهُ فَإِنْ أَبَاهُ الْقَرِيبَ
نُطْفَةً قَدْرَةً ، وَجَدَّهُ الْبَعِيدَ تُرَابٌ ذَلِيلٌ ، وَقَدْ عَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَسَبَهُ فَقَالَ جَلَّ
وَعَلَا : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ ﴾ فَمِنْ أَصْلُهُ التُّرَابُ الْمُهِينُ الَّذِي يُدَاسُ
بِالْأَقْدَامِ ثُمَّ خُمِرَ طِينُهُ حَتَّى صَارَ حَمًّا مَسْنُونًا كَيْفَ يَتَكَبَّرُ ؟

اللهم احمنا واعصمنا من الكبر والرياء والربا والحسد وسائر الأخلاق
الدينية ، ووفقنا للعمل بطاعتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ،
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فصل)

وإن كان التكبر بالجمال فدواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ، ولا
ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر
عليه تعززه بالجمال ، فإن الأقدار في جميع أجزائه ، فالرجيع في أمعائه ،
والبول في مثانته والمخاط في أنفه ، والبزاق في فيه ، والوسخ في أذنيه ،
والدم في عروقه ، والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه ، يغسل
الغائط بيده كل يوم مرتين أو ثلاثا ليخرج من باطنه ما لو عاينه لاستقذره ،
فضلاً عن أن يمسسه أو يشمه ، فهل يليق بمن هذه حالة الكبر والتعاضم . كلا
ما يليق به إلا التواضع للذي أوجده .

وفي أول أمره خلق من النطفة وفي بطن أمه يتغذى بدم الحيض ،
وأخرج من مجرى البول مرتين ، قال طاووس لعمر بن عبد العزيز - قبل توليه
الخلافة وزهده في الدنيا - ما هذه مشية من في بطنه خراء ، إذ رآه يتبختر ،
فاذا نظر إلى أنه خلق من ماء مهين ، وأسكن في أقدار ، وسيموت فيصير
جيفة لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن ، كيف ولو كان جماله
باقياً ، وجسمه عن هذه الأشياء خالياً ، لكان يجب عليه أن لا يتكبر ، ويعلم
أن هذا عرضة للزوال بمرض أو حرق أو قرحة أو برص أو تشويه ، فمعرفة
هذا تماماً تنزع باذن الله من القلب داء الكبر والعجب لمن أكثر تأملها .

وَإِنْ كَانَ التَّكْبَرُ بِالْقُوَّةِ فَالْعِلَاجُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَيَعْلَمَ مَا
سُلِّطَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ ، وَأَنَّهُ لَوْ أَصَابَهُ عُودٌ يَسِيرٌ وَدَخَلَ فِي لَحْمِهِ
لَأَقْلَقَ رَاحَتَهُ ، وَأَقْضَى مَضْجَعَهُ وَلَوْ وَجَعَ أَصْبَعٌ أَوْ عِرْقٌ مِنْ عُرُوقِ بَدَنِهِ لَتَأَلَّمَ
وَصَارَ أَعْجَزَ مِنْ كُلِّ عَاجِزٍ ، وَأَذَلَّ مِنْ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَأَنَّ الْبَعُوضَةَ وَالْجُرْثُومَةَ
الدَّقِيقَةَ إِذَا سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَهْلَكَتَهُ وَإِنْ حُمِيَ سَاعَةً تَحُلُّ مِنْ بَدَنِهِ مَا لَا يَنْجِبُهُ
بِالْمُدَّةِ الْكَثِيرَةِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تَمْشِيْ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضِعًا
فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمُو مِنْكَ أَرْفَعُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَمِنْعَةٍ
فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمُوا مِنْكَ أَمْنَعُ

فَمَنْ كَانَ هَذِهِ حَالُهُ فَلَا يَلِيقُ بِهِ الْكِبَرُ ، ثُمَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَا هُوَ أَقْوَى
بِكَثِيرٍ مِنْهُ ، وَأَيُّ افْتِخَارٍ وَتَعَاظُمٍ فِي صِفَةٍ يَسْبِقُهُ فِيهَا الْحِمَارُ . وَالْبَغْلُ وَالثَّوْرُ
وَالْفِيلُ .

وَإِنْ كَانَ التَّكْبَرُ بِالْمَالِ فَبِأَنْ يَعْرِفَ وَيَعْلَمَ أَنَّهُ عَرَضٌ زَائِلٌ ، وَفِي مَعْنَاهُ
التَّكْبَرُ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ ، وَيُقَالُ لَهَا كَثْرَةُ الشَّعْبِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ التَّكْبَرُ
بِوَلَايَةِ السَّلَاطِينِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَكْبَرٌ بِأَمْرٍ خَارِجِيٍّ أَيْ خَارِجٍ عَنْ ذَاتِ
الْإِنْسَانِ ، وَهَذَا أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ ، فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ بِمَالِهِ أَوْ عَقَارِهِ لَوْ ذَهَبَ مَالُهُ أَوْ
انْهَدَمَ عَقَارُهُ أَوْ تَلَفَ لَعَادَ فِي لَحْظَةٍ ذَلِيلًا مِنْ أَذَلِّ الْخَلْقِ وَكُلُّ مُتَكَبِّرٍ بِأَمْرٍ خَارِجٍ
عَنْ ذَاتِهِ مِنْ أَجْهَلِ الْخَلْقِ ، كَيْفَ وَالْمُتَكَبِّرُ بِالْمَالِ لَوْ تَأَمَّلَ لَرَآى فِي الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَرَةِ مَنْ يَزِيدُ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالتَّجْمُلِ وَالثَّرْوَةِ ،
فَأَفَّ لِشَرَفٍ يَسْبِقُكَ بِهِ يَهُودِيٌّ وَنَحْوُهُ ، وَيَأْخُذُهُ سَارِقٌ أَوْ نَحْوُهُ فِي لَحْظَةٍ ،

فَيَعُودُ صَاحِبُهُ ذَلِيلًا حَقِيرًا مُفْلِسًا .

وإن كان الكبرُ بالعلم - وهو أعظمُ الآفاتِ ، وأغلبُ الأدواءِ وأبعدُها عن قبولِ العلاجِ إلا بشِدَّةٍ شديدةٍ ، وذلكَ لأنَّ العلمَ عَظِيمٌ عندَ الناسِ ، وهو أعظمُ من قَدْرِ المالِ والجَاهِ ، ولذلك قالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه : العَالِمُ إذا زَلَّ زَلٌّ بَزَلَّتِهِ عَالَمٌ فَيَعْجَزُ العَالِمُ أن لا يَسْتَغْطِمَ نَفْسَهُ بالإِضافةِ إلى الجَاهِلِ ، لِكَثْرَةِ ما نَطَقَ بِهِ الشَّرْعُ مِن فَضَائِلِ العلمِ وأَهْلِهِ - فلا بُدَّ لِلْعَالِمِ من مَعْرِفَةٍ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أن يَعْلَمَ أن حُجَّةَ اللهِ عَلَى أَهْلِ العلمِ أَكْثَرُ ، وَأَنَّهُ يُحْتَمَلُ مِنَ الجَاهِلِ ما لا يُحْتَمَلُ مِنَ العَالِمِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَإِنَّ مَنْ عَصَى اللهَ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ أَكْثَرُ جَنَائِهِ مِمَّنْ عَصَى اللهَ عَلَى جَهْلِ ، لِأَنَّ العَالِمَ لم يَقْضِ حَقَّ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقَ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » رواه البخاري ومسلم . فإذا تَفَكَّرَ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَعَلِمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْخَوْفِ مِمَّا أَمَامَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْكَرَبَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، امْتَنَعَ بِإِذْنِ اللهِ مِنَ الْكِبَرِ ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ : لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي ، وَيَقُولُ الْآخَرُ لَيْتَنِي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ وَيَأْخُذُ الْآخَرُ تَبَنًى وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ التَّبَنَةَ ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : لَيْتَنِي كُنْتُ طَيْرًا أُوْكَلُ ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا .

الثاني أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿وَأَنَّهُ إِذَا تَكَبَّرَ صَارَ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللَّهِ بَغِيضًا ، وقد أحب الله منه أن يتواضع ، وأن يفكر في خطر الخاتمة ، فكم من إنسان مُزْدَرَى مُحْتَقَرٌ لِكُفْرِهِ أَوْ فِسْقِهِ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، فأقبل على الله فَسَعِدَ بِذَلِكَ وَشَهِدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ كَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبالعكس فكم من إنسانٍ عَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَمَنًا طَوِيلًا وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ عَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا كَثْعَبًا وَبِلْعَامٍ وَنَحْوَهُمَا مِمَّنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَوْلُهُ ﷺ : « إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » متفق عليه .

فَمَهْمَا بَلَغَ الْمَرْءُ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّقَى وَالْوَرَعَ وَالزُّهْدِ فَهُوَ فِي خَطَرٍ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْمَدَارُ ، فَيُمْلَأُ حَظَّتْهَا يَتَلَاشَى الْكِبْرُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَمِنْ أَضَرَّ مَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذَا الزَّمَانِ الشَّهَادَاتُ الْحَالِيَّةُ الَّتِي يُسَمُّونَهَا دُكْتُورَاهُ وَمَاجِسْتِيرَ وَعَالِمِيَّةَ وَبِكَالِيرْيُوسَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا رَأَى مَنْ لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهَا بَعِينَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاُمْتِيهَانِ وَالْاَزْدِرَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ مُضْعَفَةٌ لِلتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَبْلِ الرِّزْقِ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِقَوْلِهِمْ لِمَنْ لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهَا أَمَّنْ حَيَاتِكَ أُحْصِلْ عَلَى شَهَادَةٍ . وَنَسُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وَكَثِيرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَهْمَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَى الشَّهَادَةِ الْمَذْكُورَةِ .

شعرا :

أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ
وَتُصْبِحُ مِنْ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ آمِنًا
وَتَرْضَى بِصَرَافٍ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا
ضَمِينًا وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ بِمَا فِي كِتَابِهِ
فَأَصْبَحْتَ مَنَحُولَ الْيَقِينِ مُبَايِنًا

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ .

وَمَنْ أَمَعَنَ نَظْرَهُ فِي النَّاسِ وَسَبَّرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ بِكَثْرَةٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهُمْ
مِنَ الطَّغْيَانِ وَالْأُبْهَةِ وَالْكِبَرِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ
نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَصِمَةَ لَنَا وَلَاخَوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ .

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرِسُهُمْ
غُلُبَ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ
إِلَى مَقَابِرِهِمْ يَا بُئْسَ مَا نَزَلُوا
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِمَا دُفِنُوا
أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأُتَارُ وَالْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا فِيهَا وَمَا شَرِبُوا
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
وَطَالَمَا كَنَزُوا الْأَمْوَالَ وَأَذْخَرُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحَصِّنَهُمْ
فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا
أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَحُشًّا مُعْطَلَّةً
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
سَلَ الْخَلِيفَةِ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا
تَنْوُّ بِالْعُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَبِيدُ الَّتِي أَرْضَدَتْهُمْ عُدَدًا
أَيْنَ الْحَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخِطْيَةُ الذُّبُلُ
أَيْنَ الْكُمَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيعًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ الْكُمَاةُ الَّتِي مَاجُوا لِمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الْحُمَاةُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ

أَيْنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تَمْنَعْ بِأَسْهُمِهِمْ
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَتَّصِلُ
هَيْهَاتَ مَا كَشَفُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
عَنْكَ الْمَيِّتَةَ إِذْ وَافَى بِكَ الْأَجَلُ
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا عَنْكَ لَوْ بَذَلُوا
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ فِيهَا وَلَا الْحِيلُ
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ
بَلْ سَلَّمُوكَ لَهَا يَا قُبْحَ مَا فَعَلُوا
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَأْتِي بِهِ أَحَدٌ
وَلَا يَدُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ
مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَّرَحًا
وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ شُغِلُوا
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحُشًّا لَا أُنِيسَ بِهِ
يَغْشَاكَ مِنْ كَنْفِيهِ الرَّوْعُ وَالْوَهْلُ
لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ
إِلَّا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا
وَرُوحَهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
وَجِسْمُهُ لِإِنِّيَّاتِ الرَّدَى غَرَضُ
وَمَالُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَظَرُ
اللَّهُمَّ اأْمِنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُونِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ

اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادُنَا اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاستقامة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصل في الغضب والتحذير منه »

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمْ كُلَّ خُلُقٍ رَذِيلٍ أَنْ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ الْغَضَبُ إِلَّا أَنْ تَنْتَهِكَ مَحَارِمَ اللَّهِ فَيَغْضَبُ لِمَا يُغْضِبُ اللَّهُ وَيَمْلِكُ نَفْسَهُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُبْغَى عَلَيْهِ وَتَعْرِيفُ الْغَضَبِ أَنَّهُ قُوَّةٌ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ تَثَوُّرٌ مِنْ بَاطِنِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَى الدَّفَاعِ عَمَّا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَتَدْفَعُهُ إِلَى الْبَطْشِ بِكُلِّ مَا يُؤْذِيهِ فَإِذَا اعْتَدَى عَلَيْهِ مُعْتَدٍ أَوْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَغْرَاضِهِ تَثَوُّرٌ تِلْكَ الْقُوَّةُ فَيَغْلِي دَمُهُ وَيَنْتَشِرُ فِي الْعُرُوقِ وَيَرْتَفِعُ إِلَى أَعَالِي الْبَدَنِ فَيُظْهِرُ أَثَرَهُ عَلَى ظَاهِرِ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ .

وَالْغَضَبُ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ الْغَضَبَ غُولُ الْعَقْلِ وَإِذَا ضَعُفَ جُنْدُ الْعَقْلِ هَجَمَ جُنْدُ الشَّيْطَانِ وَمَهُمَا غَضِبَ الْإِنْسَانُ لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِهِ كَمَا يَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْكُرَةِ .

وَاللَّغْضَبُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ أَوَّلًا دَرَجَةُ الْاِعْتِدَالِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَغْضَبَ لِيُدْفَعَ عَنْ دِينِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ يَغْضَبَ لِيُدْفَعَ عَنْ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِينَ وَتِلْكَ الْحَالَةُ هِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْغَضَبَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لِحِكْمَةٍ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ بِانْتِشَارِ الْفَوْضَى وَتَقْوِيضِ دَعَائِمِ النُّظُمِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالِدِّيَّةِ لِأَنَّ مَنْ لَا يَغْضَبُ لِعَرَضِهِ لَا يَغَارُ لِنِسَائِهِ فَتَخْتَلِطُ الْأَنْسَابُ وَتَعُمُّ الْفَوْضَى فِي ذَلِكَ الْبَابِ وَيُضْبَحُ الْإِنْسَانُ

كَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَسْطُو بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِدُونِ غَيْرَةٍ وَلَا حَمِيَّةٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ التَّنَاسُلِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَبَقَاءُ الْعُمَرَانِ إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوُجُودِ .

وَمَنْ لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُعَرَّضاً لِلزُّوَالِ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ أَوْ مُعَرَّضاً لِأَنْ يُسَخَّرَهُ غَيْرُهُ كَمَا تُسَخَّرُ الدَّوَابُّ الَّتِي لَا تَغْضَبُ لِنَفْسِهَا .

وَمَنْ لَا يَغْضَبُ لِمَالِهِ فَإِنَّهُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْلُبَهُ النَّاسُ مِنْهُ وَيُصْبِحُ فَقِيراً مُعْدِماً وَإِذَا فَشَى سَلْبُ الْمَالِ فَإِنَّ نِظَامَ الْعَمَلِ يَتَعَطَّلُ وَتَبْطُلُ الْأَعْمَالُ التِّجَارِيَّةُ وَالصَّنَاعِيَّةُ وَالزَّرَاعِيَّةُ وَيَعْتَمِدُ النَّاسُ عَلَى سَلْبِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً .

وَمَنْ لَا يَغْضَبُ لِدِينِهِ فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى دِينٍ لِأَنَّ اخْتِلَافَ طَبَائِعِ النَّاسِ وَاخْتِلَافَ أَنْظَارِهِمْ مِنْ أَكْبَرِ الْبَوَائِعِ عَلَى اخْتِلَافِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ فَمَنْ لَا يَغَارُ عَلَى دِينِهِ يَكُونُ عُرْضَةً لِتَقْلِيدِ الْقَوِيِّ فِي كُلِّ مَا يَرَاهُ فَيَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ .

وَهَكَذَا فَخَلَقَ اللَّهُ الْغَضَبَ لِيَحْمِيَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيَسْتَقِرُّ النَّظَامُ وَيَقِفُ كُلُّ وَاحِدٍ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدمَتِ صَوَامِعُ وَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ .

وَلِلْغَضَبِ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَطَبَائِعِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِلتَّأَثُّرِ بِالْأَشْيَاءِ فَتَذْكُرُ طَرَفاً مِنْهَا لِيَجْتَنِبَهَا الْإِنْسَانُ ، فَمِنْهَا الْجِدَالُ وَالْمَرْحُ وَالسُّخْرِيَّةُ بِالنَّاسِ نَعُوذُ بِاللَّهِ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ وَاطْلَاقُ اللِّسَانِ فِي

السُّبِّ واللَّعْنِ والغَيْبَةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْكِبَرُ والعُجْبُ لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ الْمُعْجَبَ بِنَفْسِهِ
يَتَأَثَّرُ كُلَّمَا فَاتَهُ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُنَافِي عَظَمَتَهُ وَخِيَلَاءَهُ فَإِذَا طَالَ بِهِ أَحَدٌ بِحَقِّ اهْتِاجِ
غَضَبِهِ وَهَكَذَا إِذَا نُهِيَ عَنْ رَذِيلَةٍ لِأَنَّهُ مِنْ سَخَافَةِ عَقْلِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَامِلٌ مِنْ كُلِّ
وَجْهِ فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ أَوْ يَنْهَاهُ أَوْ يَقِفَ فِي سَبِيلِهِ أَوْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ
فِي الْوَاقِعِ نَاقِصٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَجْبُرَ نَقْصَهُ بِكِبَرِيَّائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَهُوَ
مَغْرُورٌ .

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَمِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَمْدُوحِ
وَالْمَذْمُومِ مِنَ الْغَضَبِ فَيَحْسِبُونَ التَّهَوُّرَ وَالطَّيْشَ شَجَاعَةً وَيَعُدُّونَ طُغْيَانَ
الْغَضَبِ الْمَوْجِبَ لِلظُّلْمِ رُجُوعًا وَيَتَبَجَّحُونَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ : أَنَا
الَّذِي لَا أَصْبِرُ عَلَى مَكْرُوهِ ، وَلَا عَلَى مَكْرٍ وَلَا أُحْتَمِلُ مِنْ أَحَدٍ أَمْرًا وَمَعْنَاهُ
حَقِيقَةُ لَا عَقْلَ فِيَّ وَلَا حِلْمَ يُذَكِّرُ فِي مَعْرَضِ الْفَخْرِ بِالْجَهْلِ فَإِذَا سَمِعَهُ
الْجَاهِلُ رَسَخَ فِي ذَهْنِهِ حُسْنُ الْغَضَبِ وَحُبُّ التَّشْبِهِ بِالْقَوْمِ فَيَقْوَى بِهِ
الْغَضَبُ ، وَمَهْمَا اشْتَدَّتْ نَارُ الْغَضَبِ وَقَوِيَ اضْطِرَامُّهَا أَغْمَتْ صَاحِبَهَا
وَأَصْمَتَهُ عَنْ كُلِّ مَوْعِظَةٍ فَإِذَا وُعِظَ لَمْ يَسْمَعْ بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ غَضَبًا وَإِذَا اسْتَنَارَ بِنُورِ
عَقْلِهِ وَرَاجَعَ نَفْسَهُ لَمْ يَقْدِرْ إِذْ يَنْطَفِئُ نُورُ الْعَقْلِ وَيَنْمِجِي فِي الْحَالِ بِدُخَانِ
الْغَضَبِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

فَإِنَّ مَعْدَنَ الْفِكْرِ الدِّمَاغُ وَيَتَصَاعَدُ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنَ غَلِيَانِ دَمِ
الْقَلْبِ دُخَانٌ مُظْلِمٌ إِلَى الدِّمَاغِ يَسْتَوْلِي عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرِ وَرُبَّمَا يَتَعَدَّى إِلَى
مَعَادِنِ الْحِسِّ فَتُظْلِمُ عَيْنُهُ وَتَسْوَدُّ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَيَكُونُ دِمَاغُهُ عَلَى مِثَالِ كَهْفٍ
اضْطَرَمَّتْ فِيهِ النَّارُ فَاسْوَدَّ جَوْهُ وَحَمِيَ مُسْتَقَرُّهُ وَامْتَلَأَتْ بِالْدُّخَانِ جَوَانِبُهُ وَكَانَ

فِيهِ سِرَاجٌ فَاَنْمَحَى أَوْ انْطَفَأَ فَلَا تَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ وَلَا يُسْمَعُ فِيهِ كَلَامٌ وَلَا يُرَى فِيهِ صُورَةٌ وَلَا يُقَدَّرُ عَلَى إِطْفَائِهِ لَا مِنْ دَاخِلٍ وَلَا مِنْ خَارِجٍ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُصْبَرَ إِلَى أَنْ يَحْتَرِقَ جَمِيعُ مَا يَقْبَلُ الْاِحْتِرَاقَ فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْغَضَبُ فِي الْقَلْبِ وَالْدِّمَاغِ ، وَرُبَّمَا تَقْوَى نَارُ الْغَضَبِ فَتُفْنِي الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِيهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ فَيَمُوتُ صَاحِبُهُ غَيْظًا كَمَا تَقْوَى النَّارُ فِي الْغَارِ فَيَتَفَكَّكُ وَتَهْدَمُ أَعَالِيهِ عَلَى أَسْفَلِهِ وَذَلِكَ لِإِبْطَالِ النَّارِ مَا فِي جَوَانِبِهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْمُمَسِكَةِ الْجَامِعَةِ لِأَجْزَائِهِ فَهَكَذَا حَالُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْغَضَبِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ .

وَبِالْحَقِيقَةِ فَالسَّفِينَةُ فِي مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الرِّيَّاحِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ أَحْسَنُ حَالًا وَأَرْجَى سَلَامَةً مِنَ النَّفْسِ الْمُضْطَرَبَةِ غَيْظًا إِذْ فِي السَّفِينَةِ مَنْ يَحْتَالَ وَيَتَسَبَّبُ لِتَسْكِينِهَا وَتَذْيِيرِهَا وَيَنْظُرُ لَهَا وَيَسُوسُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمَّا الْقَلْبُ فَهُوَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ وَقَدْ سَقَطَتْ حِيلَتُهُ إِذْ أَعْمَاهُ الْغَضَبُ وَأَصَمَّهُ انْتَهَى .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ فَوَاتُ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَسْكَنٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَكِنْ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مَمْلُوكَةً لَهُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَإِنْ كَانَ بِدُونِ مُبَرِّرٍ شَرْعِي فَلَهُ أَنْ يَغْضَبَ حَتَّى يَسْتَرِدَّهُ وَيَكُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَيْسَ مَذْمُومًا ثُمَّ إِنْ كَانَ الَّذِي فَاتَهُ ضَرُورِيًّا لَهُ كَانَ الْغَضَبُ وَاجِبًا مِنْ أَجْلِهِ وَإِنْ كَانَ كَمَالِيًّا كَانَ الْغَضَبُ مِنْ أَجْلِهِ جَائِزًا وَإِنْ كَانَ حَرَامًا عَلَيْهِ أَوْ غَيْرَ مَمْلُوكٍ لَهُ كَانَ الْغَضَبُ مَذْمُومًا .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ الْوِشَايَاتُ وَالنَّمَائِمُ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَغْضَبُ لِمُجَرَّدِ وَشَايَةٍ نُقِلَتْ إِلَيْهِ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ أَوْ لِمُجَرَّدِ نَمِيمَةٍ بَلَغَتْهُ مِنْ نَمَامٍ بِدُونِ أَنْ يَتَثَبَّتَ فِي الْأَمْرِ فَيَعْتَدِي عَلَى الْأَبْرِيَاءِ بِإِزَالَتِهِمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ، أَوْ نَقْلِهِمْ عَنْهَا إِلَى مَحَلَّاتٍ لَا يَرْغَبُونَهَا ، أَوْ يَتَسَبَّبُ لِقَطْعِ مَا هُوَ مَأْشٍ لَهُمْ مِنْ

أَرْزَاقٍ أَوْ يُؤْذِيهِمْ فِي أَبْدَانِهِمْ أَوْ يَقْدَحُ فِي أَعْرَاضِهِمْ أَوْ يُنْشِزُ الزَّوْجَةَ أَوْ
 بِالْعَكْسِ بَأَنْ يُنْشِزَ الزَّوْجَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْجَرَائِمِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى الْغَضَبِ
 وَرُبَّمَا كَانَتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي نُقِلَتْ إِلَيْهِ عَلَى فَرَضٍ صُدُورِهَا لَا تُسَاوِي شَيْئاً مِنْ
 غَضَبِهِ ، وَذَلِكَ شَرٌّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْغَضَبِ مِنَ الظُّلْمِ فَعَلَى مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ
 تَتَأَثَّرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ أَنْ يُعَالِجَهَا بِالتَّثَبُّتِ حَتَّى إِذَا تَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ كَانَ لَهُ
 الْحَقُّ فِي أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِقَدْرِ مَا أَصَابَهُ بِدُونِ بَغْيٍ وَلَا عُذْوَانٍ وَالْعَفْوُ فِي
 مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ أَفْضَلُ خُصُوصاً إِذَا أَنْكَرَ الْمَنْقُولُ عَنْهُ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْإِنْكَارَ
 اعْتِذَارٌ يَسْتَوْجِبُ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ وَبِالتَّالِي فَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ
 وَالْإِعْتِبَارِ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ وَسَامَحَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ وَقَبِلَ مَيْسُورَ عُذْرِهِ وَاحْتَسَبَ
 الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

شعرا :

سَكَنُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدَّقَا
 بَأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
 وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرُ
 إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا
 وَزَادِي قَلِيلُ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
 فَإِنْ أَكْ مَجْزِيَا بِذَنْبِي فَإِنِّي
 بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
 وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثَمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ
 فَثُمَّ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَسُرُورُ

اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَأَفْضِ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَغَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ
وَعَامِلْنَا بِرَأْفَتِكَ وَوَفَّقْنَا لخدمَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَمِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ الْمُشَاحَّةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَيَغْضَبُ الْوَاحِدُ إِذَا لَمْ
تَكُنِ السُّوْمَةُ تُنَاسِبُ الْقِيَمَةَ أَوْ سَاوَمَهُ وَلَمْ يَشْتَرِ أَوْ لَمْ يُقْرِضْهُ أَوْ لَمْ يُعِنِّهُ أَوْ نَحْوُ
ذَلِكَ وَالْغَضَبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ حِمَاقَةٌ لَا مُبَرَّرَ لَهَا لِأَنَّهُ مَا دَامَ لَمْ يَعْتَدِ
عَلَى حَقِّهِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَدِلَ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ ، وَأَنْ يُمَرِّنَ
نَفْسَهُ عَلَى احْتِمَالِ مَا يَقَعُ عَادَةً عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ مِنَ النَّزَاعِ وَأَنْ يُمَرِّنَ نَفْسَهُ
دَائِمًا عَلَى التَّوَاضُعِ وَيَذْكُرَهَا بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَيُفَهِّمَهَا بِأَنَّهُ ضَعِيفٌ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ
مَهِينٍ ، وَأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْفَنَاءِ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ عِظَامًا بَالِيَةً يُوطَأُ بِالْأَقْدَامِ كَمَا
قِيلَ :

يُذَفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي

أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي

وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فَلَا يَلِيقُ بِهِ التَّكَبُّرُ فَيَحْقِرُ خَلْقَ اللَّهِ وَيَطْفِئُ عَلَيْهِمُ
الَّذِينَ رُبَّمَا رَفَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ بَعْضُهُمْ .

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ

فَكَمْ وَضِيعٍ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ رَئَسَا

فَرُبُّ قَوْمٍ حَقَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَرَهُمْ
أَهْلًا لِيُخْدَمَتَنَا كَانُوا لَنَا رُؤَسَا

فَإِذَا نَزَعَتْ نَفْسُهُ إِلَى التَّوَاضُّعِ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَلَّمُ لِتِلْكَ الْأَعْتِبَارَاتِ الَّتِي يَتَأَلَّمُ
مِنْهَا الْمُتَكَبِّرُونَ وَبِهَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ سُرْعَةَ الْغَضَبِ إِلَى أَنْ تَقُلَّ
حِدَّتُهَا وَتَذْهَبَ ثَوَرَتُهَا وَهَذَا أَهَمُّ مَا تُعَالِجُ بِهِ أَنْفُسُ الْمُسْتَعِدِّينَ بِفِطْرَتِهِمْ
لِلْغَضَبِ وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ سُرْعَةُ غَضَبِهِ لَيْسَتْ طَبِيعَةً لَهُ وَلَكِنَّهَا اكْتَسَبَتْ بِالْعَادَةِ
وَالْمُخَالَطَةِ فَإِنَّهُ يُعَالِجُ بِأُمُورٍ أَوَّلًا اجْتِنَابُ مُصَاحَبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ ، ثَانِيًا
اجْتِنَابُ الْأَسْبَابِ الْمُثِيرَةِ لِلْغَضَبِ أَيْضًا ثَالِثًا تَعْلِيمُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْضَبَ
إِلَّا مِنْ أَجْلِ دِينِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ عَرَضِهِ أَوْ مَالِهِ وَمَا زَادَ عَلَى هَذَا فَهُوَ رَذِيلَةٌ مَذْمُومَةٌ
يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهَا وَلَا يَذَرَهَا تَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ فَتَضِيعَ سُلْطَةُ الْعَقْلِ
وَيُضْبَحُ الْإِنْسَانُ عُرْضَةً لِلْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحَسْبُكَ فِي ذَمِّ الْغَضَبِ أَنْ
النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ فِي النَّاسِ عَصْرَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ « إِنْ بَنَى
آدَمُ خُلُقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ أَوْ لَا وَإِنْ مِنْهُمْ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفِيءِ
وَالسَّرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفِيءِ وَالْبَطِيءُ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفِيءِ فَتِلْكَ بِتِلْكَ أَوْ لَا
وَإِنْ مِنْهُمْ بَطِيءَ الْفِيءِ سَرِيعَ الْغَضَبِ أَوْ خَيْرُهُمْ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفِيءِ
وَشَرُّهُمْ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفِيءِ أَوْ لَا وَإِنْ مِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ
وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الطَّلَبِ حَسَنُ الْقَضَاءِ فَتِلْكَ
بِتِلْكَ أَوْ لَا وَإِنْ مِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ أَوْ خَيْرُهُمْ الْحَسَنُ الْقَضَاءِ
الْحَسَنُ الطَّلَبِ وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ الطَّلَبِ أَوْ لَا وَإِنْ الْغَضَبُ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ
أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَسَيِّئَاتِ الْغَضَبِ كَثِيرَةٌ وَنَتَائِجُهُ
الْوَحِيْمَةُ أَكْثَرُ . فَمَنْ أَحْسَسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصِقْ بِالْأَرْضِ » رَوَاهُ
الترمذي .

وَمِنْ سَيِّئَاتِهِ أَنَّ الطَّلَاقَ غَالِبًا يَحْدُثُ عَنْ غَضَبٍ ، وَمِنْ سَيِّئَاتِهِ أَنْ الْفِرَاقَ
بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَوْلَادِ يَقَعُ غَالِبًا عَنْ غَضَبٍ .

وَمِنْ سَيِّئَاتِهِ اتِّلَافُ بَعْضِ الْمَالِ أَوْ كُلِّهِ .

وَمِنْ سَيِّئَاتِهِ أَنَّهُ رُبَّمَا قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أَوْلَادِهِ بِسَبَبِ غَضَبِهِ وَمِنْ
سَيِّئَاتِ الْغَضَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا غَضِبَ أَطْلَقَ لِسَانَهُ بِالْقَذْفِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ
وَالْبَهْتِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالشَّتْمِ وَالسَّبِّ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي الَّتِي
تَقْضِي عَلَى حَسَنَاتِهِ إِنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ وَإِلَّا فَتُوقِرُهُ مِنْ سَيِّئَاتِ عَدُوِّهِ وَلَوْ مَلَكَ
نَفْسَهُ لَسَلِمَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَمِنْ سَيِّئَاتِهِ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى الْمُهَاتَرَاتِ الشَّفَهِيَّةِ وَتَبَادُلِ السَّبَابِ بَيْنَ
الْمُتَخَاصِمِينَ وَهَذَا لَا يَجُوزُ وَكَمْ مِنْ مَعَارِكٍ تُبْتَدَلُ فِيهَا الْأَعْرَاضُ وَتَعْدُو
الشَّتَائِمُ الْمُحَرَّمَةُ عَلَى الْحُرْمَاتِ الْبَعِيدَةِ وَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَثَامِ الْغَلِيظَةِ مِنْ عِلَّةٍ إِلَّا
تَسَلُّطُ الْغَضَبِ ، وَضَيَاعُ الْأَدَبِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ سَوْرَاتِهِ دَلِيلُ
قُدْرَةِ مُحَمُّودَةٍ وَرَزَانَةِ عَقْلِ وَحَسْبِكَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا تَعْدُونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ » ؟ قَالُوا : الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ
الرِّجَالُ . قَالَ « لَا . وَلَكِنْ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي لَا أَنْسى . قَالَ « لَا
تَغْضَبْ » وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ وَأَقِيلُ .
قَالَ « لَا تَغْضَبْ » ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ « لَا تَغْضَبْ » ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ « لَا
تَغْضَبْ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْ لِي قَوْلًا
وَأَقِيلَهُ ، لَعَلِّي أُعْقِلُهُ . فَقَالَ « لَا تَغْضَبْ » فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ ، كُلُّ ذَلِكَ

يَرْجِعُ إِلَيَّ « لَا تَغْضَبْ » أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى بِسندٍ حَسَنٍ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » متفق عليه ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَهُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَالَيْكَ بَعْضُ الْأَثَارِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ انْظُرُوا إِلَى الرَّجُلِ عِنْدَ غَضَبِهِ وَأَمَانَتِهِ عِنْدَ طَمَعِهِ وَمَا عِلْمُكَ بِحِلْمِهِ إِذَا لَمْ يَغْضَبْ وَمَا عِلْمُكَ بِأَمَانَتِهِ إِذَا لَمْ يَطْمَعْ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَامِلِهِ أَنْ لَا تُعَاقِبَ عِنْدَ غَضَبِكَ وَإِذَا غَضِبْتَ عَلَى رَجُلٍ فَاجْبِسْهُ فَإِذَا سَكِنَ غَضَبُكَ فَأَخْرِجْهُ فَعَاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَغْلَظَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَوْلَ فَأُطْرَقَ عُمَرُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ أَرَدْتُ أَنْ يَسْتَفْزِنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي غَدًا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا يَثْبُتُ الْعَقْلُ عِنْدَ الْغَضَبِ كَمَا لَا تَثْبُتُ الرُّوحُ فِي الْحَيِّ فِي التَّنَائِيرِ الْمَسْجُورَةِ وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ لَقِيَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ عَلَّمَنِي عِلْمًا أَرْدَادُ بِهِ إِيمَانًا وَيَقِينًا قَالَ لَا تَغْضَبْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْدَرُ مَا يَكُونُ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِينَ يَغْضَبُ فَرُدَّ الْغَضَبَ بِالْكُظْمِ وَسَكَّنَهُ بِالثَّوْدَةِ وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ وَعَنْ ابْنِ عِيَّاسٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ نَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ : وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، إِذْ كَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَمَشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ يَا ابْنَ أَخِي اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَأْذَنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : هَيْهَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ

يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنْ
الْجَاهِلِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ
وَإِنَّمَا غَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُمْ بَرَدَعِ الْأَعْرَابِي لِتَطَاوُلِ الْأَعْرَابِي عَلَيْهِ
لَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ نَاصِحاً أَوْ مُشِيراً بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي سُلْطَانِهِ لِيُشْتِمَهُ دُونَ
مُبَرَّرٍ وَلَيْسَأَلَهُ عَطَاءٌ جَزِيلاً عَلَى غَيْرِ عَمَلٍ فَلَمَّا ذُكِّرَ عُمَرُ بِأَنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ
أَعْرِضَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ يَنْصَرِفُ سَالِماً وَفِي الْحَدِيثِ « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ
يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ
الْعَيْنِ .

شعرا :

تَبَهُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ لِلْمَقَابِرِ تُنْقَلُ
وَتُمْسِي رَهِيْنَا لِلْقُبُورِ وَتَنْثِنِي
لَدَى جَدَثٍ تَحْتَ الثَّرَى تَجْنَدُلُ
فَرِيداً وَحِيداً فِي التُّرَابِ وَإِنَّمَا
قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ
فَوَا أَسَفاً مَا يَفْعَلُ الدُّودُ وَالثَّرَى
بِوَجْهِ جَمِيلٍ كَانَ لِلَّهِ يَخْجَلُ
وَمَا يَفْعَلُ الْجِسْمُ الْوَسِيمُ إِذَا ثَوَى
وَصَارَ ضَجِيعَ الْقَبْرِ يَغْلُوهُ جَنْدَلُ
وَبَطْنِي بَدَا فِيهِ الرَّدَى ثُمَّ لَوْ تَرَى
دَقِيقَ الثَّرَى فِي مُقْلَتِي يَتَهَرَّوُلُ

أَعَيْنَايَ جُودًا بِالذُّمِّوعِ عَلَيْكُمَا
فَحُزْنِي عَلَى نَفْسِي أَحَقُّ وَأَجْمَلُ
وَيَا مُدَّعِي حُبِّي هَلُمَّ بِنَا إِذَا
بَكَى النَّاسُ نَبْكَى لِلْفِرَاقِ وَنُهْمِلُ
دَعِيَ اللَّهُو نَفْسِي وَادْكُرِّي حُفْرَةَ الْبَلَى
وَكَيْفَ بِنَادُودُ الْمَقَابِرِ يَفْعَلُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ حَالَتِي
إِذَا صِرْتُ فِي قَبْرِي وَحِيدًا أُمْلَمُ

اللهم يا حيُّ يا قيومُ يا عليُّ يا عَظِيمُ أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه
أهل طَاعَتِكَ وَيُذِل فيه أهلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤمِّر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر
اللهم بارك في أعمارنا وأصلح أَعْمَالَنَا وَنِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَاعْفِر لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تَرَوْنَهُ سَيِّئَ الْخُلُقِ ، عَنِيفاً شَرِساً فِي كُلِّ
حَالٍ إِنْ قَالَ فَعُنْفُ قَوْلِهِ يَنْطِقُ بِالْكَلِمَةِ فَلِعُنْفِهَا تُحْدِثُ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَحْكِيهِ
الْمَقَالُ إِنْ مِثْلَ هَذَا لَا تَطُولُ مَعَهُ عَشْرَةُ نِسَاءٍ وَلَا صَدَاقَةُ رِجَالٍ وَلَا يَجِدُ قَلْباً
يَعْطِفُ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ فِي أَشَدِّ الْأَحْوَالِ وَلَوْ قِيلَ لَكَ إِنَّ الْبَهَائِمَ تَنْفَرُ مِنْهُ لِعُنْفِهِ
وَشَرَّاسِيَّتِهِ فَصَدِّقْ هَذَا الْمَقَالَ وَلِلنَّاسِ عُذْرٌ وَاضِحٌ فِي نُفُورِهِمْ مِنْ هَذَا الْعَنِيفِ
السَّيِّئِ الْأَخْلَاقِ وَلَا لَوْمْ عَلَيْهِمْ إِذَا فَارَقُوهُ الْفِرَاقَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ مِنْ تَلَاقٍ فَإِنَّ

الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةَ مُتَّفِقَةً عَلَى بُغْضِ الْعُنْفِ وَكَيْفَ يُحِبُّ النَّاسُ مَنْ يُؤْذِيهِمْ
بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ فَالْعَنِيفُ شُوْمٌ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
شُوْمًا عَلَى سِوَاهُ وَرُبَّمَا عَمَّ شُوْمُهُ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ قَالَ ﷺ « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ
يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه ، وَفِي الْحَدِيثِ
الْآخِرِ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى
الْعُنْفِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَمَّا الرَّفِيقُ فَهُوَ الْعَبْدُ الْحَسَنُ الْخُلُقِ الْوَقُورُ الْحَلِيمُ الَّذِي
أَيْنَمَا كَانَ وَمَتَى كَانَ تَصْبُو إِلَيْهِ الْقُلُوبُ لِأَنَّهُ إِنْ قَالَ فَقَوْلُهُ حُلُوٌّ لِأَنَّهُ أُدِيبَ حَكِيمٌ
وَإِنْ فَعَلَ فَأَفْعَالُهُ تُرْشِدُ إِلَى تَعَلُّمِ الْأَدَبِ وَلَيْسَ بَنُو آدَمَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الرَّفْقَ ، بَلْ
يُشَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْظُرْ مَبْلَغَ حَيْنٍ تِلْكَ
الْحَيَوَانَاتِ إِلَيْهِمْ فَكُنْ رَفِيقًا أَيْهَا الْمُؤْمِنُ تَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ عِبَادِهِ
وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ لِذَوِي النَّهْيِ أَرْبٌ ، اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا
مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الْحَسَنَى وَزِيَادَةَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ الْحَسَدِ

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمْ كُلَّ خُلُقٍ
ذَمِيمٍ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ الْحَسَدُ إِذْ هُوَ مِنَ الذُّنُوبِ
الْمُهْلِكَاتِ ، وَمَعْنَى الْحَسَدِ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ فِي صَدْرِهِ وَقَلْبِهِ ضَيْقًا وَحَرَجًا
وَكِرَاهِيَةً لِنِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ حَتَّى أَنَّهُ لِيُحِبَّ
زَوَالَهَا عَنْهُ وَرُبَّمَا تَمَنَّى ذَلِكَ أَوْ سَعَى فِي إِزَالَتِهَا وَحَسْبُكَ بِذَمِّهِ وَقُبْحِهِ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ كَمَا أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ

الشَّيْطَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ .

والجِرْصُ والحَسَدُ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى الْقَلْبِ فَمَهْمَا كَانَ الْعَبْدُ حَرِيصًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعْمَاهُ جِرْصُهُ وَأَصَمَّهُ قَالَ ﷺ « حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ » وَنُورُ الْبَصِيرَةِ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ مَدَاخِلَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا غَطَّاهُ الْحَسَدُ وَالْجِرْصُ لَمْ يُبْصِرْ فَجِئْتَنِي بِجَدِّ الشَّيْطَانِ فُرْصَةً فَيُحَسِّنُ عِنْدَ الْحَرِيصِ كُلِّ مَا يُوَصِّلُهُ إِلَى شَهَوَاتِهِ وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَفَاحِشًا ، فَبِالْحَسَدِ لُعِنَ إِبْلِيسُ وَجُعِلَ شَيْطَانًا رَجِيمًا وَأَمَّا الْجِرْصُ فَإِنَّهُ أُبِيحَ لِآدَمَ الْجَنَّةَ كُلَّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ ، فَأَصَابَ حَاجَتَهُ إِبْلِيسُ مِنْ آدَمَ بِالْجِرْصِ فَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهَا .

وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ الْحَسَدَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ وَرَدَ فِيهِ تَشْدِيدٌ عَظِيمٌ حَتَّى قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه ، وَقَالَ ﷺ : « لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَفَيْحٌ جَهَنَّمَ وَلَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ الْكَامِلَ الَّذِي يَسْتَحْضِرُ صَاحِبُهُ أَنْ كُلِّ أَعْمَالِ اللَّهِ لِحِكْمَةٍ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الْحَسَدِ الَّذِي يُغْضِبُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ وَقِسْمَتِهِ وَيَقُولُ ﷺ فِي الْحَسَدِ « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِذَا تَحَاسَدُوا ارْتَفَعَ الْخَيْرُ مِنْهُمْ وَكَيْفَ لَا يَرْتَفِعُ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَكُلُّ مِنْهُمْ يَتَمَنَّى أَنْ يَزُولَ الْخَيْرُ الَّذِي عِنْدَ أَخِيهِ ، وَنَهَى ﷺ عَنِ الْحَسَدِ فَقَالَ « وَلَا تَحَاسَدُوا » وَالْحَسَدُ نَتِيجَةُ مِنْ نَتَائِجِ الْحَقْدِ وَثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِهِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَيْهِ فَإِنْ مَنْ يَحْقِدُ عَلَى إِنْسَانٍ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَتِهِ وَيَغْتَابَهُ وَيَنِمُّ عَلَيْهِ وَيَعْتَدِي عَلَى عِرْضِهِ ، وَيَشْمُتُ فِيهِ لِمَا يُصِيبُهُ

مِنَ الْبَلَاءِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْإِنْسَانِ وَكَثِيرًا
مَا تَرَى الْحَاسِدَ يُنْقَبُ عَنْ مَسَاوِي الْمَحْسُودِ فَيُبْرِزُهَا عَلَى صِفَةِ الذَّمِّ وَالتَّشْرِيبِ
فَيَنْتَبِهَ الْمَحْسُودُ لَهَا وَيَتَجَنَّبُهَا فَيَكُونُ السَّبَبُ فِي إِزَالَتِهَا عَدُوُّهُ الْحَاسِدِ كَمَا قِيلَ :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ
فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْوَا بَحْثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا
وَهُمْ نَافْسُونِي فَاتَّسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
طَوَيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِي جَزْلِ الْغَضَا
مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ رِيحِ الْعُودِ

آخِرُ :

مُحْسَدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ
مَنْ عَاشَ فِي النَّاسِ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودِ

آخِرُ :

إِنِّي حَسِدْتُ فَرَادَ اللَّهَ فِي حَسَدِي
لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودِ
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ
بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ
وَكَفَى بِالْحَقْدِ ذِمًّا أَنْ يَكُونَ الْحَسَدُ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَاتِهِ وَأَثَرًا مِنْ أَثَارِهِ .

وفي الغالب أنَّ الحسد يكون بين النظراء والزُملاء وأرباب الصناعات
 والمراتب والمناصب الحكومية فالتاجر يحسد التاجر والصانع يحسد الصانع
 والنجار يحسد النجار والفلاح يحسد الفلاح وأرباب الجاه يحسدون أرباب
 الجاه وذوو المناصب الحكومية يحسد بعضهم بعضاً ومن الأمثال المتداولة
 قولهم عدو المرء من يعمل عمله وللحسد أعاذنا الله وجميع المسلمين منه
 مراتب .

أحدها أن يتمنى زوال النعمة عن الغير ، ويعمل ويسعى في الوسائل
 المحرمة الظالمة ويسعى في إساءته بكل ما يستطيع وهذا الغاية في الخبث
 والخساسة والندالة وهذه الحالة هي الغالبة في الحساد خصوصاً المتزاحمين
 في صفة واحدة فإن من يربح منهم ربحاً كبيراً أو يظفر بلذة يرقبها غيره فإن
 ذلك الغير يحسده على ما حصل له من ذلك ويسعى في حرمانه في ذلك
 الربح ليظفر هو به ويكثر ذلك في طلاب المناصب والجاه .

المرتبة الثانية : أن يتمنى زوال النعمة ، ويحب ذلك ، وإن كانت لا
 تنقل إليه ، وهذا أيضاً في غاية الخبث ، ولكنها دون الأولى .

الثالثة أن يجد من نفسه الرغبة في زوال النعمة عن المحسود سواء
 انتقلت إليه أو إلى غيره ولكنه في جهاد مع نفسه وكفها عن ما يؤذي خوفاً من
 الله تعالى وكراهية في ظلم عباد الله ومن يفعل هذا يكون قد كفي شر غائلة
 الحسد ، ودفع عن نفسه العقوبة الأخروية ولكن ينبغي له أن يعالج نفسه من
 هذا الوباء حتى يبرأ منه .

الحالة الرابعة : أن يتمنى زوال النعمة عن الغير ، بغضاً لذلك

الشَّخْصِ ، لِسَبَبِ شَرْعِيٍّ ، كَأَنْ يَكُونَ ظَالِمًا يَسْتَعِينُ عَلَى مَظَالِمِهِ بِهَذِهِ
النَّعْمَةِ فَيَتَمَنَّى زَوَالَهَا لِيُرِيحَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ وَمِثْلُ أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا يَسْتَعِينُ بِهَذِهِ
النَّعْمَةِ عَلَى فِسْقِهِ وَفُجُورِهِ ، فَيَتَمَنَّى زَوَالَ الْمَغْلِّ هَذَا عَنْهُ لِيُرِيحَ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ
مِنْ شَرِّهِ الْقَاصِرِ وَالْمُتَعَدِّيِّ ، فَهَذَا لَا يُسَمَّى حَسَدًا مَذْمُومًا وَإِنْ كَانَ تَعْرِيفُ
الْحَسَدِ يَشْمَلُهُ ، وَلَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ مَمْدُوحًا لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ يَتَرْتَّبُ
عَلَيْهِ عَمَلٌ يَدْفَعُ هَذَا الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ وَيَرُدُّعُ هَذَا الظَّالِمَ .

الحَالَةُ الْخَامِسَةُ : أَنْ يُحِبَّ وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِثْلُهَا
فَلَا يُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْ صَاحِبِهَا فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ إِنْ كَانَ مِنَ النَّعْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ
كَالْمَالِ الْمُبَاحِ وَالْجَاهِ الْمُبَاحِ وَإِنْ كَانَ مِنَ النَّعْمِ الدِّيْنِيَّةِ كَالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ
وَالْعِبَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ كَانَ مَحْمُودًا كَأَنْ يَغْبِطَ مِنْ عِنْدِهِ مَالٌ حَلَالٌ ثُمَّ سُلِّطَ عَلَى
هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ فَإِنْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَكَذَا مَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ فَوْقَ لِنَشْرِهِ ،
كَمَا فِي الْحَدِيثِ « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى
هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » .
فَهَذَانِ النَّوعَانِ مِنَ الْإِحْسَانِ لَا يُعَادِلُهُمَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ تَرْتَبَ عَلَيْهِ وَسَاوِسُ
شَيْطَانِيَّةٍ ، وَخَوَاطِرُ نَفْسَانِيَّةٍ تَجُرُّ الْإِنْسَانَ إِلَى مَوَاضِعِ الْخَطَرِ الَّتِي تُفْسِدُ عَمَلَهُ
كَأَنْ يَقُولَ فِي نَفْسِهِ أَنَا أَحَقُّ مِنْهُ بِهَذَا فَهَذَا اغْتِرَاضٌ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَقِسْمَتِهِ
وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ :

شعرا :

عَلَيْكَ أُخِيَّ بِالتَّقَى وَلُزُومِهِ
وَلَا تَكْثِرَنَّ مَا فِيهِ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو

فَزَهْرَةٌ ذِي الدُّنْيَا سَرِيعٌ ذُبُولُهَا
وَكُنْ مُنْشِدًا مَا قَالَ بَعْضُ أُولِي النَّهْيِ
« إِذَا الْمَرْءُ جَاَزَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ
« فَدَعُهُ وَلَا تَنْفُسْ عَلَيْهِ الَّذِي أَتَى

آخر :

الْقَصْدُ بِالْمَلَامَةِ قَصْدٌ غَيْرِي
وَإِذَا عَاشَ امْرُؤٌ خَمْسِينَ عَامًا
فَلَا يُرْجَى لَهُ أَبَدًا رِشَادٌ
وَلَمْ لَا أُبْذَلِ الْإِنْصَافَ مِنِّي
وَأَمْرِي كُلُّهُ بَادِي الْخِلَافِ
فَقَدْ أُرْدَى بَنِيَّتِهِ التَّجَافِي
وَأَبْلُغَ طَاقَتِي فِي الْإِنْصَافِ
لِي الْوَيْلَاتُ إِنْ نَفَعَتْ عِظَاتِي
وَلَمْ يُرْ فِيهِ آثَارُ الْعَفَافِ
فَقَدْ أُرْدَى بَنِيَّتِهِ التَّجَافِي
وَأَبْلُغَ طَاقَتِي فِي الْإِنْصَافِ
سِوَايَ وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْقَوَافِي

(فَضْلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ لِلْحَسَدِ أَسْبَابًا .

الأول : العداوة والبغضاء وهذا أشدُّ أسبابِ الحسدِ .

الثاني : التعزُّزُ والترفع وهو أن يثقلَ عليه أن يرتفعَ عليه غيره فإذا
أصابَ أحدُ زملائه ولايةٌ أو مالا خافَ أن يتكبرَ عليه وهو لا يطيقُ تكبره
وافتحاره عليه .

السببُ الثالثُ الكبر وهو أن يكونَ في طبعه أن يتكبرَ عليه ويستحقِّره
ويستصغِّره ويستخِدمه فإذا نالَ ولايةً خافَ أن لا يحتملَ تكبره ومن التكبر
والتعزُّزِ كانَ حَسَدُ أَكْثَرِ الْكُفَّارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالُوا : كَيْفَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْنَا

غُلَامٌ يَتِيمٌ فَتَطَايَأُ رُؤُوسَنَا لَهُ . فَقَالُوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ .

السَّبَبُ الرَّابِعُ التَّعَجُّبُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ إِذْ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فَتَعَجَّبُوا مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِرُبِّيَّةِ الرُّسُلِ وَالْوَحْيِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ فَحَسَدُوهُمْ وَأَحْبَبُوا زَوَالَ النُّعْمَةِ عَنْهُمْ .

الخَامِسُ الْخَوْفُ مِنْ فَوْتِ مَقْصِدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِمُتَرَاكِمِينَ عَلَى مَقْصُودٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مِثْلُ الضَّرَاتِ عِنْدَ زَوْجِهِنَّ وَالتَّلَامِيذِ عِنْدَ الْأُسْتَاذِ وَالْإِخْوَةِ فِي التَّرَاحِمِ عَلَى نَيْلِ الْمَنْزِلَةِ فِي قَلْبِ الْأَبَوَيْنِ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى مَقَاصِدِ الْكَرَامَةِ وَالْمَالِ وَخُدَامِ الْمَلِكِ فِي نَيْلِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ قَلْبِهِ .

السَّادِسُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ الْجَاهِ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ تَوَصُّلٍ بِهِ إِلَى مَقْصُودٍ وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَاسْتَفْرَزَهُ الْفَرَحُ بِمَا يُمدِّحُ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْ سَمِعَ بِنَظِيرٍ لَهُ فِي أَقْصَى أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَسَاءَهُ ذَلِكَ ، وَأَحَبَّ مَوْتَهُ أَوْ زَوَالَ تِلْكَ النُّعْمَةِ الَّتِي عِنْدَ الَّذِي يُشَارِكُهُ بِهَا فِي الْمَنْزِلَةِ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ ثَرَوَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

السَّابِعُ : خُبْتُ النَّفْسَ وَحُبَّهَا لِلشَّرِّ وَشُحَّهَا بِالْخَيْرِ لِعِبَادِ اللَّهِ ، فَتَجِدُ الْمُتَّصِفَ بِذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ لَهُ اضْطِرَابٌ وَنَكَبَاتٌ تُصِيبُ النَّاسَ وَإِدْبَارُهُمْ وَفَوْتُ مَقَاصِدِهِمْ وَتَنَغِيصُ عَيْشِهِمْ اسْتِنَارَ وَجْهَهُ وَفَرَحَ بِهِ وَصَارَ يَبْتَهِهُ وَرُبَّمَا أَتَى بِإِسَاعَتِهِ فِي صُورَةِ التَّرْحِمِ وَالتَّوَجُّعِ فَهُوَ أَبَدًا يُحِبُّ الْإِدْبَارَ لِغَيْرِهِ وَيَبْخُلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ كَأَنَّهُ يُؤْخَذُ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنْ مَالِهِ وَخِزَانَتِهِ ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ

وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ وَهَذَا لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا التَّعَمُّقُ فِي الْخُبْثِ وَالرَّذَالَةِ وَالنَّذَالَةِ
وَالْخَسَاسَةِ فِي الطَّبَعِ اللَّئِيمِ وَلِذَلِكَ يَعْسُرُ مُعَالَجَةُ هَذَا السَّبَبِ لِأَنَّهُ جَهْلٌ
ظُلُومٌ وَلَيْسَ يَشْفِي عِلَّةَ صَدْرِهِ وَيُزِيلُ حَزَاةَ الْحَسَدِ الْكَامِنِ فِي قَلْبِهِ إِلَّا زَوَالُ
النُّعْمَةِ فَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ الدَّوَاءُ أَوْ يَعِزُّ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ .

وَكُلُّ أَدَاوِيهِ عَلَى قَدْرِ دَائِهِ
سِوَى حَاسِدِي فَهِيَ الَّتِي لَا أَنَالُهَا
وَكَيْفَ يُدَاوِي الْمَرُؤُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ
إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا

قَالَ بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ يَتَعَجَّلُونَ
الشَّقَاءَ وَالْهَمَّ وَالتَّعَبَ لَأَنْفُسِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَحْتَقِبُونَ عَظِيمَ الْإِثْمِ الْمَوْجِبِ لِلنَّارِ
فِي الْآخِرَةِ بِمَا لَا يُحْظُونَ مَعَهُ بِنَفْعٍ أَصْلًا مِنْ نِيَّاتٍ خَبِيثَةٍ يَحْرِصُونَ عَلَيْهَا مِنْ
تَمَنِّيِ الْغَلَاءِ الْمُهِلِكَ لِلنَّاسِ وَلِلصِّغَارِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَتَمَنَّى أَشَدَّ الْبَلَاءِ لِمَنْ
يَكْرَهُونَهُ وَقَدْ عَلِمُوا يَقِينًا أَنَّ تِلْكَ النِّيَّاتِ الْفَاسِدَةِ لَا تُعْجِلُ شَيْئًا مِمَّا يَتَمَنُّونَهُ أَوْ
تُوجِبُ كَوْنَهُ وَأَنَّهُمْ لَوْ صَفَّوْا نِيَّاتِهِمْ وَحَسَّنُوها لَتَعَجَّلُوا الرَّاحَةَ لَأَنْفُسِهِمْ وَتَفَرَّغُوا
بِذَلِكَ لِمَصَالِحِ أُمُورِهِمْ ، وَلَا اقْتَنَوْا عَظِيمَ الْأَجْرِ فِي الْمَعَادِ ، مِنْ غَيْرِ أَنَّ
يُؤَخَّرَ ذَلِكَ شَيْئًا مِمَّا يُرِيدُونَهُ أَوْ يَمْنَعُ كَوْنَهُ ، فَأَيُّ غَبْنٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ
الَّتِي نَبَّهْنَا عَلَيْهَا هـ .

وَأَمَّا الْأَسْبَابُ الْآخَرَى فَيُتَصَوَّرُ إِزَالَتُهَا فِي الْمُعَالَجَةِ .
وَقَدْ تَجَمَّعَ أَسْبَابُ الْحَسَدِ الْمَذْكُورَةُ كُلُّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ
أَكْثَرُهَا .

وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ لِلْحَسَدِ دَوَاءً فَأَوَّلًا أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ ضَرَرٌ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ
وَالدُّنْيَا وَلَا ضَرَرَ بِهِ عَلَى الْمَحْسُودِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الدِّينِ بَلْ يَنْتَفِعُ بِهِ فِيهِمَا
جَمِيعًا أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّينِ فَلِأَنَّهُ سُخْطُ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَكَرَاهَةُ لِنِعْمَتِهِ
عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ غِشُّ الْمُسْلِمِ وَتَرَكَ نُصْحَهُ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِقَوْلِهِ
ﷺ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَانْضَمَّ أَيْضًا إِلَى
ذَلِكَ أَنَّهُ شَارَكَ إِبْلِيسَ وَهَذِهِ خَبَائِثُ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ
الْأَلَمُ النَّقْدُ الْحَاضِرُ وَالْعَذَابُ الدَّائِمُ .

وَأَمَّا كَوْنُهُ لَا ضَرَرَ عَلَى الْمَحْسُودِ فَوَاضِحٌ لِأَنَّ النُّعْمَةَ لَا تَزُولُ بِالْحَسَدِ
وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فِي الدُّنْيَا لِلْمَحْسُودِ فَهُوَ أَنَّ أَهَمَّ مَقَاصِدِ أَكْثَرِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا إِیْصَالُ
الضَّرَرِ وَالْهَمُّ إِلَى أَعْدَائِهِمْ وَهُوَ مُتَوَفِّرٌ فِي الْحَسَدِ وَقَدْ فَعَلَ الْحَاسِدُ بِنَفْسِهِ
مُرَادَهُمْ فَأَنْتَ بِالْحَقِيقَةِ عَدُوٌّ لِنَفْسِكَ وَصَدِيقٌ لِعَدُوِّكَ وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ أَدْخَلْتَ
السُّرُورَ عَلَى إِبْلِيسَ وَهُوَ أَعْدَى عَدُوِّكَ وَلِغَيْرِكَ وَلَوْ عَقَلْتَ تَمَامًا لَعَكَسْتَ
وَكَلَّفْتَ نَفْسَكَ نَقِيضَ الْحَسَدِ إِذْ أَنْ كُلَّ مَرَضٍ يُعَالَجُ بِضِدِّهِ فَمَثَلًا يُكَلِّفُ لِسَانَهُ
الثَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ كَذِبٍ وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بَرَّهُ إِنْ قَدِرَ فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ تَعْمَلُ مُقَارَبَةً
تُطِيبُ قَلْبَ الْمَحْسُودِ وَيُحِبُّ الْحَاسِدُ وَيَصِيرُ مَا يَتَكَلَّفُهُ أَوَّلًا طَبْعًا آخِرًا وَلَا
يَعْمَلُ بِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ إِنْ هَذَا عَجْزٌ وَنِفَاقٌ وَخَوْفٌ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خِدْعِهِ
وَمَكَايِدِهِ فَهَذَا الدَّوَاءُ إِلَّا أَنَّهُ مُرٌّ قَلٌّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الْآيَةُ وَبِالتَّالِي فَإِنَّ خَيْرَ مَا
لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرِيحًا فِي دُنْيَاهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي
آخِرَاهُ .

وَفِي الدُّنْيَا فِي أَمْنٍ وَفِي رَغَدٍ هَذَا شَيْءٌ مُتَحَقِّقٌ وَقَدِيمًا قِيلَ :

يا طَالِبَ العِيشِ في أَمْنٍ وفي دَعَاةٍ
رَغْدًا بلا قَتَرٍ صَفْوَاً بلا كَدَرٍ
خَلَّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ
فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغِلِّ فِي الْعُنُقِ
آخر :

(لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَوَاتِ)
(إِنِّي أَحْيَى عَدُوِّي عِنْدَ رُؤُوسِهِ
لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ)
وقال آخر :

إِلْقِ الْعَدُوَّ بِوَجْهِهِ لَا قُطُوبَ بِهِ
يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ
فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ
فِي جِسْمٍ حَقْدٍ وَثُوبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ
آخر :

أَجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى
صُدُورَهُمْ بَادٍ عَلَيَّ مِرَاضُهَا

وَالطَّرِيقُ الْوَحِيدُ أَنْ تَعْلَمَ تَمَاماً أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي أَنْ لَا يَكُونَ فِي نَفْسِكَ
لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشٌّ وَلَا تَحْسَبْ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ثُمَّ أَيُّ ضَرَرٍ

يَحْصُلُ لَكَ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ فَوْقَكَ فِي الْمَالِ أَوْ فِي الْمَنَصِبِ، إِنَّهُ مُسْكِينٌ ، مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاكَ وَلَا مِنْ آخِرَتِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ قَلْبَكَ صَافِيًا مُجِبًّا لِإِخْوَانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرِ كَارِهًا لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، فَهَذِهِ بَشَارَةٌ لِلْمُسْتَقِيمِ ، وَلْيَسْمَعْ إِلَى مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ ، قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشُّمَالِ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَيْ تَبَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ إِنِّي لَأَحِيتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَسُ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثِ اللَّيَالِي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ ، حَتَّى قَامَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي وَكَدْتُ أَنْ أُحْتَقِرَ عَمَلُهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هُجْرٌ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الْآنَ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ فَأَنْظَرَ عَمَلَكَ فَأَقْتَدِي بِكَ فَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا حَسَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ دَاءَ الْحَسَدِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوَاءِ ، وَالْإِبْتِلَاءِ بِهِ مِنْ أَشَدِّ الْبَلَوَى ، يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى مَرَكَبٍ صَعَبٍ ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ التَّقْوَى ، وَيُرْكِبُهُ الْأَهْوَاءَ فَيَظَلُّ وَيَغْوَى ، يَضِيقُ صَدْرُ الْحَسُودِ وَيَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إِذَا رَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَيُعَانِي مِنَ الْبُؤْسِ وَاللَّأْوَى ، مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْثَ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْحُزَنِ وَالْقَلْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الشُّكْوَى ، إِلَّا إِلَى الشَّيْطَانِ وَنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ أَوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْحَسَدِ ، فَقَاتِلَ اللَّهُ الْحَسُودَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَلَا يُجِبُّهُ لِأَخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، غَايَةُ أُمْنِيَّتِهِ زَوَالُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ بَعْمَلِهِ سَأَلَكَ طَرِيقَ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَمَا أَوْقَعَ الشَّيْطَانُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا حَسَدَهُ لِأَبْنَاءِ آدَمَ وَامْتِنَاعَهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَمَا حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَخِيهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الَّذِي أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَرَفِّينَ مِنْ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْكِبْرُ ، وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَصَرْفِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ الْآيَةُ ، وَقَالَ ﷺ « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » الْحَاسِدُ لَا يُضْمِرُ إِلَّا غَدْرًا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا وَلَا يُدَبِّرُ إِلَّا مَكْرًا وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَاسِدَ مُيسِّرٌ لِلْعُسْرَى لَا تُجِدِي مَعَهُ الْمَوَاعِظُ وَالنَّصَائِحُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ بَضَاعَةَ إِبْلِيسَ خَمْسَةٌ أَصْنَافٍ يَبِيعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوفِينَ ، وَهِيَ الْحَسَدُ وَأَهْلُهُ الْعُلَمَاءُ ، وَأَهْلُ الْحِرْفَةِ الْوَاحِدَةِ ، أَيْ كُلُّ مَنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ مُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ ، وَالْكِبْرُ وَأَهْلُهُ الْأَنْذَالُ وَالسُّفَلَةُ وَالسُّفَهَاءُ وَالْحَمَقَاءُ وَمَنْ لَا خَيْرَ

فِيهِ مِنَ الْمُحْتَرَفِينَ .

وَالْجَوْرُ وَالطُّغْيَانُ ، وَأَهْلُهُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ وَالْوَزَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ ،
وَأَعْوَانُهُمْ مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ ، وَالْكَيْدُ ، وَأَهْلُهُ النِّسَاءُ ، وَالنَّمَامِينَ
وَالدَّلَالِينَ ، وَالْمُتَسَبِّبِينَ وَبُشَّتِ الْبِضَاعَةُ بِضَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَبِأَحْسَرَةِ
الْمُشْتَرِينَ ، وَيَا نَدَامَتَهُمْ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
﴿وَلَا يَحِيقُ الْمُكْرُ السِّيءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ يَغْشَى أَحَدَ الْمُلُوكِ فَيَقُومُ
بِحِذَاءِ الْمَلِكِ فَيَقُولُ أَحْسِنْ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَيَكْفِيكَهُ
إِسَاءَتُهُ ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَالْكَلَامُ فَسَعَى بِهِ إِلَى الْمَلِكِ ،
فَقَالَ إِنَّ هَذَا الَّذِي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيَقُولُ وَيَقُولُ مَا يَقُولُ يَزْعُمُ أَنَّكَ أَبْخَرُ ، فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، قَالَ تَدْعُوهُ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ إِذَا دَنَا مِنْكَ وَضَعَ
يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ لَيْلًا يَشُمُّ رَائِحَةَ الْبَحْرِ ، فَقَالَ لَهُ أَنْصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ وَاتَّحَقَّقْ
ذَلِكَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْحَاسِدُ ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُ
طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ وَذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَامَ بِحِذَاءِ
الْمَلِكِ فَقَالَ أَحْسِنْ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَيَكْفِيكَهُ إِسَاءَتُهُ فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ إِذْنٌ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ ، مَخَافَةً أَنْ يَشُمَّ الْمَلِكُ مِنْهُ
رَائِحَةَ الثُّومِ فَقَالَ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ مَا أَرَى فُلَانًا إِلَّا صَدَقَ ، قَالَ وَكَانَ الْمَلِكُ لَا
يَكْتُبُ بِخَطِّهِ إِلَّا بِجَائِزَةٍ أَوْ صِلَةٍ ، فَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا بِخَطِّهِ إِلَى عَامِلِهِ : قَالَ فِيهِ إِذَا
أَتَاكَ حَامِلُ كِتَابِي هَذَا فَادْبَحْهُ ، وَاسْلُخْهُ ، وَأَحْشُ جِلْدَهُ تَبْنًا وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ ،
وَأَخِذْ الْكِتَابَ وَخَرِجْ فَلَقِيَهُ الرَّجُلُ الَّذِي سَعَى بِهِ إِلَى الْمَلِكِ وَكَذَبَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الْكِتَابُ قَالَ خَطُّ الْمَلِكِ لِي بِهِ صِلَةٌ فَقَالَ هَبْهُ لِي فَقَالَ هُوَ لَكَ
فَأَخَذَهُ ، السَّاعِي وَمَضَى بِهِ إِلَى عَامِلِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَامِلُ : فِي كِتَابِكَ

أَنِّي أَذْبَحُكَ ، وَأَسْلَخُكَ فَقَالَ إِنَّ الْكِتَابَ لَيْسَ لِي ، فَالَلَّهَ اللَّهُ ، فِي أَمْرِي
 حَتَّى تُرَاجِعَ الْمَلِكَ فَقَالَ لَيْسَ لِكِتَابِ الْمَلِكِ مُرَاجَعَةٌ فَذَبَحَهُ وَسَلَخَهُ وَحَشَى
 جِلْدَهُ تَبْنًا ، وَأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ ، ثُمَّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ
 قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الْكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِينِي رَجُلٌ هُوَ فُلَانٌ
 فَاسْتَوْهَبَهُ مِنِّي فَوَهَبْتُهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ قَالَ مَا
 قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلِمَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى فَيْكَ قَالَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَنِي طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ
 فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ ، قَالَ صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَى الْمُسِيءَ
 إِسَاءَتُهُ فَاَنْظُرْ يَا أَخِي كَيْفَ دَارَتْ عَلَى الْبَاغِي الدَّوَائِرُ وَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يُعَافِيكَ
 مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ الَّتِي رُبَّمَا قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِ وَأَوْصَلَتْهُ فِي الْأَجْرَةِ نَارَ
 جَهَنَّمَ .

وَحِتَامًا فَعَلَى اللَّيِّبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْحَسَدَ فَإِنَّهُ مِنْ خُلُقِ الْأَذْنِيَاءِ وَصِفَةِ
 الْجُهَلَاءِ فَإِنْ أَبْصَرْتَ بِقَائِمٍ بِالْحَقِّ فَاغْضُذْهُ وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِكَ
 وَإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ فَاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ
 وَوَجْدَانٍ نَقِيٍّ لَعَلَّكَ أَنْ تَبْلُغَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَعَزِيزُ النَّفْسِ إِنْ أَبْصَرَ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ يُشْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَأَاهُ فِي مَنْزِلَةٍ يُغْبَطُ
 عَلَيْهَا فَلَا يَجُولُ فِي وَهْمِهِ أَنْ يَحْسِدهُ عَلَى نِعْمَتِهِ أَوْ يَحْطُ مِنْ مَنْزِلَتِهِ بَلْ يَسْعَى
 كُلُّ السَّعْيِ لِيَنَالَ مِثْلَ مَنْالِهِ وَيَرْفِيَ مِثْلَ رُقْيِهِ فَإِنْ زَادَتْ فِيهِ عِزَّةُ النَّفْسِ وَالْإِبَاءِ
 فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ إِلَّا بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ الْمَقَامِ :

شعرا :

أَسَاتُ فَمَا عُذْرِي إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَا
 وَأَظْهَرَ رَبُّ الْعَرْشِ مَا أَنَا أُسْتَرُ

نَدِمْتُ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا
فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَلِي
بِسْمِ الَّذِي أَنْزَلْتَ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تُبْقِي وَمَا تَذَرُ
فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَارْضَ بِهِ
وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدَرُ
فَمَا صَفَى لَأَمْرٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ
إِلَّا وَأَعْقَبَ يَوْمًا صَفْوُهُ كَدَرُ
قَدْ يَرْعَوِي الْمَرْءُ يَوْمًا بَعْدَ هَفْوَتِهِ
وَتُحْكَمُ الْجَاهِلُ الْأَيَّامُ وَالْعِبَرُ
إِنَّ التَّقَى خَيْرٌ رَادٍ أَنْتَ حَامِلُهُ
وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
مَنْ يَطْلُبِ الْجَوْرَ لَا يَظْفَرُ بِحَاجَتِهِ
وَطَالِبُ الْعَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَهُ الظُّفَرُ
وَفِي الْهُدَى عِبْرٌ تُشْفِي الْقُلُوبَ بِهَا
كَالْغَيْثِ يَحْيِي بِهِ مِنْ مَوْتِهِ الشَّجَرُ
وَلَيْسَ ذُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا
وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَالَهُ بَصَرُ

والذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا
تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ
وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ قَلْبًا قَاسِيًا أَبَدًا
وَهَلْ يَلِينُ لِقَوْلِ الْوَاعِظِ الْحَجَرُ
مَا يَلْبَثُ الْمَرْءُ أَنْ يَبْلَى إِذَا اخْتَلَفَتْ
يَوْمًا عَلَى نَفْسِهِ الرُّوحَاتُ وَالْبِكْرُ
وَالْمَرْءُ يَصْعَدُ رِيعَانُ الشَّبَابِ بِهِ
وَكُلُّ مُصْعِدَةٍ يَوْمًا سَتَنْحَدِرُ
وَكُلُّ بَيْتٍ سَيَبْلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ
وَمِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِ الْمَوْتُ وَالْكِبَرُ
وَالْمَوْتُ جَسْرٌ لِمَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
فَهُمْ يَمُرُّونَ أَفْوَاجًا وَتَجْمَعُهُمْ
دَارٌ يَصِيرُ إِلَيْهَا الْبَدُو وَالْحَضَرُ
كَمْ جَمْعُ قَوْمٍ أَشَتْ الدَّهْرُ شَمْلَهُمْ
وَكُلُّ شَمْلٍ جَمِيعٍ سَوْفَ يَنْتَشِرُ
وَرُبَّ أَصِيدٍ سَامَ الطَّرْفِ مُقْتَضِبًا
بِالتَّاجِ نِيرَانُهُ لِلْحَرْبِ تُسْتَعَرُ
يَظَلُّ مُفْتَرِشَ الدِّيَابِاجِ مُحْتَجِبًا
عَلَيْهِ تُبْنَى قِبَابُ الْمُلْكِ وَالْحُجَرُ

إِلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ
مَصِيرُ كُلِّ بَنِي أَثْنَى وَإِنْ كَبُرُوا
إِذَا قَضَتْ زُمُرُ آجَالِهَا نَزَلَتْ
عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ بَعْدِهَا زُمُرُ
أَصْبَحْتُمْ جُزُرًا لِلْمَوْتِ يَأْخُذُكُمْ
كَمَا الْبَهَائِمُ فِي الدُّنْيَا لَكُمْ جُزُرُ
أَبْعَدَ آدَمَ تَرْجُونَ الْخُلُودَ وَهَلْ
تَبْقَى الْفُرُوعُ إِذَا مَا الْأَصْلُ يَنْعَقِرُ
وَلَيْسَ يَزْجُرُكُمْ مَا تُوعَظُونَ بِهِ
وَالْبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ
لَا تَبْطُرُوا وَاهْجُرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهَا
غِبَاءً وَخِيَمًا وَكُفْرُ النُّعْمَةِ الْبَطَرُ
ثُمَّ اقْتَدُوا بِالْأُولَى كَانُوا لَكُمْ غُرَرًا
وَلَيْسَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا غُرَرُ
مَتَى تَكُونُوا عَلَى مِنْهَاجِ أَوْلَكُمْ
وَتَصْبِرُوا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا
مَالِي أَرَى النَّاسَ وَالْدُّنْيَا مُوَلِّيَّةُ
وَكُلُّ حَبْلٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْبِتُرُ
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِينَهُمْ نُقِصُوا
يَوْمًا وَإِنْ نُقِصَتْ دُنْيَاهُمْ شَعِرُوا
حَتَّى مَتَى أَكُ فِي الدُّنْيَا أَخَا كَلَفٍ
فِي الْخَدِّ مِنِّي إِلَى لَذَائِهَا صَعُرُ

ولا أرى أثراً للذكر في جسدي
والحبل في الحجر القاسي له أثر
لو كان يُسهر ليلى ذكر آخرتي
كما يُورِّقني للعاجل السفر
إذا لداويت قلباً قد أضرب به
طول السقام وكسر العظم ينجبر
ثم الصلاة على المعصوم سيدنا
ما هبت الريح اهتزت بها الشجر

اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات وشرح صدورنا للإسلام
وثبتنا عليه واجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل »

قال ابن القيم رحمه الله :

أركان الكفر أربعة : الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنع
الانقياد . والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها والغضب يمنع العدل .
والشهوة تمنع التفرغ للعبادة فإن انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد وإذا
انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصيحة وبذله وإذا انهدم ركن الغضب
سهل عليه العدل والتواضع وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف
والعبادة .

وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عن بلي بها ولا

سَيِّمًا إِذَا صَارَتْ هَيْثَاتُ رَاسِخَةٍ وَمَلَكَاتُ وَصِفَاتُ ثَابِتَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعَهَا عَمَلُ الْبَيَّةِ . وَلَا تَزْكُو نَفْسُهُ مَعَ قِيَامِهَا بِهَا ، وَكُلَّمَا اجْتَهَدَ فِي الْعَمَلِ أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ وَكُلُّ الْآفَاتِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ أُرْتُهُ الْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَالْمَعْرُوفُ فِي صُورَةِ الْمُنْكَرِ وَالْمُنْكَرُ فِي صُورَةِ الْمَعْرُوفِ وَقَرَّبَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا وَبَعَّدَتْ مِنْهُ الْآخِرَةَ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الْأَمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئًا مِنْهَا وَعَلَيْهَا يَقَعُ الْعَذَابُ وَتَكُونُ خِفَّتُهُ وَشِدَّتُهُ بِحَسَبِ خِفَّتِهَا وَشِدَّتِهَا فَمَنْ فَتَحَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الشُّرُورِ كُلَّهَا عَاجِلًا وَآجِلًا ، وَمَنْ أَغْلَقَهَا عَنْ نَفْسِهِ أَغْلَقَ عَنْهُ أَبْوَابَ الشُّرُورِ ، فَإِنَّهَا تَمْنَعُ الْأَنْقِيَادَ وَالْإِخْلَاصَ وَالتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ وَقَبُولَ الْحَقِّ وَنَصِيحَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّوَاضُّعَ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ .

(وَمِنْشَأُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ) : مِنْ جَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَجَهْلِهِ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ . وَعَرَفَ نَفْسَهُ بِالنَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ ، لَمْ يَتَكَبَّرْ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهَا ، وَلَمْ يَحْسُدْ أَحَدًا عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنْ مُعَادَاةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَكْرَهُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَقَدْ أَحَبَّهَا اللَّهُ وَيُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ ، فَهُوَ مُضَادٌّ لِلَّهِ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَكَرَاهَتِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ إِبْلِيسُ عَدُوَّهُ حَقِيقَةً ، لِأَنَّهُ ذَنْبُهُ كَانَ عَنْ كِبَرٍ وَحَسَدٍ . فَقَلَعَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ ، وَالرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ - وَقَلَعَ الْغَضَبَ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ ، وَأَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ يُغْضَبَ لَهَا ، وَيَنْتَقِمَ لَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ إِثَارٌ لَهَا بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ عَلَى خَالِقِهَا وَفَاطِرِهَا وَأَعْظَمُ مَا تُدْفَعُ بِهِ هَذِهِ الْآفَةُ أَنْ يُعَوِّدَهَا أَنْ تَغْضَبَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَرْضَى لَهُ فَكُلَّمَا دَخَلَهَا شَيْءٌ مِنَ الْغَضَبِ وَالرِّضَا لَهُ خَرَجَ مِنْهَا مُقَابِلُهُ مِنَ الْغَضَبِ وَالرِّضَا لَهَا وَكَذَا بِالْعَكْسِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، فَتَيَقَّنْ حِينَئِذٍ أَنَّ الْحَسَنَاتِ مِنْ نِعَمِهِ فَتَشْكُرُهُ عَلَيْهَا ، وَتَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَقْطَعَهَا عَنْكَ ، وَأَنَّ السَّيِّئَاتِ مِنْ خُذْلَانِهِ وَعُقُوبَتِهِ ، فَتَبْتَهِلُ إِلَيْهِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا ، وَلَا يَكِلَكَ فِي فِعْلِ الْحَسَنَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ إِلَى نَفْسِكَ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ أَصْلُهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَكُلُّ شَرٍّ أَصْلُهُ خُذْلَانُهُ لِعَبْدِهِ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ وَأَنَّ الْخُذْلَانَ هُوَ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ فَإِذَا كَانَ كُلُّ خَيْرٍ فَأَصْلُهُ التَّوْفِيقُ وَهُوَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِ الْعَبْدِ فَمِفْتَاحُهُ الدُّعَاءُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ إِلَيْهِ فَمَتَى أُعْطِيَ الْعَبْدُ هَذَا الْمِفْتَاحَ فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَمَتَى أَضَلَّهُ عَنْ الْمِفْتَاحِ بَقِيَ بَابُ الْخَيْرِ مُرْتَجاً دُونَهُ ، وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ فَإِذَا أَلْهِمْتَ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ وَعَلَى قَدْرِ نِيَّةِ الْعَبْدِ وَهَمِّهِ وَمُرَادِهِ وَرَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ سُبْحَانَهُ وَإِعَانَتُهُ فَاَلْمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ تَنْزِلُ عَلَى الْعِبَادِ عَلَى قَدْرِ هِمِّهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ وَرَهْبَتِهِمْ وَالْخُذْلَانِ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَأَعْلَمُ الْعَالَمِينَ يَضَعُ التَّوْفِيقَ فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ وَالْخُذْلَانَ فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَمَا أُتِيَ مِنْ أُتِيَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ إِضَاعَةِ الشُّكْرِ وَإِهْمَالِ الْاِفْتِقَارِ وَالِدُّعَاءِ وَلَا ظَفِرَ بِمَشْيَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ إِلَّا بِقِيَامِهِ بِالشُّكْرِ وَصِدْقِ الْاِفْتِقَارِ وَالِدُّعَاءِ وَمَلَكَ ذَلِكَ الصَّبْرُ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَا بَقَاءَ لِلْجَسَدِ .

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ يَا نَفْسُ سَرْمَدًا
وَلَا تُلْحِقِي بِالْخَلْقِ ضُرًّا تَعْمَدًا

وَلَا تَحْسِدِي حَيًّا وَلَوْ جَارَ وَاعْتَدِي
 عَلَيْكَ فَمَا يَحْيِي الْبُغَاةَ مُخَلَّدَا
 تَدُورُ عَلَى الْبَاغِي الدَّوَائِرُ عُنُوةً
 وَيَحْيِي سَعِيدَ ذُو الْفَضِيلَةِ أُمَجَّدَا
 وَكُلُّ حَسُودٍ يَنْخَرُ الْحَقْدُ قَلْبَهُ
 يَذُوبُ كَشَّمْعٍ فِي سَعِيرٍ تَوَقَّدَا
 يَعِيشُ وَنَارُ الْغَيْضِ تُحْرِقُ كَبْدَهُ
 وَإِنْ مَاتَ أَضْحَى الْجَمْرُ فِيهِ مُجَدَّدَا
 فَجَارِ أَخَا فَضْلٍ وَرَاعِ ذِمَامَهُ
 وَسَامِحِ عَدُوًّا إِنْ قَلَكَ وَنَدَّدَا
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الْفَضْلَ خَيْرَ ذَخِيرَةٍ
 لِمَنْ رَامَ قَبْلَ الْمَوْتِ أَنْ يَتَزَوَّدَا
 مَوْعِظَةٌ

أَخَوَانِي إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاهْتَمَّتْ الدُّنْيَا عَنْ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِّلُهَا وَيُنْسِي كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَالْأَمَةُ فَلَا يَحْطُرُ بِنَالِهِ مُعَالَجَتَهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلْلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلَّى إِلَى الْهَلَاكِ وَالْذَّمِّ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ فَإِنَّ عُقُوبَةَ أَعْظَمَ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْآبِدِيَّةَ فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوهَا

حَظَّهَا وَتَاعُوهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيَّعَ الْمَغْبُونُ وَيُظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّغَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ » الْآيَةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَصْلَحَ أَوْلَادَنَا وَاغْفِرْ لَأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَاجْمَعْنا وَإِيَّاهُمْ مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

(قال في منهاج القاصدين)

[فصل] إَعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ قَابِلٌ لِلْهُدَى ، وَبِمَا وُضِعَ فِيهِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى ، مَائِلٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَالتَّطَارُّدُ فِيهِ بَيْنَ جُنْدِ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ دَائِمٌ ، إِلَى أَنْ يَنْفَتِحَ الْقَلْبُ لِأَحَدِهِمَا فَيَتِمَّ كُنْ ، وَيَسْتَوْطِنُ ، وَيَكُونُ اخْتِيَارُ الثَّانِي اخْتِلَاسًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ وَهُوَ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا وَقَعَتِ الْغَفْلَةُ انْبَسَطَ ، وَلَا يَطْرُدُ جُنْدَ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا قَرَارَ لَهُ مَعَ الذِّكْرِ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَثْلَ الْقَلْبِ كَمَثَلِ حِصْنٍ ، وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْحِصْنَ وَيَمْلِكَهُ وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ ، وَلَا يُمَكِّنُ حِفْظُ الْحِصْنِ إِلَّا بِحِرَاسَةِ أَبْوَابِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى حِرَاسَةِ أَبْوَابِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى دَفْعِ ، الشَّيْطَانِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَدَاخِلِهِ ، وَمَدَاخِلُ الشَّيْطَانِ وَأَبْوَابُهُ . . . صِفَاتُ الْعَبْدِ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّا نُشِيرُ إِلَى الْأَبْوَابِ الْعَظِيمَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى الدَّرُوبِ الَّتِي لَا تَضِيقُ عَنْ كَثَرَةِ جُنُودِ الشَّيْطَانِ .

فَمِنْ أَبْوَابِ الْعَظِيمَةِ : الْحَسَدُ ، وَالْحِرْصُ . فَمَتَى كَانَ الْعَبْدُ حَرِيصًا عَلَى شَيْءٍ ، أَعْمَاهُ حِرْصُهُ ، وَأَصَمَّهُ ، وَغَطَّى نُورَ بَصِيرَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا مَدَاخِلَ الشَّيْطَانِ . وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ حَسُودًا فَيَجِدُ الشَّيْطَانُ حِينَئِذٍ الْفُرْصَةَ ،

فِيُحَسِّنُ عِنْدَ الْحَرِيصِ كُلَّ مَا يُوصِلُهُ إِلَى شَهْوَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا أَوْ فَاجِحًا ،
وَمِنْ أَبْوَابِهِ الْعَظِيمَةِ .

الغَضَبُ ، وَالشَّهْوَةُ ، وَالْحِدَّةُ فَإِنَّ الْغَضَبَ غَوْلُ الْعَقْلِ ، وَإِذَا ضَعُفَ
جُنْدُ الْعَقْلِ هَجَمَ حِينِيذُ الشَّيْطَانِ فَلَعِبَ بِالْإِنْسَانِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ
يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْعَبْدُ حَدِيدًا ، قَلْبَاهُ كَمَا يَقْلِبُ الصَّبِيَانُ الْكَرَّةَ .

وَمِنْ أَبْوَابِهِ : حُبُّ التَّزَيُّنِ فِي الْمَنْزِلِ ، وَالْأَثَاثِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو إِلَى
عِمَارَةِ الدَّارِ ، وَتَزْيِينِ سُقُوفِهَا وَحِيطَانِهَا ، وَالتَّزَيُّنِ بِالثِّيَابِ ، وَالْأَثَاثِ ،
فِيخْسِرُ الْإِنْسَانُ طُولَ عُمُرِهِ فِي ذَلِكَ . وَمِنْ أَبْوَابِهِ : الشُّبْعُ فَإِنَّهُ يُقْوِي
الشَّهْوَةَ ، وَيُسْغِلُ عَنِ الطَّاعَةِ . وَمِنْهَا الطَّمَعُ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ مَنْ طَمِعَ فِي
شَخْصٍ ، بَالِغَ بِالشَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَدَاهَنَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَمْ
يَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَمِنْ أَبْوَابِهِ : الْعَجَلَةُ ، وَتَرَكَ التَّثَبُّتَ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
« الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَالتَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » . وَمِنْ أَبْوَابِهِ : حُبُّ
الْمَالِ ، وَمَتَى تَمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ أَفْسَدَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ
وَجْهِهِ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبُخْلِ وَخَوْفِهِ الْفَقْرَ فَمَنَعَ الْحُقُوقَ اللَّازِمَةَ . وَمِنْ
أَبْوَابِهِ : حَمْلُ الْعَوَامِّ عَلَى التَّعَصُّبِ فِي الْمَذَاهِبِ ، دُونَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا
وَمِنْ أَبْوَابِهِ أَيْضًا حَمْلُ الْعَوَامِّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَصِفَاتِهِ ،
وَفِي أُمُورٍ لَا تَبْلُغُهَا عُقُولُهُمْ حَتَّى يُشَكِّكُهُمْ فِي أَصْلِ الدِّينِ . وَمِنْ أَبْوَابِهِ :
سُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ فَإِنْ مَنْ حَكَمَ عَلَى مُسْلِمٍ بِسُوءِ ظَنِّهِ ، احْتَقَرَهُ وَأَطْلَقَ فِيهِ
لِسَانَهُ ، وَرَأَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ . وَإِنَّمَا يَتَرَشَّحُ سُوءُ الظَّنِّ بِخُبَثِ الظَّانِ ، لِأَنَّ
الْمُؤْمِنَ يَطْلُبُ الْمَعَازِيرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقَ يَبْحَثُ عَنْ عُيُوبِهِمْ .

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ مَوَاقِفِ التُّهَمِ ، لِكَيْلَا يُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ ،

فَهَذَا طَرَفٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ وَعِلَاجُ هَذِهِ الْآفَاتِ سَدُّ الْمَدَاخِلِ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، وَسَيَاتِي الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مُفَصَّلًا .

وَإِذَا قُلِعَتْ عَنِ الْقَلْبِ أَصُولُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، بَقِيَ لِلشَّيْطَانِ بِالْقَلْبِ خَطَرَاتٌ وَاجْتِيَازَاتٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِقْرَارٍ فَيَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالتَّقْوَى . وَمِثْلُ الشَّيْطَانِ كَمِثْلِ كَلْبٍ جَائِعٍ يَقْرُبُ مِنْكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْكَ لَحْمٌ وَخُبْزٌ ، فَإِنَّهُ يَنْزَجِرُ بَأَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنْ خَسَأَ ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ جَائِعٌ ، لَمْ يَنْدَفِعْ عَنْكَ بِمَجَرَّدِ الْكَلَامِ ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الْخَالِي عَنْ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ يَنْزَجِرُ عَنْهُ بِمَجَرَّدِ الذِّكْرِ . فَأَمَّا الْقَلْبُ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الْهَوَىٰ فَإِنَّهُ يُرْفَعُ الذِّكْرَ إِلَى حَوَاشِيهِ فَلَا يَتِمَكَّنُ الذِّكْرُ مِنْ سُوءِذَاتِهِ ، فَيَسْتَقِرُّ الشَّيْطَانُ فِي السُّوءِذَاءِ . وَإِذَا أُرِدْتَ مِصْدَاقَ ذَلِكَ ، فَتَأَمَّلْ فِي صَلَاتِكَ ، وَانْظُرْ إِلَى الشَّيْطَانِ كَيْفَ يُحَدِّثُ قَلْبَكَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ ، بِذِكْرِ السُّوقِ ، وَحِسَابِ الْعَالَمِينَ ، وَتَذْيِيرِ أَمْرِ الدُّنْيَا وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ عُفِيَ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا هَمَمْتَ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَإِنْ تَرَكَهُ لِعَائِقِ رَجُونَا لَهُ الْمُسَامَحَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَزْمًا ، فَإِنَّ الْعَزْمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ خَطِيئَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، قِيلَ : مَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » .

وَكَيْفَ لَا تَقَعُ الْمُؤَاخَذَةُ بِالْعَزْمِ ، وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَهَلِ الْكِبَرُ وَالرِّيَاءُ إِلَّا أُمُورٌ بَاطِنَةٌ ؟ وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا رَأَى عَلَى فِرَاشِهِ أَجْنَبِيَّةً ظَنَّنَهَا زَوْجَتَهُ لَمْ يَأْتُمْ بِوَطْئِهَا ، وَلَوْ رَأَى زَوْجَتَهُ وَظَنَّنَهَا أَجْنَبِيَّةً أَتَمَّ بِوَطْئِهَا ، وَكُلُّ هَذَا مُعَلَّقٌ بِعَقْدِ الْقَلْبِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ « يَا مُثَبَّتِ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ ، يَا مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ إِصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ » . وفي حديث آخر : « مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بَارِضٍ فَلَا تَقْلُبُهَا الرِّيحُ » واعْلَمْ أَنَّ الْقُلُوبَ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةٌ : الْأَوَّلُ قَلْبٌ عَمَرَ بِالتَّقْوَى ، وَزَكِيَ بِالرِّيَاضَةِ ، وَطَهَّرَ عَنْ خَبَائِثِ الْأَخْلَاقِ ، فَتَنْفَرِجُ فِيهِ خَوَاطِرُ الْخَيْرِ مِنْ خَزَائِنِ الْغَيْبِ ، فَيَمُدُّهُ الْمَلَكُ بِالْهُدَى .

الْقَلْبُ الثَّانِي : قَلْبٌ مَخْذُولٌ ، شَاحُونَ بِالْهَوَى ، وَدَنِيْسٌ بِالْخَبَائِثِ مُلَوِّثٌ بِالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ فَيَقْوَى فِيهِ سُلْطَانُ الشَّيْطَانِ لِاتِّسَاعِ مَكَانِهِ ، فَيَضْعُفُ سُلْطَانُ الْإِيمَانِ ، وَيَمْتَلِئُ الْقَلْبُ بِدُخَانِ الْهَوَى ، فَيُعْدَمُ النُّورُ ، وَيَصِيرُ كَالْعَيْنِ الْمُمْتَلِئَةِ بِالدُّخَانِ لَا يُمْكِنُهَا النَّظَرُ ؛ وَلَا يُؤْثِرُ عِنْدَهُ زَجَرٌ وَلَا وَعْظٌ .

وَالْقَلْبُ الثَّلَاثُ : قَلْبٌ يَتَدَيُّ فِيهِ خَوَاطِرُ الْهَوَى ، فَيَدْعُوهُ إِلَى الشَّرِّ ، فَيَلْحَقُهُ خَاطِرُ الْإِيمَانِ ، فَيَدْعُوهُ إِلَى الْخَيْرِ . مِثَالُهُ ، أَنْ يَحْمِلَ الشَّيْطَانُ حَمْلَةً عَلَى الْعَقْلِ ، وَيَقْوَى دَاعِي الْهَوَى ، وَيَقُولُ : أَمَا تَرَى فُلَانًا وَفُلَانًا كَيْفَ يُطْلِقُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي هَوَاهَا حَتَّى يَعُدَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَتَمِيلُ النَّفْسُ إِلَى الشَّيْطَانِ ، فَيَحْمِلُ الْمَلَكُ حَمْلَةً عَلَى الشَّيْطَانِ ، وَيَقُولُ : هَلْ هَلَكَ إِلَّا مَنْ نَسِيَ الْعَاقِبَةَ ، فَلَا تَغْتَرَّ بِغَفْلَةِ النَّاسِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَرَأَيْتَ لَوْ وَقَفُوا فِي الصَّيْفِ فِي الشَّمْسِ وَلَكَ بَيْتٌ بَارِدٌ ، أَكُنْتَ تُوَافِقُهُمْ أَمْ تَطْلُبُ الْمَصْلَحَةَ ؟ أَتُخَالِفُهُمْ فِي حَرِّ الشَّمْسِ ، وَلَا تُخَالِفُهُمْ فِيمَا يُوْوِلُّ إِلَى النَّارِ فَتَمِيلُ النَّفْسُ إِلَى قَوْلِ الْمَلَكِ ، وَيَقَعُ التَّرَدُّدُ بَيْنَ الْجُنْدَيْنِ ، إِلَى أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، فَمَنْ خُلِقَ لِلْخَيْرِ يُسَّرُّ لَهُ وَمَنْ خُلِقَ لِلشَّرِّ يُسَّرُّ لَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعُدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا تَحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ .

إِلَى كَمْ إِذَا مَا غَبْتُ تُرْجَى سَلَامَتِي وَقَدْ قَعَدْتُ بِي الْحَادِثَاتُ وَقَامَتِ
وَعُمِّمْتُ مِنْ نَسَجِ الْقَتِيرِ عِمَامَةً رُقُومُ الْبَلَى مَرْقُومَةٌ بِعِمَامَتِي
وَكُنْتُ أَرَى لِي فِي الشَّبَابِ عَلَامَةً فَصِرْتُ وَإِنِّي مُنْكَرٌ لِعَلَامَتِي
وَمَا هِيَ إِلَّا أَوْبَةٌ بَعْدَ غَيْبَةٍ إِلَى الْغَيْبَةِ الْقُصْوَى فَتَمَّ قِيَامَتِي
كَأَنِّي بِنَفْسِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً تُقَطِّعُ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي نَدَامَتِي
مُنَى النَّفْسِ مِمَّا يُوطِئُ الْمَرْءَ عَشْوَةً

إِذَا النَّفْسُ جَالَتْ حَوْلَهُنَّ وَحَامَتِ
وَمَنْ أَوْطَأَتْهُ نَفْسُهُ حَاجَةً فَقَدْ
أَسَاءَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَالْأَمْتُ
أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي لَهُ لَوْ صَدَّقْتُهَا
لَرَدَّدْتُ تَوْبِيخِي لَهَا وَمَلَامَتِي
فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَوْطَأَتْنِي مِنَ الْعَشَا
حُزُونًا وَلَوْ قَوْمَتْهَا لَأَسْتَقَامَتِ
وَلِلَّهِ يَوْمٌ أَيْ يَوْمٌ فَظَاعَةٌ
وَأَفْطَعُ مِنْهُ بَعْدَ يَوْمٍ قِيَامَتِي
وَلِلَّهِ أَهْلِي إِذْ حَبُونِي بِحُفْرَةٍ
وَهُمْ بِهِوَانِي يَطْلُبُونَ كَرَامَتِي
وَلِلَّهِ دُنْيَا لَا تَزَالُ تَرُدُّنِي
إِبَاطِيلُهَا فِي الْجَهْلِ بَعْدَ اسْتِقَامَتِي

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ
وَاعْصِمْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ جَمِيعِ الْمَوِيقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَأَرْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي فَسِيحِ الْجَنَّاتِ وَأَرْزُقْنَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ يَا حَكِيمُ
يَا عَلِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . .

(فصل)

تكلم أحد العلماء في بيان مداخل الشيطان إلى القلوب
فقال رحمه الله إعلم أنَّ القلبَ مثَالُهُ مِثَالُ حِصْنٍ رَفِيعٍ وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ
يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْحِصْنَ وَيَمْلِكَهُ وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ .
وَلَا يُقْدِرُ عَلَى حِفْظِ الْحِصْنِ إِلَّا بِحِرَاسَةِ أَبْوَابِ الْحِصْنِ وَمَدَاحِلِهِ
وَمَوَاقِعِ ثُلَمِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى حِرَاسَةِ أَبْوَابِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُ أَبْوَابَهُ .
وَحِمَايَةُ الْقَلْبِ عَنْ فِسَادِ الشَّيْطَانِ فَرَضٌ عَيْنٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ
مُكَلِّفٌ ، وَمَا لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .
وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى دَفْعِ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَدَاحِلِهِ ، فَصَارَتْ مَعْرِفَةُ
مَدَاحِلِ الشَّيْطَانِ وَاجِبَةً .
وَمَدَاحِلُ الشَّيْطَانِ وَأَبْوَابُهُ صِفَاتُ الْعَبْدِ نَحْوُ الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ وَالْحِدَّةِ
وَالطَّمَعِ وَغَيْرِهَا وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنَّا نُشِيرُ إِلَى مُعْظَمِ وَسَائِلِهِ فِي إِغْوَاءِ الْخَلْقِ
وَتَسْلِطِهِ عَلَيْهِمْ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَجَمَلَتِهَا وَسَائِلُ عَشْرَةٍ نَذْكُرُهَا وَنَذْكُرُ كَيْفِيَّةَ عِلَاجِهَا وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا ،
فَهَذَانِ تَقْرِيرَانِ .
التَّقْرِيرُ الْأَوَّلُ : فِي ذِكْرِنَا الْوَسِيلَةَ الْأُولَى الْحَسَدَ وَالْحِرْصَ ، فَمَنْ حَصَلَ
فِيهِ هَاتَانِ الْخِصْلَتَانِ عِمِيَّ وَصُمَّ ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ مَدَاحِلِ الشَّيْطَانِ وَأَكْبَرُ
وَسَائِلِهِ .
وَقَدْ رَوَى أَنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَكِبَ الْبَحْرَ وَحَمَلَ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ كَمَا أَمَرَ فَرَأَى فِي السَّفِينَةِ شَيْخًا لَمْ يَعْرِفْهُ .

فقال له نوح : مَنْ أَدْخَلَكَ ؟ قال : دَخَلْتُ لِأَصِيبَ قُلُوبَ أَصْحَابِكَ
فَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مَعِيَ وَأَبْدَانُهُمْ مَعَكَ .

فقال نوح : أُخْرِجْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، فقال إبليس : خَسَّ
أَهْلَكَ بَيْنَ النَّاسِ وَسَأَحْدِثُكَ مِنْهُنَّ بَثْلًا ، وَلَا أَحْدَثُكَ بَاثْنَتَيْنِ .
فَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ إِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى الثَّلَاثِ ، مُرَّهُ يُحْدِثُكَ بِالْأَثْنَيْنِ .
فقال : مَا الْاِثْنَتَانِ ؟ فقال : هُمَا اللَّتَانِ لَا تَكْذِبَانِي ، هُمَا اللَّتَانِ لَا
تُخْلِفَانِي بِهِمَا أَهْلَكَ النَّاسَ الْحِرْصُ وَالْحَسَدُ .

فَبِالْحَسَدِ لُعِنْتُ وَجُعِلْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا ، وَالْحِرْصُ أَصَبْتُ حَاجَتِي مِنْ
آدَمَ ، أُبِيحَ لِآدَمَ الْجَنَّةُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ الَّتِي عُرِّفَ بِهَا فَوَسْوَسْتُ لَهُ حَتَّى
أَكَلَهَا .

الوسيلةُ الثانيةُ : الشهوةُ والغضبُ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَكَايِدِ لِلشَّيْطَانِ ،
فَمَهْمَا غَضِبَ الْإِنْسَانُ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ ، وَعَنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ قَالَ
لِإِبْلِيسَ : بَأَيِّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ قَالَ : آخُذُهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَعِنْدَ
الْهَوَى .

وظَهَرَ إِبْلِيسُ لِرَاهِبٍ ، فَقَالَ : أَيُّ أَخْلَاقِ بَنِي آدَمَ أَعُونُ لَكَ عَلَيْهِمْ ؟
فقال : الْحِدَّةُ ، إِنْ الْعَبْدُ إِذَا كَانَ حَدِيدًا قَلْبُهُ كَمَا تَقْلِبُ الصُّبْيَانُ الْكُرَّةَ .
وقيلَ لِإِبْلِيسَ : كَيْفَ تَقْلِبُ ابْنَ آدَمَ ؟ فقال : إِذَا رَضِيَ جِئْتُ حَتَّى
أَكُونَ فِي قَلْبِهِ ، وَإِذَا غَضِبَ جِئْتُ حَتَّى أَكُونَ عَلَى رَأْسِهِ .

الوسيلةُ الثالثةُ : حُبُّ الشَّهَوَاتِ وَالزَّيْنَةِ فِي الدُّنْيَا فِي الثِّيَابِ وَالْأَثَاثِ
وَالدُّورِ وَالْمَرَاقِبِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ غَالِبًا عَلَى قَلْبِ إِنْسَانٍ بَاضَ
فِيهِ وَفَرَّخَ .

فَلَا يَزَالُ يَدْعُوهُ إِلَى عِمَارَةِ الدُّنْيَا وَتَزْيِينِ سَقُوفِهَا وَحَيْطَانِهَا وَتَوْسِيعِ
الْأَبْنِيَةِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّزْيِينِ بِالْأَثَوَابِ النَّفِيسَةِ وَيَسْتَسْخِرُهُ طُولَ عُمُرِهِ .

فإذا أوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فإن بعض ذلك يجر إلى بعض ، فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يستاق إليه أجله فيموت وهو في بحر الأمان يعوم ، وفي سبيل الضلال يخوض ، ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة نعوذ بالله منها .

الوسيلة الرابعة : الطمع ، فإذا كان الطمع غالباً على القلب لم يزل الشيطان يحسن له التصنع لمن طمع فيه حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده .

وقد قال الرسول ﷺ « إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص ويختتم على القلوب بطابع حب الدنيا ، وهو مفتاح كل سيئة ، وسبب إحباط كل حسنة » .
هذا هو الغاية في الخسران والهلاك .

الوسيلة الخامسة : العجلة في الأمور وكثرة الطيش والفشل ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » .
وروي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال : هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض .
فلم يجد شيئاً فوجد عيسى عليه السلام قد ولد . وإذا الملائكة قد حفت حوله .

فقال لهم : إن نبياً قد ولد البارحة ، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا فاستياسوا من عبادة الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة .

عصمنا الله وإياكم من الزلل ووفقنا لصالح العمل وهدانا بفضله

سَبِيلَ الرَّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

الوسيلة السادسة : الفِتْنَةُ بالدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال والعروض والدواب والعقارات وكل ما يكون فضلة على قدر الحاجة والقوت فهو مُسْتَقَرُّ الشَّيْطَانِ .

وروى أن الرسول ﷺ لما بُعِثَ ، قال إبليسُ لِشَيطَانِهِ : لقد حَدَّثَ أَمْرٌ فَاَنْظُرُوا مَا هُوَ ، فَاَنْطَلَقُوا ثُمَّ جَاءُوا وَقَالُوا : مَا نَذَرِي قَالَ إبليسُ : أَنَا آتِيكُمْ بِالْخَبَرِ .

فَذَهَبَ وَجَاءَ ، قَالَ : قد بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، قَالَ : فَجَعَلَ يُرْسِلُ شَيطَانِيهِ إِلَى أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ فَيَنْصَرِفُونَ خَائِبِينَ ، فيَقُولُونَ : مَا صَحِبْنَا قَوْمًا قَطُّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، نُصِيبُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ فَيَمْحَوْنَ ذَلِكَ . فقال إبليسُ : رُويَدًا بِهِمْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَهَنَّاكَ تُصِيبُونَ حَاجَتَكُمْ مِنْهُمْ .

الوسيلة السابعة : الْبُخْلُ وَخَوْفُ الْفَقْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ هُوَ أَصْلُ لِكُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَرُويَ عَنْ إبليسَ لَعْنَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : مَا غَلَبَنِي ابْنُ آدَمَ فَلَنْ يَغْلِبَنِي فِي ثَلَاثَ ، أَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ وَيُنْفِقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَيَمْنَعَهُ مِنْ مُسْتَحِقِّهِ .

وقال سفيان الثوري : ليس لِلشَّيْطَانِ سِلَاحٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مِثْلُ خَوْفِ الْفَقْرِ ، فَإِذَا قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ أَخَذَ فِي الْبَاطِلِ وَمَنَعَ مِنَ الْحَقِّ وَتَكَلَّمَ بِالْهَوَى وَظَنَّ بِرَبِّهِ السُّوءَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ عَلَى الدِّينِ .

الوسيلة الثامنة : سُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ - ٥٩٥ -

وَمَنْ حَكَمَ بِشَيْءٍ عَلَى غَيْرِهِ بِالظَّنِّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْعُثُهُ عَلَى أَنْ يُطَوَّلَ فِيهِ
اللِّسَانَ بِالْغَيْبَةِ فَيَهْلِكَ ، أَوْ يَقْصُرَ فِي الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ أَوْ يَتَوَانَى فِي إِكْرَامِهِ أَوْ
يَنْظُرَهُ بَعِينَ الْاِحْتِقَارِ أَوْ يَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ .

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ الْمُهْلِكَاتِ ، فَمَهْمَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَسِيءُ الظَّنَّ بِالنَّاسِ
طَالِبًا لِعُيُوبِهِمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَبِيثٌ فِي الْبَاطِنِ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَطْلُبُ الْمَعَادِيرَ ،
وَالْمُنَافِقَ يَطْلُبُ الْعُيُوبَ لِلْخُلُقِ .

الْوَسِيلَةُ التَّاسِعَةُ : الشَّبَعُ مِنَ الطَّعَامِ وَالتَّائِقُ فِي الْمَاكِلِ الْفَاحِشَةِ ، فَإِنَّ
الشَّبَعَ يُقْوِي الشَّهَوَاتِ وَهِيَ أَسْلِحَةُ الشَّيْطَانِ الَّتِي بِهَا يَصُولُ .

وَرَوَى أَنَّ إِبْلِيسَ ظَهَرَ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَأَى عَلَيْهِ
مَعَالِيقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا هَذِهِ الْمَعَالِيقُ .

فَقَالَ : هَذِهِ هِيَ الشَّهَوَاتُ الَّتِي أُصِيبُ بِهَا بَنَى آدَمَ ، فَقَالَ : هَلْ لِي
مِنْهَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : رَبِّمَا شَبَعْتَ فَتَتَأَقَّلْتَ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ الذِّكْرِ .

فَقَالَ : هَلْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ يَحْيَى : لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أُمَلَأَ
بَطْنِي ، فَقَالَ إِبْلِيسُ : عَلَى اللَّهِ لَا أَنْصَحَ مُسْلِمًا .

الْوَسِيلَةُ الْعَاشِرَةُ : تَعَاطَى الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَمْ يُمَارِسُوا الْعُلُومَ وَلَمْ يَتَّبَحَّرُوا
فِيهَا بِالتَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ وَفِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَبْلُغُهَا عَقُولُهُمْ
حَتَّى يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى الْاِعْتِقَادَاتِ الْكُفْرِيَّةِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

وَهُمْ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُونَ مِنَ الْفَرَحِ وَالسَّرُورِ وَالْاِطْمِئْنَانِ إِلَى مَا وَقَعَ فِي
صُدُورِهِمْ .

وَهُمْ فِي غَايَةِ الْخَطَا وَيُظَنُّونَ أَنَّ مَا اعْتَقَدُوهُ هُوَ الْعِلْمُ وَالْبَصِيرَةُ ، فَمَا هَذَا
حَالُهُ يَكُونُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَبْوَابِ لِلشَّيْطَانِ فِي اللَّعِبِ بِعُقُولِهِمْ وَإِيقَاعِهِمْ فِي
الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ .

فَهَذِهِ وَسَائِلُ الشَّيْطَانِ وَمَدَاخِلُهُ إِلَى الْقَلْبِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، وَفِيهَا ذَكَرْنَاهُ تَنْبِيْهُ عَلَى مَا وَرَائِهَا .

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ فِي الْآدَمِيِّ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ إِلَّا وَهِيَ سِلَاحٌ لِلشَّيْطَانِ وَمَدْخَلٌ مِنْ مَدَاخِلِهِ .

التقرير الثاني : فِي بَيَانِ الْعِلَاجِ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا ، اعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَ هَذِهِ الْأُمُورِ وَإِزَالَتَهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا ، وَبِالْاجْتِهَادِ فِي قَلْعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ عَنِ الْقَلْبِ ، وَالْعِنَايَةِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَهَذِهِ دَوَافِعُ ثَلَاثَةٍ نَذَكُرُهَا .

الدَّفَاعُ الْإَوَّلُ : يَكُونُ بِاللَّجَاءِ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ رَاجِعاً مِنْهُ تَحْصِيلُ الْأَلْطَافِ الْخَفِيَّةِ فِي إِبْعَادِ الشَّيَاطِينِ وَإِزَالَتِهِمْ ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، قَالَ : كَانَ شَيْطَانٌ يَأْتِي الرَّسُولَ ﷺ وَبِيَدِهِ شُعْلَةٌ نَارٍ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي فَيَقْرَأُ وَيَتَعَوَّذُ فَلَا يَذْهَبُ .

فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ ﷺ : قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَلْبِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا .

وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَطَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ ، فَطَفِيتْ شُعْلَتُهُ وَخَرَّ وَجْهَهُ .

وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : نُبِّئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنْ عَفَرْتَا مِنْ الْجَنِّ يَكِيدُكَ فَإِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ .

وَعَنْ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي شَيْطَانٌ فَنَازَعَنِي ثُمَّ نَازَعَنِي فَأَخَذْتُ بِحَلْقِهِ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَرْسَلْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدَيَّ ، وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ طَرِيحاً حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ .

الدافع الثاني : العناية في إزالة هذه الصفات المذمومة من القلوب وقلعها منها فإن الشيطان مثل الكلب في التسلط على الإنسان .
فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفات الذميمة من الغضب والحسد والحرص والطمع وغيرها كان بمنزلة من يكون بين يديه خبز ولحم فإن الكلب لا محالة يتهور عليه ويتوثب ولا يندفع غالباً إلا بمشقة شديدة ، وإن لم يكن متصفاً بها لم يطمع فيه لأنه لا داعي له هنالك ويكون دفعه بأسهل ما يكون وأيسره فإنه يندفع بالنهر والخسا والزجر ، فتزال بنقائضها .

فيُزال الغضب بالرضا والسكينة ، ويُزال الكبر بالتواضع ، ويُزال الحسد بمعرفة حق المحسود وأن الذي اختص به فضل من الله فلا يمكن دفعه .

ويُزال الطمع بالورع والاكتفاء بما أعطاه الله عز وجل ، ويُزال الحرص بتحقيق حال الدنيا وانقطاعها بالموت .

وهكذا تفعل في كل خصلة مذمومة بالاجتهاد في إزالتها .

الدافع الثالث : ذكر الله تعالى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .
والمعنى أنهم إذا ألم بقلوبهم شيء من هذه الصفات الذميمة فزعوا إلى ذكر الله تعالى وتذكروه ، فعند ذلك يحصل التبصر لهم في عواقب أمورهم .
نعم الذكر لا يكون طارداً للشيطان إلا إذا كانت القلوب معمورة بالخوف والتقوى .

فأما إذا كانت خالية عن ذلك فربما يكون الذكر غير مجدي ، ومثال هذا من يطمع في شرب الدواء قبل الأحتتمى والمعدة مشحونة بغليظ الطعام ويطمع في أنه ينفعه كما ينفع الذي يشربه بعد الأحتتمى وتخليية المعدة عن الأطعمة .

فالذكر هو الدواء والتقوى هو الأختامى ، فإذا حصل الذكر في قلب فارغ عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة كما أشار إليه تعالى بقوله ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ .

اللهم إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقيّة ، وعيشة نقيّة ، وميتة سوية ، ومرداً غير مخزي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يا رب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتُذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » .

يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

قال رجلٌ للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسّم وقال لو نام لاسترحنا .

فإذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيلٌ إلى دفعه وتضعيف قوته قال

النبي ﷺ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُنْضِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي سَفَرِهِ .
وقال ابن مسعود شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ مَهْزُؤُلٌ .

وقال قيسُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ لِي شَيْطَانِي دَخَلْتُ فِيكَ وَأَنَا مِثْلُ الْجَزُورِ وَالْآنَ مِثْلُ الْعُصْفُورِ قُلْتُ وَلَمْ ذَاكَ قَالَ تُذِيبُنِي بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

وعن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارَ فَأَكْثَرُوا مِنْهَا فَإِنْ إِبْلِيسَ قَالَ أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارَ .

فلما رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي وقال مُجَاهِدٌ مَا مِنْ شَيْءٍ أَكْسَرَ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ مِنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

وقال عَبَّاسُ الدَّوْرِيِّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي قَرَأْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً .

فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ أَقْرَأُهَا فَإِذَا هَاتِفٌ يَقُولُ كَمْ تَقْرَأُ هَذِهِ لَيْسَ أَحَدٌ يُحْسِنُ يَقْرَأُهَا غَيْرُكَ .

فَقُلْتُ مُجِيبًا لَهُ وَأَرَى هَذَا يَسْئُوكَ وَاللَّهِ لَأَزِيدَنَّكَ فَصِرْتُ أَقْرَأُهَا فِي اللَّيْلَةِ خَمْسِينَ مَرَّةً أَوْ سِتِينَ مَرَّةً قَالَ عَبَّاسٌ فَحَدَّثْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلٍ فَقَالَ كَانَ جَرِيًّا عَلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَوْ كَمَا قَالَ .

وقال بشر بن منصور عن وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ خَرَجَ رَجُلٌ إِلَى الْجُبَانَةِ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَسَمِعَ حِسًا وَأَصْوَاتًا شَدِيدَةً وَجِئَ بِسَرِيرٍ وَجَاءَ شَيْءٌ جَلَسَ عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُنُودٌ .

ثُمَّ صَرَخَ مَنْ لِي بِعُرْوَةِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ حَتَّى تَابَعَ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَا أَكْفَيْكَه .

قال فتوجه نحو المدينة وأنا أنظر ثم أوشك الرجعة فقال لا سبيل إلى عروة قال ويملك لم قال يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا يخلص إليه .

قال الرجل فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دلت عليه فإذا شيخ فقلت شيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . فأبى أن يخبرني فأخبرته بما رأيته وبما سمعت فقال ما هو غير أني أقول إذا أصبحت .

آمنت بالله العظيم وكفرت بالجب والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . إذا أصبحت قلت ثلاث مرات وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات .

وعن ابن عباس أنه قال إن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدنا إنا لنفرح بموت العالم ما لا نفرح بموت العابد والعالم لا نصيب منه . قال انطلقوا فانطلقوا إلى عابد وأتوه في عبادته فقالوا نريد أن نسألك فقال سل .

فقال إبليس هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة قال لا أدري قال أترونه كفر في سماعه .

ثم جاء إلى رجل عالم في حلقة يضحك أصحابه فقالوا إنا نريد أن نسألك فقال سل .

فقال هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة قال نعم قال كيف .

قال يقول كن فيكون ، قال أترون ذلك لا يعدو نفسه هذا يفسد عليّ عالماً كثيراً .

حَيَاتِكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ بَقَاؤُهَا
وَلَا خَيْرَ فِيهَا غَيْرَ زَادٍ مِنَ الشَّقَى
بَلَى إِنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطْيَاهُ
وَمَنْ يَزْرَعِ التَّقْوَى بِهَا سَوْفَ يُجْتَنَى
أَوْمَلُ أَنْ نَبْقَى بِهَا غَيْرَ أَنْسَا
فَكُنْ أَتَمَّ الْإِنْسَانُ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
وَجَانِبِ سَبِيلِ الْغَىِّ وَأَتْرُكْ مَعَاصِيَا
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ بِمَشْهَدٍ
وَتَنْزِلَ قَبْرًا - لَا أَبَالِكَ - مُوحِشًا
وَتَبْقَى بِهِ ثَاوٍ إِلَى الْحَشْرِ وَالْجَزَا
فَإِمَّا تَكُونُ النَّفْسُ ثُمَّ سَعِيدَةً
يُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْقَضَا
هُنَالِكَ تَبْدُو لِأَسْبَادِ صَحَائِفٍ
وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ آخِذٍ بِشِمَالِهِ
وَأَخَرُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ آخِذُ
فَيَأْتِي نَبِيُّ اللَّهِ لِلرَّبِّ سَاجِدًا
فَيَدْعُوهُ رَبُّ الْعَرْشِ : سَلْنِي فَإِنِّي
فَقَالَ : إِلَهِي أُمَّتِي مِنْكَ تَرْتَجِي
فِيْمَطْيَاهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ شَفَاعَةً

وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيدُ عَنَاؤُهَا
يُنَالُ بِهِ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَمَاوُهَا
عَلَيْهَا الْوُغُ الْخَيْرِ وَالشَّرُّ دَاوُهَا
ثَمَارًا مِنَ الْفَرْدَوْسِ طَابَ جَنَاوُهَا
عَلَى ثِقَةٍ أَنْ الْمَمَاتَ انْتِهَاوُهَا
يُلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بِهَاوُهَا
يُذِيْبُكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَطَاوُهَا
يُسَاعِدُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْكَ بُكََاوُهَا
تَكُونُ تُرَى أَمَّ عَلَيْكَ ثَرَاوُهَا
وَنَفْسُكَ يَبْدُو فِي الْحِسَابِ جَزَاوُهَا
فَطَوْبَى وَإِلَّا فَالْفَرِيعُ غِذَاوُهَا
وَتُنْشَرُ أَعْمَالُ يَبِينُ وَبَاوُهَا
فَتُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ وَالذَّنْبُ دَاوُهَا
صَحِيفَتُهُ السُّودَا الشَّدِيدُ بَلَاوُهَا
صَحِيفَتُهُ الْبَيْضَاءُ طَابَ لِقَاوُهَا
فَيُثْنِي بِنِعْمَاءٍ يَحْمِلُ ثَنَاوُهَا
لِنَفْسِكَ بِالْمَحْبُوبِ عِنْدِي رِضَاوُهَا
لَأَشْفَعَ بَعْدَ الْإِذْنِ فَهُوَ مُنَاوُهَا
لَأُمَّتِهِ الْعَرَاءُ طَابَ هَنَاوُهَا

فَيَرْجِعُ طَهَ مُسْتَقِيمٌ سُرُورُهُ
فَيَحْمَدُ مَوْلَاهُ الْجَلِيلُ ثَنَائُهُ
هُنَا لَكَ أُمُّ الْمُصْطَفَى جَنَّةُ الْعَلَا
وَيَسْقِي رَسُولُ اللَّهِ مَنْ شَاءَ كَوْنًا
فَيَارِبُّ أَوْرِدْنَا جَمِيعاً لِحَوْضِهِ
وَأَتِمِّمْ لَنَا حُسْنَ الْخِتَامِ إِذَا دَنَتْ
وَهَوْنٌ عَلَى الرُّوحِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهَا
وَفِي الْقَبْرِ ثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الْهُدَى
وَأِنْ تُفَحِّثْ فِي الصُّورِ نَفْخَةً بَعِثْنَا
فَنَحْنُ اعْتَمَدْنَا الْفَضْلَ مِنْكَ مَعَ الرَّجَا
وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ طَهَ مُحَمَّدٍ
وَالِ وَأَصْحَابِ مَدَى الدَّهْرِ مَا بَدَا

تَخَالُ بِدِ الْبُشْرَى جَلِيًّا ضِيَاؤُهَا
عَلَى نَعْمٍ لَا يُسْتَطَاعُ الْحِصَاؤُهَا
وَأُمُّهُ تَقْفُوا كَذَا شَهَادَاتُهَا
بِأَنِّيَّةٍ عَدُّ النُّجُومِ اقْتِفَاؤُهَا
لِتُرَوَى نُفُوسٌ مِنْهُ طَالَ ظَمَاؤُهَا
وَفَاةٌ وَحَائِثٌ لِلْحَيَاةِ انْمِحَاؤُهَا
تُحِبُّ الْبَقَا لَكِنْ لِقَاكَ هَوَاؤُهَا
إِذَا سُئِلَتْ كَيْ يَسْتَقِيمَ بَقَاؤُهَا
فَقُلْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْيَمِينِ أَوْلَاؤُهَا
فَحَقِّقْ رَجَا نَفْسٍ لَدَيْكَ رَجَاؤُهَا
شَفِيعَ الْبَرَايَا يَوْمَ يَأْتِي نِدَاؤُهَا
نَهَارٌ وَمَا جَنَّ اللَّيَالِي دُجَاؤُهَا

انتهى

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

إِخْوَانِي أَيُّنَ أَحِبَّابِكُمُ الَّذِينَ سَلَفُوا أَيُّنَ أَتْرَابِكُمُ الَّذِينَ رَحَلُوا وَأَنْصَرَفُوا ،
أَيُّنَ أَصْحَابُ الْأَمْوَالِ وَمَا خَلَفُوا .

ندموا والله على التفريط يا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا هَوْلَ مَقَامِ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ ،
 إِذَا ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .
 فَوَاعَجَبًا لَكَ كُلَّمَا دُعِيتَ إِلَى اللَّهِ تَوَانَيْتَ ، وَكُلَّمَا حَرَّكَتَكَ الْمَوَاعِظُ إِلَى
 الْخَيْرَاتِ أَبَيْتَ ، وَعَلَى غِيَّتِكَ وَجْهِكَ تَمَادَيْتَ ، وَكَمْ حُذِّرْتَ مِنَ الْمُنُونِ فَمَا
 التَفَتَ إِلَى قَوْلِ النَّاصِحِ وَتَرَكْتَهُ وَمَا بَالَيْتَ .
 يَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَيِّتٌ ، سَتُعَايِنُ عِنْدَ قُدُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
 مَا لَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ
 تَحِيدُ ﴾ .

كَمْ أَرْعَجَ الْمَوْتُ نُفُوسًا مِنْ دِيَارِهَا ، وَكَمْ أَتَلَفَ الْبَلَى مِنْ أَجْسَادٍ مُنْعَمَةٍ
 لَمْ يُدَارِهَا ، وَكَمْ أَذَلَّ فِي التُّرَابِ وَجُوهًا نَاعِمَةً بَعْدَ رَفْعَتِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا .
 إِنْتَبِهْ يَا أَخِي فَالْدُنْيَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَدَارُ فَنَاءٍ لَيْسَتْ بِدَارٍ مَقَامٍ ،
 سَتَعْرِفُ وَتَفْهَمُ نُصْحِي لَكَ بَعْدَ أَيَّامٍ .
 وَمَا غَابَ عَنْكَ سِتْرَاهُ عَلَى التَّهَامِ إِذْ اكْشَفَ الْغَطَاءَ عَنْكَ وَصَارَ بَصْرُكَ
 حَدِيدَ ، وَهَنَّاكَ تَنْدَمُ وَلَاتَ سَاعَةُ نَدَمٍ .

شعرا :

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الذُّنُوبَ وَأَجْرَمَا	وَعَدَ عَلَى زَلَّاتِهِ مُتَنَدِّمًا
لَا تَيَاسُنْ وَاطْلُبْ كَرِيمًا دَائِمًا	يُؤَلِّي الْجَمِيلَ تَفْضُلًا وَتَكْرُمًا
يَا مَعْشَرَ الْعَاصِينَ جُودٌ وَاسِعٌ	عِنْدَ الْإِلَهِ لِمَنْ يَتُوبُ وَيُنْدَمَا
يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ إِلَى مَتَى	تُفْنِي زَمَانَكَ فِي عَسَى وَلَرَّيَمَا
بَادِرْ إِلَى مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ	قَدْ ضَاعَ فِي عِصْيَانِهِ وَتَصَرَّمَا
وَاسْأَلْهُ تَوْفِيقًا وَعَفْوًا ثُمَّ قُلْ	يَا رَبِّ بَصِّرْنِي وَزِلْ عَنِّي الْعَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ أَجَلُ مَنْ	قَدْ خُصَّ بِالتَّقْرِيبِ مِنْ رَبِّ السَّيِّمَا

وعلى صحابته الأفاضل كلهم ما سبَّح الداعي الإله وعظما
اللهم أنظمننا في سلك حزبك المفليحين ، واجعلننا من عبادك
المخلصين وآمننا يوم الفرع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى
الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

قال أحد العلماء :

إعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه
ثلثم وساكنه العقل والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن وإلى جانب الحصن
ريض (وهو المكان يؤوى إليه) .

وفيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الريض من غير مانع والحرب
قائم بين أهل الحصن وأهل الريض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن
تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم وأن لا يفتّر عن الحراسة
لحظة فإن العدو لا يفتّر .

وينحصر شر الشيطان في ستة أجناس لا يزال بائن آدم حتى ينال منه
واحدا منها وأكثر .

أحدها شر الكفر والشرك .

ثانيا البدعة .

ثالثا كبائر الذنوب .

رابعا الصغائر .

ثم الاشتغال بالمباحات عن الاستكثار من الطاعات .

ثم الاشتغال بالمفضول عن الفاضل .
والأسباب التي يَعْتَصِمُ بها العَبْدُ من الشيطانِ عَشْرَةٌ .
أولاً الاستِعاذَةُ بالله .
ثانياً قِرَاءَةُ المَعُودَتَيْنِ .
ثالثاً قِرَاءَةُ آيَةِ الكُرْسِيِّ .
رابعاً قِرَاءَةُ البَقَرَةِ .
خامساً قِرَاءَةُ أوَّلِ سُورَةِ حَمِ المؤمنِ إلى « إِيَّاهِ المَصِيرُ » .
سابعاً لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة .
ثامناً كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ .
تاسعاً الوضوءُ مَعَ الصَّلَاةِ .
عاشراً إِمْسَاكُ فُضُولِ النَظَرِ والكَلَامِ والطَعَامِ ومُخَالَطَةِ النَّاسِ . انتهى
وختاماً فأهلُ التَّقْوَى لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمْ سَدُّ أَبْوَابِ الشَّيْطَانِ وَحِفْظُهَا
بِالْحِرَاسَةِ أَيِ الْأَبْوَابِ الظَّاهِرَةِ وَالطَّرِيقِ الْجَلِيَّةِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى الْمَعَاصِي
الظَّاهِرَةِ .
وَإِنَّمَا يَتَعَثَّرُونَ فِي طَرِيقِ الغَامِضَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا فَيَحْرُسُونَهَا لِأَنَّ
الْأَبْوَابَ الْمُفْتُوحَةَ إِلَى الْقَلْبِ لِلشَّيْطَانِ كَثِيرَةٌ .
وبَابُ المَلَائِكَةِ بَابٌ وَاحِدٌ وَقَدْ التَّبَسَّ ذَلِكَ الْبَابُ الْوَاحِدُ بِهِذِهِ الْأَبْوَابِ
الكَثِيرَةِ ، فَالْعَبْدُ فِيهَا كَالْمَسَافِرِ الَّذِي يَبْقَى فِي بَادِيَةِ كَثِيرَةِ الطَّرِيقِ غَامِضَةً .
الْمَسَالِكِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فَلَا يَكَادُ يَعْلَمُ الطَّرِيقَ إِلَّا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ وَطُلُوعِ
شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ .
وَالْعَيْنُ الْبَصِيرَةُ هَاهُنَا هِيَ الْقَلْبُ الْمُصَفَّى بِالتَّقْوَى وَالشَّمْسُ الْمُشْرِقَةُ هُوَ

الْعِلْمُ الْعَزِيزُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فِيهَا يُهْتَدَى بِهِ إِلَى غَوَامِضِ طُرُقِهِ وَإِلَّا فَطُرُقُهُ كَثِيرَةٌ وَغَامِضَةٌ .

قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه خطُّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطًّا وقال « هذا سبيلُ الله » ثم خطَّ خطوطاً عن يمينِ الخطِّ وعن شمالِهِ ثم قال « هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ » .
ثم تلا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

وقال أحدُ العُلَمَاءِ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحِبَّ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ حَقِيقَةَ الْبَعِيدِينَ عَنْ الْأَنْهَكَ فِي الدُّنْيَا الْبَعِيدِينَ عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الشُّهُرَةِ وَالظُّهُورِ وَالْوُقُوعِ فِي أَغْرَاضِ النَّاسِ الْغَافِلِينَ .

السَّالِمِينَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَيُلَازِمَ مَجَالِسَهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ وَيَتَعَطَّ بِنُصَحِهِمْ .

وَيَجْتَنِبُ الْأَعْمَالَ الْقَبِيحَةَ وَيَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ .

أَيَّ فَعَادُوهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَطِيعُوهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى وَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَعَقَائِدِكُمْ .

وَإِذَا فَعَلْتُمْ فَعَلًا فَتَفَقَّطُوا لَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يُدْخِلُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءَ ، وَيُزَيِّنُ لَكُمْ الْقَبَائِحَ وَالْفَوَاحِشَ وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِرَبِّكُمْ ، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْهُ .

الْمِهُمُّ أَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ أَبَدًا فَلَا تَغْفُلْ عَمَّنْ نَاصِيَتُكَ بِيَدِهِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ إِلْزَمْ ذِكْرَهُ وَحَمْدَهُ وَشُكْرَهُ .

فَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ مُسَلِّطٌ عَلَى الْإِنْسَانِ وَمُقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّ لَا يُوجَدُ مِنْهُ غَفْلَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ عَنِ التَّزْيِينِ وَالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ .

قال تعالى إِنْخَبَارًا عَمَّا قَالَهُ إِبْلِيسُ ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَنْتَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ وقال ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمَخْلَصِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعَمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

قال تعالى ﴿ إِنْ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ الآية .
إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِتَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ،
وَالْإِفْتِقَارِ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ إِلَيْهِ ، وَاسْتِعَاذَتِكَ بِهِ مِنْ شَرِّ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِ ،
فَبِذَلِكَ تَنْجُو مِنْ سُلْطَانَتِهِ ، وَتَنْجُو مِنْ غَائِلَتِهِ .

قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

فَمَنْ تَحَقَّقَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَاللَّجَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ ، وَالْإِسْتِعَاذَةِ ، وَالْإِسْتِجَارَةِ بِهِ ،
كَيْفَ يَكُونُ لِعَدُوِّ اللَّهِ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ ، وَاللَّهُ حَبِيبُهُ وَوَلِيُّ حِفْظِهِ وَنَصْرِهِ .
وَفِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ « أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ أَحْفَظِ اللَّهَ

تَجِدُهُ أَمَامَكَ تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ .
فالشأن في العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث تجده قريباً منه يستأنس به في خلوته ويمجد حلاوة ذكره ودُعائه ومُنَاجَاتِهِ وَخِدْمَتِهِ .
ولا يجد ذلك إلا مَنْ أَطَاعَهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَمَتَى وَجَدَ الْعَبْدُ هَذَا فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ وَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ .

فإذا سألَه أعطاه وإذا دَعَاهُ أَجَابَهُ وَالْعَبْدُ لَا يَزَالُ فِي كَرْبٍ وَشِدَائِدٍ ، فِي الدُّنْيَا ، وَفِي الْبَرْزَخِ ، وَفِي الْمَوْقِفِ ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ كَفَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ .

وهذا هو المشار إليه في وصية رسول الله ﷺ لابن عباس تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ .

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا عَرَفَ الْعَبْدُ بِرَبِّهِ ، وَدَلَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفَهُ ، وَوَحَّدَهُ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَأَنْسَ بِهِ ، وَاسْتَحْيَا مِنْ قُرْبِهِ ، وَعَبَّأَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ .

فالشأن كله في أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَدِلُّ بِالْعِلْمِ عَلَى رَبِّهِ ، فَيَعْرِفُهُ فَإِذَا عَرَفَ رَبَّهُ فَقَدْ وَجَدَهُ مِنْهُ قَرِيبًا ، وَمَتَى وَجَدَهُ مِنْهُ قَرِيبًا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَجَابَ دُعَاءَهُ .
كما في الأثر الإسرائيلي ابْنُ آدَمَ اطْلُبْنِي تَجِدُنِي ، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ .

فَأَصْلُ الْعِلْمِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ الَّذِي يُوجِبُ خَشْيَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَالْأُنْسَ بِهِ ، ثُمَّ يَتْلُوهُ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ، وَمَا يُحِبُّهِ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْعَبْدِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ حَالٍ أَوْ إِعْتِقَادٍ .

فَمَنْ تَحَقَّقَ بِهِذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ كَانَ عِلْمُهُ عِلْمًا نَافِعًا ، وَحَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْقَلْبُ الْخَاشِعُ وَالنَّفْسُ الْقَانِعَةُ وَالِدُعَاءُ الْمَسْمُوعُ .

وَمَنْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ النَّافِعُ وَقَعَ فِي الْأَرْبَعِ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ ،
وَصَارَ عِلْمُهُ وَبَالًا وَجُجَّةً عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ .

لأنه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه من الدنيا ، بل ازداد حرصاً عليها
وطلباً لها ، ولم يسمع دُعَاؤُهُ ، لِعَدَمِ إِمْتِثَالِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ ، وَعَدَمِ اجْتِنَابِهِ لِمَا
يُسْخِطُهُ وَيَكْرَهُهُ .

هذا إن كان عِلْمُهُ عِلْمًا يُمْكِنُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَهُوَ الْمُتَلَقَّى عَنِ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ .

فَإِنْ كَانَ مُتَلَقًى مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ نَافِعٍ فِي نَفْسِهِ وَلَا يُمَكِّنُ الْإِنْتِفَاعَ
بِهِ بَلْ ضَرَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ .

وَعَلَامَةُ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ أَنْ يُكْسِبَ صَاحِبُهُ الزُّهْوَ وَالْفَخْرَ
وَالْخِيَلَاءَ وَطَلَبَ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْمُنَافَسَةِ فِيهَا وَطَلَبَ مُبَاهَاةِ الْعُلَمَاءِ
وَمُمَارَاةِ السُّفَهَاءِ وَصَرْفَ وَجْهِهِ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَهَارِيَ
بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ .

وَلِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ :

يَقُولُونَ لِي هَلَّا نَهَضْتَ إِلَى الْعُلَا	فَمَا لَدَّ عَيْشُ الصَّابِرِ الْمُتَّقِعِ
وَهَلَّا شَدَّدْتَ الْعِيسَ حَتَّى تَحُلَّهَا	بِمَصْرِ إِلَى ظِلِّ الْجَنَابِ الْمُرْفَعِ
فَفِيهَا قُضَاءُ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِمُوا	تَعِينَ كَوْنِ الْعِلْمِ غَيْرِ مُضَيِّعِ
وَفِيهَا شُيُوخُ الدِّينِ وَالْفُضُلِ وَالْأُولَى	يُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْعُلَا كُلُّ أَصْبَعِ
وَفِيهَا وَفِيهَا وَالْمَهَانَةُ ذَلَّةٌ	فَقُمْ وَاسْعَ وَأَقْصِدْ بَابَ رِزْقِكَ وَأَقْرِعِ
فَقُلْتُ نَعَمْ أَسْعَى إِذَا شِئْتُ أَنْ أَرَى	ذَلِيلًا مُهَانًا مُسْتَخَفًّا بِمَوْضِعِي
وَأَسْعَى إِذَا مَا لَدَّ لِي طَوْلُ مَوْقِفِي	عَلَى بَابِ مُحْجُوبِ اللَّقَاءِ مُمْنَعِ

وَأَسْعَى إِذَا كَانَ الْإِنْفَاقُ طَرِيقَتِي
وَأَسْعَى إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي بَقِيَّةِ
فَكَمْ بَيْنَ أَرْيَابِ الصُّدُورِ مَجَالِسًا
وَكَمْ بَيْنَ أَرْيَابِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا
مُنَاطَرَةٌ تُحْمِي النُّفُوسَ فَتَنْتَهِي
إِلَى السَّفَهِ الْمُزْرِي بِمَنْصِبِ أَهْلِهِ
فَإِمَّا تَوَقَّى مَسْلَكَ الدِّينِ وَالتَّقَى

آخر :

أَنِسْتُ بِأَوَاءِ الزَّمَانِ وَذِلِّهِ
إِلَى كَمْ أَعَانِي يَتَّهَهَا وَدَلَالِهَا
وَقَدْ أُخْلِقَ الْأَيَّامُ جَلْبَابَ حُسْنِهَا
عَلَى حِينٍ شَيْبٌ قَدْ أَلَمَ بِمَفْرِفِي
طَلَائِعِ ضَعِيفٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى الْقَوَى
فَلَا هِيَ فِي بُرْجِ الْجَمَالِ مُقِيمَةٌ
تَقَطَّعَتْ الْأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَعَادَتْ قُلُوصُ الْعَزْمِ عَنِّي كَلِيلَةٌ
كَأَنِّي بِهَا وَالْقَلْبُ زُمْتُ رِكَابُهُ
وَسَيِّقْتُ إِلَى دَارِ الْخُمُولِ حُمُولُهُ
حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا الْبُؤْ فَأَنْشَتْ
تَوَلَّتْ لَيَالٍ لِلْمَسْرَاتِ وَانْقَضَتْ
فَسْرَعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بِالْمَسْرَاتِ سَاعَةٌ
فَلِلَّهِ دُرُّ الْغَمِّ حَيْثُ أَمَدَّنِي

أَرْوَحُ وَأَعْدُو فِي ثِيَابِ التَّصْنَعِ
أُرَاعِي بِهَا حَقَّ التَّقَى وَالتَّوَرُّعِ
تُشَبُّ بِهَا نَارُ الْغَضَى بَيْنَ أَضْلَعِي
إِذَا بَحَثُوا فِي الْمُسْكِلاتِ بِمَجْمَعِ
وَقَدْ شَرَعُوا فِيهَا إِلَى شَرِّ مَشْرِعِ
أَوِ الصَّمْتِ عَنْ حَقِّ هُنَاكَ مُضَيِّعِ
وَإِمَّا تَلْقَى غُصَّةَ الْمُتَجَرِّعِ

فِيَا عِزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ سَلَامُ
أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلُوةٌ وَسَلَامُ
وَأَضَحَّتْ وَدِيْبَاجُ الْبَهَاءِ مَسَامُ
وَعَادَ رُهَامُ الشَّعْرِ وَهُوَ ثَغَامُ
وَنَارَ بِمِيدَانِ الْمِزَاجِ قَتَامُ
وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمُجُونِ مُدَامُ
وَلَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلِئَامُ
وَقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
وَقُوضَ أُيُوسَاتُ لَهُ وَخِيَامُ
يَحْنُ إِلَيْهَا وَالْدُّمُوعُ رُهَامُ
إِلَيْهِ وَفِيهَا أَنَّةٌ وَضُعَامُ
لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامُ
تَدُومُ وَلَكِنْ مَا لَهْنٌ دَوَامُ
وَيَوْمٌ تَوَلَّى بِالْمَسَاءَةِ عَامُ
بَطُولِ حَيَاةٍ وَالْهُمُومُ سِهَامُ

أَسِيرٌ بِتَيْمَاءِ التَّحِيرِ مُفْرَدًا
وَكَمْ عِشْرَةٌ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ
فَمَا عِشْتُ لَا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ
نَحَبْتُ نَارَ أَعْلَامِ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى
وَكَانَ سَرِيرُ الْعِلْمِ صَرْحًا مُمَرَّدًا
مَتِينًا رَفِيعًا لَا يُطَارُ غُرَابُهُ
يَلُوحُ سَنَابِقُ الْهُدَى مِنْ بُرُوجِهِ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرُّاسِيَّاتُ ذُيُولَهَا
وَسَيِّقَ إِلَى دَارِ الْمَهَانَةِ أَهْلُهُ
كَذَا تَجْرِي الْأَيَّامُ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى
فَمَا كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَلِلدَّهْرِ ثَارَاتٌ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى
وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَغْتَبِنُهَا
أَجِدَّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا
تَشْكُلُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا
تَرَى النُّقْصَ فِي زِيِّ الْكَمَالِ كَأَنَّمَا
فَدَعُوهَا وَنَعْمَاهَا هَنِئًا لِأَهْلِهَا
تَعَاْفُ الْعَرَانِينَ السِّمَاطَ عَلَى الْخَوَى
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا
وَلَوْ أَنَّكَ تَسْعَى لِثَرَاهَا أَلْفَ حَاجَةٍ
رَجَعْتَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيكَ كُلُّهَا
هَبْ إِنَّ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا

وَلِي مَعَ صَحْبِي عِشْرَةٌ وَنَدَامُ
وَرُبَّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كَلَامُ
وَهِيَهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامُ
عَلَيْهِ فِئَامٌ لَثَرَ ذَاكَ قِيَامُ
وَشُبُّ لِنِيرَانِ الضُّلَالِ ضُرَامُ
يُنَاغِي الْقَبَابَ السَّبْعَ وَهِيَ عِظَامُ
عَزِيزًا مَنِيعًا لَا يَكَاذُ يُسْرَامُ
كَبَرِّقِ بَدَا يَنْ السَّحَابِ يُشَامُ
فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
مَسَاقُ أَسِيرٍ لَا يَزَالُ يُضَامُ
طَرَائِقُ مِنْهَا جَائِرٌ وَقَوَامُ
وَمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حُسَامُ
نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ
وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهُوَ حُطَامُ
يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ عِمَامُ
وَلَا تُكُ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامُ
إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَعَامُ
لِمَا لَيْسَ فِيهِ عُرْوَةٌ وَعِصَامُ
وَقَدْ جَاوَزَ الطَّبِيبِينَ مِنْكَ جِرَامُ
بِخْفِي حُنَيْنٍ لَا تَزَالُ تُلَامُ
وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامُ

وَمُتَّعَتْ بِاللَّذَاتِ دَهْرًا بَغِطَةً أَلَيْسَ بِحَثْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ حِمَامٌ
فَبَيَّنَ الْبَرَايَا وَالْخُلُودِ تَبَايُنٌ وَيَبَيِّنُ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسُ لِرِزَامٌ
قَضِيَّةَ انْقَادِ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامٌ
ضُرُورِيَّةُ تَقْضِي الْعُقُولِ بِصِدْقِهَا سَلْ إِنْ كَانَ فِيهَا مِرْيَةٌ وَخِصَامٌ
سَلِ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي خَلَتْ لَهُمْ فَوْقَ ، فَوْقَ الْفِرْقَدِينَ مَقَامٌ
بَأَبْوَابِهِمْ لِلْوَافِدِينَ تَرَائِكُمْ بِأَعْتَابِهِمْ لِلْعَاكِفِينَ زِحَامٌ
تُجْبِكُ عَنْ أَسْرَارِ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْهِمْ جَوَابًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامٌ
بِأَنَّ الْمَنَايَا أَقْصَدَتْهُمْ نِبَالُهَا وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهُنَّ سِهَامٌ
وَسَيِّقُوا مَسَاقَ الْغَايِرِينَ إِلَى الرَّدَى وَأَفْقَرُ مِنْهُمْ مَزَلٌ وَمَقَامٌ
وَحَلُّوا مَحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْهَدُونَهُ فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامٌ
أَلَمْ بِهِمْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَعَالَهُمْ فَهُمْ يَبَيِّنُ أَطْبَاقَ الرُّغَامِ رُغَامٌ

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ
الْأَشْرَارِ وَاعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيمُ
يَا سَتَّارُ يَا حَلِيمُ يَا جَبَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فِي فَضَائِلِ الْاسْتِغْفَارِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَتَأَكَّدُ فِي الزَّمَانِ
الْفَاضِلِ ، وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾
وَقَالَ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ؛ وَقَالَ تَعَالَى ، مُخْبِرًا

عن نوح : ﴿ . . . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدَاداً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً وَيَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأُبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَتَبَّ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ » مِائَةَ مَرَّةٍ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ : اسْتَغْفَارٌ كَثِيرٌ » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنِّي لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتَغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

وَعَنْ الْأَعْرَبِ الْمُزْنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً » .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ : كُنْتُ ذَرِبَ اللِّسَانِ عَلَى أَهْلِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَاتُّوبُ إِلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ جِئْتُ يَا وَيْهِ إِلَى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَاتُّوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عِدَّةَ رَمَلٍ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عِدَّةَ أَيَّامِ الدُّنْيَا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غُفِرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غُفِرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْحُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « قَالَ ابْلِيسُ : وَعِزَّتِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَعْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي » .

وَعَنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَارِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ النُّحَاسِ ، وَجَلَاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ » .

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرَةٍ ، فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ، فَاسْتَغْفِرْنَا ، فَقَالَ : « أَتِمُّوْهَا سَبْعِينَ مَرَّةً » فَاتَّمَمْنَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي يَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعُمِائَةَ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ

وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : « فَاسْتَكَثَرُوا فِيهِ مَنْ خَصَلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ وَخَصَلَتَيْنِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا ، فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ » .

فَهَذِهِ الْخَصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلُّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوها مَحْوًا ، وَلَا تُبْقِي ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقُ الرِّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَا جِئَنَ يُصْبِحُ وَجِئَنَ يُمَسِّي أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ .

وَأَمَّا كَلِمَةُ الْاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ . فَإِنَّ الْاسْتِغْفَارَ دُعَاءٌ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ أَبِي ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَا أَبَى ؟ قَالَ : يَا أَبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ » .

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الْاسْتِغْفَارَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرَدُّ فِيهِ سَائِلًا ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ : أَنَّ ابْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالْاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

والاستِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ
وَالْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّابَعِ
عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ لَغْوًا كَانَ كَفَارَةً لَهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ
رَمَضَانَ بِالْأَسْتِغْفَارِ يُرَقِّعُ مَا تَخَرَّقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللَّغْوِ وَالرَّفَثِ « وَيَجْتَهِدُ فِي
الْكَثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالتَّقَلُّلِ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ مَا
دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ » .

تَضَرَّعْ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ :

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَمَّا كَانَ مِنْ زَلَلٍ
وَلَيْسَ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْتَجِعِي
وَهُوَ الرَّحِيمُ وَمَلَجَا مَنْ يَلُودُ بِهِ
وَقَدْ مَدَدْتُ جِبَالِي رَاجِيًا فَرَجًا
فَقُلْتُ مُشْتَكِيًا مَا قَالَ مُبْتِهَلًا
فَصِلْ جِبَالِي وَأَوْصَالِي بِحَبْلِكَ يَا
أَنَا الدَّلِيلُ أَنَا الْمِسْكِينُ ذُو شَجْنٍ
أَنَا الْكَسِيرُ أَنَا الْمُحْتَاجُ يَا أُمْلِي
أَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أَهْلَ وَلَا وَطَنَ
أَنَا الْعَبِيدُ الَّذِي مَا زِلْتُ مُفْتَقِرًا
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلَبَ مَنْفَعَةٍ
مَالِي سِوَاكَ وَلَا لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ
أَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى جَبْرِي بِوَصْلِكَ لِي
أَدْعُوكَ يَا سَيِّدِي يَا مُشْتَكِي حَزْنِي
فَانْظُرْ إِلَى غُرْبَتِي وَارْحَمْ ضَنَا جَسَدِي
وَقَدْ دُهِيتُ فَلَمْ يُسْمَعْ وَقُلْتُ فَمَا

وَمِنْ خَطَا تَخَطَّأَ بِالْمُصِيبَاتِ
فَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِي وَنِيَّاتِ
الْكَاشِفُ الْغَمِّ الْقَاضِي لِحَاجَاتِ
وَمُنْشِدًا قِيلَ دَاعِ ذِي الْبَحَائِلِ
بِاللَّهِ مُرْتَجِيًا تَفْرِيجَ أَرْمَاتِ
ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَحَقِّقْ فِيكَ رَغْبَاتِي
أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ السَّمَوَاتِ
جُدْ لِي بِفَضْلِكَ وَاعْفُ عَنِ خَطِيئَاتِ
أَنَا الْوَحِيدُ فَكُنْ لِي فِي مُلِمَّاتِ
إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي فِي كُلِّ حَالِ
وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعَ الْمَضَرَّاتِ
ذِكْرَاكَ فِي الْقَلْبِ قُرْآنِي وَآيَاتِ
أَنْتَ الْعَلِيمُ بِأَسْرَارِ الْخَفِيَّاتِ
يَا جَابِرِي يَا مُغِيثِي فِي مُهِمَّاتِ
يَا رَاحِمَ الْخَلْقِ يَا بَارِي الْبَرِّيَّاتِ
أُجْدِي لَدَى نَاصِرِي فَاسْمَعْ شِكَايَاتِ

أَنْتَ الْمَغِيثُ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَلَا
وَنَاصِرِي غَاضِيِي بَلْ هَاضِمِي وَشَفَا
يَا قَادِرًا قَاهِرًا مَنْ كَانَ ذَا عَنَتِ
يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِمَنْ لَمْ يَدْرْ مَا قَصِدُوا
وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي
وَالرَّاحِمُ الْكَافِلُ الْكَافِي لِأَمَلِهِ
وَمَا اقْتَرَحْتُ وَمَا قَدْ كُنْتُ مُجْتَرِحًا
وَأَبْسُطْ بِفَضْلِكَ لِي مَا كُنْتُ أَمِلُهُ
وَمَنْ لَهُ الْجُودُ وَالْمَوْجُودُ أَجْمَعُهُ
وَعَبْدُكَ الْمُسْتَكِي وَالْمُرْتَجِي فَرَجًا
وَصَلِّ يَا رَبِّ مَا هَبَّ النِّسِيمُ وَمَا
عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ الْمُصْطَفَى شَرَف

تَخْفَى عَلَيْكَ إِرَادَتِي وَغَايَاتِ
أَوْغَارِ قَوْمٍ بَغُوا وَاعْظَمَ لَوَعَاتِ
أَنْتَ الْقَدِيرُ لِقَهْرِ الظَّالِمِ الْعَاتِ
وَمَا أَرَادَ الْأَعَادِي مِنْ مَعْبَرَاتِ
تَذَرِي وَتَعْلَمُ مَقْصِدِي وَنِيَّاتِ
الْمَاجِدُ الْغَافِرُ الْمَاجِي لِرِلَّاتِ
مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنِّي ذُو الْخَوَلِيَّاتِ
يَا مَنْ لَهُ الْفَضْلُ مَحْضًا فِي الْبَرِّيَّاتِ
وَالْحَلْقُ وَالْأَمْرُ ثُمَّ الْكَائِنُ الْآتِي
لَا طِفْهَ وَارْحَمْنِي وَاحْفَظْ بِالْعَنَائَاتِ
غَنَى الْحَمَامِ عَلَى أَفْنَانِ الْيَكَاثِ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ أَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

خاتمة ، وصية ، نصيحة

إِغْلَمِ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ
الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْتَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا
تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحِّحَتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنْ الْفَقْهِ مَخْتَصَرِ الْمُقْنَعِ لِتَيَسُّرِ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلُ لِأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتُكُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ
أَوْ أَزِيدُ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغَنَى .

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللُّوْلُو وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ (٦٠٠٠) .

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفَظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ (٣٠٠٠) أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا (١٠٠٠) .

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمُقْنَعِ فِي الْفَقْهِ الْفَيْنِ (٢٠٠٠) مِنَ الرِّيَالَاتِ
فَالْغَيْبُ سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا

أَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَوْ الْبُيُوتِ
الْمُعَدَّةِ لِذَلِكَ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ الْمُمْتَازِ

الْبَاقِي النَّافِعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ
وَسَبَبًا لِبَرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا

يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

ومن أراد طباعته ابتغاء وجه الله لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أذن له وجزى الله خيراً من طبعه وقفاً أو أعان على طبعه أو تسبب لطبعه وتوزيعه على إخوانه من المسلمين فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم ، وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله » الحديث رواه أبو داود ، وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » . الحديث رواه مسلم .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنِسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هَلَاكِهِ عِزَّ وَصَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمُ شَعْبَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلاَهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

والله المستول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . عبد العزيز الحمد السلطان

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

الموضوع	رقم الصفحة
نماذج من الفراسة وفي وسطها موعظة بليغة وقصيدة	٣
الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، زهده في الدنيا وورعه وعدله	
وانصافه	٣١
من كلام الامام علي رضي الله عنه في كتاب العهد للأشتر وتوصيته له في تفقده	
أمر الرعية وتحذيره من سفك الدماء والظلم	٣٥
مخاصمته رضي الله عنه للنصراني وانصافه وكرمه وتشجيعه على الاسلام وزهده	
وذكر بعض الحكم المروية عنه - ضرب مثل	٣٨
قصيدة بليغة زهدية وعظية مطلعها حث على شكر الله تعالى وتعداد بعض نعمه	
على عباده وقدرته وحكمته وآخرها تشويق إلى الجنة وما أعد الله لها	٦٥
في ذكر بعض سيرة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه زهده - ورعه - عدله ..	٦٩
عمر مع زوجته وابنته وابنه وأمره بأموال جماعة من بني أمية تجعل في بيت المال	
وبعد ذلك يئس الناس من المظالم واطمأنوا إلى العدل	٧٠
ورعه المفرط ووعظه البليغ وزهده	٧٣/٧١
زهده عمر في مراكب الخلافة لما قربت له	٧٥
عمر وفقه الله ولداً صالحاً يعينه على العدل والزهد في الدنيا	٧٦
رد عمر بن عبدالعزيز على الجبار عمر بن الوليد	٧٨
كتاب عمر إلى أحد عماله يوبخه على مقال له أخطأ فيه	٧٩
إقامته العدل مع روح ابن الوليد بن عبد الملك	٧٩
موعظة بليغة في التحذير من الكبر والحث على ضده	٨٠
قصيدة بليغة في الحث على طاعة الله وإلتزام العمل بالكتاب والسنة	٨٣
عمر بن عبدالعزيز يأمر بعدم تقييد المسجونين لأنه يمنعهم من الصلاة	٨٥
وتخييره جواريه عندما ولي الخلافة بالبقاء معه أو التسريح وذكر نموذج من	
تقشفه وأبيات كثيرة ما يتمثل بها وكلامه حول علماء السلف وعلماء عصره	
رضي الله عنه وأبيات في الحث العلم	٧٨/٨٦

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

الموضوع	رقم الصفحة
جواب عمر لمسلمة عندما قال له أفقرت أفواه ولدك كلام عمر	٨٩
لابنه عبدالملك وهو مريض وما قال بعد موت ابنه وَوَصِيَّة	٩٠
عمر لمن أراد أن يصحبه	٩١
بنات عمر لا يجدن عشاء إلا بصلا وجواب عمر لعنيسة في	٩١
طلبه منه تنفيذ ما أمر له به وذكر شيء من ورعه وزهده	٩٢
القصيدة الشيبانية	١٠٢
إعلان عمر الجوائز لمن يدلّه على الخير وطلبه من عبدالله بن الشخير والحسن البصري يطلب منهما الوعظ له والجواب	١٠٨/١٠٧
على ذلك وقصة المرأة العراقية	١٠٩
عطاء يرسل الى زوجة عمر يسألها عن عمر وشؤنه في وقته وكيف يقضيه	١٠٩
من لطف الله بعمر أن قبض له أبناً يعينه على طاعة الله	١١٠
موعظة في الحث على الاستعداد للرحيل إلى القبور	١١٣
أبو مسلم الخولان يصدع بالحق أمام معاوية ولا يبالي بغضب معاوية	١١٥
كتاب سفيان الثوري الى أخ له	١١٧
صفة الامام العادل للحسن البصري	١١٩
فصل في مآل الانسان ومصيره وبعد قصيدة بليغة في مصير الانسان	١٢٩
وحالته عند الاحتضار وبعد خروج روحه	١٢٩
قصيدة زهدية في الحث على الاستعداد للموت	١٣٠
ذكر بعض أبيات مكتوبة على قبور	١٣٢
قصيدة تتضمن بيان مفاتيح الخير والشر ويليهام موعظة بليغة	١٣٥
موعظة في الحث على التعاون والصلة والبر والأخوة في الله	١٣٩
والتحذير من الظلم وأكل حقوق عباد الله	١٤٠

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

الموضوع	رقم الصفحة
فضل في التواضع والحث عليه والتحذير من الكبر والتحذير من المعاصي وأصحابها ومجالس اللهو والغناء والكبر فيه ..	١٤٨/١٤١
مضار عظيمة والتواضع فيه فوائد عديدة ..	١٥٣/١٤٩
موعظة بليغة في الحث على الاستعداد للآخرة ..	١٥٤
قصيدة زهدية في الحث على الاستعداد للموت ..	١٥٦
موعظة بليغة حول تربية الأولاد ..	١٥٩
مَا قال في الدروس الوعظية - ويليه فصل مواعظ ..	١٧٤/١٦٠
قصيدة بليغة فيما فعل الطغاة العتاة البغاة في المسلمين ..	١٧٧
فصل في ذكر نماذج من تواضع المصطفى لله ..	١٩٢/١٨٥
قصيدة فيها نماذج من معجزات النبي لله ..	١٩٣/١٩٠
موعظة ويلها قصيدة ثم أخرى ..	١٩٣
فصل في كلام نافع في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع ..	١٧٧/١٧٤
في المعاشرة والحلم وآثاره والأسباب الباعثة على ضبط النفس ..	٢٠٠
النقد - الشجاعة - الجبن - التهور ..	٢٠٥/٢٠٢
أمثلة للحلم في مراتب الناس وما يفيده الحلم	
موعظة في الحث على التزود للآخرة ..	٢٠٦
الأسباب الباعثة على الحلم عشرة ..	٢٠٧
الحلم له حدود ففي بعض الحالات لا يحسن الحلم ..	
موعظة في مكارم الأخلاق والحث على حسن الخلق ..	٢١٥/٢١٣
تأسف على رجال مضوا وفقدوا وذهبت صفاتهم وبقيت أصدادهم ..	٢١٨/٢١٦
الحث على الزواج وذكر الأدلة على ذلك وذكر الضرر الحاصل بعدم الزواج والفوائد التي تحصل بالزواج ..	٢٢٠/٢١٩
حث على الزواج وتحذير من تركه لمن قدر ..	٢٢١
قصة سعيد المسيب وتزوج ابنته بفقر والتحذير على الزواج بالاجنبيات وذكر بعض المضرات فيهن ليكن اللبيب على حذر منهم ..	٢٢٣
	٢٢٥
	٢٢٦

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٢٢٨	يسن لمن يريد الزواج تحيز ذات الدين واباحة النظر لمن يريد خطبتها بلا خلوة
٢٣٠/٢٢٩	والفحص عن ما هو سبب الرغبة
٢٣١	التحذير من التزوج بخضراء الدمن ويليه نظم من النونية
٢٣٣	موعظة في حكم تعدد الزوجات والحث على العدل
٢٣٦	الحث على الحصول على الزوجة الدينية حسنة السيرة راجحة العقل المحسنة
٢٢٨/٢٢٧	للتدبير طيبة الأصل
٢٢٨	عظم أجر المرأة الصالحة التي يموت زوجها وهو عنها راضي
	الحث على تزوج البكر وما فيه من فوائد وبيان أن النساء ثلاث لك وعليك
٢٣٩	ولا لك ولا عليك
٢٤٥/٢٤٠	موعظة في التحذير من الدخان وذكر بعض مضراته
٢٤٥	الحث على اختيار الزوجة الشريفة الدينية والاقتصاد عليها
٢٤٨/٢٤٦	بعض العلماء يذكر صفات زوجته في قصيدة ويبالغ في المدح
٢٤٩	موعظة بليغة تصور حالة النساء والرجال في زمننا وما وصل إليه طغيان الشهوة
	والحث على حفظ النساء في البيوت وبعده قصيدة في الفرق بين مطيع
٢٥٣/٢٥٢	الله ومطيع الشيطان متبع الشهوة
٢٥٤	التحذير من الملاهي ومضراتها العظيمة
٢٥٥	المعاشرة بين الزوجين وبيان عظم حق الزوج والأدلة على ذلك
٢٥٦	مما ينبغي للمرأة من الآداب نحو زوجها
٢٦٢	الوصية بالاحسان إلى الزوجة
٢٦٤	حث الرجل على أن يتحمل من زوجته ويدع زلتها ويقيس بين المساوي
٢٦٥	والحاسن ويعمل بالعدل أو يتفضل
٢٦٧	الواجب على المرأة طاعة زوجها في غير معصية الله
٢٧٠/٢٦٨	ذكر بعض المشاكل التي تقع بين الزوجين والحث على تجنبها
٢٧١	وبعد ذلك قصيدة
٢٧٢	ذكر بعض احوال يوم القيامة
٢٨٤/٢٧٦	مشهد من مشاهد يوم القيامة ويليه موعظة

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٧/٢٨٦	رد على منكري البعث والأدلة على ذلك ..
٢٩٤	من الأدلة على البعث ..
٣٠٠	ويلى ذلك قصيدة رد على من قال بالطبيعة ..
٣٠٤	طبقات المكلفين ..
٣٠٧	موعظة بليغة في ذكر بعض نعم الله على خلقه ..
٣٠٩	حديث جليل نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس والحث على صيانة الوقت ..
٣١٧	وصية الامام الموفق وابن القيم رحمهما الله ..
٣١٩	قصيدة في الحث على أخذ الزاد للدار الآخرة ..
٣٣٢/٣١٩	من كلام ابن القيم في عمارة الوقت ..
٣٣٣	قصيدة بليغة في التضجر من أهل هذا الزمان ..
٣٣٨	من كلام ابن القيم في الجهاد ..
٣٤٥	من نظم ابن عبد القوي في الجهاد في سبيل الله ..
٣٤٩/٣٤٨	فائدة جليلة ويلها موعظة بليغة ..
٣٥٧	فصل يحتوي على نبذة يسيرة من سيرة النبي ﷺ ..
٣٥٨	قصيدة في مدح النبي ﷺ ..
٣٦٠	بعد مولده ﷺ أول وقصة رضاعة ..
٣٦١	خروجه ﷺ مع عمه أبي طالب إلى أن بلغ بصري ..
٣٦٢	تزوجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها ..
٣٦٤	رعية الغنم واتجاره ﷺ وذكر أولاده ..
٣٦٥	قصيدة لبعض الصحابة حول دعوته ﷺ للتوحيد ..
٣٦٦	كلام شيخ الاسلام رحمه الله حول صفات النبي ﷺ ..
٣٦٩	قصية أبي أيوب الأنصاري ونزول الرسول ﷺ عنده ..
٣٧٤	موعظة بليغة في التحذير من الغضب ..
٣٧٨	من وفائه ﷺ وما جرى له عند تزوجه بخديجة وتأيد خديجة له رضي الله عنها ..
٣٨٥	موعظة بليغة في عظم شأن الصلاة ..
٣٩٤	نماذج من حلمه ﷺ ..

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

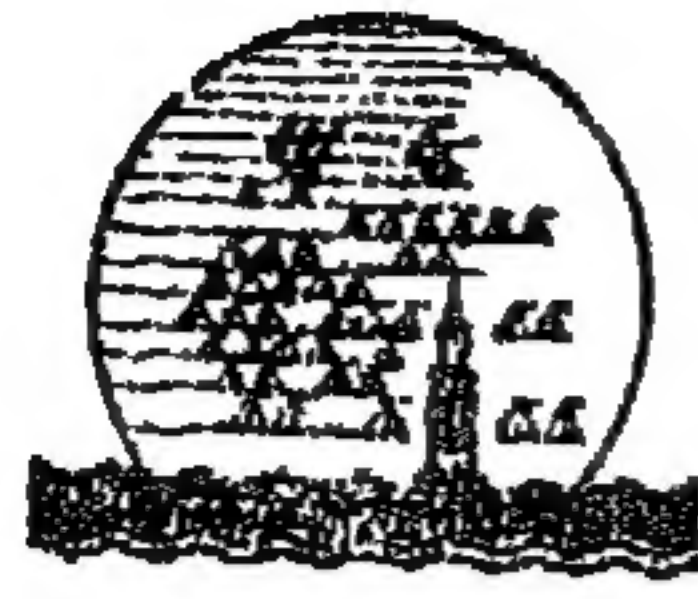
رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٨	من مزحه ﷺ وعفوه وتواضعه
٤٠٣	موعظة مشهد من مشاهد القيامة
٤٠٧	نماذج من عدل النبي ﷺ ويلى ذلك موعظة بعدها أيضاً نماذج من عدله ﷺ
٤١٢	سيرة النبي ﷺ من آياته وأخلاقه وأقواله وأفعاله قاله الشيخ تقي الدين
٤١٧	قصيدة مرثية لحسان يرثي بها رسول الله ﷺ
٤٢٢/٤٢١	موعظة بليغة في غربة الدين وانحطاط أهل هذا الزمن وكثرة الفتن والمنكرات
٤٢٩/٤٢٣	والفساد
٤٣٠	ويليه النونية لابن القيم في المتمسكين بسنة النبي ﷺ في آخر الزمان
٤٣٦	موعظة بليغة في الحث على الاقبال على النفس والاعتناء بها
٤٦٣/٤٤١	كلام ابن رجب على حديث بن عباس في وصية الرسول ﷺ
٤٦٤	من كلام ابن القيم وفوائده وويليه موعظتان
٤٧٩	كلام ابن رجب على حديث سدودا وقاربو .. الخ
٤٩٦	الرياء : تعريفه ، خطره ، ضرره ، من يفعله
٤٩٨/٤٩٧	الأدلة على تحريمه ، علامات المرأى ، أول الناس يقضي عليه
٤٩٩	المرأون في العبادات اقسام مثال للمرأى الشرير
٥٠٠	قصيدة تتضمن النصيح والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة
٥٠٣/٥٠٢	أنواع الرياء ، الرياء في الفرائض ، الرياء في النوافل
٥٠٤	النية عليها مدار عظيم ، عمل المرأى عليه ، أدلة على تحريمه
٥٠٥	الرياء في الهيئة ، علاج نافع لقلع الرياء وقطعه
٥٠٧	قصيدة زهدية وعلاج للرياء وويليه موعظة بليغة
٥١٠	فصل في الكبر والعجب ، انواع الكبر ، من أسباب الكبر
٥١٥	من أنواع الكبر والفرق بينه وبين ما يحفظ به الكرامة من العزة
٥١٣	موعظة تتضمن التحذير من المعاصي قابلة لأن تكون خطة إذا كملت
٥١٥/٥١٠	أنواع الكبر ، وذكر بعض الطغاة المتكبرين على الحق
٥١٦	نماذج من تكبر المشركين على ضعفاء المسلمين واقتراحاتهم
٥١٧	الهوجاء التي نزل القرآن بالتحذير عنها والابعاد عنها لقبحها

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٥٢٠	قصيدة زهدية في الحث على الأعمال الصالحة ويليها موعظة
٥٢١/٥٢٠	التكبر على الخلق من شر الرذائل واقبح الخصال وصاحبه ممقوت
٥٢٣	في الحث على التواضع ، والابتعاد عن الكبر والأدلة على ذلك
٥٢٧	لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر
٥٢٩	أبيات في الحث على التزود للآخرة ويليها موعظة بليغة
٥٢٩	أبيات في ذم الدنيا ويليها ، من خير عباد الله ومن شرهم
٥٣٠	أول ثلاثة يدخلون النار ، أربعة يبغضهم الله
٥٣٥	أبيات زهدية ويليها موعظة متضمنة لبعض صفات المتكبر
٥٣٣/٥٣١	في التحذير من الكبر ومقارنة المتكبر ومصاهرته ومشاركته .. الخ
٥٣٤	آثار الكبر تظهر على جوارح المتكبر ، وفي أقواله ، وهياته
٥٣٤	من آثار الكبر ، المتكبرين اخوان الشياطين
٥٣٦	من يعمل ضد الكبر ، مع رفعه مكانه ، ومن آثار الكبر
٥٣٦	نماذج أيضاً في الملابس والأكل والتناول للمتكبر
٥٤٢	ربما وصل الكبر بصاحبه إلى الكفر بالله ، والعياذ بالله
٥٤٢	قصيدة زهدية في الحث على القناعة
٥٤٦/٥٤٥	الكبر بالنسب وبالجمال بالقوة والكبر بالمال وعلاجه باذن الله
٥٤٦/٥٤٥	حال من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يعمل بذلك
٥٤٨/٥٤٧	العمل بالختام ، مما يضر بعلماء العصر الحاضر
٥٤٩	ويلى ذلك قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ
٥٥٢	الغضب ، تعريفه ، درجاته ، التحذير منه
٥٥٣	أسباب الغضب كثيرة نذكر منها طرفاً
٥٥٥/٥٥٤	آثار نار الغضب بالأمثلة الموضحة لها
٥٥٧/٥٥٦	من أسباب الغضب ، علاج الغضب
٥٥٨	المواطن التي يحسن الغضب لها ، تقسيم العباد في حال الغضب ..
٥٥٩	من سيئات الغضب ، وصية النبي ﷺ بترك الغضب ..
٥٦٠	التحذير من العقاب وقت الغضب ، والصفح عن أساء ، قدرة الشيطان

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمان

الموضوع	رقم الصفحة
على الانسان وقت الغضب ، ويليها قصيدة زهدية	٥٦١/٥٦٠
موعظة جلييلة القدر في التحذير من الغضب والحث على الرفق	٥٦٢
فصل في الحسد ، معنى الحسد ، أدلة على تحريمه وذمه	٥٦٣
مراتب الحسد خمس موضحة	
أسباب الحسد كثيرة نذكر بعضها والأمثلة لها	٥٦٨
دواء الحسد بعد معرفة أضراره	٥٧١
آيات حول طهارة القلب من الحسد والنقد والبغض ، بشارة سارة لمن وفق لها ، والأدلة على ذلك	٥٧٢
موعظة بليغة في التحذير من الحسد	٥٧٣
قصية فيها عظة عن الاساءة إلى عباد الله المؤمنين ويليها قصيدة	٥٧٤
موعظة في الحث على التزود للآخرة ويليها قصيدة زهدية	٥٧٨
قصيدة لسابق البربري القاها على عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله	٥٧٩
اركان الكفر أربعة ، بيان منشأؤها ويليها قصيدة زهدية حول القلب وما يعرض له ، مثل القلب كمثّل حصن له ابواب	٥٨٢
ذكر بعض أبواب القلب التي يدخل معها الشيطان ، التحذير عن مواقع التهم ومواقفها ٨ النية عليها مدار الأعمال ، القلوب	٥٨٧
في الثبات على الخير والشر ويليها قصيدة زهدية ويليها قصيدة	٥٨٩
ذِكْرُ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى الْقُلُوبِ	٥٩٠
عَلَّاجُ مَدَاخِلِهِ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا	٥٩٤/٥٩١
قال أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الْقَلْبَ كَالْحِصْنِ الْخ	٥٩٧/٥٩٦
قصيدة بليغة	٦٠٩/٦٠٤
فَضْلُ الْإِسْتِغْفَارِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ	٦١١/٦١٠
قَصِيدَةُ فِي الْحَثِّ عَلَى التَّضَرُّعِ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ	٦١٦/٦١٢
	٦١٨/٦١٧



الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

